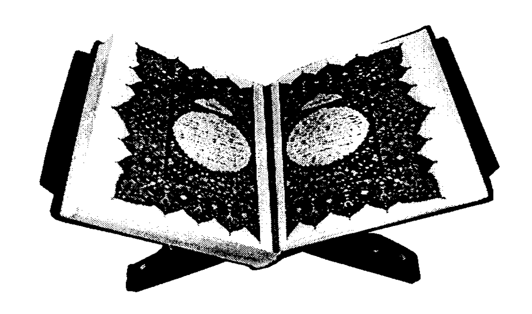
عِقْدُ الجُمَان

من أسئلة القرآن



تاليف

الأستاذ الدكتور

شحات حسيب الفيومى

الأستاذ بجامعة الأزهر



اسم الكتاب : عقود الجمان من أسئلة القرآن
اسم المؤلف : الدكتور شحات حسيب الفيومى
الطبعة : الأولى
مكتبة علاء الدين بشبين الكوم – منوفية
صفحة : ١٧ × ٢٤سم
تاريخ النشر : ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م
رقم الإيداع : ١٨٩٩٢/ ٢٠٠٦
الترقيم الدولى : I. S. B. N.
٩٧٧ –٢٢٤ – ٥٠٣ – ٥




شكر وتقدير

كأن صدى صوت أطفال المدينة المنورة يتقلب مع هوائها وفى أرجائها بلحنهم العذب. وشدوهم الذى يأسر القلب، واستقبلوا به نبى الرحمة، ورسول الإنسانية سيد الأنام محمد بن عبد الله ﷺ :

طلعَ البدرُ علينا ∴ من ثنيات الوَدَاع

وجَبَ الشكر علينا ∴ ما داعا للّهِ داع

ووجب الشكر علىَّ لأناس كانوا فى دوحى عند تأليف هذا الكتاب، فأشكر أمناء مكتبة الحرم المدنى «باب عمر» كانوا إخوة مخلصين يحرصون على راحة رواد المكتبة، ومع حرصهم تلمس دماثة أخلاقهم وسهولة طباعهم ورقَّة أرواحهم، ولا غرو فهم من الذين تبوَّءوا الدار بعد الأنصار.

فاض علىَّ كرمهم، فكانوا يأتون إلىَّ بأكواب الشاى وأنا فى غمرة اطلاعى فى بطون الكتب النفيسة التى احتضنتها تلك المكتبة .

أشكرهم جميعاً وأخص بالشكر:

الشيخ / سعد الجهنى،

والشيخ / عبد الرحمن الهزَّانى،

والشيخ/ فهد حبيب الصاعدى.

المؤلف




المقدمة

مدينتنا «أشمون» من مراكز محافظة المنوفية. وهو مركز يضم قرىً كثيرة تصل إلى خمس وستين قرية، وهذا المركز يقع شمال مدينة القناطر الخيرية والتى بناها «محمد على» و كانت فى يوم من الأيام الخوالى قرية من قرى مركز أشمون. والنيل يضم بذراعيه قرى هذا المركز، فيحده من الشرق فرع دمياط، ومن الغرب فرع رشيد. ويشق قُراه وأرضه الريَّاحُ المنوفى. ولقد أثر هذا الموقع الجغرافى على أبناء المدينة والقرى التابعة لها.

فى إجازة الصيف كان لنا يومان نذهب فيهما إلى ملعب كرة القدم، وكان خلف مدرسة الأديب «أمين الخولى» الثانوية، وكان يرد إلى الملعب طالب نصرانى أعرفه وأعرف أباه فأبوه يعمل مدرساً للميكنة الزراعية فى المدرسة الثانوية الزراعية وأصول هذا الرجل وجذوره من صعيد مصر، وهو رجل جُبِلَ على الكراهية للإسلام ورسوله، نصرانى متعصب لنصرانيته فلا غرو أن تخرج نُطَفُه تحمل تلك الصفات الوراثية الخبيثة، فابنه كالطفل الذى قتله الخضر مطبوع على الكفر، وكان يلعب معنا فى الملعب، وفى يوم من الأيام تخلفت عن الذهاب إلى الملعب، وبعد صلاة العشاء أتى إلىَّ الأصدقاء تعلو وجوههم قترة وعلى محياهم الغضب، الحزن فى نبرات أصواتهم، قالوا: إن «سميراً» وجه إلى القرآن طعوناً وأثار بعض الشبه حول القرآن الكريم، ولم نستطع الرد عليه، فقلت: ماذا قال؟ قالوا: إنه قال: إن فى القرآن أخطاءً لغوية، وهو كتاب تتناقض كثير من آياته مع بعضها. وفى اليوم التالى: دار حوار بينى وبين سمير فى حديقة ملعب كرة القدم وحضر المناظرة جميع الأصدقاء وكانت فى شهر يوليو من عام ستة وستين وتسعمائة وألف، وطرح أباطيله وكنت أرد عليها، ثم يذهب ويعود فى اليوم التالى وفى كنانته أخرى، ويحضر المناظرة جميع الطلاب من مدينتنا وكانت لديه جرأة. وإذا وجهت إليه سؤالاً فى النصرانية وفى عقيدة التثليث أو الصلب أو الفداء يقول: أمهلنى للغد لأسأل «أبانا» يريد المطران، وفى آخر مناظرة وجهت إليه سؤالاً فى عقيدة التثليث.

قلت له: أيكون الإله ثلاثة؟ قال: نعم. الأب - الابن - الروح القدس.

قال :   عندكم «بسم الله الرحمن الرحيم»

فقلت له : إنها صفات لموصوف واحد هو الله، أما التثليث فهو لذوات مختلفة .

فقال :   إن الأمر كالثوب الذى تلبسه الذراعان والياقة وبقية الثوب.

قلت له : إن الإله إذا تجزَّأ كما تقول صار حادثاً والحدوث على الله مستحيل، فبطل التثليث.

و سكت «سمير» وصفق الطلاب، وانصرفنا ولم أره من يوم المناظرة الأخيرة، ونحن فى عام ألفين.

لقد قمت بجمع أسئلة «سمير» وأشباهها، وكل آيات تثير فى الفكر أسئلة سقتها فى هذا الكتاب، وأجبت عنها وسميته : «**عقد الجمان من أسئلة القرآن**»

ومعنى (الجمان): هنوات تتخذ على أشكال اللؤلؤ من فضة، فارسى معرب واحدته جُمانة: وتوهمه لبيد لؤلؤ الصدف البحْرى، فقال يصف بقرة:

و تضيء فى وجه الظلام منيرة .·. كجمانة البحرى سُلَّ نظامها

وقال الجوهرى: الجمانة حبة تعمل من الفضة كالدرة. قال ابن سيده: وبه سميت المرأة. وربما سميت الدرة: جمانة.

وفى صفته ﷺ «يتحدَّر منه العرق مثل الجمان» قال : هو اللؤلؤ الصغار[1].

---

(١) لسان العرب جـ ١ ص٦٨٩ ، مادة : جمن .

منهجي في هذا الكتاب

لقد سلكت في تأليف هذا الكتاب منهجين هما:

١- المنهج الاستقرائي.　　　　٢- المنهج الاستنباطي.

و يظهر ذلك جلياً فيما يلي:

أولاً: صدَّرت هذا الكتاب بقواعد هي بمثابة أزودة لمن يريد الإبحار في محيط القرآن، فهي أطواق نجاة من الغرق وبزة غطس تساعده على التعرف على درره ولآلئه وتعصمه من خوف الإقدام على لجته. **ثانياً**: عند بدء كل سورة أعقد مناسبة بين آخر السورة السابقة وأول السورة اللاحقة وهذا على هيئة السؤال الأول. **ثالثاً**: تأتي بعض الآيات القرآنية مقترنة بالواو كما في قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ وقوله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾ وقوله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾. وتأتي أخرى عارية عن الواو كما في قوله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ﴾ وقوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾، فأبين سر اقتران الآيات بالواو وسر تجريد الأخرى منها، وسر الجواب عنها بـ «قل»، وسر حذفها من بعضها وسر دخول الفاء على بعضها «فقل». **رابعاً**: تدخل اللام على كلمة في موطن وتدخل عليها «إلى» في موطن آخر كما في قوله تعالى: ﴿كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ في سورتي فاطر والزمر، وقوله: ﴿كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ في سورة لقمان، فأبين سر ذلك. **خامساً**: تُعَدَّى بعض الأفعال بحروف مخالفة لما تتعدى به كما في سورة الكهف ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾ وقوله ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾ فأكشف عن سر ذلك. **سادساً**: يخبر في بعض الآيات بلفظ مفرد مع أن المبتدأ أو المتقدم جمع كما في قوله تعالى ﴿هُمُ الْعَدُو﴾ في سورة المنافقون، فأبين سر هذا. **سابعاً**: إذا كان هناك ما يوهم التناقض بين آيتين فأقوم بدرء هذا الوهم. **ثامناً**: إذا كان في الآية الواحدة أمران وقدم أحدهما على الآخر أسوق سر التقديم. **تاسعاً**: إذا كان هناك آيتان متناظرتان أتت إحداهما بأسلوب بلاغي والأخرى عرت عنه أسوق سر ذلك. **عاشراً**: هناك آيات تتحدث عن يوم القيامة ومشاهده بصيغة الماضي وهو لم يقع بعد. أسوق سر ذلك. **حادي عشر**: آيات تتحدث عن أمر مضى بصيغة المضارع، أسوق سر ذلك.

ويظهر ذلك وغيره في الإجابات التي تسعد القارئ وتروي ظمأه وتذهب صداه.

أزودة لمن يريد الإبحار فى محيط القرآن الكريم

(أخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن مسعود: أنزل فى هذا القرآن علم كل شىء، وبُيِّن لنا فيه كل شىء، ولكن علمنا يقصر عما بُيِّن لنا فى القرآن ، وقال ابن عباس: لو ضاع لى عقال بعير لوجدته فى كتاب الله، وقال المرسى: جمع القرآن علوم الأولين والآخرين، بحيث لم يُحط بها علماً حقيقة إلاَّ المتكلم به، ثم رسول الله ﷺ خلا ما استأثر به سبحانه، ثم ورث عنه معظم ذلك سادات الصحابة وأعلامهم كالخلفاء الأربعة)[1].

القاعدة الأولى : «***إعجاز القرآن فى الحكاية لا فى المحكى***»

لقد ورد فى القرآن كلام من كلام البشر كالرسل لأقوامهم وإجابة الأقوام عليهم، وورد كلام من كلام المصلحين التابعين للرسل كلقمان ومؤمن آل فرعون وغيرهما. وورد كلام من المشركين كالنمروذ بن كنعان وقارون وطاغية الدنيا فرعون وغيرهم، وورد كلام من بعض الطيور كهدهد سليمان وبعض الحشرات كنملة سليمان، وورد كلام من الملائكة وكلام من الجن.

فكيف يكون القرآن كلام الله بعد مجىء كلام هؤلاء فى القرآن الكريم؟

والجواب عن ذلك :

أن القرآن كلام الله المنزل على رسوله سيدنا محمد ﷺ، المتعبَّد بتلاوته، المتحدَّى بأقصر سورة منه، المنقول إلينا بالتواتر، وهو مجموع أمرين:

الأول: المحكى: وهى الأحداث التى وقعت قبل نزول القرآن، وساقها الله ﷻ فى أسلوب قصصى محكم؛ لأن الفطرة البشرية تتوق إلى سماع القصص من الكلام مع الرضاعة فى المهد، . ينام الطفل على نبرات صوت القاص، ولأن الأسلوب القصصى لا تقتحمه السآمة عند السماع ولا يغزوه الملل ثم يسوق الله فى ثناياه الأحكام من أمر ونهى وغير ذلك من مناهج الإسلام، وهذا المحكى يخالف المحكى عند البشر؛ لأن المحكى فى القرآن له وجود وواقع وليس ضربا من الخيال كغيره. والمحكى فى القرآن فيه إعجاز من جانب أنه غيب وهو أحد أنواع الغيب الثلاثة:

١- غيب الماضى ٢- غيب الحاضر ٣- غيب المستقبل

و لقد أتى القرآن بالثلاثة، **فغيب الماضى دلالة على صدق رسول الله فى نبوته**، قال الله تعالى

(١) تفسير الآلوسى جـ ٢٧ ص٩٨.

فى أعقاب قصة نوح: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [1]، وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُواْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ [2]، ولقد قال الله هذا القول عقب قصة يوسف عليه السلام. وقال الله تعالى عقب قصة مريم: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُون أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [3]، وقال عقب قصة موسى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [4]. وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [5].

فالله حكى تلك الأحداث، وساق دقائق التفاصيل حتى الخواطر البشرية والهواجس الإنسانية التى لم يطلع عليها إلاَّ هو كخواطر امرأة العزيز قبل يوسف، وما دار بينها وبينه بعد تغليق جميع الأبواب ساقه الله فى هذا القرآن فهو المحكى لأنه غيب ولا يطلع عليه إلاَّ عالم الغيب، وفيه دلالة على نبوة الرسول وصدقه.

الثانى: الحكاية: وهى حكاية المحكى باللغة العربية لغة من أوحى إليه هذا المحكى، وهى لغة تخالف لغات الأمم السابقة، والتى حكى الله أحداثها بأساليب معجزة فى البلاغة والفصاحة والمعانى والمناهج، فاضطرب أساطين البلاغة فى الحكم على هذا القرآن، فقالوا: سحر وكهانة وشعر وأساطير الأولين، وتحداهم بعشر سور مثله ووصل التحدى بالاستخفاف بهم أن يأتوا بسورة واحدة فعجزوا، هذا هو القرآن الطود الشامخ الذى لا تؤثر فيه عوامل التعرية، كتب الله له الخلود، فهو يهزأ بالعواصف ويتحدى كل جيل من الإنس والجن إلى أن يرث الأرض وما عليها، والإعجاز فى الحكاية أيضاً.

ولقد أوحى الله هذا القرآن إلى سيدنا محمد ﷺ مبلغاً عن ربه بلغة قومه: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [6] أى بلغته فبلَّغه كما سمعه وعَلِمه، فهو كتاب الله ووحيه وتنزيل الله، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ [7]، وقال تعالى: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [8]. وقال تعالى: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ

---

(١) سورة هود آية ٤٩. (٢) سورة يوسف آية ١٠٢. (٣) سورة آل عمران آية ٤٤.
(٤) سورة القصص آية ٤٤. (٥) سورة القصص آية ٤٦. (٦) سورة التكوير آية ١٩.
(٧) سورة الشعراء آية ١٩٢ – ١٩٤. (٨) سورة الزمر آية ١.

الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [1]. وقال تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا﴾ [2]. وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ﴾ [3]. فالقرآن كلام الله ليس لغيره فيه جملة واحدة ولا كلمة، قال تعالى: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا﴾ [4].

القاعدة الثانية «الألفاظ التى تفيد العموم»

هناك ألفاظ بين الألفاظ العربية تفيد العموم وهى:

١- «أل» التى للجنس كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [5]، وقوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾ [6]، أى كل إنسان وكل بيع إلاَّ ما ورد فيه التخصيص، أما «أل» التى للعهد فلا تفيد العموم كقوله تعالى: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ﴾ [7]. فالذى بدأ الله خلقه من طين هو آدم. وقوله تعالى ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً، فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾ [8]، فأل فى «الرسول» للعهد والمراد به موسى، فليست «أل» فى الآيتين الأخيرتين للعموم بل هى للعهد.

٢- لفظ «كُل» و«جميع» وغيرهما كقوله تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [9]. وقوله تعالى: ﴿إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [10].

٣- النكرة إذا وقعت فى سياق النفى أو النهى أو الشرط، فأمثلتها على التوالى هى:

قوله تعالى: ﴿فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [11]. وقوله تعالى: ﴿وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ [12]. وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾ [13].

فقوله «رفث» و«فسوق» و«جدال» نكرات وقعن فى سياق النفى بـ «لا»، وقوله: «أحداً» فى الآية الثانية نكرة وقعت فى سياق النهى بـ«لا تستفت». وقوله: «أحدٌ» فى الآية الثالثة نكرة وقعت فى سياق الشرط بـ«إن» وكلها تفيد العموم.

٤- الأسماء الموصولة سواء كانت مفردة أو مثناة أو جمعاً تفيد العموم وأمثلتها:

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا﴾ [14]، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّذَانَ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا﴾ [15].

---

(١) سورة غافر آية ٢ .
(٢) سورة الكهف آية ١.
(٣) سورة النساء آية ١٦٣.
(٤) سورة النساء آية ٨٢.
(٥) سورة العصر آية ٢.
(٦) سورة البقرة آية ٢٧٥.
(٧) سورة السجدة آية ٧.
(٨) سورة المزمل آية ١٥ ، ١٦.
(٩) سورة آل عمران ١٨٥.
(١٠) سورة يس آية ٥٣.
(١١) سورة البقرة آية ١٩٧.
(١٢) سورة الكهف آية ٢٢.
(١٣) سورة التوبة آية ٦.
(١٤) سورة الأحقاف آية ١٧.
(١٥) سورة النساء آية ١٦.

وقوله تعالى: ﴿وَاللاَّئِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللاَّئِي لَمْ يَحِضْنَ﴾ [1]. فكل الأسماء الموصولة تفيد العموم.

٥- أسماء الشرط: كقوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [2]، فَمَنْ فى الموضعين أسماء شرط.

٦- اسم الجنس: كقوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ [3]، أى كل أمر لله.

و ألفاظ العموم لها اعتباران:

الأول: اعتبار بحسب اللفظ فيكون لفظها مفرداً.

الثانى: اعتبار بحسب المعنى حيث تفيد العموم، فهى فى معنى الجمع.

فقد يخبر عنها بالإفراد باعتبار لفظها ويخبر عنها بالجمع باعتبار المعنى كقوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [4]. **ففاعل «يطع» ضمير مستتر تقديره هو، وهو مفرد والمفعول فى «يدخله» مفرد، فأفرد مراعاة للفظ «مَنْ»، وجمع فى قوله: «خالدين» مراعاة لمعنى «مَن» فهى تفيد العموم، وكقوله تعالى** ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [5]، **فأفرد الفاعل فى «يشترى» و«ليضل» و«يتخذها» مراعاة للفظ «مَنْ»، وجمع فى قوله:** ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ **مراعاة لمعناه فإن معناه يفيد العموم. وكقوله تعالى:** ﴿أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ [6]، **فلقد وصف الطفل باسم الموصول «الذين» وهو للجمع مع أن الموصوف مفرد ووصفه بالجمع باعتبار معنى الطفل فإنَّه اقترن بـ «أل» التى للجنس وهى تفيد العموم.**

القاعدة الثالثة «كلمات لفظها مفرد ومعناها الجمع»

بعض الألفاظ يكون لفظها مفرداً ولكن معناها الجمع مثل كلمة «طائفة» و«أمَّة» و«مائة» فإن ألفاظها مفردة ومعنى كل كلمة الجمع. قال تعالى: ﴿فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [7] **فـ«طائفة» لفظ مفرد وجمع فى قوله «ليتفقهوا» و«لينذروا» و«رجعوا» باعتبار معنى طائفة فإنها تفيد الجمع، لأنها مكونة من أفراد.**

وكقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاء أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا

---

(١) سورة الطلاق آية ٤. (٢) سورة البقرة آية ١٥٨. (٣) سورة النور آية ٦٣.

(٤) سورة النساء آية ١٣. (٥) سورة لقمان آية ٦. (٦) سورة النور آية ٣١.

(٧) سورة التوبة آية ١٢٢.

وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ [1]. وكقوله تعالى : ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا﴾ [2].

فلقد جمع فى الآية الأولى «كذبوه» و« فأتبعنا بعضهم بعضاً» و«جعلناهم أحاديث» مراعاة لمعنى «أمة» فإن معناها الجمع، وأفرد فى الآية الثانية «جاثية» و«تدعى إلى كتابها» مراعاة للفظ «أمة».

و كقوله تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [3] لقد جمع فى قوله «اقتتلوا» مراعاة لمعنى الطائفتين، وثنَّى مراعاة لتثنية اللفظ.

القاعدة الرابعة : «كلمات لها مدلولات متعددة»

فى اللغة العربية بعض الكلمات لها مدلولات متعددة والذى يحدد المعنى المراد من هذه المدلولات فى موطنها هو السياق، فعلى سبيل المثال كلمة «أمة» لها معان متعددة كما فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا﴾ [4]. وقوله تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَاْ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ﴾ [5]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [6].

فمعنى كلمة «أمة» فى الآيات مختلف ففى الآية الأولى المراد الرجل الجامع للخير أو معلم النّاس الخير، أو المراد أنه إمام النّاس، ومعنى «أمة» فى الآية الثانية الحين من الزمان. ومعناها فى الآية الثالثة الجماعة الكثيرة من النّاس المشتركون فى أمور متعددة، فالسياق هو الذى يحدد المعنى المراد.

القاعدة الخامسة «كلمات تذكر وتؤنث»

هناك بعض الكلمات العربية تذكر وتؤنث، فيأتى السياق القرآنى مرة بالتذكير وأخرى بالتأنيث كما فى كلمة «سبيل» فقد أتت بالتذكير فى كثير من الآيات كما فى قوله تعالى ﴿وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [7]، وقوله تعالى ﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلاً﴾ [8]. وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُ لاَ يُكَلِّمُهُمْ وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَالِمِينَ﴾ [9].

و أتت بالتأنيث كما فى قوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ نفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [10]. وقوله تعالى ﴿قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [11].

---

(١) سورة المؤمنون آية ٤٤.
(٢) سورة الجاثية آية ٢٨.
(٣) سورة الحجرات آية ٩.
(٤) سورة النحل آية ١٢٠.
(٥) سورة يوسف آية ٤٥.
(٦) سورة الأنبياء آية ٩٢.
(٧) سورة المائدة آية ٧٧.
(٨) سورة النساء آية ٢٢.
(٩) سورة الأعراف آية ١٤٨.
(١٠) سورة الأنعام آية ٥٥.
(١١) سورة يوسف آية ١٠٨.

وكذلك كلمة «نفس» تُذكَّر وتؤنث، فالآيات التى وردت فيها بالتأنيث كثيرة، منها: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ (١)، ووردت بالتذكير كما فى قوله تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ، أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ، أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ، بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (٢)، فأنَّث فى «تقول» ثلاث مرت، لأن النفس تؤنث، وذكَّر الضمير فى «جاءتك» و«كذبتَ» و«استكبرت» و«كنت» لأنها تذكر.

القاعدة السادسة «كلمات مفردة ويخبر بها عن جمع»

تأتى بعض الكلمات مفردة ومخبراً بها عن جمع كقوله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً﴾ (٣)، فأخبر عن الجمع «هم» بالمفرد «عدو» ، وكقوله تعالى: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾ (٤)، وكقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ (٥).

و سر الإخبار بالمفرد عن الجمع فى الآية الأولى والثانية أن كلمة «عدو» اسم جنس يفيد العموم فهو فى معنى الجمع أو لتشبيهه بالمصادر.

و سر إفراد «عضدا» والعدول عن الجمع إلى الإفراد هو مراعاة فواصل الآيات، فالآيات قبلها انتهت بقوله «أملا وأحداً وموعداً وبدلاً» ، وانتهت الآيات بعدها بقوله «موبقاً ومصرفاً وجدلاً وقبلا وهزواً» إلى آخر الآيات.

القاعدة السابعة «ما يفيده التنكير»

يأتى التنكير فى الألفاظ القرآنية ويتباين المراد من التنكير، فيأتى التنكير ويراد منه التقليل والتحقير، ويأتى ويراد منه التفخيم والتعظيم، والذى يحدد ذلك هو السياق، وأمثلة ذلك كثيرة منها قوله: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَانًا مَّرِيدًا﴾ (٦). فالتنكير للإناث والشيطان للتحقير.

ويأتى التنكير للتفخيم والتعظيم ومثاله قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ

---

(١) سورة النساء آية ١. (٢) سورة الزمر آية ٥٦ – ٥٩. (٣) سورة الكهف آية ٥٠.
(٤) سورة المنافقون آية ٤. (٥) سورة الكهف آية ٥١. (٦) سورة النساء آية ١١٧.

عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [1]، فالتنكير فى «عبداً» و«رحمة» و«علما» للتفخيم والتعظيم.

و كقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً﴾ [2]، فالمراد بالرسول الأول: سيدنا محمد ﷺ. والثانى: موسى عليه السلام، والتنكير فيهما للتفخيم والتعظيم، وكقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [3]، فالتنكير فى «رسول» للتفخيم والتعظيم.

القاعدة الثامنة «استخدام اسم الإشارة فى غير معناه»

يستخدم القرآن أحياناً اسم الإشارة للبعيد فى غير معناه، فاسم الإشارة المناسب للسياق يكون للقريب فيأتى بغيره للبعيد، ومثال ذلك فى حق المؤمنين قوله تعالى: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ، الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ، أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [4]. قوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ، الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ، أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [5].

فلقد دل اسم الإشارة الذى للبعيد «أولئك» فى هذه الآيات وأمثالها على بلوغ هؤلاء الغاية التى ليس بعدها غاية فيما وصفوا به، ودل على علو منزلتهم ورفعة شأنهم، ففى الآية الأولى دل اسم الإشارة الأول على أنهم بلغوا الغاية فى الهداية مع تمكنهم منها للالتزام بها، ودل الثانى على أنهم بلغوا الغاية فى الظفر والفوز بخيرى الدنيا والآخرة وهى غاية ليس بعدها شىء، وفى الآية الثانية دل اسم الإشارة «أولئك هم المؤمنون» على أنهم بلغوا الغاية فى الإيمان وليس بعدها غاية، ثم أكد ذلك بالمصدر «حقاً» مع علو منزلتهم ورفعة شأنهم، وهكذا فى جميع الآيات المماثلة لها.

ومثال ذلك فى حق غير المؤمنين قوله تعالى: ﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [6]. وقوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ [7]. فدل اسم الإشارة الذى للبعيد فى الآية الأولى على بلوغهم الغاية فى الظلم وهى غاية ليس بعدها شىء من الظلم ودل فى الآية الثانية على بلوغهم الغاية فى

---

(1) سورة الكهف آية ٦٥.
(2) سورة المزمل آية ١٥.
(3) سورة التوبة آية ١٢٨.
(4) سورة لقمان الآيات ٣ – ٥.
(5) سورة الأنفال الآيات ٢ – ٤.
(6) سورة النور أية ٥٠.
(7) سورة الزمر آية ٢٢.

الضلال، وهكذا فى سائر الآيات المماثلة لها.

و قال تعالى : ﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ، وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ، وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ. تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ (١).

فلقد أتى باسم الإشارة «تلك » وهو للبعيد للدلالة على علو رتبة تلك الآيات وعظمها.

القاعدة التاسعة «الغرض من زيادة بعض الأحرف»

تأتى حروف وتزاد فى الجمل وهذه الحروف مزيدة للتوكيد، فأتت لتؤكد المعنى الذى وردت فيه، وعند إعراب هذه الحروف نقول إنه حرف مزيد للتوكيد، فالقول بزيادتها من ناحية إعرابها وموطنها فى الكلام، أما هى فقد أتت لتؤكد المعنى ولو لم تأت لما أكد المعنى وهذه أمثلة على ذلك:

١- قال تعالى عن قوم نوح : ﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ﴾ (٢).

٢- وقال تعالى : ﴿اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ (٣).

٣- وقال تعالى : ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (٤).

فحرف الباء فى المثال الأول زيد مع المفعول به «هذا»، وفى المثال الثانى حرف الباء زيد مع الفاعل «نفسك»، وفى المثال الثالث زيد مع خبر ليس، و«مِنْ» زيدت مع المبتدأ «مِنْ هاد»، وزيادتها من حيث موقعها من الإعراب وأنها جاءت لغرض التوكيد.

القاعدة العاشرة «سر مجىء التسبيح بالمصدر والفعل الماضى والمضارع والأمر»

افتتح الله سورة الإسراء بالمصدر بقوله : «سبحان الذى»، وافتتح سورة الحديد والحشر والصف بالفعل الماضى فقال: «سبَّح لله»، وافتتح سورة الجمعة والتغابن بالفعل المضارع فقال: «يسبح لله»، وافتتح سورة الأعلى بفعل الأمر فقال: «سبِّح اسم ربك الأعلى» .

فلقد ورد الأسلوب مختلفاً فى الأزمنة المختلفة استيفاء للجهات المشهورة لهذه الكلمة، وليكون تسبيح الله فى جميع الأزمنة، فجاء التنصيص عليه فى الماضى لسبق زمنه. ونص عليه بالمضارع

(١) سورة الجاثية الآيات ٣ - ٦.
(٢) سورة المؤمنون آية ٢٤.
(٣) سورة الإسراء آية ١٤.
(٤) سورة الزمر آية ٣٦.

لشموله للحال والاستقبال، ونص عليه بالأمر لخصوصه بالاستقبال، وورد الأسلوب بالمصدر ليكون التسبيح مطلقاً دون التعرض للزمن، ولذلك بدأ به أول السور المتحدثة عن التسبيح فى فاتحتها وهى الإسراء لأنه الأصل ولأنه مشعر بالإطلاق.

القاعدة الحادية عشرة «معنى جملة تكرر فى القرآن»

تأتى جملة فى النصوص القرآنية تكون مفعولاً له كما فى قوله تعالى: ﴿وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾ (١) فالجملة هى ﴿أن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ﴾ وكما فى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ﴾ (٢) فالجملة هى ﴿أن تُصِيبُوا﴾ وكما فى قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ﴾ (٣) فالجملة: ﴿أن تَمِيدَ بِكُمْ﴾. قال البصريون: هى على تقدير مفعول له والتقدير «كراهة» فيكون فى الآية الأولى «كراهة» أن تحبط أعمالكم. وفى الثانية «كراهة» أن تصيبوا قوماً بجهالة. وفى الثالثة «كراهة أن تميد بكم» أى تضطرب بكم، وقدَّر الكوفيون كلمة «لئلا» والتقدير فى الجملة الأولى: لئلا تحبط أعمالكم، وتقدر فى كل الآيات.

القاعدة الحادية عشرة «الالتفات: أسلوب من أساليب القرآن»

و **الالتفات**: نقل الكلام من أسلوب إلى آخر، وفائدته (تطرية الكلام وصيانة السمع عن الضجر والملال لما جُبلت عليه النفوس من حب التنقلات، والسآمة من الاستمرار على منوال واحد، وهذه فائدته العامة) (٤).

وهو أنواع:

الأول: الانتقال من أسلوب التكلم إلى الخطاب كقوله تعالى: ﴿وَمَا لِيَ لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٥)، فأسلوب التكلم ﴿وَمَا لِيَ لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾، ثم انتقل منه إلى الخطاب ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، فكان السياق يقتضى أن يكون «وإليه أرجع»، ولكنه التفت من التكلم إلى الخطاب، والهدف منه أنه أخرج الكلام فى معرض مناصحته لنفسه، وهو يريد من وراء ذلك نصح قومه، وسلك هذا المسلك للتلطف بهم وإخبارهم أنه يريد لهم ما يريد لنفسه.

الثانى: الانتقال من الغيبة إلى التكلم كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا

---

(١) سورة الحجرات آية ٢. (٢) سورة الحجرات آية ٦. (٣) سورة لقمان آية ١٠.
(٤) الإتقان فى علوم القرآن جـ ٣ ص٢٥٣. (٥) سورة يونس آية ٢٢.

فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [١].

الثالث: الانتقال من الغيبة إلى الخطاب كقوله تعالى: ﴿ الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ، مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ، إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [٢].

الرابع: الانتقال من الخطاب إلى الغيبة كقوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا﴾ [٣].

القاعدة الثانية عشرة «الاقسام فى القرآن»

أقسم الله ﷻ فى القرآن على توحيده أو على مظاهر قدرته العجيبة أو على البعث أو الحشر أو يوم القيامة أو على وقوع العذاب بالكافرين أو على أنهم لن يؤمنوا أو على خلقه الإنسان فى أحسن تقويم إلى غير ذلك من الأقسام.

ومن الأقسام التى كثرت فى القرآن أن الله أقسم بنفسه فى كثير من الآيات، منها قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ [٤]، وقوله تعالى: **﴿قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾** [٥]، وقوله تعالى: **﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ﴾** [٦]، وقوله تعالى: **﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾** [٧]، وقوله تعالى: **﴿فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾** [٨].

والقسم من الله تعالى يكون لرجلين: إمَّا مؤمن وإمَّا كافر، **فالمؤمن مصدق بمجرد إخبار الله له فى كتابه، والكافر لا يؤمن فلا يفيده القسم فما سر قسم الله لعباده؟**

والجواب على ذلك من وجهين:

١- أن القرآن نزل بلغة العرب، ومن عاداتهم الحلف إذا أرادوا تأكيد أمر من الأمور، فإنهم يحلفون، فوردت الأقسام فى القرآن جرياً على عاداتهم فى التأكيد بالقسم.

٢- أن الله أقسم وأورد الأقسام فى كتابه لإبراز كمال الحجة وتأكيدها؛ لأن الأمر يفصل فيه بأحد اثنين: الشهادة والحلف.

وذكَرَ الله الحلف، وذكَرَ الشهادة كما فى قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [٩]، وكقوله تعالى: **﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ**

---

(١) سورة فاطر آية ٩.
(٢) سورة الفاتحة الآيات ٢ - ٥.
(٣) سورة يونس آية ٢٢.
(٤) سورة يونس آية ٥٣.
(٥) سورة التغابن آية ٧.
(٦) سورة مريم آية ٦٨.
(٧) سورة الذاريات آية ٢٣.
(٨) سورة المعارج آية ٤٠.
(٩) سورة آل عمران آية ١٨.

﴿الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [1].

والحلف يكون باسم معظَّم، والله أقسم بنفسه كما مر، وأقسم بفعله وأقسم بصنعه.

السر فى أن الله أقسم بصنعه :

لقد أقسم الله بالملائكة والأماكن المقدسة والرياح والخيل التى تغزو فى سبيل الله صباحاً ، وأقسم بالشمس والقمر والنجم ، وأقسم بعَمْر الرسول ﷺ كما فى قوله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [2]، وأقسم بالتين والزيتون إلى غير ذلك، وسر حلف الله بهذه المخلوقات أنه يقسم على تأكيد أمر فيقسم ببعض بدائع صنعه على وجه يوجب الاعتبار والتأمل فى هذه الآيات العظيمة الدالة على وحدانية خالقها وقدرته وعلمه، فقسم الله بهذه المخلوقات العظيمة يمثل حملة قوية التأثير فى القلب البشرى بالغة الحجة فى العقل الإنسانى، وهذا القسم مطاردة عنيفة للهواجس والشكوك والشبهات والأباطيل التى تساور الإنسان ويسوقها الشيطان بوساوسه، وهذا القسم دحض لكل شبهة وعذر يتخذهما الضال للحيدة عن الحق والزيغ عن الإيمان، فإذا برز هذا القسم فإنّه لا يصمد أمامه قلب كافر وعند ذلك لا مناص من الإذعان والاستسلام إلى ركن الإيمان.

•آراء العلماء فى تصدير القسم بالنفى•

لقد ورد دخول «لا» النافية على فعل القسم كما فى قوله تعالى: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ [3]، وقوله تعالى: ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [4]، وقوله تعالى ﴿فَلا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾ [5]، وقوله تعالى ﴿لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ [6].

ولقد اختلف العلماء فى دخول «لا» على ثلاثة أقوال:

الأول: أنها دخلت للتوكيد، وقال عنها الزمخشرى (إدخال «لا» النافية على فعل القسم مستفيض فى كلام العرب وأشعارهم: قال امرؤ القيس:

لا وَأَبيكَ اِبنَةَ العامِرِيِّ ∴ لا يَدَّعي القَومُ أَنّي أَفِر

ألا نَادَتْ أُمَامَةُ باحْتِمَال ∴ لِتَحزنني فلا بكَ مَا أُبَالِى) [7]

الثانى: أنها للنفى، ولكنها نافية لكلام المشركين المنكرين للبعث، والمعنى: ليس الأمر كما زعموا، أُقْسِمُ بيوم القيامة، كما تقول لمن يقول: أُنْكِرُ البعث، فتقول لا: والله إن القيامة حق.

---

(1) سورة المنافقون آية ١.
(2) سورة الحجر آية ٧.
(3) سورة الواقعة آية ٧٥.
(4) سورة القيامة آية ١ ، ٢.
(5) سورة الانشقاق آية ١٦.
(6) سورة البلد آية ١.
(7) الكشاف جـ ٤ ص١٦٣.

الثالث: أنها مزيدة كما فى قوله تعالى: ﴿لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ [1].

القاعدة الثالثة عشرة: «**دخول همزة الاستفهام على حرف العطف**»

تدخل همزة الاستفهام على حرف عطف قد يكون «الواو» مثل قوله تعالى ﴿أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [2]. وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلا يَعْقِلُونَ﴾ [3]، وقد يكون «فاء» مثل قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾ [4]، وقد يكون غيرهما مثل «ثم» كقوله تعالى: ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُم بِهِ آلآنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [5].

فهمزة الاستفهام الداخلة على حرف العطف تكون بمعنى الاستفهام الإنكارى. وهى داخلة على محذوف يقدر من السياق. وما بعد حرف العطف معطوف على هذا المحذوف. فالتقدير فى الآية الأولى «أيتبعون آباءهم فى عبادة الأصنام ولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير»، والتقدير فى الآية الثانية: «أيتخذون الأصنام شفعاء ولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون» ، والتقدير فى الآية الثالثة : «أغركم الشيطان وغرتكم الدنيا بزخارفها فعشتم فى لهو ولعب فحسبتم أنما خلقناكم عبثاً» والتقدير فى الآية الرابعة : «أكفرتم بالله واستعجلتم العذاب ثم إذا ما وقع آمنتم به»، وهكذا فى الأساليب الأخرى.

القاعدة الرابعة عشرة «**دخول همزة الاستفهام على الفعل - رأى**»

الفعل «رأى» إذا دخلت عليه همزة الاستفهام، وأسند إلى ضمائر الخطاب صار معناه «أخبرنى» و«أخبرونى» إلى غير ذلك، كما فى قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى، عَبْدًا إِذَا صَلَّى، أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَى﴾ [6]، وقوله تعالى﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ، فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾ [7]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾ [8].

القاعدة الخامسة عشرة: **معنى «إلا»**

تأتى «إلا» فى القرآن على معان متعددة :

١- تأتى للاستثناء، وهو الغالب وأمثلته كثيرة منها قوله تعالى ﴿وَالْعَصْرِ، إِنَّ الإنسَانَ لَفِي

---

(١) سورة الحديد آية ٢٩.
(٢) سورة لقمان آية ٢١.
(٣) سورة الزمر آية ٤٣.
(٤) سورة المؤمنون آية ١١٥.
(٥) سورة يونس آية ٥١.
(٦) سورة العلق: ٩ - ١١
(٧) سورة الماعون الآيتان: ١ ، ٢.
(٨) سورة الأحقاف آية ١٠.

خُسْرٍ، إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [1].

٢- تأتى بمعنى الواو كما فى قوله تعالى: ﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ [2].

٣- تأتى بمعنى «لكنْ» للاستدراك كما فى قوله تعالى: ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [3].

٤- تأتى مركبة من «إن» الشرطية و«لا» النافية، حيث أدغمت النون الساكنة فى اللام ولها فعل شرط وجواب شرط، وهذه ليست كأداة الاستثناء بل صورتها فى المصحف كصورتها. مثل قوله تعالى ﴿إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ [4]، فهى فى الموضعين أداة الشرط «إنْ» وأداة النفى «لا».

٥- تأتى اسماً وهى منونة فهى ليست كأداة الاستثناء، كما فى قوله تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لاَ يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً﴾ [5]، وقوله تعالى: ﴿لاَ يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً﴾ [6].

القاعدة السادسة عشرة: معنى «بل»

«بل» حرف يفيد الإضراب فى الكلام، والإضراب نوعان:

الأول: الإضراب الانتقالى وهو أن يكون ما قبل «بل» مقرراً، وما بعدها مقرر. وأمثلته كثيرة فى القرآن منها قوله تعالى: ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ، بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ [7]، وقوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ، بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ [8].

فما قبل «بل» مقرر وما بعدها مقرر، وكذلك فى نظائرها.

الثانى: الإضراب الإبطالى، وهو أن يكون ما قبل «بل» غير مقرراً، وما بعدها مقرر وأمثلته ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [9]. وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [10].

---

(١) سورة العصر آية ٢ ، ٣.
(٢) سورة البقرة آية ١٥٠.
(٣) سورة الشورى آية ٢٣.
(٤) سورة التوبة الآيتان ٣٩- ٤٠.
(٥) سورة التوبة آية ٨.
(٦) سورة التوبة آية ١٠.
(٧) سورة ص الآيتان ١ ، ٢.
(٨) سورة ق الآيتان ٤ - ٥.
(٩) سورة السجدة آية ٣.
(١٠) سورة النور آية ٥٠.

القاعدة السابعة عشرة: معنى «بلى»

«بلى» حرف يفيد النفى وله أساليب فى القرآن، منها أنه يأتى لنفى استفهام مقترن بنفى كما فى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا﴾ [1]. وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا﴾ [2]. فلفظ «بلى» لنفى النفى فيكون معناه الإثبات، ولذلك يقال بعد قوله تعالى ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ [3]. وقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ [4]. يقال بعد سماع ذلكَ: «بلى».

القاعدة الثامنة عشرة: معنى «لعل»

حرف من الحروف الناسخة، وهى من أخوات «إنَّ»، وتعمل عملها ومعناها الترجى، فإذا قالها الله تعالى لا تكون للترجي ولكنها تكون لأمرين:

١- تكون بمعنى «كَيْ» التى للتعليل.

٢- أن الترجى من جانب المخاطبين وليس من الله.

ويظهر المعنيان فى قوله تعالى لموسى وهارون: ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى، فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [5].

فعلى المعنى الأول: «اذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولاً ليِّناً كى يتذكر أو يخشى».

و على المعنى الثانى: «اذهبا إلى فرعون إنه طغى على رجائكما أن يتذكر أو يخشى» وفى كل الآيات القرآنية تقدر كذلك.

القاعدة التاسعة عشرة: معنى «كان»

هناك آيات كثيرة ورد فيها الفعل الماضى «كان» فإذا لم يفهم هذا الفعل اضطرب السياق، فكان تأتى على سبعة معانى :

الأول: الماضى المنقطع وهو الأصل فيها، ومثالها ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ﴾ [6].

الثانى: الماضى المستمر كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ [7].

---

(١) سورة الأعراف آية ١٧٢.
(٢) سورة الأحقاف آية ٣٤.
(٣) سورة القيامة آية ٤٠.
(٤) سورة التين آية ٨.
(٥) سورة طه الآيتان ٤٣ ، ٤٤.
(٦) سورة النمل آية ٤٨.
(٧) سورة النساء آية ١٠٣.

الثالث: استمرار الخبر فى الأزل والأبد، وهو فى القرآن كثير ويتعلق بالله ﷻ كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [١]، وقوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [٢]، وقوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [٣]، وقوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [٤]، وقوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ [٥]، وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [٦]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ [٧]، وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [٨]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [٩]، هذه الآيات وأشباهها أتت «كان» فيها. ومعناها استمرار الخبر فى الأزل والأبد.

الرابع: تأتى بمعنى الاستقبال كما فى قوله تعالى: ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [١٠]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً، وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [١١]، فـ«كان» فى تلك الآيات بمعنى الاستقبال.

الخامس : تأتى بمعنى التحول أى بمعنى «صار» كقوله تعالى: ﴿فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [١٢].

السادس : تأتى زائدة كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [١٣].

السابع: تأتى تامة فلا ترفع المبتدأ ولا تنصب الخبر.

القاعدة العشرون: «ضوابط للتمييز بين المكى والمدنى»

لقد اختلف العلماء فى تعريف المكى والمدنى على ثلاثة آراء:

الأول: وهو الصحيح: أن **المكى**: ما نزل قبل الهجرة وإن كان قد نزل بغير مكة كالطائف. **والمدنى**: ما نزل بعد الهجرة ولو فى مكة وما جاورها فهو مدنى كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ [١٤]، فإنها نزلت فى جوف الكعبة عام الفتح، وقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ [١٥].

(١) سورة النساء آية ١٤٧.
(٢) سورة النساء آية ١٤٨.
(٣) سورة النساء آية ١٤٩.
(٤) سورة النساء آية ١٥٢.
(٥) سورة الأحزاب آية ٥١.
(٦) سورة الأحزاب آية ٥٤.
(٧) سورة الأحزاب آية ٥٥.
(٨) سورة النساء آية ٩٢.
(٩) سورة النساء آية ٩٤.
(١٠) سورة النساء آية ٧.
(١١) سورة الأحزاب الآيتان ٢٨– ٢٩.
(١٢) سورة البقرة آية ٣٤.
(١٣) سورة ق آية ٣٧.
(١٤) سورة النساء آية ٥٨.
(١٥) سورة المائدة آية ٣.

الثانى: المكى ما نزل بمكة وما جاورها كمنى وعرفات والحديبية، والمدنى ما نزل بالمدينة وما جاورها كأُحُد وقباء وسلْع. وهذا الرأى نظر إلى مكان النزول وهو غير صحيح لعدم ثنائية القسمة وعدم الحصر فهناك آيات نزلت بالأسفار كسورة الفتح، وآيات نزلت بتبوك كقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لاتَّبَعُوكَ﴾ (١).

وهناك آيات نزلت ببيت المقدس ليلة الإسراء، وهى قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ (٢)، فهذه الآيات التى لم تنزل فى مكة والمدينة ولا يطلق عليها مكى ولا مدنى فلا تكون القسمة ثنائية.

الثالث: المكى ما كان خطاباً لأهل مكة والمدنى ما كان خطاباً لأهل المدينة ولقد بنى أصحاب هذا الرأى رأيهم على أن ما فى القرآن من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاس﴾ فهو مكى، وما فيه من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فهو مدنى.

وهذه القسمة ليست ضابطة لما يأتى: فسورة البقرة مدنية وفيها ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ (٣)، وفيها: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً﴾ (٤)، وسورة النساء مدنية وافتتحت بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاس﴾، وسورة الحج مكية وفيها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٥).

وهناك آيات فيها خطاب للرسول ﷺ، وهناك آيات أخرى فيها خطاب لغيره، فكل هذه الأمور تجعل هذا الرأى غير صحيح فيبقى الرأى الأول وهو الصحيح.

ضوابط المكى والمدنى

١- كل سورة فيها سجدة فهى مكية.

٢- كل سورة فيها لفظ «كلا» فهى مكية، وورد فى النصف الأخير من القرآن وذكر ثلاثاً وثلاثين مرة فى خمس عشرة سورة.

٣- كل سورة فيها: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاس﴾ وليس فيها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فهى مكية إلاَّ سورة الحج فقد ورد فيها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وهى مكية.

٤- كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم سوى البقرة وآل عمران والنساء والمائدة.

٥- كل سورة فيها قصة آدم وإبليس فهى مكية سوى البقرة.

٦- كل سورة فتحت بحروف التهجى كـ«الم، الر، المر، حم، طسم، طس، حم، عسق، كهيعص، طه، يس، ص، ق، ن». فهى مكية، سوى الزهراوين البقرة وآل عمران.

---

(١) سورة التوبة آية ٤٢.
(٢) سورة الزخرف آية ٤٥.
(٣) سورة البقرة آية ٢١.
(٤) سورة البقرة آية ١٦٨.
(٥) سورة الحج آية ٧٧.

﴿ (١) سورة الفاتحة ﴾

﴿بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ {١} الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ {٢} الرَّحْمـنِ الرَّحِيمِ {٣} مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ {٤} إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ {٥} اهدِنَــــا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ {٦} صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ {٧}﴾.

س ١: لِمَ حُذِفَتْ الألفُ فى: ﴿بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ﴾ فالألف حُذِفَتْ فى (بسم) وثبتت فى ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ فى سورة العلق، فما سر حذفها؟

الجواب: حُذِفَتْ الألفُ من (بِسْمِ الله) فى البسملة لكثرة الاستعمال، وطُوِّلت الباء فى الخط عِوَضاً عن حذفها، قال عمرُ بن عبد العزيز لكاتبه: «طوِّل الباء وأظهر السينات ودَوِّر الميم» [١].

س٢: ما الفرق بين الاسمين الجليلين (الرحمن، الرحيم)؟

الجواب: (الرحمن) على وزن: فعلان وهو من رَحِمَ ، وهو الذى وسعت رحمته كل شىء، كغضبان من غضب وهو الممتلئ غضباً. و(الرحيم) على وزن: فَعِيل، وهو من رَحِمَ أيضاً ، وهو من صيغ المبالغة أى كثير الرحمة، ومع أن الرحيم فيه مبالغة إلاّ أنّ الرحمن فيه من المبالغة ما ليس فى الرحيم؛ لأن فى الرحيم زيادة واحدة هى الياء على الفعل (رحم) ، وفى الرحمن زيادة بحرفين هما: الألف والنون، وزيادة حرف يدل على زيادة المعنى، ولهذا جاء فى الدعاء: يا رحمن الدنيا – لأنه يعم المؤمن والكافر – ورحيم الآخرة – لأنه يخص المؤمن، ومن جهة أخرى، فإن الرحمن خاص بتسمية الله لأنه لا يوصف به غيره بخلاف الرحيم.

س٣: لِمَ أتَى (الحمد) معرَّفاً بـ «أل» ومرفوعاً وليس منصوباً؟

الجواب: اللام للاستغراق ودخلت على (الحمد) لاستغراق كل فرد من أفراد الحمد لله وأنه مختص بالله ﷻ، وحمد غيره لا اعتداد به لأن الله هو المنعم على جميع خلقه فهو قَمِنٌ به. وأتى (الحمد) مرفوعاً دون أن يكون مصدراً منصوباً بفعل مضمر، ويقال (حمداً) كما يقال: (شكراً وكفراً) لأن فى الرفع دلالة على ثبوت المعنى واستقراره، و(الحمد) مبتدأ ولفظ الجلالة (لله) متعلق بمحذوف خبر.

س٤: افتُتِحَت سورة الفاتحة بقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فوصف بأنه مالك جميع المخلوقين، وفى سورة الأنعام والكهف وسبأ وفاطر لم يوصف بذلك بل وصف ببعض

---

(١) تفسير النسفى جـ ١ صـ ٤.

صفاته وهى فى الأنعام ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ وفى الكهف تفضل بنعمة إنزال الكتاب، وفى سبأ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أى: له ملك ما فى السماوات وما فى الأرض، وفى فاطر خالقهما .

فما سر انفراد سورة الفاتحة بأنه مالك جميع المخلوقين ومربيهم؟

الجواب: (ذكر فى تفسير الخُوَيِّيّ ما يأتى: لأن الفاتحة أم القرآن ومطلعه فناسب الإتيان فيها بأبلغ الصفات وأعمها وأشملها)[1].

س٥: ما سرُّ تقديم الضمير (إياك) فى الموضعين؟ وما سر تكراره؟ ولماذا قدَّم العبادة على الاستعانة؟

الجواب: قدَّم (إياك) فى «نعبد» و«نستعين» لقصد الاختصاص، والمعنى: نخصك وحدك دون غيرك. وهذا إقرار بالتوحيد . وكرره ولم يقتصر على ذكره مرة واحدة، فيقال: (إياك نعبد ونستعين) لم يظهر أن التقدير: (إياك نعبد وإياك نستعين)، وقدمت العبادة على الاستعانة لأمور:

(١- الواو لا تقتضى الترتيب. ٢- قدمت العبادة لتناسب رءوس الآى.

٣- أن المراد من العبادة التوحيد، وهو مقدم على الاستعانة، لأن من لم يُوَحِّد الله تعالى لا يستعين به)[2].

ومن جهة أخرى قُدِّمت العبادة على الاستعانة لأن العبادة طريق ووسيلة للاستعانة والوسيلة مقدمة على الحاجة وهى هنا الاستعانة.

س ٦: كيف وردت جملة: (أنعمت عليهم) بصيغة الفعل المتصل به ضمير المخاطب، ووردت جملة: (المغضوب عليهم) بصيغة اسم المفعول، وورد لفظ: (الضالين) بصيغة اسم الفاعل؟ فهلاً ورد الكلام بصيغ الفعل فى المواطن الثلاثة ، فيقال: (أنعمت عليهم، وغضبت عليهم، وأضللتهم) أو تأتى فى المواطن الثلاثة على صيغ الأسماء، فيقال: (صراط المُنْعَمِ عليهم، غير المغضوب عليهم، ولا الضالين)؟

الجواب: أن الله ﷻ يُعلِّم عباده الأدب معه، فينسب الخير إليه وينفى عنه الشر، وفى ذلك أدب مع الله، فعلى سبيل المثال: ورد فى قصة الخليل إبراهيم عليه السلام ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ، وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ، وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ، وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ (الشعراء: ٧٨-٨١) فأسند الهداية والإطعام والسقاية والإماتة والإحياء لله ﷻ . وأسند المرض لنفسه فى قوله

(١) الإتقان فى علوم القرآن جـ ٣ صـ٣٣٨.

(٢) الروض الريان على أسئلة القرآن جـ ١ صـ٦ بتصريف.

(مرضت) ولم يقل (أمرضني) تأدباً مع الله ﷻ، ويظهر هذا الأدب جلياً في حديث الخضر مع موسى عليهما السلام حين أراد أن يكشف له عن أسرار رحلتهما . فقال: ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا، وَأَمَّا الْغُلامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا، فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا، وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ (الكهف: ٧٩ - ٨٢.)، فأسند الخضرُ عيبَ السفينة وقَتْلَ الغلام لنفسه تأدباً مع الله؛ لأنه ليس فيهما خير ظاهري، وأسند المحافظة على الكنز حتى يبلغ الغلامان أَشُدَّهُمَا فيستخرجا هذا الكنز، أسنده لله ﷻ لأن فيه خيراً.

وفي سورة الفاتحة التي نحن بصددها أسند الإنعام إلى ضمير الخطاب، والمخاطَبُ هو الله ﷻ، وجعل (المغضوب عليهم) بصيغة اسم المفعول وهم اليهود، و(الضالين) اسم فاعل وهم النصارى ليعلمنا الأدب معه.

س٧: ما السر في مجيء (لا) مع (الضالين) مع أن السياق يقتضي النفي بالعطف على (غير المغضوب عليهم) فيقال: غير المغضوب عليهم والضالين؟

الجواب: أتت (لا) وهي للنفي لتؤكد النفي وإيغالهم في الضلال لأن رسولهم عيسى عليه السلام بشَّر بالرسول محمد ﷺ، وهم يعرفون ذلك من مصدرين هما: القرآن وبعض أناجيلهم كإنجيل برنابا، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ (الصف: ٦)، ومع ذلك خالفوا وضلوا وأضلوا.

س ٨: لَمْ نجد في المصاحف كلمة (آمين) . وعلى ضوء ذلك لا تكون من الفاتحة ولو كانت منها لكتبت فلماذا ننطق بها في الصلاة؟

الجواب: لقد نطق بها الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ . فإن نُطْقَهُ وَحْيٌ يُوحَى إليه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «ترك الناس التأمين. وكان رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إذا قال ﴿غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ قال: (آمين) حتى يسمعها أهل الصف الأول. فيرتجُّ بها المسجدُ»[1].

ولقد روى عن عليٍّ رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ: إذا قال: (ولا الضالين)

---

(١) سنن ابن ماجه بشرح السندى المجلد ١ صـ٤٦٥.

قال: آمين» [1].

ولقد روى ابن ماجة عن أبى إسحاق «عَن عَبْدُ الجبار بْن وائل، عَن أبيه؛ قال: «صليت مع النَّبي ﷺ، فلما قال: (ولا الضالين) قال: (آمين)، فسمعناها منه» [2].

ولقد حث الرسول ﷺ على التأمين، فعن أبى هريرة « قال: قال رَسُول اللّـهِ ﷺ: إذا أمَّن القارئ فأمِّنوا، فإنّ الملائكة تؤمِّن، فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه» [3].

ولقد جعل الرسول ﷺ التأمين فى الصلاة سمة من سمات هذه الأمة يحسدها اليهود عليها.

فعن ابن عباس قال: «قال رسول الله ﷺ: ما حسدتكم اليهود على شيء، ما حسدتكم على (آمين)، فأكثروا من قول (آمين) » [4].

(٢) سورة البقرة

س ١: ما المناسبة بين سورة البقرة والفاتحة؟

الجواب: (لما أخبر ﷻ أن عباده المخلصين سألوا فى الفاتحة هدايتهم للصراط المستقيم الذى هو غير طريق الهالكين، أرشدهم فى أول السورة التى تليها إلى أن الهدى المسئول إنما هو فى هذا الكتاب – الذى لا ريب فيه –، وبيَّن لهم صفات الفريقين: الممنوحين بالهداية حثاً على التخلق بها، والممنوعين منها زجراً عن قربها، فكان ذلك من أعظم المناسبات لتعقيب الفاتحة بالبقرة؛ لأنها سيقت لنفى الريب عن هذا الكتاب ولأنه هدى للمتقين، ولوَصْف المتقين وما يجازون به بما فى الآيات الثلاث، ولوَصْف الكافرين الذين لا يؤمنون لما وقع من الخَتْم على حَوَاسِّهِمْ والخَتْم لعقابهم ليعلم أن ما اتصف به المتقون هو الصراط المستقيم فَيُلْزَمَ وما اتصف به مَنْ عَدَاهُمْ هو طريق الهالكين فَيُتْرَكَ وفى الوصف بالتقوى بعد ذكر المغضوب عليهم والضالين إشارة إلى أن المقام مقام الخوف) [5].

(١) الروض الريان على أسئلة القرآن.
(٢) المرجع السابق صـ٤٦٦.
(٣) المرجع السابق صـ٤٦٤.
(٤) المرجع السابق صـ٤٦٦.
(٥) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور جـ ١ صـ٧٧ – ٧٨.

﴿﴾ س٢: قال تعالى: ﴿الٓمٓ﴾ (البقرة:١)، ما المراد بالحروف المقطعة التى بدئت بها هذه السورة وغيرها من السور القرآنية؟ وما الحكمة فى وقوعها فى أوائل هذه السور؟ وهل هذا الأسلوب فى كلام العرب أو هو جديد عليهم؟

﴿﴾ **الجواب:** أما الجزء الأول من السؤال، فلقد اختلف العلماء إلى فريقين رئيسين:

الفريق الأول: قالوا: إنها من المتشابه الذى لا يعلمه إلاَّ الله، ولا نحب أن نتكلم فيها بل نؤمن بها فهى سر الله فى القرآن، فلكل كتاب سِرٌّ وسِرُّ القرآن فى فواتح السور التى افتتحت بحروف التهجى (قال الشعبى وسفيان الثورى وجماعة من المحدثين: هى سر الله فى القرآن، ولله فى كل كتاب من كتبه سر، فهى من المتشابه الذى انفرد الله بعلمه، ولا نحب أن نتكلم فيها، ولكن نؤمن بها، وتُمَدُّ كما جاءت، ورُوِىَ هذا القول عن أبى بكر الصديق وعلى بن أبى طالب، وذكر أبو الليث السمرقندى عن عمر وعثمان وابن مسعود أنهم قالوا: الحروف المقطعة من المكتوم الذى لا يفسر، وقال أبو حاتم: لم نجد الحروف فى القرآن إلاَّ فى أوائل السور، ولا ندرى ما أراد الله ﷻ)[1].

الفريق الثانى: قالوا إن الله أتى بهذه الحروف وخاطبنا بالعربية، ويستبعد أن يخاطبنا الله بما لم نفهم، ولو لم يكن لها معنى لكانت آياتها معطلة، فعلينا أن نتكلم فيها ونلتمس الفوائد التى تحتها. بَيْدَ أنهم اختلفوا فيما بينهم فى معانيها والمراد منها على أقوال عديدة:

١- قال بعضهم: هى اسم الله الأعظم إلاَّ أنهم لا يعرفون تأليفه منها، وذهب إلى ذلك ابن عباس فى أحد قوليه، أوهى أسماء لله تعالى.

٢- قال بعضهم: هى أقسام أقسم الله بها.

٣- قال بعضهم هى أسماء للسور، وهذا الرأى ضعيف، لأنه إذا جرى على بعضها كسورة: طه ويس وص وق، فإنَّه لا يجرى على غيرها كسورة البقرة وآل عمران والأعراف وغيرها، فإنها افتتحت بحروف المعجم، ولم تُسَمَّ بتلك الحروف.

٤- (وقال بعض أهل العربية: هى حروف من حروف المعجم، اسْتُغْنِىَ بذكر ما ذُكِرَ منها فى أوائل السور عن ذكر بواقيها التى هى تتمة الثمانية والعشرين حرفاً، كما يقول القائل: ابنى يكتب فى « ا ب ت ث » أى: فى حروف المعجم الثمانية والعشرين، فيستغنى بذكر بعضها عن مجموعها، حكاه ابن جرير)[2].

---

(١) فتح القدير جـ ١ صـ٤٦، وانظر القرطبى وابن كثير (سورة البقرة).

(٢) تفسير ابن كثير جـ ١ صـ٦٦.

٥- لقد ورد فى مدلولها قول يفسرها بأنها دلالة عن مدد وأزمان ويعرف منها الفتن والملاحم . وهذا الرأى مصدره الإسرائيليات. فعن ابن عباس عن جابر بن عبد الله قال: « مرَّ أبو ياسر ابن أخطب في رجال من يهود برسول الله وهو يتلو فاتحة سورة البقرة (آلم. ذلك الكتاب لا ريب فيه) فأتى أخاه حُيَيٌّ بن أَخْطَبَ في رجال من اليهود فقال: تعلمون والله لقد سمعت محمداً يتلو فيما أنزل الله تعالى عليه: (آلم . ذلك الكتاب لا ريب فيه) فقال: أنت سمعته؟ قال: نعم، قال: فمشى حيي بن أخطب في أولئك النفر من اليهود إلى رسول الله ﷺ. فقالوا: يا محمد ألم يُذكر أنك تتلو فيما أنزل الله عليك (آلم . ذلك الكتاب لا ريب فيه)؟ فقال رسول الله ﷺ: بلى، فقالوا: جاءك بهذا جبريل من عند الله ؟ فقال: نعم، قالوا: لقد بعث الله قبلك أنبياء ما نعلمه بيَّن لنبي منهم ما مُدَّة ملكه وما أجَل أمته غيرك . فقام حُييٌّ بن أخطب وأقبل على من كان معه فقال لهم: الألف واحدة – أى سنة واحدة – واللام ثلاثون والميم أربعون. فهذه إحدى وسبعون سنة أفتدخلون في دين نبي إنما مدة ملكه وأجل أمته إحدى وسبعون سنة؟ ثم أقبل على رسول الله ﷺ فقال: يا محمد هل مع هذا غيره؟ فقال: نعم، قال: ما ذاك؟ قال: (آلمص) قال هذا أثقل وأطول، الألف واحدة واللام ثلاثون والميم أربعون والصاد سبعون فهذه إحدى وثلاثون ومائة سنة . هل مع هذا يا محمد غيره ؟ قال: نعم، قال ما ذاك ؟ قال: (آلر). قال: هذا أثقل وأطول، الألف واحدة واللام ثلاثون والراء مائتان فهذه إحدى وثلاثون ومائتان سنة . فهل مع هذا يا محمد غيره؟ قال: نعم. قال: ماذا؟ قال (المر). قال هذه أثقل وأطول، الألف واحدة واللام ثلاثون والميم أربعون والراء مائتان فهذه إحدى وسبعون ومائتان. ثم قال: لقد لُبِّسَ علينا أَمْرُكَ يا محمد حتى ما ندري أقليلاً أُعْطِيتَ أم كثيراً . ثم قال: قوموا عنه، ثم قال أبو ياسر لأخيه حيي بن أخطب ولمن معه من الأحبار: ما يدريكم لعله قد جمع هذا لمحمد كله» [١].

و لقد علق الحافظ ابن كثير على هذا الحديث بقوله: (وأما من زعم أنها دالة على معرفة المدد، وأنه يستخرج من ذلك أوقات الحوادث والفتن والملاحم، فقد ادعى ما ليس له، وطار في غير مطاره)[٢]. وقال عن هذا الحديث: إنه ضعيف. ولقد ساق الحافظ ابن كثير كلاماً لبعض العلماء يريح النفس ويُهَدْهِدُهَا إلى واحة الطمأنينة إذا كانت تريد أن تخوض هذا

(١) تفسير ابن كثير جـ ١ صـ٦٨، ٦٩.

(٢) المرجع السابق صـ٦٨.

الميدان، فقال: (ومن ههنا لحظ بعضهم في هذا المقام كلاماً فقال: لا شك أن هذه الحروف لم ينزلها ﷺ عبثاً ولا سدى، ومن قال من الجهلة إن في القرآن ما هو تعبد لا معنى له بالكلية، فقد أخطأ خطأ كبيراً، فتعيّن أن لها معنى في نفس الأمر، فإن صح لنا فيها عن المعصوم شيء قلنا به، وإلاّ وقفنا حيث وقفنا وقلنا: ﴿آمنّا به كُلٌّ مِنْ عِنْد ربنا﴾، ولم يُجْمِع العلماءُ فيها على شيء معين، وإنما اختلفوا فمن ظهر له بعض الأقوال بدليل فعليه اتباعه، وإلا فالوقف حتى يتبين)[1].

أما الجزء الثانى من السؤال: ما الحكمة فى وقوع هذه الأحرف فى أوائل السور؟

فقد اختلفوا فى ذلك إلى أقوال:

القول الأول: إنما ذكرت ليُعْرَفَ بها أوائل السور ولتكون فواصل بين السور، وهذا القول ضعيف: لأن الفصل حاصل فى السور التى لم تفتتح بها، ومن جهة أخرى فالبسملة فى أوائل كل سورة تدل على الفواصل.

القول الثانى: (قال آخرون بل ابْتُدِئَ بها لتنفتح لها أسماع المشركين إذ تواصوا بالإعراض عن القرآن حتى إذا استمعوا له تلا عليهم المؤلَّفَ منه. حكاه ابن جرير أيضاً وهو ضعيف؛ لأنه لو كان كذلك لكان ذلك في جميع السور ولا يكون في بعضها بل غالبها ... ثم إن هذه السورة والتي تليها أعني البقرة وآل عمران مدنيتان ليستا خطاباً للمشركين، فانتقض ما ذكروه)[2].

القول الثالث: (إنما ذكرت هذه الحروف في أوائل السور التي ذكرت فيها بياناً لإعجاز القرآن وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله، هذا مع أنه مُرَكَّبٌ من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها، وقد حكى هذا المذهب الرازي في تفسيره عن المبرد وجَمْعٍ من المحققين، وحكى القرطبي عن الفراء وقطرب نحو هذا، وقرره الزمخشري في كشافه ونصره أتم نصر، وإليه ذهب الشيخ الإمام العلامة أبو العباس ابن تيمية، وشيخنا الحافظ المجتهد أبو العجاج المزي، وحكاه لي عن ابن تيمية)[3]، وهو الأَوْلَى فى الذهاب إليه حين السؤال عن معناها وموقعها من السورة التى وردت فيها.

أما الجزء الثالث من السؤال: وهل هذا الأسلوب موجود فى كلام العرب؟

أجل: كان هذا الأسلوب فى كلام العرب (وقد تكلمت العرب بالحروف المقطعة كقوله:

فَقُلْتُ لَهَا قِفِى فَقَالَتْ: قَاف

(١و ٢ و ٣) المرجع السابق صـ٦٧.

أى: وقفت، وفى الحديث: «من أعان على قتل مسلم بشطر كلمة» قال شقيق: هو أن يقول فى اقتل: (اق) كما قال ﷺ: «كفى بالسيف شا» أى شافياً، وفى نسخة شاهداً[1].

س٣: قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

لقد نفى الله عنه الريب، ومع ذلك فقد ارتاب فيه كثير من النَّاس من عصر نزوله إلى يومنا هذا. ولماذا لم يتقدم الظرف (فيه) على (ريب) كما فى قوله تعالى: ﴿لا فِيهَا غَوْلٌ﴾ (الصافات: ٤٧.) ؟

الجواب: (اختلف العلماء فى معنى هذه الجملة على ثلاثة أقوال:

أحدها: أن ظاهرها النفى ولكن معناها النهى وتقديرها لا ينبغى لأحد أن يرتاب به لإتقانه وإحكامه، ومثله ﴿مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ (يوسف: ٣٨.)، أى ما ينبغى لنا، ومثله قوله: ﴿فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ﴾ (البقرة: ١٩٦)، وهذا مذهب الخليل وابن الأنبارى. **والثانى:** أن معناها: (لا ريب فيه) أنه هدى للمتقين، قاله المبرد. **والثالث:** أن معنى (لا ريب فيه) أنه من عند الله. قاله مقاتل)[2].

ومن جهة أخرى أن قوله: (لا ريب فيه) أن الريب هو الشك فهو منفى عن القرآن على سبيل الاستغراق، فهو واضح الدلالة ساطع البرهان، معجز فى كل مناحيه، بحيث لا ينبغى لمرتاب أن يقع فيه، فالذى يرتاب ويشك فى كونه من عند الله أعمى البصر أعمى البصيرة، وهذا أمر خارج عن القرآن، قال الشاعر:

ليس فى الحق يا أُمامةُ ريبٌ ∴ إنما الريب ما يقول الكذوب

ومن جهة الشطر الثانى من السؤال: لم يقدم الظرف (فيه) على (ريب) كما قال: ﴿لا فِيهَا غَوْلٌ وَلا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ ؛ لأن المراد نفى الريب عن القرآن وإثبات أنه حق لا باطل كما يزعم الكفار، ولو قدم الظرف لَبَعُدَ هذا المراد، وقُصِدَ بهذا البعد أن كتاباً آخر فيه ريب لا فيه كما قصد من قوله: (لا فيها غول) تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا بأنها لا تغتال العقول كما تغتالها.

س٤: قال تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ والمتقون مهتدون، فما فائدة تخصيص الهداية بالقرآن؟

الجواب: يجاب على ذلك بأمرين: **الأول:** أنه أراد هدى للمتقين والكافرين، واكتفى بذكر المتقين لأنهم أشرف من الكافرين على حد قوله تعالى: ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ (النحل: ٨١)، فالتقدير: سرابيل تقيكم الحر والبرد. **الثانى:** أنه خص المتقين بالذكر لأنه المنتفعون به دون غيرهم.

(١) فتح القدير جـ ١ صـ٤٧

(٢) زاد المسير فى علم التفسير جـ ١ صـ٢٣، ٢٤

س ٥ : وردت ألفاظ ثلاثة فى الآيـة الثانيـة والثالثـة والرابعـة وهـى: للمـتقين وفعلـه يتقـون، ويؤمنون ويوقنون، ألم يكن أن يستغنى بواحد منها عن اللفظين الآخرين؟

الجواب: يتقون معناه: يتقون عذاب الله بأن يجعلوا بينهم وبينه وقاية بالتوحيد والإيمان بما جاء به الرسول ﷺ، والعمل بما ورد فى قرآنهم وسنة رسولهم، ومنه التقوى، وهى كما عرفها الإمام علىّ كرم الله وجهه: (العمل بالتنزيل، والخوف من الجليل، والرضا بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل).

ومعنى يؤمنون: أى يصدقون الرسول ﷺ فيما أخبر عن ربه.

ومعنى يوقنون: اليقين: هو العلم الذى تحصل به الثقة، ويَثْلُجُ بـه الصـدرُ، وهـو أبلـغ علـم مكتسب. فهذه الألفاظ الثلاثة التى جاءت وصفاً لعباد الله المتقين؛ لا يستغنى بواحد منها عن الآخر، فلقد صَوَّرَتْهُمْ صورةً متكاملةَ الجوانب متناسقة فى المحاسن.

س٦ : قال تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (البقرة: ٩) **الخداع حيلة ومكر، فكيف يخادعون الله وهو الذى لا تخفى عليه خافية؟**

الجواب: لقد ورد فى معنى خداعهم الله أقوال:

(أحدها: أنهم يخادعون المؤمنين فكأنهم خادعوا الله، رُوِىَ عن ابن عباس واختاره ابن قتيبة.

والثانى: أنهم كانوا يخادعون نبى الله، فأقام اللهُ نبيَّهُ مُقامه كما قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ (الفتح: ١٠) **والثالث: أن الخادع عند العرب الفاسد وأنشدوا:**

أبيـض اللون لذيذ طعمه ∴ طيب الريق إذا الريق خدع [١]

أى: فسد، رواه محمد بن القاسم عن ثعلب عن ابن الأعرابى. قال: ابن القاسم، فتأويل «يخادعون الله»: يفسدون ما يظهرون من الإيمان بما يضمرون من الكفر. **والرابع**: أنهم كانوا يفعلون فى دين الله ما لو فعلوه بينهم كان خداعاً. **والخامس**: أنهم كانوا يخفون كفرهم ويظهرون الإيمان به)[٢].

س٧: قال تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ، اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (البقرة: ١٤، ١٥). **كيف يستهزئ الله بهم والاستهزاء سخرية وهو من صفات الحوادث؟**

---

(١) البيت فى لسان العرب وهو لسويد.

(٢) زاد المسير فى علم التفسير جـ ص٢٩، ٣٠.

﴿ﷲ﴾ **الجواب:** اختلف العلماء فى استهزاء الله بهم على أقوال:

(**أحدها**: أنه يفتح لهم باباً من الجنة وهم فى النار فيسرعون إليه فيغلق، ثم يفتح لهم باباً آخر فيسرعون فيغلق، فيضحك منهم المؤمنون. رُوى عن ابن عباس. **والثانى**: أنه إذا كان يوم القيامة جَمُدت النار لهم كما تَجْمُدُ الإهالة فى القِدْر فيمشون فتنخسف بهم. روى عن الحسن البصرى. **والثالث**: أن الاستهزاء بهم إذا ضرب بينهم وبين المؤمنين بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب، فيبقون فى الظلمة فيقال لهم ﴿ارْجِعُوا وَرَاءكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ (الحديد: ١٣) قاله مقاتل. **والرابع**: أن المراد به يجازيهم على استهزائهم، فقوبل اللفظ بمثله لفظاً وإن خالفه معنى، فهو كقوله تعالى: ﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ (الشورى: ٤٠) وقوله: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ (البقرة: ١٩٤). **والخامس**: أن الاستهزاء من الله التخطئة لهم والتجهيل، فمعناه: الله يخطّئ فِعْلهم ويُجهِّلهم فى الإقامة على كفرهم. **والسادس: أن استهزاءه: استدراجه إياهم. والسابع: أنه إيقاع استهزائهم بهم، وردُّ خداعهم ومكرهم عليهم. ذكر هذه الأقوال محمد بن القاسم الأنبارى. والثامن: أن الاستهزاء بهم أن يقال لأحدهم فى النار، وهو فى غاية الذل ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ ذكره شيخنا فى كتابه. والتاسع: أنهم لما أظهروا من أحكام إسلامهم فى الدنيا، خلاف ما أبطن لهم فى الآخرة، كان الاستهزاء بهم)** [1].

س٨: قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ . وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ، وَسَوَاء عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ (يس: ٩ ، ١٠)، **فما سر اقتران (سواء) فى الآية الثانية بالواو؟**

﴿ﷲ﴾ **الجواب:** آية سورة البقرة وهى الأولى وقعت (سواء) فيها خبر (إنَّ)، فهى فى محل رفع. وفى الآية الثانية فهى جملة معطوفة بالواو على ما قبلها.

س٩: قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: ٨)، **ما سر تكرار حرف الباء مع حرف العطف فى لفظ الجلالة واليوم؟**

﴿ﷲ﴾ **الجواب:** هذا الكلام حكاية كلام المنافقين، فتكرار الباء يفيد التأكيد، وهم أكدوا كلامهم نفياً للريبة، وإبعاداً لتهمة النفاق عنهم، فكانوا كما يقال: يكاد المريب أن يقول: خذونى. فنَفَى اللهُ

---

(١) زاد المسير فى علم التفسير جـ ١صـ٣٥ - ٣٦.

عنهم الإيمانَ بأوكد الألفاظ، فقال: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ فلقد نفى عنهم الإيمان بـ «ما»، وأتى بضمير الفصل وحرف الجر المزيد للتوكيد، ولقد ورد هذا الأسلوب للتوكيد في سورتي النساء والتوبة ﴿وَلاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ (النساء: ٣٨)، ﴿قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ (التوبة: ٢٩).

س١٠: قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة: ٢٣). **وقال تعالى:** ﴿قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (هود: ١٣)، **لقد اقترنت كلمة (مِثْلِهِ) في الآية الأولى بحرف الجر «مِن»، وتجردت منه في الآية الثانية، فما سر ذلك؟**

الجـواب: الآية الأولى في سورة البقرة، وهي سَنَام القرآن، وأوله بعد سورة الفاتحة، فحسن دخول «مِن»، وهي للتبعيض؛ للإيذان بأن التحدي واقع على سور القرآن كله، من أوله إلى آخره، والسور التي فيها الآيات المجردة من حرف الجر «من»، لو دخلها هذا الحرف؛ لكان التحدي واقعاً على بعض السور دون بعض[1].

س١١: قال تعالى: ﴿فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ (البقرة: ٢٤).
وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ (التحريم: ٦)
لماذا أتت النار في الآية الأولى معرَّفة، وأتت في الآية الثانية منكرة ؟

الجواب: من وجهين:

الأول: أن الآية الثانية من سورة التحريم، وهي نزلت قبل سورة البقرة، فكانت نكرة في سورة التحريم، ثم لمَّا عُرِّفت صارت معرفة في سورة البقرة وفي غيرها .

الثاني: أن التنكير يفيد التفخيم والتعظيم، وهي معرفة في مدلولها.

س١٢: قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٣٤.)، **ويتفرع عن هذا السؤال أسئلة هي أجزاء له وهي:**

- **السجود لا يكون إلاَّ لله، فكيف أمر الملائكة بالسجود لآدم؟**
- **وما سر تقديم الإباء على الاستكبار؟**
- **وما سر حذفه في سورة «ص» ؟**
- **وما سر تكرار القصة في البقرة والأعراف والحِجْرِ والإسراء والكهف وطه وص؟**

---

(١) انظر: "بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز" جـ ١ ص١٤٠.

الجواب: بالنسبة للجزء الأول: (السجود: أصله التطامن[1] والتذلل، وجعل ذلك عبارة عن التذلل لله وعبادته) [2].

وفى الشرع: وضع الجبهة على الأرض تذللاً لله، كما أمرنا على لسان رسوله، وكما علمنا، ولا يكون هذا إلاَّ لله، والسجود الوارد فى القرآن لغير الله يكون بمعنى الانحناء والتكرمة، كما فى أمر الله الملائكة بالسجود لآدم، وكسجود إخوة يوسف له ﴿وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّدًا﴾، يقول الراغب الأصفهانى: (وقوله: ﴿اسْجُدُواْ لآدَمَ﴾ قيل: أُمِرُوا أن يتخذوه قبلة - وكان السجود فى الأصل لله - وقيل أمروا بالتذلل له والقيام بمصالحه ومصالح أولاده فائتمروا إلاَّ إبليس، وقوله فى سورة يوسف: ﴿وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّدًا﴾ أى متذللين. وقيل: كان السجود على سبيل الخدمة فى ذلك الوقت سائغاً) [3].

وهناك سجود التسخير، وهو للإنسان والحيوان والنبات، كقوله تعالى: ﴿وَلِلّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾ (الرعد: ١٥) ، وقوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ (الرحمن: ٦)

أما بالنسبة للجزء الثانى من السؤال: فالإباء هو الامتناع عن السجود مع مبالغة، وقدّمه على قوله: (واستكبر)؛ لأنه من الأفعال الظاهرة الملموسة، أما الاستكبار فهو أمر داخلى من أفعال القلوب، بيد أن له ملامح تدل عليه، والسين والتاء فى قوله: «واستكبر» للمبالغة وليست للطلب.

أما بالنسبة للجزء الثالث: ما سر حذف الإباء فى «ص» ؟ فلقد حُذِفَ اكتفاء بذكره فى المواطن الأخرى.

أما بالنسبة للجزء الرابع من السؤال وهو: ما سر تكرار هذه القصة فى السور المذكورة؟ فتكرارها لتسلية الرسول ﷺ، فقد كان فى محنة عظيمة مع قومه وأهل زمانه، فكأن الله تعالى يقول له: ألا ترى أن أول الأنبياء وهو آدم عليه السلام ابتلى بمحنة عظيمة، فعليك بالصبر.

س١٣: قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ (الأعراف: ١٩)، وقال فى سورة الأعراف: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ (البقرة: ٣٥)، ما سر مجىء الواو فى الآية الأولى؟ ومجىء الفاء فى الآية الثانية؟ ولماذا زاد «رغدا» فى الآية الأولى؟

---

(١) التطامن: الانحناء .

(٢) مفردات ألفاظ القرآن ص٣٩٦.

(٣) المرجع السابق ص٣٩٧ باختصار وتصريف.

﴿الله﴾ **الجواب:** قال فى البقرة: (وكُلا) بالواو، وفى الأعراف: (فَكُلاَ) بالفاء لأن الأمر «اسكن» ليس معناه السكون المقابل للحركة، وهو مختلف المعنى فى الآيتين، فالذى فى سورة البقرة معناه الإقامة فلم يصح إلاَّ بالواو، لأن المعنى: اجمعا بين الإقامة فى الجنة والأكل من ثمارها، ولو جعلت الفاء مكان الواو؛ لوجب تأخير الأكل إلى الفراغ من الإقامة؛ لأن الفاء للترتيب والتعقيب. ومعنى الأمر فى سورة الأعراف من السُكْنَى، وهو اتخاذ الموضع مسكناً؛ لأن الله تعالى أخرج إبليس من الجنة بقوله: ﴿اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُومًا مَّدْحُورًا﴾، وخاطب آدم فقال: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾، أى اتخذاها لأنفسكما مسكناً فكلا من حيث شئتما، فالفاء أَوْلَى لأن اتخاذ المسكن لا يستدعى زماناً ممتداً، ولا يمكن الجمع بين اتخاذ المسكن والأكل، بل يأتى الأكل عقيبه.

وزاد «رغدا» فى سورة البقرة مراعاة لنون المعظم نفسه ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ﴾، فناسب مجىء الرغد لمراعاة التعظيم، بخلاف سورة الأعراف فالسياق بلفظ «قال»: ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ، وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ .

وأيضاً لمراعاة التعظيم أطلق المشيئة فقال: ﴿وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ و لم يأت بحرف «من» كما فى الآية الثانية.

س١٤: قال تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ (البقرة: ٣٦) ، و قال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا﴾ (الأعراف: ٢٠)، فما سر التعبير فى الآية الأولى بقوله: «فأزلهما» وفى الثانية بقوله: «فوسوس لهما»؟

﴿الله﴾ **الجواب:** الآية الأولى أتى السياق بقوله: «وقلنا يا آدم»، والقائل هو الله ﷻ، فأمْرُ الله ونهيه لآدم له مقام كبير فى قلبه، ولا سيّما قوله: «قلنا» فأتى بقوله: ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ لمراعاة هذا المقام ؛ لأن معنى «فأزلهما» أى: تحرى زلّتهما، يقول الراغب الأصفهانى: (استزلّه: إذا تحرّى زلته) [1].

أما الآية الثانية: فليس فيها «قلنا» ؛ بل فيها نداء «يا آدم»، فأتى بالفعل «وسوس» والوسوسة: هى الخَطْرَةُ الرديئة التى تمر بالخاطر [2].

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن الكريم ص٣٨١.

(٢) أنظر المرجع السابق ص٨٦٩.

وإن شئت فقل إن الأسلوب واحد، وأتى بكلمة «فأزلهما» وبين فى سورة الأعراف كيف تحرى إبليس زلتهما فقال: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ (الأعراف: ٢١)، فحلف لهما على أنه من الناصحين لهما، وهو لا يأتى منه مثقال ذرة من خير.

س١٥: قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ، فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ، قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: ٣٦ - ٣٨). **ما السر فى تكرار الأمر بالهبوط؟**

الجواب: من أحد جوانب ثلاثة:

الأول: أن التكرار للتأكيد.

الثانى: أنهما مختلفان، فالأمر الأول من الجنة إلى السماء، والثانى من السماء إلى الأرض.

الثالث: أن الأمر الأول بالهبوط، والثانى ما نيط به من زيادة فى قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

س١٦: قال الله تعالى: ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ، فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ، قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى﴾ (طه: ١٢٣). ما سر توجيه الأمر بالهبوط بصيغة الجمع فى الآية الأولى وبصيغة المثنى فى الآية الثانية؟ ولماذا قال فى الآية الأولى «تَبِعَ»، وفى الثانية «اتَّبَع»؟

الجواب: الأمر بالهبوط بصيغة الجمع لآدم وحواء وإبليس، وهو الأمر بالهبوط من السماء إلى الأرض، والخطاب للمثنى لآدم وحواء، وهو الأمر بالهبوط من الجنة، والخروج منها بعد الأكل من الشجرة، قال تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ أو سمى الأمر بالخروج من الجنة هبوطاً لبُعْدِ المنزلة قبل أكلهما من الشجرة، والنزول إلى منزلة أقل بعد أكلهما ومخالفتهما. **أما الشطر الثانى من السؤال:** فإن «تَبِعَ» و«اتَّبَعَ» بمعنى واحد، رغم اختلاف مصدريهما، وإنما أتى بالفعل «اتبع» فى سورة طه موافقة لقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لا عِوَجَ لَهُ﴾ لأن يتبعون فعل مضارع ماضيه «اتبع»، ومعناه الجمع مراعاة للفظ «مَنْ» فإنه يفيد العموم؛ لأنه اسم موصول.

س١٧: قال تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (البقرة: ٤٨)، وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (البقرة: ١٢٣)،

ما السر فى تقديم الشفاعة وتأخير العدل فى الآية الأولى، ثم عكسهما فى الثانية؟

الجواب: (قدَّم الشفاعة فى الآية الأولى قطعاً لطمع من زعم أن آباءهم تشفع لهم، وأن الأصنام شفعاؤهم عند الله. وأخَّر الشفاعة فى الآية الثانية؛ لأن التقدير فى الآيتين الأولى والثانية: لا يقبل منها شفاعة فتنفعها تلك الشفاعة؛ لأن النفع بعد قبول الشفاعة . وقدم العدل فى الآية الثانية ليكون لفظ القبول مقدماً فيها) [1].

س١٨: قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوَءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ﴾ (البقرة: ٤٩). وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ﴾ (إبراهيم: ٦).

ما سر تجريد «يذبحون» فى الآية الأولى من الواو، واقترانها فى الآية الثانية؟

الجواب: فى الآية الأولى وَرَد الفعل «يذبحون» بعد «يسومونكم»، فهو على البدل منه، لهذا لم يقترن بالواو. وأما فى سورة إبراهيم، فالحديث فيها من كلام موسى عليه السلام، وفى معرض تذكيره لبنى إسرائيل بالمحن التى أصابتهم، فعددها لهم وهذا يستلزم العطف بالواو، بدليل قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللّهِ﴾ .

س١٩: قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة: ٥٤)، **كيف يأمرهم الله بالقتل للتوبة وقد نهاهم عن القتل فى أكثر من موطن فى القرآن؟**

الجواب: لقد اختلفت آراء العلماء فى قتلهم للتوبة بعد عبادة العجل إلى فريقين:

الأول: قالوا إنه القتل الحقيقى، وهو إزهاق الروح، وذهب إلى هذا ابن عباس — رضى الله عنهما — ومجاهد وعطاء وابن إسحاق وابن جريج وقتادة وغيرهم، وقد صوَّروا ذلك بصُوَره متعددة، وبعضهم كالقاضى عبد الجبار قال إنهم أمروا أن يقتل كل واحد نفسه.

---

(١) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز جـ ١ ص١٤٢.

الثانى: قالوا إن المراد بالقتل هو قتل شهواتها وعلائقها بالدنيا، فإن فعلوا ذلك وندموا فقد قتلوا أنفسهم فيتوب الله عليهم.

والذى أراه: أن القتل لم يكن إزهاق الأرواح ؛ كما ذهب إلى ذلك الفريق الأول من قتل بعضهم بعضاً، فقالوا: لقد أمر الله مَن لم يعبد العجل بقتل من عبده، وبالغوا فى الإتيان بصور متعددة وهذا بعيد لما يأتى: -

١- لم يرد نص عن رسول الله ﷺ يبين نوع القتل.

٢- أن الله ﷻ نهى بنى إسرائيل عن القتل، وهو إزهاق الروح، وذلك فى أكثر من موطن:

أ- وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لاَ تَسْفِكُونَ دِمَاءكُمْ وَلاَ تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ (البقرة: ٨٤).

ب- قال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة: ٣٢)، **فكيف يأمرهم الله بأمر وقد نهاهم عنه ولم يكن منسوخاً؟**

٣- **لقد سيقت الآيات الخاصة بالأمر بقتل أنفسهم للتوبة، فى سياق الآيات التى تعدد نعم الله على بنى إسرائيل، وهى على النحو التالى، مرتبة كما وردت:**

(قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوَءَ الْعَذَابِ﴾، وقوله: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾، وقوله: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ، ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، وقوله: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾، وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾، وقوله: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ، ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، وقوله: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ (البقرة: ٤٧ - ٥٩)

فالله ﷻ قد عدد لهم النعم، ومن بينها توبتهم من اتخاذهم العجل إلهاً بعد أن تابوا وقتلوا شهواتهم، فلو كان القتل إزهاق الروح ؛ لما كان فيه نعمة، ولقد بالغ الإمام الفخر الرازى فى إثبات أنه نعمة بعد تكلف فى كلامه.

٤- لقد فصل الله القول فى معنى القتل، فى قوله ﴿فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ﴾، قال تعالى فى تعديد نعمه الله على بنى إسرائيل ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ، ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، لقد أخبر الله فى هذه الآية أنه عفا عنهم، ويشمل العفو جميعهم، ويتناقض هذا النص فى العفو مع ما أورده أهل الفريق الأول بأن القتل استحر فيهم، حتى بلغ سبعين ألفا[1]، فأين العفو بعد قتل هذا العدد؟ فهل له كبير مقام فى القلوب؟

٥- ويمكن الإجابة عن القتل بأنه لم يقع، فالله أمرهم بالقتل ثم استسلموا لأمر الله، ثم نسخ هذا الحكم بعد استسلامهم وقبل أن يقع القتل منهم، وهذا النوع من النسخ هو النسخ إلى بدل أخف ؛ أى أن الحكم الناسخ أخف من الحكم المنسوخ، وفى هذا نعمة من الله عليهم، ورحمة بهم، وهذا كثير فى النصوص القرآنية، وهذه بعض الأمثلة :

أ- قال تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ﴾ (البقرة: ١٨٧)، فهذه الآية ناسخة لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٨٣). فمقتضى هذه الآية المنسوخة الموافقة لما كان عليه السابقون من تحريم الأكل والشرب والوطء إذا صلوا العتمة - أى العشاء - أو ناموا إلى الليلة التالية، لقد نسخ هذا بالآية الأولى.

ب- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾ (المجادلة: ١٢)، فمقتضى هذه الآية أنه إذا أراد أحد من المسلمين المعاصرين للرسول ﷺ أن يناجيه، وجب عليه أن يتصدق بصدقة، ثم نسخ هذا بقوله تعالى: ﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ (المجادلة: ١٣).

فالآية الثانية ناسخة للأولى، ونسخ هذا الحكم قبل أن يعمل به أحد إلاّ الإمام علىّ، فهو الذى عمل بها دون غيره ثم نسخت.

والآيتان بينهما وجه شبه، فأمر الله بنى إسرائيل بالقتل للتوبة، ثم نُسخ وقُبلت توبتهم.

---

(١) انظر: جامع البيان جـ ١ ص٢٧٨.

٦- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ .

فحرف العطف المستخدم فى الآية هو الفاء فى قوله «فتوبوا»، وقوله «فاقتلوا أنفسكم»، وقوله «فتاب عليكم»، وهى تفيد الترتيب والتعقيب مما يدل على أنه لم يكن هناك وقت لوقوع القتل وما تبعه.

٧- ليس فى الآيات ما يدل على أنهم قتلوا أنفسهم حقيقة.

٨- مثال هذا الفعل ما أمر به إبراهيم ﷺ بذبح ولده إسماعيل عن طريق الوحى المنامى، قال تعالى: ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ. فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ. وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ. قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ (الصافات: ١٠٢ - ١٠٥) .

فإبراهيم رأى أنه يذبح ولده فى المنام، ورؤيا الأنبياء وحى، فانصاع إبراهيم وولده لأمر الله، وأسلما أمرهما إلى الله الذى أمر بالذبح، وأتى الحكم الذى نسخ الأمر بالذبح فقال تعالى: ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ، إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاء الْمُبِينُ، وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ (الصافات: ١٠٥ - ١٠٧) .

فلم يقع قتل من بنى إسرائيل، وتابوا إلى الله، وقتلوا شهواتهم، وقطعوا علائقهم بالدنيا، فتاب الله عليهم.

س٢٠: قال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (البقرة: ٥٧). وكُرِّرَتْ هذه الجملة فى سورة الأعراف [1]. وقال فى آل عمران: ﴿وَلَـكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١١٧). فما سر مجيء الفعل «كانوا» فى آية البقرة والأعراف، وعدم مجيئه فى آل عمران؟

الجواب: إن ما فى الآيات إخبار عن قوم مضوا وخلوا، فأتى السياق فى آية البقرة والأعراف بالفعل «كانوا»، أما آية سورة آل عمران فهى عن نفس القوم الماضين، بيد أنها حكاية حال ماضية، فلم يذكر الفعل «كانوا».

س٢١: قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُواْ هَـذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة: ٥٨)، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قِيلَ

---

(١) سورة الأعراف آية ١٦٠

لَهُمُ اسْكُنُواْ هَـذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الأعراف: ١٦١).

– ما سر تقديم ﴿ادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً﴾ فى الآية الأولى وتأخيرها فى الثانية؟

– وما سر مجيء «رغداً» فى الآية الأولى؟

– وما سر جمع «خطايا» فى الأولى وإفرادها فى الثانية؟

﴿الله﴾ **الجواب:** سر تقديم ﴿ادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً﴾ فى الآية الأولى، أن الأمر السابق فيها هو «ادخلوا»، فقدَّم كيفية الدخول، وهو أنهم يدخلونه سجداً، بخلاف الآية الثانية، فالسابق فيها هو الأمر بالسكنى ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُواْ﴾، فتأخر ﴿وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّدًا﴾.

وسر مجيء «رغداً» فى الآية الأولى أحد أمرين: **الأول:** لموافقة التعظيم ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُواْ هَـذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً﴾ **ويوافق التعظيم كرم الله ﷻ المتمثل فى كلمة «رغداً»، بخلاف الآية الثانية فهى بصيغة البناء للمجهول. الثانى: لم تذكر فى الآية الثانية اكتفاء بذكرها** فى الآية الأولى.

وسر جمع «خطايا» فى الآية الأولى وإفرادها فى الثانية: أن الجمع جاء فى سياق التعظيم، أى أن المتكلم – وهو الله– هو المعظم نفسه ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُواْ﴾، فأتى بالجمع لموافقة التعظيم. أما فى سورة الأعراف فقد أتت فى سياق المبنى للمجهول، فلما لم يرد التعظيم أتت الكلمة مفردة. ومن جهة أخرى: أن «خطيئةً» اسم جنس مضاف إلى معرفة، وهو يفيد العموم فهو فى معنى الجمع.

س٢٢: قال تعالى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاء بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ (البقرة: ٥٩)، **وقال فى سورة الأعراف:** ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاء بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ﴾ (الأعراف: ١٦٢).

ذكر فى الآية الثانية كلمة «منهم»، ولم يذكرها فى الأولى، وقال فى الآية الأولى «أنزلنا»، وفى الثانية «أرسلنا»، وانتهت الأولى بقوله: «يفسقون»، والثانية بقوله: «يظلمون»، فما أسرار هذه الأساليب؟

﴿الله﴾ **الجواب:** **لقد ذكر كلمة «منهم» فى الآية الثانية لموافقتها لآية سابقة عليها قال الله تعالى:** ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٩)، وسر مجيء **«أرسلنا»** فى الآية الثانية بدل «أنزلنا» أن لفظ الرسول والرسالة كثر فى سورة الأعراف، فجاء مواكباً لما قبله، وليس الأمر كذلك فى الآية الأولى وهى من سورة البقرة.

وسر مجيء «يفسقون» في الآية الأولى، و«يظلمون» في الثانية؛ أن الله قد ذكر الظلم في الآية الأولى مرتين ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ ، و﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾، فـأظهر فـي مـوطن الإضـمار، وكان السياق يقتضي أن يضمر فيقال «فأنزلنا عليهم»، ولكن أظهر لتسجيل الظلم، ولما سجله أتى بقوله: «يفسقون» لبيان أن هذا الظلم نابع من خروجهم عن منهج ربهم، بخلاف الآية الثانية فذكر الظلم مرة واحدة في أول الآية ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ .

س٢٣: قال تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً﴾ (البقرة: ٦٠)، **وقال تعالى:** ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ (الأعراف: ١٦٠)، **ما سر التعبير في الآية الأولى بقوله: «فانفجرت» وفي الآية الثانية بقوله: «فانبجست»؟**

الجواب: الانفجار: هو الانشقاق والتفتح فمعه انصباب الماء بكثرة، والانبجاس ظهور الماء في ضيق ويكون ترشحاً. وأتى الفعل «انفجر»؛ للمبالغة في انصباب الماء، وأعقبه بعد ذلك بقوله: ﴿كُلُواْ وَاشْرَبُوا﴾ ؛ ليدل على المبالغة، أما في الآية الثانية فليس هناك مبالغة؛ بل لم يذكر الشرب بعد الانبجاس؛ بل قال: ﴿ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾، ولم يقل: «واشربوا» لأنه لم يأت بلفظ يدل على كثرة خروج الماء كالآية الأولى.

س٢٤: قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَىَ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾ (البقرة: ٦١).
لماذا قالوا: ﴿طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ **وهما طعامان: المن والسلوى، قال تعالى:** ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ (البقرة: ٥٧).

الجواب: الجواب من وجهين: **الأول:** أن المنَّ والسلوى كانا هما الطعام المستمر على مر الأيام والسنين، فسئموه وقالوا: ﴿لَن نَّصْبِرَ عَلَىَ طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾.

الثاني: أنهم كانوا يخلطونهما، أو يأكلونهما على مائدة واحدة وفي وقت واحد، كالذي يأكل وجبة من لحم بقر وحمام وخضار وفاكهة، فيطلق عليها مجتمعة طعام.

س٢٥: قال تعالى على لسان موسى: ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُواْ مِصْراً فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ (البقرة: ٦١) ، **ما معنى «مصراً»، وهل هي أرض الكنانة كما في سورة يوسف:** ﴿وَقَالَ ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَاء اللّهُ آمِنِينَ﴾ (يوسف: ٩٩)، **وفي سورة الزخرف:** ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ (الزخرف: ٥١) ؟

﴿الجواب﴾ المصر: الحد: وسميت مصر بهذا الاسم؛ لأنها آخر حدود المشرق، وأول حدود المغرب، فهي حد بينهما، أو سميت بذلك لقصد النّاس إليها، فكانت سلّة طعام لجميع الدول وفيها الأمن دون غيرها كما صرحت بذلك الآيات، كما تقول «مَصَّرْتُ الشاة إذا قصدت حلبها» (قال مفضّل الضبي: سميت مصر لأنها آخر حدود المشرق وأول حدود المغرب، فهي حد بينهما، والمصر: الحد، وأهل هجر يكتبون في عهدهم: اشترى فلان الدار بمصورها. أي بحدودها، وقال عديٌّ:

وَجاعِلُ الشَمسَ مِصراً لا خَفاءَ بِهِ ∴ بَينَ النَهارِ وَبَينَ اللَيلِ قَد فُصِلا

وحكى ابن فارس أن قوماً قالوا: سميت بذلك لقصد النّاس إياها، كقولهم: مصرت الشاة، إذا حلبتها، فالناس يقصدونها ولا يكادون يرغبون عنها إذا نزلوها) [1].

و في الآية التي معنا قرأ الجمهور: «مِصْراً» بالتنوين، وعليه يجوز أن يكون موسى أمرهم بهبوط مصر من الأمصار، ويحتمل أنهم أمروا بمصرَ المعهودة، وهي أرض الكنانة، وإنما صرف لخفته؛ لأنه ساكن الوسط كهِنْد ودَعْدٍ، تقول: دعْدٌ وهنْدٌ بالتنوين؛ كما قال الشاعر:

لَم تَتَلَفَّع بِفَضلِ مِئزَرِها ∴ دَعْدٌ وَلَم تُغذَ دَعْدُ بِالعُلَبِ

فدعدٌ الأولى منونة والثانية غير منونة، وقرأ الحسن وغيره[2] «مصرَ» بمنعها من الصرف، فعلى ذلك تكون هي أرض الكنانة، كما في الآيات الأخرى، ولا سيما أن بني إسرائيل ذاقوا خيراتها رغم ذلهم.

س٢٦: قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾ (البقرة: ٦١)، **وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الِّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾** (آل عمران: ٢١)، **وقال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بَآيَاتِ اللّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاء بِغَيْرِ حَقًّ﴾** (النساء: ١٥٥).

– فما سر تعريف الحق في الآية الأولى، وتنكيره في الآيتين الثانية والثالثة؟

– وما سر جمع النبي في الأولى والثانية جمع مذكر سالم، وجمعه في الثالثة جمع تكسير؟

﴿الجواب﴾ الحق الذي في الآية الأولى هو الذي أذن الله أن تقتل فيه النفس، ونهى عنه بقوله: ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ .(الأنعام: ١٥١)

---

(١) زاد المسير في علم التفسير جـ ١ ص٨٩ ، ٩٠.

(٢) انظر: "الدر المصون في علوم الكتاب المكنون" جـ ١ ص٣٩٥.

فجاء معرّفاً فى الآية الأولى؛ لأن التعريف أولى بالذكر، وأما فى الآية الثانية والثالثة جاءت: «بغير حق» نكرة، وهو أنه: بغير حق فى معتقدهم وفكرهم، فكان التنكير أولى به. وجمع «النبى» جمع مذكر سالم فى الآية الأولى والثانية؛ لأن الجمع فى الآيات السابقة على هاتين الآيتين وما بعدهما كانت الجموع فيها جمع مذكر سالم.

أما الآية الثالثة وهى آية سورة النساء فليست كذلك؛ بل كان الجمع قبلها جمع تكسير. ومنه: ﴿وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّدًا﴾ .(النساء: ١٥٤)

س٢٧: قال **تعالى**: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ (البقرة: ٦٢)، **وقال تعالى**: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (الحج: ١٧)، **وقال تعالى**: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وعَمِلَ صَالِحًا فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (المائدة: ٦٩).

- **فما سر تقديم النصارى على الصابئين؟**
- **وما سر تقديم الصابئين على النصارى؟**
- **وما سر رفع الصابئين فى الآية الأخيرة، وحقها النصب؛ لأنها معطوفة على معطوف على اسم«إنَّ»؟**

الجواب: أن النصارى مقدمون على الصابئين[1] وهم قوم كانوا يعبدون الكواكب ومقرهم حرّان بين النهرين، مقدمون على الصابئين فى الرتبة لأنهم أهل كتاب فقدموا عليهم فى الآية الأولى. والصابئون مقدمون على النصارى فى الزمان، فهم أسبق وجوداً من النصارى، فقُدِّموا عليهم من هذا الجانب فى الآية الثانية والثالثة. أما سر رفع الصابئين فى الآية الثالثة وكان حق الكلمة النصب فإن الواو التى سبقتها للاستئناف والصابئون مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الواو، وخبره محذوف والتقدير: والصابئون كذلك، وهذا ما اختاره الخليل وسيبويه. وهناك أوجه أخرى لإعراب «الصابئون» وهى:

(١- أن الواو عاطفة، والصابئون معطوف على موضع اسم «إن» لأنه قبل دخول «إن» كان فى موضع رفع وهذا مذهب الكسائى والفراء.

---

(١) الصابئون: من صبأ أى خرج عن دينه.

٢- إنه مرفوع عطفاً على الضمير المرفوع فى «هادوا» - وهو فاعل - وروى هذا عن الكسائى.
٣- أن تكون «إنَّ» بمعنى «نعم» أى حرف جواب، وما بعده مرفوع بالابتداء فيكون «الصابئون» معطوف على ما قبله) [(١)].

س٢٨: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَواْ مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ (البقرة: ٦٥)، **انتقالهم من الصورة البشرية إلى صورة القردة ليس بأيديهم فكيف يأمرهم بذلك ؟**

الجواب: الأمر من الله هو أمر صيرورة وتحويل وليس أمر إيجاب، كقول الله ﷻ: ﴿وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (البقرة: ١١٧).

س٢٩: قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُواْ بَقَرَةً قَالُواْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ، قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ فَارِضٌ وَلاَ بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُواْ مَا تُؤْمَرونَ، قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاء فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ (البقرة: ٦٧ - ٦٩)،

لقد تناول الأمرُ بقرةً عامة غير مخصوصة، فلمَّا سألوا عن الأوصاف وتكلفوا صارت مخصوصة. فلماذا انتقل الحكم من بقرة عامة إلى البقرة المخصوصة التى وردت أوصافها فى الآيات؟ وما سر مجىء «فاقع» بعد «صفراء» مع أنه كان يمكن الاستغناء عنه؟

الجواب: الأمر الأول صار منسوخاً وهو من قبيل النسخ إلى بَدَل أثقل، كما فى قوله تعالى: ﴿وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَاسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىَ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً﴾ (النساء: ١٥)، فنسخت هذه الآية إلى بدل أثقل، وهو آية سورة النور ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ﴾ (النور: ٢)، ونسخت أيضاً بالآية المنسوخة تلاوة مع بقاء حكمها، وهى «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم»، فنسخ الأمر الأول الذى لم يحدد أى بقرة حين تكلفوا، وشددوا فشدد الله عليهم بالأمر بذبح بقرة خاصة، دفعوا ملء جلدها ذهباً، ولو ذبحوا فى الأمر الأول أى بقرة لأجزأتهم.

أما بالنسبة لكلمة «فاقع»، فلا يمكن الاستغناء عنها، وسر مجيئها أنها أفادت المبالغة فى

---

(١) إعراب القرآن و بيانه جـ ٢ ص٥٢٧، ٥٢٨.

الاصفرار، حتى تتميز البقرة من بين الأبقار، فللمبالغة فى الألوان ألفاظها (فاقع نعت للاصفرار الشديد الصفرة، يقال: أصفر فاقع، وأحمر قانى، وأخضر ناضرٌ، وأبيض يَقَقٌ، وأسود حالك وحُلْكوكٌ ودَجُوجيٌ، فهذه صفات المبالغة فى الألوان) [١].

لطيفة:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُواْ بَقَرَةً قَالُواْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (البقرة: ٦٧). إلى آخر الآيات. وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ، فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ (البقرة: ٧٢).

لماذا قدِّمت الآيات الآمرة بذبح البقرة على الآيات المتحدثة عن سبب الأمر بالذبح؟

الجواب:

قال الزمخشرى فى الكشاف: (كل ما قُصَّ من قصص بنى إسرائيل؛ إنما قُصَّ تعديداً لما وُجِدَ منهم من الجنايات، وتقريعاً لهم عليها، وهاتان قصتان كل واحدة منهما مستقل بنوع من التقريع، وإن كانتا متصلتين متحدتين: فالأولى: لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة إلى الامتثال وما يتبع ذلك، والثانية للتقريع على قتل النفس المحرمة، وما يتبعه من الآية العظيمة. وإنما قُدِّمت قصة الأمر بذبح البقرة على ذكر القتيل؛ لأنه لو عمل على عكسه لكانت قصة واحدة، ولذهب الغرض فى تثنية التقريع، ولقد روعيت نكتة بعد ما استؤنفت الثانية استئناف قصة برأسها أنْ وصلت بالأولى دلالة على اتحادهما بضمير البقرة لا باسمها الصريح فى قوله: «اضربوه ببعضها» حتى تبين أنهما قصتان فيما يرجع إلى التقريع، وتثنية بإخراج الثانية مخرج الاستئناف مع تأخيرها، وأنها قصة واحدة بالضمير الراجع إلى البقرة) [٢].

س٣٠: قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاء وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ (البقرة: ٧٤).

ما الفرق بين تفجر الأنهار، وبين تشقق الأرض وخروج الماء؟

الجواب: التفجر هو الخروج بشدة وكثرة واندفاع، وتشقق الأرض وخروج الماء يدل على خروجه فقط فكأنه مسيل.

---

(١) زاد المسير فى علم التفسير جـ ١ ص٩٨.

(٢) الكشاف جـ ١ ص٢٨٦.

﷽ **س٣١: قال تعالى:** ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (البقرة: ٧٩).

الكتابة لا تكون إلاَّ باليد، فما سر ذكر «أيديهم» فى الموضعين؟

﴿الله﴾ **الجواب:** لقد ذكر لفظ «أيديهم» لبيان أنهم باشروا التحريف بأنفسهم دون من ينوب عنهم، وهذا فى غاية السوء والتجرؤ على منهج الله، كما يقول الرئيس لنائبه: سأفعل هذا بيدى.

﷽ **س٣٢: قال تعالى:** ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً﴾ (البقرة: ٨٠). **وقال تعالى فى سورة آل عمران:** ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ (آل عمران: ٢٤).

ما سر ذكر «معدودة» فى الآية الأولى، وذكر «معدودات» فى الآية الثانية؟

﴿الله﴾ **الجواب:** الأصل فى الجمع إذا كان واحِدُهُ مذكراً، أن يقتصر فى الوصف على التأنيث، نحو: كتب كثيرة، قال تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ، وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ، وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ، وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ (الغاشية: ١٣- ١٦)، ويجوز أن تجمع جمع تأنيث: تقول: كتب كثيرات، وسرر مرفوعات... إلى غير ذلك، وهذا ليس بالأصل؛ بل هو على الفرع، ففى الآية الأولى وصف الأيام على الأصل، وفى الآية الثانية وصفها على الفرع.

﷽ **س٣٣: قال تعالى:** ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآَخِرَةُ عِندَ اللّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ، وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ (البقرة: ٩٤ ، ٩٥)، **وقال تعالى فى سورة الجمعة** ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاء لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ، وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ (الجمعة: ٦ - ٧) .

فما سر النفى «بلن» فى الآية الأولى والنفى «بلا» فى الثانية؟

﴿الله﴾ **الجواب:** إن دعوى اليهود فى الآية الأولى بالغة قاطعة، بأن الجنة لهم بصفة خاصة، فقالوا: إن الجنة فى الدار الآخرة خاصة بنا، فلما بالغوا فى دعواهم، بالغ فى الرد عليهم بحرف «لن»، وهو أبلغ ألفاظ النفى، وتغير الفعل بعده فهو فعل مضارع من الأفعال الخمسة اتصلت به واو الجماعة فنصب «بلن» وعلامة نصبه حذف النون. أما فى الآية الثانية فدعواهم أنهم أولياء لله من دون النّاس، وهى دعوة قاصرة مترددة، وليست كالدعوى الأولى فى عظمها، فاقتصر فى الرد عليهم بحرف النفى «لا» وهو لم يؤثر فى الفعل المضارع بعده فناسب الآية الأولى «لن» وهى الأقوى فى النفى من «لا» وناسب الثانية «لا».

﴿ س٣٤: قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة: ١١١)، ما سر جمع أمنية فى قوله «أمانى» مع أنها أمنية واحدة هى: ﴿لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى﴾ ؟

﴿ الجواب: إن أمنيتهم أن لا يدخل الجنة غيرهم، هذه واحدة من أمانى متعددة وردت فى الآيات السابقة وهى:

١- أن لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم فى قوله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلاَ الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (البقرة: ١٠٥).

٢- أن يردوا المؤمنين كُفَّاراً فى قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ (البقرة: ١٠٩) . هذه أمانيهم، فلهذا اجتمعت فى الآية.

﴿ **س٣٥: قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾ (البقرة: ١٢٠)، وقال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: ١٤٥)، وقال تعالى فى سورة الرعد: ﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ وَاقٍ﴾ (الرعد: ٣٧).**

قال تعالى فى الآية الأولى: ﴿بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾، وقال فى الثانية: ﴿من بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾، فما سر مجىء اسم الموصول «الذى» فى الآية الأولى، وإبداله بالحرف «ما» وزيادة «مِنْ» قبل «بعد» فى الآية الثانية، وفى الآية الأخيرة جاء بـ« ما» ولم يزد «مِنْ»؟

﴿ الجواب: لقد جعل مكان «الذى» حرف «ما» وزاد «مِنْ»؛ لأن العلم فى الآية الأولى علم بالكمال وليس وراءه علم؛ لأن معناه: بعد الذى جاءك من العلم بالله وصفاته. وبأن الهدى هدى الله ومعناه: بأن دين الله الإسلام، وأن القرآن كلام الله، وكان لفظ «الذى» أليق من لفظ «ما»؛ لأنه فى التعريف أبلغ، وفى الوصف أقعد؛ لأن الذى تعرّفه صلته فلا ينكّر قط، فيكتنف «الذى» بيانان: الإشارة والصلة، ويلزمه الألف واللام، ويثنى ويجمع، وأمّا «ما» فليس له شىء من ذلك؛ لأنه يتنكر مرة ويتعرف أخرى، ولا يدخله الألف واللام، ولا يثنى ولا يجمع. وخص الثانى «بما» لأن المعنى: من بعد ما جاءك من العلم بأن قبلة الله هى الكعبة. وذلك قليل من كثير من العلم. وزيدت معه «مِن» التى لابتداء الغاية؛ لأن تقديره: من الوقت الذى جاءك فيه العلم

بالقبلة؛ لأن القبلة الأولى نسخت بهذه الآية، وليس الأول مؤقتاً بوقت، وقال في الآية الثالثة «بعد ما جاءك»، فعبَّر بلفظ «ما» ولم يزد «مِنْ»؛ لأن العلم ههنا هو الحكم العربي أى القرآن، وكان بعضاً من الأول ولم يزد فيه «مِنْ»؛ لأنه غير مؤقت، وقريب من معنى القبلة ما في آل عمران ﴿مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ (آل عمران: ٦١)، فلهذا جاء بلفظ «ما» وزيد فيه «مِنْ»)[1].

س٣٦: قال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ (البقرة: ١٢٤) لقد قُرِئ بنصب «إبراهيم» على أنه مفعول به، ورفع «ربُّه» على أنه فاعل، فما سر تقديم المفعول على الفاعل؟

الجواب: من قواعد اللغة العربية أنه يجب تقديم المفعول وتأخير الفاعل في أحوال متعددة، منها: أن الفاعل إذا اقترن بضمير يعود على متأخر لفظاً ورتبة، وجب تقديم المفعول به وتأخير الفاعل، كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ (غافر: ٥٢)، وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ﴾ (السجدة: ٢٩).

والكلمات على قراءة نصب «إبراهيم» هي: خمسٌ في الرأس: قص الشارب وإعفاء اللحية والسواك والمضمضة والاستنشاق. وخمسٌ في الجسد: الختان وتقليم الأظفار ونتف الإبط وحلق العانة والاستنجاء. ومعنى «فأتمهن» أى قام بهن حق القيام، وأداهن أحسن تأدية من غير تفريط وتوان. ويكون معنى: ﴿ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ﴾ اختبره بالأوامر والنواهي. ولقد قرأ ابن عباس (برفع «إبراهيم» ونصب «ربه»، وبها قرأ الإمام أبو حنيفة، وتوجيه هذه القراءة أن إبراهيم دعاه بكلمات من الدعاء، وهو كفعل المختبر هل يجيبه إليهن أم لا؟ والكلمات هي: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾، وقوله: ﴿وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾، وقوله: ﴿وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ﴾، وقوله: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾، ويكون معنى «فأتمهن» في قراءة ابن عباس وأبي حنيفة: فأعطاه ما طلبه مستوفياً من غير أن ينقص من سؤاله شيء)[2].

س٣٧: قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾ (البقرة: ١٢٠)، وقال تعالى: ﴿وَلاَ تُؤْمِنُواْ إِلاَّ لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ﴾ (آل عمران: ٧٣). قال في الآية الأولى ﴿إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾، وقال في الثانية: ﴿إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ﴾، فما سر التعبيرين؟

---

(١) بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز جـ ١ ص١٤٦، ١٤٧، بتصريف.

(٢) تفسير النسفي جـ ١ ص٨٦ بتصريف.

﴿الله﴾ **الجواب:** إن فى الجملة الأولى من اللطائف ما ليس فى الثانية، فاسم «إنَّ» فى الآية الأولى معرفة، فهو مضاف إلى لفظ الجلالة، فاكتسب الهدى بإضافته إلى لفظ الجلالة بعداً بعيداً فى الهداية، وأتى بضمير الفصل «هو» للتوكيد، وعُرِّف خبر «إنَّ» بأل فأفاد القَصْرَ، وهذا ما ليس فى الآية الثانية، وأيضاً فى الجملة الثانية ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ﴾، خصص المبتدأ بالخبر «هدى الله»، وتكون الجملة الأولى أتت على هذا الوجه لمراعاة عدم رضى اليهود وتمنيهم أن يتبع الرسول ﷺ ملتهم، فأتت الجملة بقوة فى أسلوبها لتوافق ذلك فلهذا ذُيِّلت الآية بقوله تعالى: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾.

س٣٨: قال تعالى: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ (البقرة: ١٢٦)، **وقال تعالى فى سورة إبراهيم:** ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾ (إبراهيم: ٣٥).

فما سر التنكير فى كلمة «بلداً» فى الآية الأولى، وتعريفها «بأل» فى الآية الثانية؟

﴿الله﴾ **الجواب: أن الآية الأولى فى سورة البقرة، وكان دعاء إبراهيم عليه السلام فيها قبل بناء البيت الحرام، وكان المكان وادياً غير ذى زرع كما صرحت بذلك الآيات القرآنية ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾. فنكّر «بلداً» لمراعاة «وادٍ». وفى الآية الثانية وهى فى سورة إبراهيم؛ كان الدعاء فيها بعد بناء البيت، فصار المكان معروفاً فناسب تعريف البلد.**

س٣٩: قال تعالى: ﴿قُولُواْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة: ١٣٦)، **و قال تعالى فى سورة آل عمران:** ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ٨٤)، **فما سر التعبير بقوله ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ فى الآية الأولى، وبقوله: ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ فى الآية الثانية؟**

﴿الله﴾ **الجواب: فى الآية الأولى حرف «إلى»، وهو يدل على الانتهاء، والكتب السماوية منتهية إلى الأنبياء وإلى أممهم، والخطاب فى الآية الأولى للأمة ﴿قُولُواْ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾، فالمناسب حرف «إلى»، أما الآية الثانية فجاء الحرف «على» وهو يدل على الاستعلاء والفوقية، وهو مختص بالأنبياء؛** لأن الكتب السماوية منزلة عليهم لا شركة للأمة فى النزول، والخطاب مختص فى الآية الثانية بالرسول ﷺ دون أمته ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾، فالمناسب كلمة «على».

﴿ﷲ﴾ **س٤٠: قال تعالى:** ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (البقرة: ١٣٤)، **كُرِّرَت هذه الآية، فما الذى أفاده التكرير؟**

﴿ﷲ﴾ **الجواب:** اسم الإشارة فى الآية الأولى أريد به إثبات ملة إبراهيم لجميع ذريته الواردة فى الآية، وسبقتها هذه الآية: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِلَـهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة: ١٣٣)، والآية الثانية لنفى اليهودية والنصرانية عن إبراهيم وعن ذريته، ولقد أوضحت الآية السابقة عليها هذا، قال تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللّهِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ. تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ (البقرة: ١٤٠).

﴿ﷲ﴾ **س٤١: قال تعالى:** ﴿فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَواْ﴾ (البقرة: ١٣٧)، **المؤمنون آمنوا بالله، فكيف يؤمن غيرهم بمثل الله ﷻ، وهو القائل:** ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١)، **فالله ليس له مثيل ولا شبيه؟**

﴿ﷲ﴾ **الجواب:** الباء فى «بمثل» زائدة للتوكيد كقول الله ﷻ ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ (مريم: ٢٥)، فيكون المعنى: فإن آمنوا مثل إيمانكم بالله وبالرسول وبما أنزل إليه، فقد اهتدوا.

﴿ﷲ﴾ **س٤٢: قال الله تعالى:** ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا قُل لِّلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (البقرة: ١٤٢).
ما سر إخبار القرآن بقول اليهود قبل أن يقولوه؟

﴿ﷲ﴾ **الجواب:** إن قولهم هذا فيه أذى للرسول ﷺ والمسلمين، ومفاجأة المكروه للإنسان فيه شدة وألم، لا سيما إن كان فى صميم العقيدة ورأس العبادة، فإذا أعلمَ اللهُ رسولَهُ بقول اليهود قبل وقوعه، كان فيه توطين للنفس على تحمل الأذى والتهيؤ لوقوعه، فيمر الخطب سهلاً.

﴿ﷲ﴾ **س٤٣: قال الله تعالى:** ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ اللّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ (البقرة: ١٤٨، ١٤٩)، **قوله تعالى:** ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾ **كررت فى الآيات فما سر ذلك؟**

﴿ﷲ﴾ **الجواب:** هذه الجملة وما بعدها كررت ثلاث مرات (قيل إن الأولى لنسخ القبلة، والثانية للسبب، وهو قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾، والثالثة للعلة وهى ﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾. وقيل الأولى فى مسجد المدينة، والثانية خارج المسجد، والثالثة خارج البلد. وقيل فى الآيات

خروجان: خروج إلى مكان ترى فيه القبلة، وخروج إلى مكان لا ترى أى الحالتين فيه سواء. وقيل إنما كررت لأن المراد بذلك الحال والزمان والمكان. وفى الآية الأولى ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُم﴾، وليس فيها ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾، وفى الآية الثانية ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾، وليس فيها ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُم﴾، فجمع فى الآية الثالثة بين قوله: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ و بين قوله ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُم﴾ ليعلم أن النبى والمؤمنين سواء[1].

س٤٤: قال تعالى: ﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (البقرة: ١٥٠)، **لقد أتى بـ «إلا» فلو كانت للاستثناء لأصبح «الذين ظلموا» لهم حجة دون بقية النَّاس، فما معناها؟ ولماذا أتى بها؟**

الجواب: «إلا» أداة استثناء ولها معان أخرى غير الاستثناء، وهى بمعنى الواو، وهى حرف عطف، وعلى ضوء ذلك يستقيم المعنى: لئلا يكون للناس عليكم حجة، والذين ظلموا كذلك ليس لهم حجة. وأتى بـ «إلا» دون الواو لتمييز الذين ظلموا عن بقية النَّاس، لأنهم ينسجرن حججاً وشبهاً بالظلم والجور ويبالغون فيها، ومع ذلك فهى واهية لا تثبت أمام أعاصير حجج الحق وبراهينه، وبعد أن تدحض تلك الشبه يظهر الحق أبلج.

س٤٥: قال الله تعالى: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَـئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة: ١٦٠)، **وقال تعالى فى سورة آل عمران وغيرها:** ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُواْ﴾ (آل عمران: ٨٩). **فليس فى الآية الأولى ﴿مِن بَعْدِ ذَلِكَ﴾ فما سر هذه الأساليب؟**

الجواب: لقد سبق الآية الأولى قولُ الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَـئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ﴾ (البقرة: ١٥٩). فجاء فى هذه الآية ﴿مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ﴾، فلو أعاد «من بعد» لوقع لبس فلم يذكر «من بعد ذلك» فى الآية الأولى.

س٤٦: قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾ (البقرة: ١٧٠).

وقال تعالى فى سورة المائدة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾ (المائدة: ١٠٤)، **وقال تعالى:** ﴿وَإِذَا

---

(١) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز، جـ ١ ص١٤٩.

قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ (لقمان: ٢١)، **فما سر انفراد الآية الأولى بلفظ «ألفينا»؟ ولِمَ ذكر فى الأولى: ﴿لاَ يَعْقِلُونَ﴾، وفى الثانية: ﴿لاَ يَعْلَمُونَ﴾، وفى الثالثة: ﴿أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ ؟**

الجواب: كلمة «ألفينا» تتعدى إلى مفعولين، فعلى سبيل المثال: ألفينا محمداً راكباً. و«وجد» تتعدى إلى مفعول واحد مرة وإلى مفعولين مرة أخرى، تقول: وجدت القلم، وتقول: وجدت الطفل نائماً، فهو مشترك، وكان الموضع فى الآية الأولى أولى باللفظ الأخص «ألفينا»؛ لأن غيره إذا وقع موقعه فى الآية الثانية والثالثة علم أنه بمعناه.

وأما التعبير فى الأولى بقوله: ﴿لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً﴾، وفى المائدة ﴿لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾، فالعلم أبلغ درجة من العقل، ولهذا يوصف الله تعالى بالعلم لا بالعقل، ولما كانت دعوى المشركين فى سورة المائدة أبلغ لقولهم ﴿حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ فادعوا النهاية بلفظ «حسبنا»، فنفى ذلك بالعلم وهو النهاية، وقال فى البقرة ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾، فلم يكن النهاية فنفى بما هو دون العلم؛ لتكون كل دعوى منفية بما يناسبها، وانتهت آية لقمان بما يناسبها بالآية قبلها، فقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ (لقمان: ٢٠)، فالذين يجادلون فى شأن الله بغير علم ولا كتاب منزل يهديهم فمنشأ جدالهم انصياعهم للشيطان، فناسب انتهاء الآية بعدها بقوله: ﴿أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ .

س٤٧: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ (البقرة: ١٧٣)، **وقال تعالى فى سورة المائدة: ﴿وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾** (المائدة: ٣)، **وقال تعالى فى سورة الأنعام: ﴿فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾** (الأنعام: ١٤٥)، **وقال تعالى فى سورة النحل: ﴿وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾** (النحل: ١١٥) **فما سر تقديم الجار والمجرور «به» فى الآية الأولى؟**

الجواب: تقديم حرف الجر هو الأصل؛ فإنه يجرى مجرى الهمزة والتشديد فى التعدى، وكان كحرف من الفعل، وكان الموضع فى الآية الأولى أولى بما هو الأصل ليعلم ما يقتضيه اللفظ، ثم قدم سواه ما هو المستنكر وهو الذبح لغير الله، وتقديم ما هو الغرض أولى، ولهذا جاز تقديم المفعول على الفاعل، والحال على ذى الحال، والظرف على العامل فيه، إذا أكثر فى الغرض أو فى الإخبار[1].

(١) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز، جـ ١ ص١٥٠ ، ١٥١

﷽ **س٤٨: قال تعالى**: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (البقرة: ١٧٣)، **وقال تعالى في سورة الأنعام**: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (الأنعام: ١٤٥)، **فما سر مجيء لفظ «الرب» في الآية الثانية؟**

﴿الله﴾ **الجواب**: إن لفظ الرب تكرّر في سورة الأنعام مرات، وورد فيها: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾، وفيها ذكر الحبوب والثمار، وأتبعها بذكر الحيوان من الضأن ومن المعز والإبل والبقر، وبها تربية للأجسام، فكان ذكر الرب أليق وأنسب للسياق.

﷽ **س٤٩: قال تعالى**: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَـئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (البقرة: ١٧٤)، **وقال تعالى**: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَـئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (آل عمران: ٧٧)، **فما سر اختصاص الثانية بقوله**: ﴿أُولَـئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ﴾ **وزاد فيها** ﴿وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ﴾؟

﴿الله﴾ **الجواب**: **سر اختصاص الآية الأولى بأنهم ﴿مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ﴾؛ لأن المنكر في هذه الآية أكبر، وهو كتمان نعت النبي ﷺ، وإنكار نبوته من أحبار اليهود، حتى لا يضيع ما يأتيهم من هدايا قومهم، كما يبين سبب نزول الآية وهو أنها (نزلت في رؤساء اليهود وعلمائهم، وذلك أنهم كانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا والمآكل، وكانوا يرجون أن النبي المبعوث منهم، فلما بُعث محمد ﷺ من غيرهم خافوا على ذهاب مالهم ورياستهم، فعمدوا إلى صفة محمد ﷺ فكتموها فأنزل الله هذه الآية)** [1].

فهذا المنكر أكبر فكان الوعيد أكبر ﴿أُولَـئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ﴾، أما في سورة آل عمران، فالمنكر فيها ليس بعظم هذا المنكر، فقد نزلت الآية فيمن حلف كاذباً أو حلف عند بيع سلعته، أو تبديل نعت النبي ﷺ، فكان قوله ﴿لاَ خَلاَقَ لَهُمْ﴾، أو إن شئت فقل: زاد في سورة آل عمران: ﴿وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ في مقابلة: ﴿مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ﴾.

﷽ **س٥٠: قال تعالى**: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى

---

(١) الفتوحات الإلهية جـ ١ ص١٣٩.

﴿وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ (البقرة: ١٧٧)، **ما سر التكرار فى قوله: ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى﴾، ﴿وَآتَى الزَّكَاةَ﴾ ؟**

الجواب: هذا التكرار يحتمل وجوهاً:

١- الدلالة على أن فى المال حقاً سوى الزكاة، وهى النوافل من الصدقات.

٢- أن التكرار يحتمل أمرين: **الأول**: الحث على الزكاة . **الثانى**: بيان مصارفه.

لطيفة: قال الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ (البقرة: ١٧٩).

لقد كان العرب أرباب فصاحة وأساطين بيان فظهر ذلك فى ميراثهم الأدبى من شعر ونثر وأمثال، ومن أمثالهم (القتل أنفى للقتل)، وأتى القرآن ليعجزهم فى الفنون التى برعوا فيها، وفى نص من نصوص القرآن ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾، نجد عظمة القرآن التى فاقت كل وصف، **فى مقارنة بين النص والمثل حتى يظهر لنا أن القرآن كلام الله، وإن كان ابن الأثير ينكر التفضيل بين كلام الخالق والمخلوق، ويقول : لا تشبيه بين الكلامين. بيد أننى أقول:**

حين نفضل كلام الله ﷻ على كلام البشر، وتظهر جوانب التفضيل تهتف العقول بأن القرآن ليس من كلام بشر، بل هو كلام الله حقاً.

جوانب التفضيل بين قوله ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾، وبين المثل «القتل أنفى للقتل» :

(الأول: أن ما يناظره من كلامهم وهو قوله «القصاص حياة» أقل حروفاً فإن حروفه عشرة وحروف «القتل أنفى للقتل» أربعة عشر.

الثانى: أن نفى القتل لا يستلزم الحياة، والآية ناصة على ثبوتها التى هى الغرض المطلوب منه.

الثالث: أن تنكير حياة يفيد تعظيماً فهو يدل على أن فى القصاص حياة متطاولة كقوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ (البقرة: ٩٦)، ولا كذلك المثل فإن اللازم فيه للجنس ولذا فسروا الحياة فيها بالبقاء.

الرابع: أن الآية فى القتل مطردة بخلاف المثل فإنَّه ليس كل قتل أنفى للقتل بل قد يكون أدعى له وهو القتل ظلماً وإنما ينفيه قتل خاص وهو القصاص ففيه حياة أبداً.

الخامس: أن الآية خالية من تكرار لفظ القتل الواقع فى المثل والخالى من التكرار أفضل من المشتمل عليه وإن لم يكن مخلاً بالفصاحة.

السادس: أن الآية مستغنية عن تقدير محذوف، بخلاف قولهم، فإن فيه حذف «مِنْ» التى بعد أفضل التفضيل وما بعدها، وحذف قصاصاً مع القتل الأول. وظلماً مع القتل الثانى. والتقدير القتل قصاصاً أنفى للقتل ظلماً من تركه.

السابع: أن فى الآية طباقاً لأن القصاص مشعر بضد الحياة بخلاف المثل.

الثامن : أن الآية اشتملت على فنٍ بديع وهو جعل أحد الضدين الذى هو الفناء والموت محلاً ومكاناً لضده الذى هو الحياة، واستقرار الحياة فى الموت مبالغة عظيمة.

التاسع: أن فى المثل توالى أسباب كثيرة خفيفة وهو السكون بعد الحركة. وذلك مستكره. فإن اللفظ المنطوق به إذا توالت حركاته، تمكن اللسان من النطق به، وظهرت فصاحته، بخلاف ما إذا يعقب حركةً سكونٌ؛ فالحركات تنقطع بالسكنات نظيره: إذا تحركت الدابة أدنى حركة فحبست ثم تحركت فحبست، لا يتبيَّن إطلاقها، ولا تتمكن من حركتها على ما تختاره، فهى كالمقيدة.

العاشر : أن المثل كالمتناقض من حيث الظاهر ؛ لأن الشىء لا ينفى نفسه.

الحادى عشر: سلامة الآية من تكرير قلقلة القاف الموجب للضغط والشدة، وبُعْدها عن غُنَّة النون.

الثانى عشر: اشتمالها على حروف متلائمة لما فيها من الخروج من القاف إلى الصاد، إذ القاف من حروف الاستعلاء، والصاد من حروف الاستعلاء والإطباق، بخلاف الخروج من القاف إلى التاء التى هى حرف منخفض فهو غير ملائم للقاف، وكذا الخروج من الصاد إلى الحاء أحسن من الخروج من اللام إلى الهمزة، لبُعد ما بين طرف اللسان وأقصى الحلق.

الثالث عشر: فى النطق بالصاد والحاء والتاء حسن الصوت، ولا كذلك تكرير القاف والتاء.

الرابع عشر: سلامتها من لفظ القتل المشعر بالوحشة؛ بخلاف لفظ الحياة، فإن الطباع أقبل له من لفظ القتل.

الخامس عشر: أن لفظ القصاص مُشعر بالمساواة، فهو منبئ عن العدل، بخلاف مطلق القتل.

السادس عشر: الآية مبنيّةٌ على الإثبات، والمثل على النفى، والإثبات أشرف؛ لأنه أول والنفى ثان عنه.

السابع عشر: أن المثل لا يكاد يُفهم إلاَّ بعد فهم أن القصاص هو الحياة، وقوله «فى القصاص حياة» مفهوم من أول وهلة.

الثامن عشر: أن المثل بناء أفعل التفضيل من فعل متعدٍّ، والآية سالمة منه – وهو أنفى – .

التاسع عشر: أن «أفعل» فى الغالب يقتضى الاشتراك، فيكون ترك القصاص نافياً للقتل، ولكن القصاص أكثر نفياً وليس الأمر كذلك، والآية سالمة من ذلك .

العشرون : أن الآية رادعة عن القتل والجرح معاً لشمول القصاص لهما، والحياة أيضاً فى قصاص الأعضاء؛ لأن قطع العضو ينقص مصلحة الحياة، وقد يسرى إلى النفس فيزيلها، ولا كذلك المثل.

الحادى والعشرون: فى أول الآية «لكم» وفيها لطيفة وهى: بيان العناية بالمؤمنين على الخصوص، وأن المراد حياتهم لا غيرهم لتخصيصهم بالمعنى مع وجوده فيمن سواهم) [1].

س٥١: قال تعالى : ﴿فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ١٨١)، **وقال تعالى**: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (البقرة: ١٨٢). **ما سر انتهاء الآية الأولى بقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، والثانية بقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ؟ ولقد تقدم فى الآية الثانية لفظ مفرد «موص»، ثم أتى بعده ضمير جمع «فأصلح بينهم» فعلام يعود ضمير الجمع؟**

الجواب: لقد انتهت الآية الأولى بقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، لمطابقة ما قبلها: ﴿بَعْدَمَا سَمِعَهُ﴾، وانتهت الآية الثانية بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، لمطابقة قوله : ﴿فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ .

والضمير فى قوله «بينهم» راجع إلى الورثة الذين أوصى الموصى لبعضهم، وهو يفهم من سياق الآية، أو هو راجع إلى الأبوين والقرابة للموصى.

س٥٢: قال تعالى : ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُواْ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ الصِّيَامَ إِلَى الَّليْلِ وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا﴾ (البقرة: ١٨٧).

وقال تعالى: ﴿الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلاَّ أَن يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا﴾ (البقرة: ٢٩٩).

فما سر التعبير فى الأية الأولى بقوله: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا﴾، وفى الآية الثانية

---

(١) الإتقان فى علوم القرآن جـ ٣ ص١٦٧ - ١٦٩.

بقوله: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا﴾ ؟ وما سر حذف النون في الأفعال الثلاثة «يخافا»، و«يقيما» الأول والثاني؟

الجواب: أن حدود الله في الآية الأولى نهي، وهو الوارد في قوله: ﴿وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ﴾، وإذا كانت حدود الله نهياً فيكون المطابق لها النهي عن المقاربة ﴿فَلاَ تَقْرَبُوهَا﴾ وهذا من قبيل المبالغة في النهي، وأما حدود الله في الآية الثانية فهي (أمر) وهو بيان عدد الطلاق بخلاف ما كان عليه العرب من المراجعة بعد الطلاق من غير عدد، وما كان أمراً كان المطابق ترك المجاوزة وهو الاعتداء ﴿فَلاَ تَعْتَدُوهَا﴾، وأما حذف النون في الأفعال الثلاثة فهي من الأفعال الخمسة اتصلت بها ألف الاثنين، وسبق الأول «أَنْ» وهي ناصبة نُصِبَ الفعل بعدها وعلامة نصبه حذف النون، والفعل الثاني سبقه «ألاَّ» وهي مكونة من «أن» الناصبة و«لا» النافية وأدغمت النون في اللام، والفعل منصوب وعلامة نصبه حذف النون، والفعل الآخر كالسابق معنىً وإعراباً.

س٥٣: قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ﴾ (البقرة: ١٨٩)، **وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾** (البقرة: ٢١٥)، **وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾** (البقرة: ٢١٧)، **وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾** (البقرة: ٢١٩)، **وقال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾** (البقرة: ٢١٩)، **وقال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾** (البقرة: ٢٢٠)، **وقال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾** (البقرة: ٢٢٢). **ما سر تجريد الآيات الأربع الأولى من الواو، وسر اقتران الآيات الثلاث بعدها بالواو؟**

الجواب: الأسئلة التي جُرِّدت من الواو وقعت حوادثها متفرقة، والأسئلة التي اقترنت بالواو وقعت حوادثها في وقت واحد، فجيء بحرف الجمع دلالة على ذلك.

س٥٤: قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ (طه: ١٠٥). **وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾** (البقرة: ١٨٦). **كل الأسئلة في الآيات السابقة في السؤال السابق كانت الإجابة «قل»، فما سر اقتران الفاء في قوله: ﴿ فَقُلْ يَنسِفُهَا﴾ . وما سر حذف «قل» في قوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ ؟**

الجواب: السؤال في قوله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ﴾ لم يسألوه بعد، والتقدير: لو سُئلتَ عن الجبال «فقل»، فاقترنت جملة جواب الشرط المقدَّر بالفاء لأن فعلها طلبي.

وأما حذف «قل» في الآية المذكورة، والذي جاء مخالفاً لعادة القرآن عند الإجابة على السؤال يأتي «بقل»، فلقد حذف في الآية إشارة إلى أن العبد إذا كان في حالة دعاء فإنَّه يكون في

أشرف المقامات، ولا واسطة بينه وبين مولاه، فلم يذكر «قل» فى آية الدعاء [1].

س٥٥: قال الله تعالى : ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: ١٩٣). **وقال فى سورة الأنفال: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾** (الأنفال: ٣٩). **فما سر تغيير الأسلوب فى الآيتين حيث قال فى الأولى: ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ﴾، وفى الثانية قال: ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه﴾ ؟**

الجواب : الأمر بالقتال فى الآية الأولى خاص بقتال أهل مكة، بدليل قوله تعالى فى الآية السابقة على تلك الآية ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ﴾ (البقرة: ١٩١). فكان السياق مناسباً أن يقول: ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ﴾ أما فى الآية الثانية فالأمر بالقتال لجميع الكفار فالمناسب للسياق أن يقول: ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه﴾.

س٥٦: قال تعالى : ﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾ (البقرة: ٢١١). **وقال تعالى: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُونَ لاَ تَأْتِيهِمْ﴾** (الأعراف: ١٦٣)، **وقال تعالى : ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾** (يوسف: ٨٢)، **كيف تغير فعل الأمر «سل» فى الآية الأولى، ولماذا فى تلك الآية؟**

الجواب : أصل الفعل «سل» هو «اسأل»، وهو الأصل الذى جاءت به الآيات القرآنية، وفى الآية الأولى حذفت الهمزة ونقلت حركتها وهى الفتحة إلى السين الساكنة ففتحت، واستغنى عن همزة الوصل فصار «سلْ»، وهو أمر للرسول ﷺ، أو كل من يصلح له الخطاب.

ووقع الحذف والنقل للتخفيف لأن الآية أتت بثلاث كلمات تشتمل على همزات، وهذه الكلمات هى «إسرائيل» و«آتيناهم» و«آية»، فحذفت الهمزة من الفعل «اسأل» لتخفيف الهمزات، وهذا ما نلمسه فى قوله تعالى: ﴿سَلْهُم أَيُّهُم بِذَلِكَ زَعِيمٌ﴾ (القلم: ٤٠)، **فحذفت الهمزة ووقع التغيير لوجود همزة بعدها.**

أما الآيات الأخرى فليست كذلك، ولذلك لم يدخلها حذف ولا تغيير.

---

(١) انظر: الإتقان فى علوم القرآن ، جـ ٣ ص٣٣٨

س٥٧: قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ (البقرة: ٢١٣). **متى كان النَّاس أمة واحدة ؟**

الجواب: (عن ابن عباس — رضى الله عنهما — : أنه كان بين آدم ونوح عشرة قرون على شريعة من الحق فاختلفوا) [١] فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين.

س٥٨: قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢١٥).

لم يأت الجواب مطابقاً للسؤال لأن السؤال عن «ماذا ينفقون» والجواب جاء عن بيان المصرف فما سر هذا؟

الجواب: لقد أتى الجواب على أبلغ وجه وعلى أكثر من السؤال، فالآية تضمنت كلمة «من خير» فى قوله: ﴿قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ﴾ وهو عام ينفقون كل ما هو خير وفضلاً على هذا تضمنت الآية مصارف الإنفاق حتى تزيل ما فى نفوسهم من جهل فلا يسألون عن المصارف.

س٥٩: قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ (البقرة: ٢١٩)،

هل جاء الجواب موافقاً للسؤال وهل العفو ينفق؟

الجواب: نعم : جاء الجواب موافقاً للسؤال ومعنى السؤال : ما قَدْرُ الإنفاق؟ وجاء الجواب موافقاً له والمراد بالعفو هنا ما سَهُل وتيسَّر وفضل عن الحاجة فليس فيه إيذاء للمنفق.

س٦٠: قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ، فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ (البقرة ٢١٩، ٢٢٠)، **وقال تعالى فى سورة البقرة أيضاً :** ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (البقرة: ٢٦٦).

ما السر فى تجريد الآية الثانية من قوله: ﴿فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ ؟

الجواب: لقد بين الله فى الآية الأولى متعلق التفكر وهو قوله: ﴿فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾، وحذفه مما بعده للعلم به.

س٦١: قال تعالى: ﴿وَلاَ تَنكِحُواْ الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلاَ تُنكِحُواْ الْمُشِرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُواْ﴾ (البقرة: ٢٢١). **الفعل الأول «تَنْكحوا» بفتح التاء وسكون النون والفعل الثانى «تُنكِحُواْ» بضم التاء وسكون النون، فما سر ذلك؟**

(١) الكشاف جـ ١ ص٤٢١.

﴿﴾ **الجواب :** الفعل الأول فعله الماضى ثلاثى «نكح» فإذا جىء بمضارعه فإنّه يفتح أوّله كقولك: ضرب فعله المضارع يضرب بفتح أوله. وأما الفعل الثانى فقد جاء بضم أوله لأن فعله الماضى رباعى وهو «أنكح» والفعل الماضى إذا كان رباعياً يأتى مضارعه مضموم الأول كما تقول: دَحْرَج فعله المضارع: يُدَحرج، بضم أوله.

لطائف :

اللطيفة الأولى:

قال تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَآؤُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ، وَإِنْ عَزَمُواْ الطَّلاَقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٢٦ ، ٢٢٧). هذه الآيات تبين باباً من أبواب الفقه فى كتاب النكاح هو الإيلاء، وصورته أن يحلف الرجل أن لا يطأ زوجته أربعة أشهر فأكثر، فإن فعل ذلك ترفع الزوجة أمرها إلى القاضى، فيخيره بين الفىء أى الرجوع إلى زوجته والتكفير عن يمينه وبين الطلاق **﴿فَإِنْ فَآؤُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ، وَإِنْ عَزَمُواْ الطَّلاَقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ لأن المرأة لا تستطيع أن تصبر أكثر من أربعة أشهر (خرج عمر بن الخطاب من الليل فسمع امرأة تقول:**

تطاول هذا الليل واسود جانبه ∴ وأرّقَني أنْ لا خليلَ ألاعِبُهْ

ألاعبُهُ طَوْراً وطَوْراً كأنَّمَا بَدا ∴ قمراً في ظُلْمَةِ اللَّيلِ حَاجِبُهْ

يُسَرُّ به من كان يلهو بقربه ∴ لطيفَ الحَشَا لا يحتويه أقاربُهْ

فو الله لولا الله لا شَيءَ غيرُهُ ∴ لنقض من هذا السرير جوانبُهْ

ولكنني أخشى رقيباً مُوَكّلاً ∴ بأنفاسنا لا يَفْتُرُ الدَّهْرَ كَاتِبُهْ

مَخَافَةَ ربِّي والحياءُ يصُدُّني ∴ وإكرامُ بَعْلي أن تُنَال مَرَاكِبُهْ

فسأل عمر ابنته حفصة رضى الله عنها كم أكثر ما تصبر المرأة عن زوجها فقالت ستة أشهر أو أربعة أشهر فقال عمر لا أحبس أحداً من الجياش أكثر من ذلك) [1].

اللطيفة الثانية :

(ثبت فى الصحيح أن النبى ﷺ آلى من نسائه شهراً، وصار فى مشربة له فلما أكمل تسعاً وعشرين نزل على أزواجه صبيحة تسع وعشرين فقالت عائشة رضى الله عنها: إنك آليت شهراً. فقال : إن الشهر تسع وعشرون»

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ١ ص٢٦٩.

أخبرني محمد بن قاسم العثماني غير مرة «وصلت الفسطاط مرة فجئت مجلس الشيخ أبي الفضل الجوهري وحضرت كلامه على النّاس. فكان مما قال في أول مجلس جلست إليه: إن النبي ﷺ طلّق وظاهر وآلَى. فلما خرج تبعته حتى بلغت منه إلى منزله في جماعة فجلس معنا في الدهليز وعرّفهم أمري، فإنّه رأى إشارة الغربة ولم يعرف الشخص قبل ذلك في الواردين عليه فلما انفض عنه أكثرهم قال لي: أراك غريباً هل لك من كلام؟ قلت: نعم، قال لجلسائه أفرجوا له عن كلامه. فقاموا وبقيت وحدي معه، فقلت له: حضرت المجلس اليوم متبركاً بك وسمعتك تقول: آلَى رسول الله ﷺ، و صدقت وطلق رسول الله ﷺ وصدقت، وقلت: وظاهر رسول الله ﷺ. وهذا لم يكن ولا يصح أن يكون. لأن الظهار منكر من القول وزورٌ، وذلك لا يجوز أن يقع من النبي ﷺ فضمني إلى نفسه وقبّل رأسي، وقال لي أنا تائب من ذلك. جزاك الله عني من معلم خيراً. ثم انقلبت عنه وبكّرت إلى مجلسه في اليوم الثاني. فألفيته قد سبقني إلى الجامع وجلس على المنبر فلما دخلت من باب الجامع ورآني نادى بأعلى صوته: مرحباً بمعلمي، أفسحوا لمعلمي، فتطاولت الأعناق إليّ وحدقت الأبصار نحوي، وتعرفني يا أبا بكر، يشير إلى عظيم حيائه فإنّه كان إذا سلّم عليه أحد أو فاجأه خجل لعظيم حيائه واحمرّ حتى كأن وجهه طُلي بجلنار، قال: وتبادر النّاس إليّ يرفعونني على الأيدي ويتدافعونني حتى بلغت المنبر وأنا لَعَظيم الحياء لا أعرف في أي بقعة أنا من الأرض، والجامع غاصٌ بأهله وأسال الحياء بدني عرقاً، وأقبل الشيخ على الخلق فقال لهم: أنا معلمكم وهذا معلمي. لمّا كان بالأمس قلت لكم: آلَى رسول الله ﷺ، وطلّق رسول الله ﷺ وظاهَرَ. فما كان أحدٌ منكم فقه عني ولا ردّ عليّ. فاتبعني إلى منزلي وقال لي كذا وكذا وأعاد ما جرى بيني وبينه وأنا تائب عن قولي بالأمس. راجعٌ عنه إلى الحق فمن سمعه ممن حضر فلا يعوّل عليه ومن غاب فليبلغه من حضر فجزاه الله خيراً» [1].

س٦٢: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة: ٢٣٤).

و قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِيَ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ﴾ (البقرة: ٢٤٠).

ما سر الأسلوب في الآية الأولى بقوله: (بالمعروف) وفي الثانية (من معروف)؟

---

(١) أحكام القرآن جـ ١ ص١٨٢، ١٨٣.

﴿ﷺ﴾ **الجواب :** فى الآية الأولى الكلام فيه تقدير. فالتقدير : فيما فعلن فى أنفسهن بأمر الله وهو المعروف، وفى الثانية المعنى فيما فعلن فى أنفسهن من فعل من أفعالهن معروف أى جاز فعله شرعاً [1].

والذى أراه :

الجواب من وجهين :

الأول: أن الآية الثانية هى الأولى فى النزول فحكمها سابق على حكم الآية الأولى، وحكمها يبين عدة المتوفى عنها زوجها، وكانت حولا ثم نُسخ هذا الحكم بحكم الآية الأولى. فصار حكم عدة المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشرا، فالتعبير فى الآية الثانية المتقدمة فى النزول بالتنكير (مِن مَّعْرُوفٍ) فى قوله : ﴿فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِيَ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ﴾ أى: لا إثم عليكم فيما يفعل المعتدات بعد انقضاء الحول فى أنفسهن من الزينة وإظهار رغبتهن فى الزواج فى إطار ما تعارفتم عليه بينكم، وصار عرفاً لديكم، وعبر عن هذا بقوله : (من معروف) بالتنكير، ثم لما عرّف هذا وصار معرفة عبر عنه بالتعريف فى الآية الأولى المتأخرة فى النزول عن الآية الثانية.

الثانى: أنه عبَّر بالمعروف وهو معرفة فى الآية الأولى لأنه تكرر فى الآية السابقة على هذه الآية، قال تعالى: ﴿وَعلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾، وقال ﴿فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ﴾ وقال: ﴿فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ .

أما الآية الثانية فجاءت بالتنكير (من معروف) لأن الأسماء المنكرة سبقت هذه الكلمة وهى (وصية) و(متاعاً) و(إخراج) فأتت الكلمة نكرة.

ﷺ **س٦٣ : قال تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ﴾** (البقرة: ٢٤٩)، **أراد فمن شرب منه فليس منى ومن لم يشرب فإنَّه منى. فلماذا عبَّر عن قوله (ومن لم يشرب) بقوله ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾ والماء مشروب وليس مطعوماً؟**

﴿ﷺ﴾ **الجواب :** عبَّر عن قوله « ومن لم يشربه» بقوله ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾ لأن الاستطعام هنا بمعنى وجود الطعم بالفم ونفيه بقوله «ومن لم يطعمه» أبلغ من أن يقول «ومن لم يشربه فإنه منى» لأن الإنسان قد يستطعم الماء ويتذوقه دون أن يشرب.

---

(١) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز جـ ١ ص١٥٤ ، ١٥٥.

لطيفة : وردت في الآية السابقة كلمة «غُرفة» وهي ما يغترفه الإنسان بكفه، وهي في هذه القراءة بضم الغين: (أخرج ابن عساكر – رحمه الله– عن الأصمعي قال: لما قرأ أبو عمرو – رحمه الله– ﴿إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾ قال له الحجاج بن يوسف الثقفي: ائتني بنظير لها من كلام العرب وإلاّ ضربت عنقك. فهرب منه فبينما هو مهموم إذ سمع أعرابياً ينشد هذه الأبيات:

يا قليلَ العزاء في الأهوال ∴ وكثير الهموم والأوجال

صَبِّر النفسَ عند كلِّ مُلِمٍّ ∴ إن في الصبر حيلةَ المحتال

لا تضيقنَّ بالأمور فقد تكـ ∴ ـشفُ لأوْاؤها بغير احتيال

ربما تجزع النفوسُ من الأمـ ∴ ـر له فُرْجَةٌ كَحَلِّ العِقال

قد يُصابُ الجَبَانُ في آخر الصَّفِّ ∴ وينجو مُقَارِعُ الأبطال

فقال له ما وراءك يا أعرابي؟ قال: مات الحجاج . قال فلا أدرى بأيهما أفرح بموت الحجاج أو بقوله «فُرْجَةٌ» – في البيت الرابع – لأني كنت أطلب شاهداً لاختيار هذه القراءة)[1].

س٦٤: قال تعالى: ﴿اللّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ﴾ (البقرة: ٢٥٥).

ما سر تقديم السِّنَة على النوم مع أن قياس المبالغة تقديم النوم على السِّنَةِ؟

الجواب : لقد قدّم السِّنَة على النوم باعتبار ترتيب الوجود فالسِّنَةُ تسبق النوم، فهذا على حَدِّ قوله : ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا﴾ (الكهف: ٤٩) فالمراد لا تأخذه سنة ولا نوم أي أنه محيط ومُحْصٍ لكل شيء كائناً ما كان ولما عبّر بالأخذ الذي هو بمعنى الغلبة وجب تقديم السنة على النوم كقولك: فلان لا يغلبه أمير ولا ملك، أو قولك: لا يغلبه وزير ولا رئيس.

س٦٥ : قال تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِـي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَـكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ (البقرة: ٢٦٠). كيف يسأل إبراهيم هذا السؤال عن البعث وهو نبي وهذا الأمر من أصول العقيدة ؟

الجواب : لم يكن منشأ السؤال عند الخليل عليه السلام هو الشك فهو نبي والأنبياء معصومون من الشك فيما يتعلق بذات الله وبأصول العقيدة ولقد نفى الرسول ﷺ الشك عن إبراهيم عليه السلام، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «نَحْنُ أَحَقّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ ﷺ إِذْ قَالَ: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾. قَالَ: وَيَرْحَمُ اللَّهُ لُوطا، لَقَدْ كَانَ يَأْوِي

(١) حاشية الشهاب جـ ٥ ص٢٨٢.

إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ، وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ طُولَ لَبْثِ يُوسُفَ لأَجَبْتُ الدَّاعِيَ»[1]. قال الإمام النووى فى معنى « نَحْنُ أَحَقّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ»: (اختلف العلماء في معنى نحن أحق بالشك من إبراهيم على أقوال كثيرة، أحسنها وأصحها ما قاله الإمام أبو إبراهيم المزَنيُّ صاحب الشافعي وجماعات من العلماء، ومعناه أن الشك مستحيل في حق إبراهيم، فإن الشك في إحياء الموتى لو كان متطرقا إلى الأنبياء لكنت أنا أحق به من إبراهيم، وقد علمتم أني لم أشُكَّ، فاعلموا أن إبراهيم عليه السلام لم يشُكَّ، وإنما خص إبراهيم لكون الآية قد يسبق إلى بعض الأذهان الفاسدة منها احتمال الشك، وإنما رجَّحَ إبراهيمَ على نفسه تواضعاً وأدباً. أو قبل أن يعلم ﷺ أنه خير ولد آدم)[2].

وقيل إن سبب سؤال إبراهيم (أن نمروذ لما قال: أنا أحيى وأميت، قال إبراهيم: إن إحياء الله تعالى برد الأرواح إلى الأجساد، فقال نمروذ: هل عاينته؟ فلم يقدر على أن يقول نعم، فانتقل إلى تقرير آخر، ثم سأل ربه أن يريه ذلك) [3].

ولم يرض أبو السعود فى تفسيره هذا السبب فقال (يأباه – أى هذا السبب – تعليل السؤال بالاطمئنان)[4] وهو قول إبراهيم فى الرد على ربه: ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾. وبعد نفى الريبة عن إبراهيم بقى الجواب عن السبب فى سؤال إبراهيم، قال الله لإبراهيم: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىَ﴾ أى: علمت وآمنت بأنك قادر على إحياء الموتى، ولكن سألت ليطمئن قلبى باجتماع دليل العيان إلى دلائل الإيمان. وطلب المعاينة هذا فيه تلبية لما جبلت عليه النفوس البشرية من رؤية ما أُخْبِرَتْ به.

س٦٦: قال تعالى: ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ (البقرة: ٢٦٠). **لماذا كان الإحياء للطير دون الحيوان؟ ولماذا كان العدد أربعة؟ ولماذا قال (سعياً) ولم يقل (طيراً) ليناسب طبيعة الطير؟**

الجواب: (تخصيص الطير بذلك لأنه أقرب إلى الإنسان، وأجمع لخواص الحيوان ولسهولة تأتّى ما يفعل به من التجزئة والتفريق) [5].

(١) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١٥ ص١٧٩

(٢) المرجع السابق ص٢٤١ – ٢٤٢.

(٣) تفسير أبى السعود جـ ١ ص٢٥٦.

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق: جـ ١ ص٢٥٦.

وأيضاً قيل: (إن الطير همته الطيران في السماء والخليل كانت همته العلو)[1].

وهذه الطيور هي: الطاووس والديك والحمامة، وقيل نسر بدل الأخير. وقيل غير ذلك.

وتخصيص العدد بأربعة مع أن الطمأنينة تحصل بإحياء واحد منها (قيل: إن الخليل إنما سأل واحداً على عدد العبودية، فأعطى أربعاً على قدر الربوبية. وقيل: إن الطيور الأربعة إشارة إلى الأركان الأربعة التي منها تتركب أركان الحيوان)[2].

وأما التعبير بكلمة (سعيا) بدل (طيرا) لأن السعي أدل في قدرة الله من قوله: «طيرا» لأنها تعطي أمرين: الطير لأنه من طبيعة الطيور، وتعطي السعي، بخلاف «طيرا» فإنها تدل على الطير فقط.

س٦٧: قال تعالى: ﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (البقرة: ٢٧١).

أتى بـ «من» قبل «سيئات» وفي غيرها من الآيات جردت منها فما سر مجيئها هنا؟

الجواب: أتت «من» في هذه الآية موافقة للآيات بعدها لأن بعدها ثلاث آيات مقترنة بمن على التوالي فكررت، وهذه الآيات ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلأنفُسِكُمْ﴾، ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾، ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾.

س٦٨: قال تعالى: ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاء وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاء وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: ٢٨٤)، فالفعل (يغفر) مقدَّم على الفعل (يعذِّب)، وهو في جميع السور كذلك إلاَّ ما ورد في سورة المائدة في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَاء وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاء وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (المائدة: ٤٠)، فما سر تقديم (يعذب) في سورة المائدة؟

الجواب: آية سورة المائدة وردت ضمن الآيات التي تحدثت عن جريمة السرقة. وعذاب السارق والسارقة يقع في الدنيا بإقامة الحد عليهما فقدَّم لفظ العذاب، وفي غيرها من الآيات قدم الفعل (يغفر) فضلاً من الله ورحمة بعباده حتى يسرعوا إلى مغفرته.

س٦٩: قال تعالى: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ (البقرة: ٢٨٦)، قوله ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ من الخير أي الثواب ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ من الشر أي من الوزر. فلِمَ خص الخير بالكسب والشر بالاكتساب؟

الجواب: لما كان معظم ما تشتهيه النفس شراً وهي تنجذب إليه، والنفس أمَّارة بالسوء، كانت أشد حباً له فاجتهدت في تحصيله وعملت على تحقيق دوافعه، فجعلت لذلك مكتسبة،

(١) فتح القدير جـ ١ ص٣٥٤.

(٢) المرجع السابق.

ولما كان موقفها من الخير غير ذلك وصفت بما لا دلالة فيه على العمل والتحصيل، فكان «لها ما كسبت».

س٧٠: كيف ينزل كتاب سماوى يسمى سورة باسم حيوان كالبقرة والفيل والأنعام، أو حشرة مثل النحل والنمل والعنكبوت؟

الجواب: لقد نزل القرآن من عند فاطر السموات والأرض، وهو الذى شق أنهار الأرض وأخرج نبتها وسوَّى ثمار أشجارها، وخلق دوابها، وبَرأ طيرها وأبدع حشراتها، وجعل كل ما فى السموات وما فى الأرض مسخراً للإنسان، قال تعالى مذكراً بذلك: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ (لقمان: ٢٠).

فالإنسان مرتبط ببيئته ارتباط الرضيع بأمه، فبخيراتها يحيا، وعلى مواردها يقيم، ومرد جسده إلى ترابها، فحين يأتى القرآن بمنهجه وقوانينه لا يخرج عن البيئة الفطرية، وليس فى القرآن عيب أن يُنَزِّل الله فيه سورة تسمى **بالبقرة**.

نعم هى حيوان ولكنها كانت آية على قدرة الله وعلمه ووحدانيته وفضله على خلقه. فالسورة سميت باسم هذا الحيوان الذى كان آية على البعث والنشور. فكان بعثاً عملياً فى الدنيا، فلقد قُتِلَ رجلٌ ثرى فى بنى إسرائيل، وطُمِسَتْ معالم الجريمة، والذين قتلوه هم بعض ورثته حتى يسرعوا بالإرث، فأمر الله بنى إسرائيل على لسان نبيهم أن يذبحوا بقرة، وبعد محاورتهم وجدالهم اهتدوا إلى البقرة فذبحوها، وأخذوا جزءاً منها. وضربوا القتيل به فأحياه الله تعالى. وأخبر بمن قتله فهذا بعث عملى لأصل من أصول الشرائع كلها، فصارت البقرة معلماً من معالمه فسميت السورة باسم هذا الحيوان.

أما عن الفيل: فإنه مَعْلَم على انتقام الله ممن يفكر فى الاعتداء على ما لله ﷻ، فقد خرج أبرهة فى خميس[1] عظيم يتقدمه الفيل محمود. وولَّوا وجوههم نحو بيت الله فى مكة ليهدموه ويأخذوا حجارته إلى الحبشة. ولقد سطر التاريخ حواراً دار بين عبد المطلب جَدِّ رسول الله ﷺ وبين أبرهة حين أخذ جنوده إبل عبد المطلب . فذهب عبد المطلب إليه وطلب الإبل. فقال أبرهة: جئتَ تسأل عن الإبل ولا تسأل عن البيت؟ فقال له: أما الإبل فأنا ربها، وللبيت رب يحميه. وحين هموا بالاقتراب من البيت برك الفيل وأبى أن يتجه نحو البيت . وأرسل الله

---

(١) الخميس: هو الجيش العظيم.

عليهم طيراً أبابيل -أى فى جماعات قتالية- ترميهم بحجارة من جهنم، فجعلهم الله كعصف مأكول، أى كورق الزرع إذا أكلته الدواب فرمت به إلى أسفل. شُبِّه تقطع أوصالهم بالتبن.

فلما كان للفيل دوره فى هذه الموقعة سميت السورة باسمه حتى يكون مَعْلَماً على انتقام الله من كل من تُسَوِّل له نفسه أن يعتدى على ما لله ﷻ .

أما عن تسمية بعض السور بالحشرات، فلقد سميت **سورة النمل** باسم هذه الحشرة الصغيرة الدقيقة، والنمل عالم يختلف باختلاف أنواعه وأجناسه وألوانه، وهو عالم له نُظُمُهُ، ولكل أمة منه مملكتها، قال الله ﷻ: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ، حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ (النمل: ١٧ ، ١٨). فمن تأمل الآية أدرك أن للنمل لغته التى يتعامل بها، ويبدو أن النملة من النمل الكشاف لواديها، **ولقد أتعب العلماء أنفسهم ومنهم «ديكنسون» الذى أثبت أن للنمل لغته، فلو قرأ القرآن وتأمله لخر ساجداً لله ﷻ .**

روى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: قرصت نملة نبياً من الأنبياء فأمر بقرية النمل فأحرقت فأوحى الله إليه أن قرصتك نملة فأحرقت أمة من الأمم تسبح» [(١)].

أما عن تسمية سورة النحل باسم هذه الحشرة الطائرة فهى لفتة إلى عالم النحل ونظامه الدقيق الذى يدعو إلى التأمل والتعجب من نواميس الخلية الواحدة، ووظائف كل فريق فى الخلية. وكيف تُعامل الملكة؟ وكيف تخرج للتلقيح فى وسط زفة من النحل؟ وكيف يحظى ذكر من بين الذكور بهذا الشرف الذى يدفع حياته ثمناً له؟ وعن الغذاء الملكى الخاص فحدِّث عن آثاره ولا حرج، وكيف تقع مذبحة الذكور؟ وفى أى وقت من أوقات السنة؟ إنه عالم عجيب تبرز فيه يد الصانع وتظهر حكمته، لقد لفتت هذه الآية الأنظار إلى هذا العالم العجيب: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ، ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ (النحل: ٦٩). ثم يصدِّر هذا العالم العجيب دواءً وغذاءً لا يقوم بإعداده وتركيبه إلاَّ هذا العالَم، وهو شفاء لكل داء، فهو نعمة من الله على الخلق، فحين يسمى الله سورة باسم حشرة؛ فإنَّه يلفت الانتباه إلى قدرة الله

---

(١) البخارى جـ ٤ ص٧٥ ، ٧٦

التى خلقت وأبدعت هذا المخلوق الصغير.

أما عن **سورة العنكبوت** فلقد سُميت باسم تلك الحشرة، وهى من أشرس الحشرات التى تفتك بكثير من الحشرات الأخرى، وكيف تترقب فريستها، وكيف تنسج لها الشَرَكَ الذى تتعثر فيه فتنقض عليها؟! وكيف تضع فمها فى عنق فريستها حتى تسكن فتحملها إلى مأواها؟!

أما سبب تسمية السورة باسمها فلأنها وردت فى تلك السورة، فالله ﷻ يشبه الذين اتخذوا من دون الله آلهة يعبدونها ويسألونها فإنهم اتخذوا شيئاً لا قيمة له ولا قوة، ولا شىء يدانيه فى الوهى والوهن، كبيت العنكبوت لا يحميها من الحر ولا يقيها من البرد، فهذه الآلهة لا تنفع ولا تضر هكذا سميت السورة باسم تلك الحشرة.

إنه كتاب منزل من لدن حكيم عليم، وكل آية منه تنطق بذلك.

(٣) سورة آل عمران

س١: ما مناسبة سورة آل عمران بسورة البقرة؟

الجواب: يقول الإمام البقاعى : (لما نزَّل إلينا كتابه – آى القرآن – فجمع مقاصده فى الفاتحة – أمّ الكتاب – على وجه أرشد فيه إلى سؤال الهداية ثم شرع فى تفصيل ما جمعه فى الفاتحة فأرشد فى أول البقرة إلى أن الهداية فى هذا الكتاب وبيّن ذلك بحقيقة المعنى والنظم كما تقدم إلى أن ختم البقرة بالإخبار عن خُلّص عباده بالإيمان المنزل بالسمع والطاعة وأفهم ذلك مع التوجه بالدعاء إلى المنزِّل لأن له سبحانه وتعالى كل شىء وبيده النصر علم أنه واحد لا شريك له حى لا يموت قيوم لا يغفل وأن ما أنزل هو الحق فصرَّح فى أول هذه – أى آل عمران – بما أفهمه فى آخر تلك – أى سورة البقرة – كما يصرِّح بالنتيجة بعد المقدمات المنتجة لها) [1].

س٢: قال تعالى : ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ، مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ (آل عمران: ٣ ، ٤) **لماذا ذكر القرآن مرتين «الكتاب، الفرقان» ؟**

الجواب: ذكر الكتاب بأنه نزّله متلبساً بالحق وليس بالباطل وذكر الفرقان ثانياً على أنه هو الذى يفرق بين الحق والباطل.

س٣: قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ

(١) نظم الدرر فى تناسب: والسور جـ ٤ ص١٩٨ ، ١٩٩ بتصرف.

تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾ (آل عمران: ٧)، **وقال تعالى**: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (هود: ١)، **وقال تعالى**: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (الزمر: ٢٣).

ما سر وصف الكتاب فى الآية الثانية بكون آياته كلها محكمة ووصفه بكونه كله متشابهاً فى الآية الثالثة وفى الآية الأولى وصفت بعض آياته بكونها محكمة والأخرى متشابهة؟

الجواب: وصف آيات القرآن بكونها كلها محكمة فى الآية الثانية أنها كذلك. ومعنى الإحكام ما يأتى:

١- أنها أحكمت أى نُظِمَتْ نَظْماً محكماً دقيقاً لا يشوبها نقص ولا خلل يعكران صفو ألفاظها أو معانيها أو يجرح بلاغتها وفصاحتها.

٢- أن الإحكام معناه أحكمت آياته بالحجج الساطعة والدلائل القاطعة.

٣- أن معنى الإحكام أنه من الحكمة؛ لأنها مشتملة على أمهات الحكم العقلية والنظرية والعملية.

٤- أن الإحكام معناه أنه لم ينسخها كتاب من الكتب السماوية كالشرائع التى سبقته. وفى الآية الثانية وصف الكتاب بكونه متشابهاً كله . ومعناه: أنه يشبه بعضه بعضاً فى الحسن وصحة المعانى وقوة المبانى ، وبلوغه أعلى درجات البلاغة . أو يشبه بعضه بعضاً فى الإحكام كما سبق. وفى الآية الأولى جعلت بعض آياته محكمة والأخرى متشابهة. فالإحكام فيها معناه كما سبق. وهى معروفة المراد منها عند تلاوتها، أما الآيات المتشابهة فهى غير معروفة المراد، واستأثر الله بعلمها كالاستواء وفواتح السور التى بدئت بحروف التهجى وغير ذلك.

س٤: قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ، رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ (آل عمران: ٨ - ٩).
و قال تعالى: ﴿رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبْرَارِ ، رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ (آل عمران: ١٩٣ - ١٩٤)،

المناسب لانتهاء الآيات الأولى والثانية التعبير بكاف الخطاب: ﴿ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ ، فما سر انتهاء الآيات الأولى بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ ؟

﴿الله﴾ **الجواب:** (أظهر الاسم العظيم فى قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ لإبراز كمال التعظيم والإجلال الناشئ من ذكر اليوم المهيب الهائل، بخلاف ما فى آخر السورة، فإنَّه مقام طلب الإنعام، أو أن الإظهار للإشعار بعلة الحكم، فإن الألوهية منافية لخلف الوعد) [1].

و أيضاً أظهر الاسم من أجل الالتفات من الخطاب إلى الغيبة.

س٥: قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا﴾ (آل عمران: ١٣).

لِمَ لَمْ تلحق الفعلَ (كان) علامةُ التأنيث مع أن اسمه مؤنث؟

﴿الله﴾ **الجواب:** لم تلحق الفعلَ «كان» علامةُ التأنيث لأن اسمه «آية» مؤنث مجازى. وإذا كان المؤنث مجازياً فإنَّه يجوز عدم إلحاق تاء التأنيث كما فى هذه الآية، ويجوز إلحاقها كما فى قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ (الممتحنة: ٤).

س٦: قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (آل عمران: ١٨)، **ما سر التكرار فى قوله ﴿ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ ﴾ ؟**

﴿الله﴾ **الجواب: الأولى جرت مجرى الشهادة من الله، وشهد بذلك الملائكة و أولو العلم على سبيل العطف على لفظ الجلالة ، والثانية أعيدت لتجرى مجرى الحكم بصحة ما شهد به الشهود** [2].

س٧: قال تعالى: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ (آل عمران: ٢٨). **لقد كررت فى الآية الثامنة والعشرين والآية الثلاثين ، فما سر التكرار؟**

﴿الله﴾ **الجواب: لقد وردت الآية الأولى فى وعيد المؤمنين الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، ثم عُطف على هذا الوعيد وعيدٌ آخر وهو وعيد للنفس التى عملت سوءاً و تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً. فالتكرار بالتحذير فى جهتين مختلفتين.**

س٨: قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى﴾ (آل عمران: ٣٥ ، ٣٦). **الضمير «الهاء» فى «وضعتها» يعود إلى ﴿مَا فِي بَطْنِي﴾ وهو مذكر فلماذا أنثه فى «وضعتها»؟ ولماذا قالت ﴿إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى﴾ وقد ولدتها أنثى؟**

﴿الله﴾ **الجواب: عن الشطر الأول من السؤال: أنث الضمير على المعنى لأن ما فى بطنها كان أنثى**

---

(١) الفتوحات الإلهية جـ ١ ص٢٤٤ بتصريف

(٢) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز جـ ١ ص١٦١ بتصريف

في علم الله. وعلى وجه آخر أنّث الضمير على أن ما في بطنها نفس أو نسمة وهما مؤنثان.

و الجواب عن الشطر الثاني من السؤال: لماذا قالت ﴿إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى﴾ قالت ذلك تحسراً على ما فوجئت به لأنها كانت تتطلع إلى ذكر فإن الذكور كانوا يخدمون في بيت المقدس، ومع مخالفة ما تمنته نذرتها للمسجد.

س٩: قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىَ يَكُونُ لِي غُلاَمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ (آل عمران: ٤٠). **و قال تعالى في سورة مريم:** ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ (مريم: ٨). **فما سر تقديم الكبر وتأخير المرأة في الآية الأولى، وتقديم المرأة وتأخير الكبر في الآية الثانية؟**

الجواب: الآية الأولى من سورة مريم تقدم قبلها ذكر الكبر المفهوم من قوله: ﴿إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ (مريم: ٤)، وتأخر ذكر المرأة في قوله: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ (مريم: ٥)، فلما أعاد ذكرهما أخّر ذكر الكبر ليوافق فواصل الآيات ونهايتها بقوله: (عتيا) فالآيات السابقة انتهت بتلك الكلمات «خفيًّا» ، و«شقيًا» ، و«وليًّا» ، و«رضيًّا» ، و«سميًّا» ، و«عتيًا» وانتهت الآيات بقوله: «شيئا» ، و«سويًا» ، و«عشيًا» ، و«صبيًا».

س١٠: قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: ٤٢)، **لماذا كرر الاصطفاء؟**

الجواب: الاصطفاء الأول للعبادة، والثاني: أنه اختارها لأن تلد آية على قدرته بغير أب وهو المسيح.

س ١١ : قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (آل عمران: ٤٥).

لماذا بشرتها الملائكة بمولودها؟ ومريم تعلم أنه ابنها فلماذا قالت الملائكة لها: «عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ»؟

الجواب: لقد بشرتها الملائكة بمولودها رحمة بها قبل أن تلد حتى لا تدمرها المفاجأة. والملائكة سمته ونسبته إليها لأن الأبناء ينسبون إلى آبائهم لا إلى أمهاتهم فنسبته إليها إعلاماً لها بأنه يولد من غير أب. ولا ينسب إلى غير أمه.

س١٢: قال تعالى : ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (آل عمران: ٤٦).

كلامه في المهد معجزة فأي معجزة في كلامه كهلاً ؟

﴿الله﴾ **الجواب:** أولاً: فيه بشارة لأمه بأنه يعيش ويبلغ سن الكهولة كما فى بشارة أم موسى: ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (القصص: ٧).

ثانياً: كلامه فى طفولته يكون فصيحاً ككلامه فى كهولته بدون تفاوت فى الحالين.

س١٣: قال تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ (آل عمران: ٤٧).

و **قال تعالى**: ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ (مريم: ٢٠).

ما سر ذكر الولد فى الآية الأولى وذكر الغلام فى الآية الثانية؟

﴿الله﴾ **الجواب:** فى الآية الأولى تقدم ذكر المسيح فى البشارة لأمه ﴿إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ فعرفت أنه ولد فقالت: ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾ وفى الآية الثانية تقدم ذكر الغلام فى قوله: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ (مريم: ١٩)، قالت: ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ فتكون الكلمات موافقة للسياق أى لما قبلها.

س١٤: قال تعالى: ﴿وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِـي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ (آل عمران: ٤٩).

وقال تعالى فى سورة المائدة: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوتَى بِإِذْنِي﴾ (المائدة: ١١٠).

ما سر مجيء الضمير فى الآية الأولى مذكراً (فيه) وفى الآية الثانية مؤنثاً (فيها) ؟

وما سر قوله فى الآية الأولى (بإذن الله) وذكره مرتين. وفى الثانية قال: (بإذنى) وذكرها أربع مرات؟

﴿الله﴾ **الجواب: عن الشطر الأول من السؤال : الضمير فى الآية الأولى يعود إلى الطير أو إلى الطين أو إلى المذكر من الهيئة وتقديره المهيأ، فإذا عاد إلى واحد من هؤلاء كان مذكراً، ولذلك قال (فأنفخ فيه) والضمير فى الآية الثانية يعود على (هيئة) وهى مؤنثة فقال: (فتنفخ فيها).**

أما الجواب عن الشطر الثانى من السؤال: إن ما فى الآية الأولى من كلام عيسى عليه السلام **فما تصوره** عيسى أن يكون من قبل البشر أضافه لنفسه وهو الخلق بمعنى التقدير والنفخ الذى هو إخراج الهواء من الفم (أخلق) (فأنفخ). وما لا يتصور أنه من قبل البشر أضافه إلى الله تعالى وهو ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، ﴿وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِـي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾. وما فى الآية الثانية من

كلام الله ﷻ وقت أن ذكّر عيسى بنعمته عليه وعلى والدته ، فأضاف ﷻ جميع تلك النعم إلى صنعه إظهاراً لعجز البشر، وأن فعل العبد مخلوق لله و بقدرته.

س١٥: **قال تعالى :** ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ٥٢)، **و قال تعالى فى سورة المائدة :** ﴿قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ (المائدة: ١١١).

ما سر الأسلوب فى الآية الأولى «بأنا» وفى الثانية «بأننا»؟

الجواب : فى الآية الثانية جاء الكلام «بأننا» وهو أول كلام الحواريين فجاء على أصل اللغة والآية الأولى تكرار كلامهم فجاز فيه التخفيف لأن التخفيف فرع والتكرار فرع والفرع بالفرع أولى.

س١٦: **قال تعالى :** ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (آل عمران: ٥٤). **وقال تعالى :** ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (الأنفال: ٣٠). **وقال تعالى:** ﴿وَقَدْ مكر الَّذِين مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ (الرعد: ٤٢). **وقال تعالى:** ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ (النمل: ٥٠)، **هذه الآيات وأمثالها أسندت المكر لله ﷻ. والمكر صفة مذمومة لما فيه من الاحتيال والخديعة، فكيف أسند لله ﷻ وهو منزه عن النقائص؟**

وفى الآية الأولى والثانية ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾، وليس فى المكر خير فكيف نصرف ذلك؟

الجواب : (لما كان معنى المكر حيلة يجلب بها مضرة إلى الغير وهو ما لا يجوز فى حقه تعالى أشار إلى تأويله بوجوه:

أولها : أن المراد بمكر الله رد مكرهم أى عاقبته ووخامته عليهم فأطلق على الرد المذكور مكراً لمشابهته له فى ترتيب أثره عليه فيكون استعارة تبعية.

وثانيها: أن المراد بمكر الله مجازاتهم على مكرهم بجنسه على سبيل المجاز المرسل بعلاقة السببية والمشاكلة تزيده حسناً على حسن ويصح فيه الاستعارة أيضاً لأنهم لما أخرجوه ﷺ أخرجهم الله تعالى فإذا كانت المجازاة من جنس العمل كان بينهما مشابهة أيضاً.

وثالثها: أن يكون استعارة تمثيلية بتشبيه حالة تقليل المسلمين فى أعينهم الحامل لهم هلاكهم بمعاملة الماكر المحتال بإظهار خلاف ما يبطن.

ورابعها: أنه مشاكلة صرفة فالوجوه أربعة) [1].

و تعريف المشاكلة : (ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته تحقيقاً أو تقريراً.

---

(١) الفتوحات الإلهية جـ ٢ ص٢٤٢.

فالأول: كقوله تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ (المائدة:١١٦)، ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللّهُ﴾ (آل عمران:٥٤)، فإن إطلاق النفس والمكر فى جانب الله تعالى إنما هو لمشاكلة ما معه وكذا قوله: ﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ (الشورى:٤٠)، لأن الجزاء حق لا يوصف بأنه سيئة. ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ (البقرة:١٩٤)، ﴿الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ﴾ (الجاثية: ٣٤)، ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللّهُ مِنْهُمْ﴾ (التوبة:٧٩)، ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ، اللّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ (البقرة: ١٤ – ١٥)، ومثال التقدير قوله ﴿صِبْغَةَ اللّهِ﴾ (البقرة:١٣٨)، أى: تطهير الله، لأن الإيمان يطهر النفوس) [١].

س١٧: قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (آل عمران: ٥٥).

فى الآية قوله ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ وأين المؤمنون من أمة محمد ﷺ فقد أفادت الأدلة بأن ملته ظاهرة على كل الملل؟

الجواب: المراد بالذين اتبعوه (أى الذين اتبعوا ما جئت به وهم خلص أصحابه الذين لم **يبلغوا فى الغلو فيه ما بلغ من جعله إلهاً ومنهم المسلمون فإنهم اتبعوا ما جاء به عيسى عليه السلام ووصفوه بما يستحقه من دون غلو فلم يفرطوا فى وصفه كما أفرطت اليهود، ولا أفرطوا كما أفرطت النصارى الذين هم أتباع عيسى، لا يزالون ظاهرين على اليهود غالبين لهم قاهرين لمن وجد منهم، فيكون المراد بالذين كفروا هم اليهود خاصة. وقيل المراد هم الروم لا يزالون ظاهرين على من خالفهم من الكافرين. وقيل: هم الحواريون لا يزالون ظاهرين على من كفر بالمسيح. وعلى كل حال فغلبة النصارى لطائفة من الكفار أو لكل طوائف الكفار لا ينافى كونهم مقهورين مغلوبين بطوائف المسلمين كما تفيده الآيات الكثيرة بأن هذه الملة الإسلامية ظاهرة على كل الملل) [٢].**

و يجوز أن يكون المراد بالذين اتبعوه أى الذين يتبعونه بعد نزوله فى آخر الزمان فيكسر الصليب ويقتل الخنزير، ويضع الجزية ويحكم بين العباد بشريعة محمد ﷺ فيكون تابعاً لمحمد ﷺ.

س١٨: قال تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (آل عمران:٥٩). **كيف شبه عيسى بآدمَ وآدمُ لم يكن له أب ولا أم وعيسى كانت له أمٌّ؟**

---

(١) الإتقان فى علوم القرآن جـ ٣ ص٢٨١، ٢٨٢.

(٢) فتح القدير جـ ١ ص٤٣٤.

﴿الله﴾ **الجواب:** عيسى عليه السلام مثيل لآدم فى أحد الطرفين، فى أن آدم ليس له أب ولا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الآخر من التشبيه به؛ لأن المماثلة مشاركة فى بعض الأوصاف فعلى سبيل المثال «الولد يشبه أباه» أى يشبهه فى بعض الصفات وليس نسخة منه.

لطيفة:

ذكر الزمخشرى فى الكشاف (عن بعض العلماء أنه أُسِرَ بالروم فقال لهم: لِمَ تعبدون عيسى؟ قالوا: لأنه لا أب له، قال: فآدم أولى لأنه لا أبوين له. قالوا: كان يُحيى الموتى، قال: فحزقيل أولى لأن عيسى أحيا أربعة نفر، وأحيا حزقيل ثمانية آلاف. قالوا: كان يبرئ الأكمة والأبرص. قال: فجرجيس أولى؛ لأنه طُبِخَ وأُحْرِقَ ثم قام سالماً) (١).

س١٩: قال تعالى: ﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُن مِّن الْمُمْتَرِينَ﴾ (آل عمران: ٦٠)،

وقال تعالى: ﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ (البقرة: ١٤٧)،

فما سر مجيء نون التوكيد فى الآية الثانية؟

﴿الله﴾ **الجواب: فى الآية الأولى جاء قوله: (فلا تكن) على الأصل، وليس فى السياق ما يقتضى نون التوكيد بخلاف الآية الثانية فإن السياق قبلها أتى بنون التوكيد وبغيرها من المؤكدات الأخرى التى كثرت فى الآيات قبلها وهى «إنَّ» واللام واسمية الجملة، فكان يقتضى أن تأتى نون التوكيد** خصوصاً وقد سبقها هذا الأسلوب **﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾**.

س٢٠: قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الضَّآلُّونَ. إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الأرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ﴾ (آل عمران: ٩٠، ٩١)، **ما سر تجريد «لن» فى الآية الأولى من الفاء واقترانها بها فى الآية الثانية؟**

﴿الله﴾ **الجواب: إن جملة «لن تقبل» فى الآية الأولى هى خبر «إنَّ»، أما فى الآية الثانية فالكلام فيها مبنى على الشرط والجزاء وأن سبب عدم قبول التوبة هو الموت على الكفر، والتقدير: إن ماتوا على الكفر (فلن يقبل من أحدهم)، واقترنت جملة جواب الشرط بالفاء لأنها صدرت «بلن».**

س٢١: قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: ٩٦)، **المعروف أنها مكة فما المراد «ببكة»؟**

---

(١) الكشاف جـ ١ ص٥٦٣.

﴿ الجواب: (مكة وبكة لغتان فيه نحو قولهم النبيط والنميط فى اسم موضع بالدهناء. وقيل مكة البلد وبكة موضع المسجد. وقيل: اشتقاقها من «بَكَّة» إذا زَحَمَهُ لازدحام النَّاس فيها، وعن قتادة: يبك النَّاسُ بعضهم بعضاً الرجال والنساء يصلى بعضهم بين يدى بعض. لا يصلح ذلك إلا بمكة، كأنها سميت ببكة وهى الزحمة وقيل: تَبُكُّ أعناق الجبابرة أى تدقها، لم يقصدها جبار إلاَّ قصمه الله تعالى)[1] فمجيء القرآن بالاسم بكة دون مكة لما فى اللفظ من المعانى الواسعة فيه.

س٢٢: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ، إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلاَئِكَةِ مُنزَلِينَ، بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلاَئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ (آل عمران: ١٢٣- ١٢٥). وقال تعالى فى سورة الأنفال ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ (الأنفال: ٩). **كيف يقول: ﴿وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ و يقول فى آية أخرى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾** (المنافقون: ٨) **؟ و كيف نوفق بين الإمدادات فى الآية الأولى والذى وصل إلى خمسة آلاف وبين الآية الثانية التى كان الإمداد فيها ألفاً؟ وما سر التعبير فى الآية الأولى بـ«منزلتين» وفى الثانية بـ«مردفين» ؟**

﴿ الجواب: **أما الجزء الأول من السؤال:** فإن معنى الذلة فى آية آل عمران: هى القلة والضعف المادى وقلة السلاح. أما العزة الإيمانية النفسية وقوة الإيمان والغلبة فهى فى الآية الثانية ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ولا تنافى.

أما الجزء الثانى من السؤال: فإن الحديث عن غزوة بدر فى الآية الثانية حديث مجمل وفى الآية الأولى حديث مفصل، فلقد استغاث الرسول ﷺ والمسلمون بالله تعالى، فأمدهم أولاً بألف إمَّا لأن هذا مقدمة الإمداد أو أن الألف هم الذين باشروا القتال مع المسلمين دون غيرهم من الملائكة ثم تتابع الإمداد إلى ثلاثة آلاف، ولما صبر المسلمون واتقوا الله ﷻ تتابع الإمداد حتى وصل خمسة آلاف من الملائكة، يدل على ذلك كلمة (مردفين) أى: نردفهم بغيرهم أى نتبعهم بغيرهم.

أما الجزء الثالث من السؤال: فكلمة «منزلين» فى الأولى تدل على أنهم نزلوا من السماء بأمر من الله، فهم الذين قاموا بالنزول، وفى الآية الثانية تدل كلمة(مردفين) على كيفية النزول وهو أنهم متتابعون يتبع بعضهم بعضاً.

---

(١) الكشاف جـ ١ ص٥٨٦

س٢٣: قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (آل عمران: ١٢٦). وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (الأنفال: ١٠). فما سر إثبات «لكم» وتأخير «به» وحذف «إن الله» فى الآية الأولى؟ وحذف «لكم» وتقديم «به» وإثبات «إن الله» فى الآية الثانية؟

الجواب: أتى الأسلوب هكذا لأن البشرى للمخاطبين فى الآية الأولى، فأتى بقوله: «لكم»، وفى الأنفال فى الآية الثانية قد تقدم «لكم» فى السياق كثيراً فى قوله: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾ وقوله: ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ وقوله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ فلما تقدم ذكر الجار والمجرور «لكم» كثيراً اكتفى به، وقدَّم «قلوبكم» وأخَّر «به» ازدواجاً بين الغائبين فقال ﴿إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ﴾. وقدَّم «به» فى الأنفال ازدواجاً بين الغائبين فقال: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ﴾. وحذف ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ فى الآية الأولى وأثبتها فى الثانية لأن الآية الثانية فى الأنفال فى الآيات المتعلقة بغزوة بدر وهى سابقة على ما فى هذه السورة فإنها فى الآيات المتعلقة بغزوة أحد فأخبر هناك بقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ فاستقر الخبر وجعله فى الآية الأولى صفة وجرَّد ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ لأن الخبر قد سبق.

س٢٤: قال تعالى: ﴿وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٣). وقال تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ (الحديد: ٢١).

إذا كان هذا عرض الجنة فأين طولها؟ وإذا كانت هى عرض السموات والأرض فأين هى؟

الجواب: (ذكر العرض للمبالغة فى وصف الجنة بالسعة لأن العرض دون الطول كما دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ (الرحمن: ٥٤)، على أن الظهارة أعظم تقول هذه صفة عرضها فكيف طولها. قال الزهرى: وإنما وصف عرضها فأما طولها فلا يعلمه إلاَّ الله تعالى هذا على سبيل التمثيل لا أنها كالسماوات والأرض لا غير. بل معناه كعرض السماوات السبع والأرضين السبع عند ظنكم كقوله تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ﴾ (هود: ١٠٧) وإلاَّ فهما زائلتان، وعند ابن عباس الجنة كسبع سماوات وسبع أرضين لو وصل بعضها ببعض، وعنه أيضاً أن لكل واحد من المطيعين جنة فهذه السعة. وروى أن ناساً من اليهود سألوا عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا كانت عرضها ذلك فأين تكون النار فقال لهم: أرأيتم إذا جاء الليل فأين يكون النهار؟ وإذا جاء النهار فأين يكون الليل؟ فقالوا: إن مثلها فى التوراة ومعناه أنه حيث شاء.

وسُئل أنس بن مالك عن الجنة أفي السماء أم في الأرض؟ فقال: وأى أرض وسماء تَسَعُ الجنةَ، قيل فأين هي؟ قال: فوق السماوات السبع تحت العرش. وقال قتادة: كانوا يرون الجنة فوق السماوات السبع وإن جهنم تحت الأرضين السبع) [1].

و الذى أراه:

أن المراد بالعرض السعة بقطع النظر عن أن يكون له مقابل وهو الطول، فليس العرض مقابله الطول؛ بل المراد به مطلق السعة، وهو المراد فى الآيتين كما قال الله تعالى: ﴿فَذُو دُعَاءٍ عريض﴾ (فصلت:٥١)، ويطلق ويراد به أقصر الامتدادين، والمعنى الأول الذى ذهبنا إليه وهو السعة حقيقى والمعنى الثانى حقيقى. أما عن الجنة وعن النار، فالكون واسع، والسماوات والأرض جزء صغير من كونه، وفى أى مكان من هذا الكون المترامى شاء الله مكانهما.

وهذه أحاديث ذكرها الحافظ ابن كثير تريح من عناء البحث وتريح الخواطر وهى («ما السموات السبع فى الكرسى إلاَّ كدراهم سبعة ألقيت فى كرسى» وهى رواية عن ابن زيد عن أبيه عن رسول الله ﷺ. وروى بسند آخر عن أبى ذر أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما الكرسى فى العرش إلاَّ كحلقة من حديد ألقيت بين ظهرانى فلاة من الأرض». وروى أيضاً عن أبى ذر الغفارى أنه سأل النبى ﷺ عن الكرسى فقال رسول الله ﷺ: «والذى نفسى بيده ما السموات السبع والأرضون السبع عند الكرسى إلاَّ كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وإن فضل العرش على الكرسى كفضل الفلاة على تلك الحلقة») [2]، وهذه الأحاديث ذكرها ابن جرير وابن أبى حاتم.

ونخلص من ذَلِكَ إلى أن كون الله ليس مقصوراً على السموات والأرض بل هو أعظم من ذَلِكَ، ولا يعلمه إلاَّ خالقه، وخلق جنته وناره فى مكانين شاءهما الله تعالى.

س٢٥: قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء﴾ (آل عمران:١٤٠) **وقال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ، وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُواْ﴾** (آل عمران:١٦٦). **وقال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾** (الكهف:١٢). **وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾** (العنكبوت:٣)، **هذا نموذج من آيات كثيرة ظاهرها يفيد أن الله فعل هذه الأشياء ليكتسب العلم وهذا محال فى حقه، فكيف ندرأ هذا؟**

---

(١) الفتوحات الإلهية جـ ١ ص٣١٤.

(٢) تفسير ابن كثير جـ ١ ص٥٥٠ بتصريف.

﴿الله﴾ **الجواب:** إن الله تعالى عالم بما كان وما هو كائن وما يكون، ولم يكتسب العلم بحدوث هذه الأشياء وهو يعلم الحوادث قبل وقوعها، بيد أن هذه الآيات وأشباهها أطلق فيها لفظ العلم على المعلوم مجازاً كما تقول: هذا عِلْمُ فلان، والمراد معلومُهُ. فكل آية من هذا القبيل يشعر ظاهرها بتجدد العلم فالمراد تجدد المعلوم وحدوثه، ففى الآية الأولى ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ ليظهر معلومنا فى الوجود وهو الذى علمناه أزلاً. ويعلم به المؤمنون بعد وجوده. وفى الآية الثانية ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وليظهر معلوم الله الذى علمه أزلاً وهو وضوح المؤمن من الكافر فيعلمه المؤمنون. وفى الآية الثالثة ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ﴾ ليظهر معلومنا. والآية الرابعة كذلك.

(٤) سورة النساء

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

﴿الله﴾ **الجواب:** (لما كانت أمهات الفضائل كما تبين فى علم الأخلاق أربعاً:

العلم والشجاعة والعدل والعفة، وكانت آل عمران داعية مع ما ذكر من مقاصدها إلى اثنتين منها وهما العلم والشجاعة كما أشير إلى ذلك فى غير آية:

﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾، ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾، ﴿شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ﴾، ﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، ﴿فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ﴾، ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ﴾، ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا﴾، ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِلّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ﴾ وكانت غزوة أحد قد أسفرت عن أيتام استشهد مورثوهم فى حب الله، وكان من أمرهم فى الجاهلية منع أمثالهم من الإرث جوراً عن سواء السبيل وضلالاً عن أقوم الدليل، جاءت هذه السورة – أى النساء – داعية إلى الفضيلتين الباقيتين، وهما العفة والعدل مع تأكيد الخصلتين الأخريين حسبما تدعو إليه المناسبة) [١].

س٢: قال تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُواْ﴾ (النساء:٣). وقال تعالى: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُواْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ النِّسَاء وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ (النساء:٢٩).

الآية الأولى تجوِّز وقوع العدل والثانية تنفيه على التأبيد فكيف نوفق بين الأولى والثانية؟

---

(١) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور جـ ٥ ص١٧١، ١٧٢ .

﴿الله﴾ **الجواب:** أن الآية الأولى خاصة بالميل القلبى نحو إحداهن، فليس للإنسان فيه دخل؛ لأن قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء. ولقد كان رسول الله ﷺ يعدل بين نسائه، وقلبه يميل إلى السيدة عائشة وكان يقول: «اللهم إن هذا قسمى فيما أملك، فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك» [1].

س٣: قال تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ (النساء: ١١).

ما سر التعبير بالذكر والأنثى؟ ولِمَ لَمْ يقل: للرجل مثل حظ الأنثيين؟ ولِمَ جعلها على النصف من الرجل مع أنها تكون غالباً أرفق بوالديها من أخيها الذكر؟

﴿الله﴾ **الجواب: عن الجزء الأول من السؤال:** يقول أبو السعود: (وإيثار اسمى الذكر والأنثى على مَنْ ذكر أولاً من الرجال والنساء للتنصيص على استواء الكبار والصغار من الفريقين فى الاستحقاق، من غير دخل للبلوغ والكبر فى ذلك أصلاً كما هو زعم أهل الجاهلية فقد كانوا لا يورثون الأطفال كالنساء) [2].

وعن الجزء الثانى من السؤال: لا جور ولا حيف ولا ظلم فى جعل الأنثى على النصف من الرجل، يقول الشهيد سيد قطب «فى ظلال القرآن»: (ليس الأمر فى هذا أمر محاباة لجنس على حساب جنس، إنما الأمر أمر توازن وعدل بين أعباء الذكر وأعباء الأنثى فى التكوين العائلى وفى النظام الاجتماعى الإسلامى، فالرجل يتزوج امرأة ويكلف إعالتها وإعالة أبنائها منه فى كل حالة وهى معه، وهى مطلقة منه، أما هى فإما أن تقوم بنفسها فقط وإما أن يقوم بها رجل قبل الزواج وبعده سواء، وليست مكلفة بنفقة للزوج ولا للأبناء فى أى حال، فالرجل مكلف على الأقل ضعف أعباء المرأة فى التكوين العائلى وفى النظام الاجتماعى الإسلامى. ومن ثمَّ يبدو العدل كما يبدو التناسق بين الغُنم والغُرم فى هذا التوزيع الحكيم. ويبدو كل كلام فى هذا التوزيع جهالة من ناحية، وسوء أدب مع الله من ناحية أخرى، وزعزعة للنظام الاجتماعى والأسرى لا تستقيم معها الحياة) [3]**، فالإسلام عادل فى هذا التقسيم فالأمور المالية المتعلقة بالزواج من صداق ونفقة وسكن، وكل كفارة متعلقة بالنكاح ككفارة الظهار أو الوطء فى نهار رمضان، كل ذلك حمَّله الإسلام للرجل وليس للمرأة. بالإضافة إلى المال الذى ورثته عن أبيها وكان نصف أخيها لو أضيف إلى مال زوجها**

---

(١) أخرجه أبو داود جـ ٢ ص٦٠١ باب القسم بين النساء

(٢) تفسير أبى السعود جـ ٢ ص١٤٩ .

(٣) فى ظلال القرآن جـ ١ ص٥٩١

لكان أكثر من مال أخيها.

س٤: قال تعالى : ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاء إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاء ذَلِكُمْ أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ (النساء: ٢٤). **وقال تعالى :** ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مِّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلاَ مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ (النساء: ٢٥). **وقال تعالى في سورة المائدة :** ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلاَ مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ (المائدة: ٥).

ما سر مجيء الأسلوب مختلفاً في الآيات الثلاث؟

الجواب : إن الأسلوب فى الآية الأولى يتحدث عن حق الأحرار المسلمين. وإذا كانوا غير مسافحين أى غير زناة فمن باب أولى أن لا يتخذوا أخداناً، فاقتصر على لفظ «غير مسافحين». والآية الثانية فى الجوارى ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مِّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم﴾ **وقال فى نهايتها** ﴿مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلاَ مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ **أى أصدقاء لأن الجوارى لسن كالحرائر المسلمات فى العفة وصيانة الفرج. وفى الآية الثالثة تحدث عن النساء الكتابيات وزاد** ﴿وَلاَ مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ **لأن الكتابيات لا يتورعن عن اتخاذ الأخدان.**

فيكون للأحرار والحرائر من المسلمين فضيلة وهى أنهم إلى الصيانة أقرب وعن الخيانة أبعد.

س٥: قال تعالى : ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ وَلاَ يَكْتُمُونَ اللّهَ حَدِيثًا﴾ (النساء: ٤٢). **وقال تعالى :** ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ وَاللّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام: ٢٣). **ظاهر الآيتين يوهم التناقض فكيف ندرأ هذا؟**

الجواب : قال ابن عباس (أما قوله ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ وَاللّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ **فإنهم لما رأوا يوم القيامة أن الله يغفر الذنوب ولا يغفر شركاً ولا يتعاظمه ذنب أن يغفره جحده المشركون رجاء أن يغفر لهم فقالوا:** ﴿وَاللّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ **فختم الله على أفواههم فتكلمت جوارحهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون. فعند ذلك** ﴿يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ وَلاَ يَكْتُمُونَ اللّهَ حَدِيثًا﴾ [1].

---

(١) الإتقان فى علوم القرآن جـ ٣ ص٧٩، ٨٠.

﷽ **س٦: قال تعالى :** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ آمِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾ (النساء:٤٧). **هذه الآية نداء على أهل الكتاب وفى غيرها ينادى الله عليهم بقوله : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾.**

فما سر هذا الأسلوب فى هذه الآية؟

﴿الله﴾ **الجواب :** فى هذه الآية أراد الله أن يستخف بهم ويبالغ فى توبيخهم وتقريعهم. وختم الآية بما يقرر ذلك وهو طمس وجوههم ورد الوجوه على الأدبار أو لعنهم كما لعن أصحاب السبت وهم يعرفون كيف لعنهم، أما الآيات الأخرى فليست كذلك.

﷽ **س٧: قال تعالى:** ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (النساء:٤٨). **وقال تعالى:** ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا﴾ (النساء:١١٦). **لقد ختمت الآية الأول بقوله ﴿فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾، والثانية بقوله ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا﴾ فما سر هذا الاختلاف؟**

﴿الله﴾ **الجواب : لقد ختم الله الآية الأولى بالافتراء لأنها نزلت فى اليهود وهم الذين افتروا على الله ما ليس فى كتابهم. والآيات السابقة ترشد إلى ذلك ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ والآيات اللاحقة كذلك. أما الآية الثانية فختمت بقوله : ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا﴾ ونزلت فى كفار مكة ولم يكن لهم كتاب فكان ضلالهم أشد، والآيات السابقة تدل على ذلك، قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا﴾، والآيات اللاحقة تدل على ذلك ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَانًا مَّرِيدًا﴾. والآيات بعد هذه الآية تتحدث عن عقائد كفار مكة.**

﷽ **س٨: قال تعالى : ﴿فَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا، دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾** (النساء ٩٥، ٩٦).

فى الآية الأولى بيَّن أنه فضلهم درجة، وفى الثانية بَيَّن أنه فضلهم درجات فما السر؟

﴿الله﴾ **الجـواب :** فى الآية الأولى يحتمل أن تكون الدرجة فى الدنيا، وفى الثانية يحتمل أن تكون درجات الجنة، فإنها درجات

﴿ س٩: قال تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاَةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ (النساء: ١٠٢). **ما سر ذكر الحذر مع الطائفة الأخرى وتجريد الآية الأولى منه؟**

الجواب: لأن أعداء المسلمين يتنبهون فى الثانية دون الأولى، فالأعداء يرصدون الحالة الأولى دون أن يضربوا وفى الثانية يضربون فأمر بأخذ الحذر.

س١٠: قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (النساء: ١١٥). **وقال تعالى:** ﴿وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (الأنفال: ١٣). وقال تعالى فى سورة الحشر: ﴿وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (الحشر: ٤). **ما سر الإظهار وفك الإدغام فى الآية الأولى والثانية وما سر الإدغام فى الثالثة؟**

الجواب: الحرف الثانى من المثلين وهو القاف إذا تحرك بحركة لازمة وجب إدغام الأول فى الثانى (ألا ترى أنك تقول: ارددْ بالإظهار، ولا يجوز ارددا واردد أو ارددى. لأنها تحركت بحركة لازمة والألف واللام فى «الله» لازمتان فصارت حركة القاف لازمة وليس الألف واللام كذلك فى الرسول، وأما فى الأنفال فلانضمام الرسول إليه فى العطف لم يدغم لأن التقدير فى القاف أنْ قد اتصل بهما فإن الواو يوجب ذلك) [1].

س١١: قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾ (النساء: ١٢٦)، **وقال تعالى:** ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُواْ اللَّهَ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا، وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾ (النساء: ١٣١، ١٣٢).

فما سر تكرار ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ فى هذا الربع أربع مرات؟

الجواب: أن لكل واحد من هذا القول وجهاً فى ذكره دون الآخر، فالآية الأولى ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ يملكهما، وعلمه محيط بجميع ما فيهما، لا يعزب عنه مثقال ذرة فيهما، فهو يؤاخذ كل مسىء بإساءته، ويجزى كل محسن بإحسانه. والآية الثانية: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ فهو الإله الذى يأمر وينهى ويوصى، فهو يوصيكم بالتقوى فاقبلوا

---

(١) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز جـ ١ ص١٧٥.

وصيته. والآية الثالثة ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً يتصرف فيهما كيف يشاء ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ فاطلبوا منه واسألوه ولا تسألوا غيره، فما عند غيره ينفد وما عنده باق. والآية الرابعة ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾ فتوكلوا عليه ولا تركنوا إلى غيره فهو الحى الذى لا يموت. (فذكرت كل مرة دليلاً على شيء غير الذى قبله، وكررت لأن الدليل الواحد إذا كان دالاً على مدلولات كثيرة يحسن أن يستدل به على كل واحد منها وإعادته مع كل واحد أولى من الاكتفاء بذكره مرة واحدة؛ لأن إعادته تحضر فى الذهن ما يوجب العلم بالمدلول، فيكون العلم الحاصل بذلك المدلول أقوى وأجلّ. وفى ختم كل جملة بصفة من الصفات الحسنى تنبيه للذهن بها إلى أن هذا الدليل محتو على أسرار شريفة ومطالب لا تنحصر) [1].

س١٢: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ﴾ (النساء:١٣٥). **وقال تعالى:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ﴾ (المائدة:٨). **فما سر تقديم لفظ ﴿بِالْقِسْطِ﴾ فى الآية الأولى وتأخيره فى الثانية؟ وما سر تأخير لفظ الجلالة فى الأولى وتقديمه فى الثانية؟**

الجواب: (أن آية النساء – أى الأولى – جئ بها فى معرض الإقرار على نفسه – أى على نفس الرجل – ووالديه وأقاربه فبدئ فيها بالقسط الذى هو العدل من غير محاباة نفس ولا والد ولا قرابة والتى هنا –أى الآية الثانية – جيء بها فى معرض ترك العداوة، فبدئ فيها بالأمر بالقيام لله لأنه أردع للمؤمنين، ثم ثنى بالشهادة بالعدل فجيء فى كل معرض بما يناسبه) [2].

و نقول فى سر تأخير لفظ الجلالة فى الآية الأولى وتقديمه فى الثانية: إن لفظ الجلالة فى الآية الأولى متصل ومتعلق بالشهادة بدليل قوله ﴿وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ﴾ فلذلك أخَّر الاسم الشريف فى الآية الأولى، وقدَّم فى الآية الثانية لأنه متصل ومتعلق بـ «قوامين» فلذلك أتى بعد الكلمة مباشرة.

س١٣: قال تعالى: ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء:١٤٦). **وقال تعالى:** ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ (العلق:١٨). **وقال تعالى:** ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ (الشورى:٢٤). **وقال تعالى:** ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾ (القمر:٦). **لماذا حذفت الياء فى الآية الأولى، والواو فى الآيات التالية؟**

---

(١) تفسير القرآن العظيم المسمى بالسراج المنير جـ ١ ص٣٣٧.

(٢) الفتوحات الإلهية جـ ١ ص٤٦٩

﴿الله﴾ **الجـواب :** حذفت الياء فى الآية الأولى لأنها ساكنة وسكون اللام فى لفظ الجلالة فحذفت لاجتماع ساكنين وهذا فى النطق فحذفت فى الخط اتباعاً للفظ. وحذفت الواو فى النصوص بعدها لما قلته فى الياء لأن الواو ساكنة وأتى بعدها حرف ساكن هو اللام فى «أل» فحذفت الواو لاجتماع الساكنين فحذفت فى الخط اتباعاً للفظ والنطق. وفى الآية الأخيرة حذفت الواو كما سبق وأسقطت الياء من الداعى تخفيفاً و الكسرة تدل عليها.

س١٤: قال تعالى : ﴿ما يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ﴾ (النساء: ١٤٧).

ما سر تقديم الشكر على الإيمان مع أن الإيمان هو المقدَّم ولا ينفع الشكر بدونه؟

﴿الله﴾ **الجـواب :** (الناظر يدرك النعمة أولاً فيشكر شكراً مبهماً، فإذا انتهى إلى معرفة المنعم آمن به ثم شكر شكراً مفصَّلاً، فكان الشكر متقدماً على الإيمان وكأنه أصل التكليف ومداره فيؤمن به، والشكر ضد الكفر فالكفر ستر النعمة والشكر إظهارها) [1].

س١٥ : قال تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوَءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ (النساء: ١٤٩). **وقال تعالى فى سورة الأحزاب ﴿إِن تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾** (الأحزاب: ٥٤). **ما سر مجىء كلمة «خيراً» فى الآية الأولى ومجىء كلمة «شيئاً» فى الآية الثانية؟**

﴿الله﴾ **الجـواب : لقد أتى بكلمة «خيرا» فى الآية الأولى لأنها وقعت مقابلة لكلمة «السوء» فى الآية قبلها ﴿لاَّ يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا، إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ﴾ فالمقابلة اقتضت أن يكون الخير فى مقابلة السوء، بخلاف الآية الثانية فإنها أتت عقب قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاء حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا، إِن تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ﴾ فإن كلمة «شيئاً» أتت بعد القلوب فاقتضى السياق العموم وأعم الأسماء كلمة «شيئاً»، ثم ختم الآية بقوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾.**

(١) السراج المنير جـ ١ ص٣٣٧

(٥) سورة المائدة

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: سبق فى سورة النساء أن أخبر الله تعالى أن اليهود لما نقضوا المواثيق التى أخذها عليهم ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بَآيَاتِ اللّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاء بِغَيْرِ حَقًّ﴾ حرَّم عليهم طيبات أحلَّت لهم من كثير من بهيمة الأنعام ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ واستمر ﷻ فى الآيات التالية فى فضح أمرهم وهتك أستارهم وإظهار عوراتهم، إلى أن ختم السورة بآية الكلالة، وختم تلك الآية بأن علمه شامل لكل شىء محيط بكل شىء، فقال: ﴿وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ناسب بعد ذلك افتتاح سورة المائدة بأمر المؤمنين الذين اشتد تحذيره لهم منهم بالوفاء بالعقود حتى لا يكونوا كاليهود فى نقضهم.

س٢: قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ (المائدة:٣). وقال تعالى: ﴿فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ (المائدة:٤٤). وقال فى سورة البقرة: ﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (البقرة:١٥٠). ما سر حذف الياء فى الآية الأولى والثانية وإثباتها فى الآية الثالثة؟

الجواب: أن إثبات الياء هو الأصل فهى ياء المتكلم وحذفها فى الآية الأولى والثانية فى الكتابة والخط مراعاة لحذفها فى النطق.

س٣: قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ (المائدة:٣). كيف ندرأ ما يترتب على هذه الآية وهو أن الدين الذى كان عليه الرسول والمؤمنون كان ناقصاً، وإنما كمل فى آخر عمر الرسول ﷺ فمدة الكمال كانت قليلة وهى من عند نزول هذه الآية إلى أن لحق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى؟

الجواب: من وجهين:

الأول: أن نزول منهج الله المتمثل فى القرآن نزل منجماً وكان كاملاً لأن كل تشريع كان ينزل فى كل وقت كان كافياً وكاملاً ومناسباً للناس ولذلك الوقت فالله عالم بأن أول وقت المبعث له تشريع مناسب كامل فى هذا الوقت، وما بعده له تشريع يناسبه وفيه المصلحة للعباد، ولذلك أتى النسخ لبعض الأحكام الشرعية من النسخ إلى بدل أثقل أى من حكم أخف إلى حكم أثقل وللابتلاء من حكم أثقل إلى حكم أخف، وفى آخر زمان المبعث كانت الأحكام قد ثبتت وصارت كاملة

وحكم الله ببقائها إلى يوم القيامة، فالشرع كان كاملاً إلاَّ أن الشرع فى أول زمان المبعث كان إلى زمان مخصوص. والكمال الذى تحدثت عنه الآية أصبح كمالاً عاما إلى يوم القيامة، ويظهر ذلك ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾.

الثانى: المراد بإكمال الدين هو دخولهم مكة المكرمة وحينئذٍ لا اعتراض.

س٤: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ﴾ (المائدة: ٦). **ظاهر هذه الآية وجوب الوضوء على كل قائم للصلاة فهل يشمل هذا الوجوب غير المحدث المحتفظ بوضوئه لصلاة فائتة؟**

الجواب: من وجهين:

الأول: أن الأمر للوجوب للمحدثين خاصة، وهو للندب لغير المحدثين المحتفظين بوضوئهم. وإن صلى المسلم الصلوات الخمس بوضوء واحد دون نقضه بناقض من نواقض الوضوء فصلاته صحيحة.

الثانى: قيل: كان الوضوء واجباً لكل صلاة أول ما فرض ثم نسخ.

س٥: قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (المائدة: ٩). **و قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾** (الفتح: ٢٩). **فما سر التعبير بكلمة «عظيم» وهى مرفوعة فى الآية الأولى ومنصوبة فى الثانية؟**

الجواب: جاءت كلمة «عظيم» بالرفع صفة لأجر وهى مرفوعة لأنها مبتدأ وجاء الوصف مرفوعاً مراعاة لفواصل الآيات وهى «عظيم» و«الجحيم». وفى الآية الثانية وهى فى سورة الفتح أتت الكلمة منصوبة على أنها صفة لموصوف منصوب فكانت بالألف مراعاة لفواصل الآيات من أول سورة الفتح إلى آخرها فكل فواصل الآيات بالألف.

س٦: قال تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ﴾ (المائدة: ١٣). **وقال تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾** (المائدة: ٤١). **فما سر التعبير فى الآية الأولى بقوله: ﴿عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ وفى الثانية بقوله: ﴿مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ ؟**

الجواب: الآية الأولى تتحدث عن أوائل عهد اليهود أثناء تحريفهم الكلم عن مواضعه، والآية الثانية تتحدث عن اليهود المعاصرين للنبى ﷺ، فقد حرَّفوا أيضاً الكلام من بعد أن وضعه الله فى مواضعه، وهو الخاص بآية الرجم. وأوصاف الرسول ﷺ. فعلى مدى العصور هم يحرفون بدءاً من أوائلهم وانتهاء بأواخرهم، ويبدو أن الأمر سيكون كذلك حتى يمكن الله المسلمين من رقابهم.

س٧: قال تعالى: ﴿لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ، إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاء

الظَّالِمِينَ﴾ (المائدة: ٢٨ - ٢٩). **كيف يكون للمعتدى عليه إثم للمعتدِى حتى قال هابيل المعتدى عليه ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ ؟**

﴿الله﴾ **الجواب:** المعنى: إذا هممت بقتلى فلا أدفعه بقتلك؛ لأنني لو قتلتك أكون آثماً، فأنا لا أدفع قتلك لى لخوفى من ربى، ولو دفعتك بالقتل لكان إثمى وإثمك عليك لأنك السبب، وأنت الذى علمتنى الضرب والقتل. فلم يدفع هابيل أخاه قابيلَ بالقتل، بل سكن فباء قابيل بإثمه وإثم أخيه المفترض، وقد سبق أن قال المقتول قبل قتله ﴿لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ﴾.

س٨: قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ﴾ (المائدة: ٤٤). لقد كررت هذه الجملة ثلاث مرات فى آيات ثلاث خُتمت الأولى بقوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ وخُتمت الثانية بقوله: ﴿فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ وخُتمت الثالثة بقوله ﴿فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ فما سر ذلك؟

﴿الله﴾ **الجواب:** (قيل: إن الأولى نزلت فى حكام المسلمين. والثانية فى اليهود، والثالثة فى النصارى، وقيل: الكافر والظالم والفاسق كلها واحد، وهى بمعنى الكفر، عبَّر عنه بألفاظ مختلفة لزيادة الفائدة واجتناب صورة التكرار، وقيل: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ﴾ إنكاراً له، فهو كافر، ومن لم يحكم بالحق جهلاً وحكم بضده فهو فاسق، ومن لم يحكم بالحق مع اعتقاده وحكم بضده فهو ظالم، وقيل: ومن لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر بنعمة الله ظالم فى حكمه فاسق فى فعله) [1].

س٩: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة: ٥٤).

ما سر مجيء «على» وكان السياق يقتضى اللام (أذلة للمؤمنين) ؟

﴿الله﴾ **الجواب:** من وجهين :

الأول: أنه ضمَّن الذُّل معنى الحُنُوّ والعطف، فيكون المعنى فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه عاطفين على المؤمنين على وجه التذلل والتواضع.

الثانى: أن هؤلاء القوم الذين يأتى بهم الله مع شرفهم وعلو منزلتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون أجنحتهم للمؤمنين.

---

(١) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز جـ ١ ص١٨٤.

س١٠: قال تعالى : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ (المائدة: ٦٤). **ما سر التثنية فى قوله: «مبسوطتان» مع أنه سبق الإفراد «يد الله مغلولة» فكان السياق يقتضى «بل يده مبسوطة» للمطابقة؟ فما سر التثنية؟**

الجواب: ثنى فى الرد عليهم لأحد وجهين:

الأول : أن الرد عليهم بالتثنية أبلغ وأدل فى إنكار قولهم وإثبات غاية السخاء والكرم، فيداه مبسوطتان بالجود والكرم.

الثانى: أنه عبَّر باليدين فى الرد عليهم وأراد بهما نعم الدنيا والآخرة، فنعم الله فى الدنيا لا تُحصى، ونعمه فى الآخرة لا تحصى، وهذا على سبيل المجاز.

س١١: قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (المائدة: ٦٧). **لقد ورد أن الرسول ﷺ أصيب فى غزوة أُحُد فشُجَّ وجهه وكُسرت رباعيته فكيف الجمع بين الآية وما وقع فى أحد؟**

الجواب: من وجهين :

الأول: أن الآية نزلت بعد غزوة أُحُد.

الثانى: أن المراد بقوله: ﴿يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ أى يعصمك من القتل وإزهاق الروح ويجوز ما دون ذلك من الجراح.

س١٢: قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وعَمِلَ صَالِحًا فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [1]. كيف يقول الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ويقول: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ والمؤمنون يؤمنون بالله؟ وما سر الرفع فى قوله: ﴿وَالصَّابِئُونَ﴾ مع أن المعطوف عليه فى محل نصب لأنه معطوف على اسم «إن»؟

الجواب: أنه قال ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أى بألسنتهم، وهم المنافقون وأراد بـ «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ»: أى بالذين ثبتوا على الإيمان واستقاموا ولم يتطرق الشك إلى أفئدتهم، أما الرفع فى قوله: «الصابئون» فإن الواو للاستئناف والصابئون مبتدأ وخبره محذوف والتقدير: والصابئون كذلك. أو أنَّ «إنَّ» بمعنى حرف جواب مثل «نَعَمْ» فما بعدها مبتدأ وهو اسم الموصول وهو فى محل رفع، وما بعده معطوف عليه فهو مرفوع، فالصابئون فى محل رفع بالعطف، ويجوز أن يكون رفع الصابئين بالعطف على محل اسم «إنَّ» فقد كان محله الرفع قبل دخول «إنَّ» عليه، فلما دخلت عليه لم

---

(١) انظر: الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون جـ ٤ ص٣٥٧.

تغيّر معناه، بل أكدته فهى قد عملت فيه لفظاً فقط، وهذا خاص «بإنّ» و«أنّ» دون سائر أخواتهما (المائدة: ٧٢).

س١٣: قال تعالى : ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ (المائدة: ٧٢).

و قال تعالى : ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ﴾ (المائدة: ٧٣).

ما سر الاختلاف فى الآيتين؟

الجواب : لقد تباينت أقوال النصارى فى عيسى فقالت فرقة منهم بألوهيته وهـم اليعقوبيـة، وقالوا: ربما تجلى الإله فى بعض الأزمان فى شخص فتجلى يومئذٍ فى شخص عيسـى فظهـرت منه المعجزات، وهؤلاء لا عقول لهم فكيف يكون كالحوادث؟ وأين قدرته حين سيق وصُلب وهـم يعترفون بالقتل والدفن؟ وكيف كان تصريف العالم حين قُتل ودفن ثلاثة أيام؟ أليس هذا من قبيل الجهل والخرف؟ وهؤلاء هم الذين تحدثت الآية عن قولهم وكفّرتهم. أما الآيـة الثانيـة فتحـدثت عن طائفة أخرى وهى التى تسود كثيراً من بقاع البسيطة، وهم القائلون بأن الله ثالث ثلاثة، فهو اسم يجمع الأب والابن والروح القدس. فهو اختلاف فى الأقانيم واحد فى الذات، وهؤلاء جهلـة كاليعقوبية لأن الإله إذا كان أجزاءً كان حادثاً، والحدوث على الله محال وهم يعترفون بالصـلب والفداء فكيف يقتل وهو إله؟ وهؤلاء تحدثت عنهم الآية الثانية. وهناك طائفة تقول بأنه ابـن الله وطائفة تقول بألوهية مريم وعيسى وهذا ليس مقام رد على تخاريف النصارى، فالقول الفصل فيه أنه عبد الله ورسوله وبشّر بأن الرسول محمداً ﷺ يأتى من بعده.

س١٤: قال تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (المائدة: ١١٨)، **كان المناسب أن تنتهى الآية بما يناسب السياق وهو: «أنت الغفور الرحيم»، فما سر العدول إلى قوله** ﴿أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ **؟**

الجواب : من وجهين:

الأول: أن العزيز هو الغالب القاهر القادر، والحكيم هو ذو الحكمة وهى إصابة الحق فى القول وفى الفعل والغالب القاهر هو الذى يقدر على المغفرة وهو حكيم.

الثانى: لو قال «الغفور الرحيم» لأفهم أن عيسى يشفع فيهم وهو يعلم أن الشرك لا يغفر.

(٦) سورة الأنعام

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: (لما ختم الله سبحانه تلك – أى المائدة – بتحميد عيسى عليه السلام لجلاله فى ذلك اليوم، ثم تحميد نفسه المقدسة بشمول الملك والقدرة، إذ الحمد هو الوصف بالجميل، افتتح ﷻ هذه السورة – أى الأنعام– بالإخبار بأن ذلك الحمد وغيره مستحق له استحقاقاً ثابتاً دائماً قبل إيجاد الخلق وبعد إيجاده، سواء شكره العباد أو كفروه، لما له سبحانه وتعالى من صفات الجلال والكمال على ما تقدمت الإشارة إليه فى سورة الفاتحة، فأتى بهذه الجملة الاسمية المفتتحة باسم الحمد الكلى الجامع لجميع أنواعه الدالة على الاستغفار) [1].

و أقول: لم يرد فى الربع الأخير من سورة المائدة لفظ الحمد. ويمكن الربط بين آخر سورة المائدة وأول سورة الأنعام بما يأتى:–

لقد قال ﷻ حاكياً عن عيسى يوم القيامة: ﴿أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾ (المائدة:١١٦)، **فهذا حديث عن تنزيه الله عما لا يليق بجماله وجلاله وكماله وانتهت السورة بتأكيد هذا التنزيه: ﴿لِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فمن كان له ملك السموات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير وجب تنزيهه عما لا يليق بذاته المقدسة، وافتتحت سورة الأنعام بالحمد وهو الثناء على من هو أهل للثناء فهذا من قبيل التحلية بعد التخلية وهذا أوقع فى النفس مما قاله البقاعى سابقاً.**

س٢: قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ﴾ (الأنعام:١). ما سر التعبير فى خلق السموات والأرض بـ «خلق» وفى الظلمات والنور بـ «جعل»؟ وما سر تقديم السموات على الأرض مع أن خلق الأرض سابق على السماوات؟ وما سر تقديم الظلمات على النور؟ وما سر جمع الظلمات وإفراد النور؟

الجواب: السر فى التعبير بـ ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ والسر فى الجعل فى الظلمات والنور: أن الخلق هو الإيجاد من عدم وعلى غير مثال سابق، وهذا فى السموات والأرض. والجعل ليس كذلك بل فيه معنى التضمين كإنشاء شيء من شيء أو تصيير شيء من شيء، فالظلمة ناشئة من ظل شيء والنور ناشئ عن شيء، ولذلك عبَّر فيهما بـ «جعل».

---

(١) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور جـ ٧ ص٢، ٣.

وقدم السموات على الأرض لشرفها، فالسماوات السبع ينزل منها الأمر والنهى، ويجرى منها تدبير العالم.

وسر **تقديم الظلمات على النور**: أن الظلمات عدم، والنور وجود، والعدم مقدم على الوجود.

وسر **جمع الظلمات وإفراد النور**: أن الظلمات كثيرة ومختلفة الكثافة، فما من جنس من أجناس الأجرام إلاَّ له ظل، وظلُّه الظلمة بخلاف النور فإنَّه جنس واحد.

س٣: قال تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُواْ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاء مَا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (الأنعام: ٥). وقال تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَاء مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون﴾ (الشعراء: ٦). **ما سر تقييد التكذيب بالحق فى الآية الأولى، والإتيان بسوف فيها ؟ وما سر إطلاق التكذيب فى الآية الثانية والإتيان بالسين فيها؟**

الجواب: قيد التكذيب بالحق فى الآية الأولى لأن المراد به القرآن ولأن سورة الأنعام متقدمة، فقال: ﴿بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءهُمْ﴾ ثم أتى بسوف للتوكيد على التمام، وأطلق التكذيب فى الآية الثانية لأن تقييده فى سورة الأنعام يدل عليه، واقتصر على السين فيها بدل سوف ليتفق اللفظان على الاختصار.

س٤: قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ﴾ (الأنعام: ٦). **القوم لم يروا هذه القرون فكيف يقول لهم ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ﴾ ؟**

الجواب: لقد سمعوا والرؤية هنا بمعنى العلم الذى سمعوه عنهم.

س٥: قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (الأنعام: ١١).

وقال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ (النمل: ٦٩).

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا...﴾. **فى سورة الروم وغافر وغيرهما.**

فما سر مجيء الحرف «ثم» دون الفاء كما فى الآيات الأخرى؟

الجواب: «ثم» حرف عطف يفيد التراخى، والفاء تفيد الترتيب والتعقيب، وفى الآية الأولى تقدم ذكر القرون فى قوله: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ ثم قال بعد ذلك: ﴿فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ فأمروا باستقراء ديارهم للتأمل والاعتبار، والاستقراء يكون فى سير بعد سير وزمان بعد زمان، فخصت هذه الآية بثم الدالة على التراخى ولم يتقدم فى بقية السور مثل ما فى هذه الآية فأتى فيها بالفاء الدالة على الترتيب والتعقيب.

﴿ س٦: قال تعالى: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ (الأنعام:١٣). **الذى يسكن يكون فى الليل والحركة والمتحرك يكونان فى النهار فلماذا جعل ما سكن فى الليل والنهار؟**

الجواب: معنى الآية ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ وله ما تحرك فى النهار وحذف الثانى على سبيل الاكتفاء على حد قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ (النحل:٨١)، والتقدير سرابيل تقيكم الحر والبرد.

س٧: قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ (الأنعام:٢١). و قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾ (البقرة:١١٤)، و قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ (الكهف:٥٧)، و قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ (الزمر:٣٢). **ففى الآية الأولى ورد أفعل التفضيل «أظلم» وهو يقتضى أنه لا يعادله شىء ثم ورد أفعل التفضيل فى الآيات بعدها وهذا يوهم التناقض؟**

الجواب: المراد بالاستفهام فى هذا الأسلوب وهو «ومن أظلم»، و «فمن أظلم» النفيُ، والمعنى: لا أحد أظلم، ويمكن درء هذا التناقض بما يأتى:-

أولاً: أن يختص كل أفعل تفضيل بمعنى صلته التى ورد فيها فيكون المعنى:

فى الآية الأولى : لا أحد من المانعين الخير أظلم ممن منع مساجد الله.

و فى الآية الثانية : لا أحد من المفترين أظلم ممن افترى على الله كذباً.

وفى الآية الثالثة : لا أحد من الذين ذكّروا بآيات ربهم أظلم ممن ذُكّر بها ثم أعرض عنها.

و فى الآية الرابعة : لا أحد من الكاذبين أظلم ممن كذب على الله وكذّب بالصدق إذ جاءه.

وإذا تخصّص كلُ أفعل تفضيل بصلته زال التناقض.

ثانياً: يمكن درء التناقض بوجه آخر، وهو أن أفعل التفضيل ليس على بابه ولا يراد به التفضيل أو نقول: (إن التخصيص بالنسبة إلى السبق لما لم يسبق أحد إلى مثله حكم عليهم بأنهم أظلم ممن جاء بعدهم سالكاً طريقهم وهذا يؤول معناه إلى ما قبله لأن المراد السبق إلى المانعية والافترائية.

ومنها: ما ادعاه أبو حيان من أن الصواب أن نفى الأظلمية لا يستدعى نفى الظالمية؛ لأن نفى المقيّد لا يدل على نفى المطلق وإذا لم يدل على نفى الظالمية لم يلزم التناقض لأن فيها إثبات التسوية فى الأظلمية، وإذا ثبتت التسوية فيها لم يكن أحد ممن وصف بذلك يزيد على الآخر لأنهم يتساوون فى الأظلمية وصار المعنى: لا أحد أظلم ممن افترى وممن منع ونحوها. ولا إشكال

فى تساوى هؤلاء فى الأظلمية ولا يدل على أن أحد هؤلاء أظلم من الآخر، كما إذا قلت -على سبيل المثال- لا أحد أفقه منهم. وحاصل الجواب أن نفى التفضيل لا يلزم منه نفى المساواة. وقال بعض المتأخرين: هذا استفهام مقصود به التهويل والتفظيع من غير قصد إثبات الأظلمية للمذكور حقيقة ولا نفيها عن غيره) [1].

س٨: قال تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُواْ عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُواْ بَلَى وَرَبِّنَا﴾ (الأنعام: ٣٠)، **و قال تعالى : ﴿وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** (البقرة: ١٧٤)، **فالآية الأولى تثبت أنه يكلمهم، والثانية تنفى الكلام فكيف التوفيق بين الآيتين؟**

الجواب: أنه يكلمهم بسؤال النفى والتوبيخ والتقريع فى الآية الأولى.

والآية الثانية تنفى الكلام الطيب النافع الذى يريحهم.

س٩: قال تعالى : ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ (الأنعام: ٣٢). **قدَّم فى هذه الآية اللعب على اللهو وكذلك فى سورة محمد والحديد، وقدم اللهو على اللعب فى الأعراف والعنكبوت. فما سر ذلك؟**

الجواب: اللعب : عمل يشغل النفس عما تنتفع به، واللهو صَرْفُهَا عن الجد إلى الهزل، وإنما قدّم اللعب على اللهو فى الأكثر لأن اللعب زمانه الصبا واللهو زمانه الشباب وزمان الصبا مقدّم على زمان الشباب يبين ذلك ما فى سورة الحديد: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ لعب كلعب الصبيان ولهو كلهو الشباب، وقدم اللهو فى الأعراف على خلاف الأصل لأن ما فى الأعراف فى يوم القيامة ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ الْمَاء أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ، الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ (الأعراف: ٥٠ - ٥١).

فذكر اللهو أولاً واللعب ثانياً على الترتيب الذى انقضى وبالسلوك الذى انتهى عليه الإنسان، فآخر حياة هؤلاء اللهو، وقدّم اللهو فى العنكبوت فقال: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (العنكبوت: ٦٤) **فهذه الآية حصرت زمان الدنيا فى اللهو واللعب وأنها سريعة الزوال. وبينت أن الدار الآخرة هى الحياة الحقيقية وهى غير**

(١) الإتقان فى علوم القرآن جـ ٣ ص٨٧، ٨٨.

متناهية، وهى أبديَّة، وقدَّم اللهو على اللعب لأنه فى زمان الشباب وهو أكثر من زمان اللعب وهو زمان الصبا.

س١٠: قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (الأنعام:٣٨). **ما فائدة وصف الطائر بكونه يطير بجناحيه مع أن هذا معلوم؟ ولِمَ عبَّر عن المثنى «دابة، وطائر» بالجمع فقال «أُمَمٌ»** ؟

الجواب: وصف الطائر بجملة ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ لأمرين:

الأول: التوكيد كقولك: ضربته بيدى وتكلمت بلسانى، فهذا من قبيل التوكيد.

الثانى: أن اعتدال جسد الطائر بين جناحيه يعينه على الطيران، وإذا لم يعتدل فإنَّه يميل.

فذكر الله تعالى حالة الطيران حين يكون الطائر فيها، وأعلمنا أنه يطير بالجناحين.

وأخبر الله ﷻ بالجمع «أمم» عن المثنى «دابة وطائر» لأنهما يفيدان العموم، فدابة نكرة وطائر نكرة كذلك، ووقوع النكرة فى سياق النفى يفيد العموم، والنفى هنا «ما» فدابة جنس الدواب. وطائر جنس الطائر.

س١١: قال تعالى: **﴿وَلَقَدْ أَرْسَلنَآ إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾** (الأنعام:٤٢). **وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾** (الأعراف:٩٤). **فما سر فك الإدغام فى الآية الأولى فى قوله «يتضرعون»؟**

الجواب: أن ما فى سورة الأنعام جاء مواكباً لما بعده من فك الإدغام فى قوله تعالى: **﴿فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ﴾** (الأنعام:٤٣).

س١٢: قال تعالى: **﴿قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾** (الأنعام:٥٠). وقال تعالى فى سورة هود: **﴿وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾** (هود:٣١). **فما سر تكرار «لكم» فى الآية الأولى وعدم تكرارها فى الآية الثانية؟**

الجواب: لم يكرر فى الآية الثانية لأن «لكم» ذكرت مراراً فى قول نوح عليه السلام قبل هذه الآية فى قوله: **﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾** وقول قومه له ولمن تبعه: **﴿وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾**، ولم تكرر فى الآية التى نحن بصددها اكتفاءً بما تقدَّم ولا سيما وقد ذكرت بعدها: **﴿وَلاَ يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ﴾**.

﴿ س١٣: قال تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ (الأنعام:٦٠). وقال تعالى : ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً حَتَّىَ إِذَا جَاء أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ﴾ (الأنعام:٦١). وقال تعالى : ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ (السجدة:١١). **لقد أسند التوفي فى الآية الأولى إلى الله وفى الثانية أسند إلى رسل الله وفى الثالثة أسند إلى ملك الموت فكيف الجمع بين هذه الآيات؟**

﴿ **الجواب:** أسند التوفي إلى الله فى الآية الأولى لأنه الآمر بالوفاة، فهو المتوفّى الحقيقى، وأسند فى الآية الثانية إلى الرسل فإذا حضر أجل العبد أمر الله ملك الموت وأعوانه بقبض روحه، فالرسل وهم الأعوان ينزعون الروح من الجسد، فإذا وصلت إلى الحلقوم تولّى ملك الموت نفسُه قبضَها، فأسند التوفي فى الآية الثانية للرسل باعتبار النزع، وأسند إلى ملك الموت باعتبار القبض.

﴿ **س١٤: قال تعالى :** ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَـذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ﴾ (الأنعام:٧٦). **ما سر اختيار إبراهيم للأفول دون انبزوغ فى جميع الآيات وذلك عند إبراز الحجج على القوم وكلاهما انتقال من حال إلى حال؟**

﴿ **الجواب: الاحتجاج بالأفول أظهر لأنه انتقال من حال إلى حال مع الخفاء والزوال، فلا تكون آثار الإله خافية، فهى ليست آلهة.**

﴿ **س١٥: قال تعالى :** ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَـذَا رَبِّي هَـذَآ أَكْبَرُ﴾ (الأنعام:٧٨).

ما سر الإخبار بالمذكر مع أن الإشارة للشمس وهى مؤنث مجازى فكان السياق يقتضى «هذه ربى» و«هذه أكبر» ؟

﴿ **الجواب:** جملة ﴿هَـذَا رَبِّي﴾ جعل المبتدأ وهو اسم الإشارة مثل الخبر ربى لأنهما شىء واحد، وأتت الجملة الثانية كذلك ﴿هَـذَآ أَكْبَرُ﴾.

﴿ **س١٦: قال تعالى:** ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ، وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾ (الأنعام:٨٣، ٨٤).

ما سر ترك ذِكر إسماعيل مع إسحاق؟

﴿ **الجواب:** من وجهين:

الأول: لقد ذكر إسماعيل فيما بعد فى قوله تعالى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا﴾ (الأنعام:٨٦)

(الثانى: المقصود بالذكر هنا أنبياء بنى إسرائيل وهم أولاد إسحاق وولده يعقوب وأما إسماعيل فإنه ما خرج من صلبه إلاّ نبينا محمد ﷺ، ولا يجوز ذكر محمد فى هذا المقام لأنه تعالى أمره أن

يحتج على العرب فى نفى الشرك بأن إبراهيم لما ترك الشرك وأصر على التوحيد رزقه الله النعم العظيمة فى الدين وفى الدنيا، وجعل من أولاده أنبياء وملوكاً، فإذا كان محمد ﷺ هو المحتج بهذه الحجة امتنع أن يذكر نفسه فى هذا المعرض، فلهذا لم يذكر إسماعيل مع إسحاق)[1]

س١٧: قال تعالى: ﴿أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ (الأنعام: ٩٠). فى أى شىء يقتدى الرسول ﷺ بالأنبياء؟ وهل الأمر بالاقتداء يترتب عليه أن منصبهم أعلى من منصبه؟

الجواب: إن المراد بالاقتداء بهم فى الأصول التى اتفقت فيها رسالات الرسل وهى :

١- التوحيد. ٢- إثبات الرسالة. ٣- عبادة الله.

٤- الدعوة إلى البعث. ٥- الأخلاق الفاضلة.

فالأصول واحدة، وفروع شريعته نسخت كلَّ فروع الشرائع السابقة.

ولا يلزم أن اقتداءه بالهدى أنهم أعلى منصباً منه لأن هداهم هو هدى الله وليس هدى الأنبياء المذكورين، بيد أنهم أضيفوا إليه لكثرة ملازمتهم له، ولكنهم سبقوه فى الزمن، ولقد ثبت من النصوص القرآنية أنه إمامهم بما يأتى:

١- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (آل عمران: ٨١).

٢- قوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران: ٨٥).

٣- ما ثبت بالسنة الصحيحة أنه صلى بالأنبياء إماماً ليلة الإسراء والمعراج.

٤- ما ثبت بالسنة الصحيحة أنه سيد ولد آدم. وأنه خير خلق الله أجمعين.

س١٨: قال تعالى : ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: ٩٠). **و قال تعالى : ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾** (يوسف: ١٠٤). **فما سر مجىء «ذكرى» فى الآية الأولى وهى مؤنثة بمعنى تذكرة، وأتى بالكلمة مذكرة فى الآية الثانية «ذِكْرٌ»؟**

الجواب: الأصل أن القرآن ذكر للعالمين، بَيْدَ أنه خرج عن هذا الأصل إلى «ذكرى» فى الآية الأولى لمواكبة السياق؛ لأن كلمة «ذكرى» تكررت فى أكثر من موضع فى الآيات السابقة عليها:

---

(١) الروض الريان فى أسئلة القرآن جـ ١ ص٤٧، ٤٨.

﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنعام:٦٨)، وقوله ﴿وَلَكِن ذِكْرَى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (الأنعام:٦٩). فكان الأليق أن تأتى كلمة «ذكرى» مراعاة لما سبق فى الآيات.

س١٩: قال تعالى : ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ (الأنعام:٩٢). هذه الآية تبين أن الرسول رسالته خاصة بدليل قوله : ﴿أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ فكيف ندرأ ذلك؟

الجواب: الأدلة على أن الرسول محمداً مبعوث إلى الإنس والجن كثيرة منها :-

اولاً: قوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ (سبأ:٢٨).

ثانياً: قوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء:١٠٧).

ثالثاً: قوله تعالى : ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ، قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ، يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (الأحقاف:٢٩-٣١).

رابعاً: قوله تعالى : ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلا يَخَافُ بَخْسًا وَلا رَهَقًا﴾ (الجن:١٣).

خامساً: قوله تعالى : ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ (الجن:١٩).

هذه أدلة صريحة قوية الحجج، براهينها ساطعة على أن الرسول محمداً ﷺ مرسل إلى سائر البشر وسائر الجن، ودعوته عامة وليست خاصة، ولا غرو فإنّها خاتمة الرسالات.

ومن الطبيعى لكل رسالة أن تكون لها نقطة بداية وهى المركز، وتبدأ من الرسول ويدعو بها عشيرته الأقربين، قال تعالى : ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾. ثم تنطلق إلى سائر بلدته وقريته فيدعوهم، قال تعالى: ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ (الأنعام:٩٢)، وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ (الشورى:٧). ولقد ثبت بالأدلة القطعية عموم رسالته ﷺ وأنها عالمية وليست محلية، فإن مكة أم القرى هى المركز وتتسع دائرة الإنذار فتشمل العالم كله فهو حولها، ولا يلزم من تخصيص الشيء بالذكر نفى الحكم عما عداه.

﴿ س٢٠: قال تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ (الأنعام: ٩٥).
وقال تعالى: ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ (آل عمران: ٢٧).
وقال تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ (الروم: ١٩).
وقال تعالى: ﴿وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ (يونس: ٣١).
فما سر انفراد سورة الأنعام باسم الفاعل «مخرج» دون بقية الآيات ؟

الجواب: لقد أتى اسم الفاعل «مُخرج» من الفعل الرباعى «أخرج» بدلاً من الفعل المضارع «يخرج» كما فى بقية الآيات لأنه وقع بين اسمى فاعل وهما «فالق الحب» و«فالق الإصباح». واسم الفاعل يشبه الاسم من وجوه وهى دخول «أل» عليه والتنوين. والجر، وهذه من علامات الاسم، ويشبه الفعل من وجه حيث يرفع فاعلاً وينصب مفعولاً به. بَيْدَ أنه لا يثنى ولا يجمع إذا عمل، ولهذا جاز أن يعطف عليه باسم كقوله تعالى: ﴿وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾ (الأحزاب: ٣٥)، وجاز العطف عليه بفعل كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ (الحديد: ١٨).

فلما سبق اسم الفاعل فى الآية الأولى وهو «فالق» فى قوله: ﴿فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ وأتى بعده ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ أتى «يخرج» بلفظ الفعل، «ومُخرج» بلفظ الاسم عملاً بالشبهين أى بشبه الاسم وبشبه الفعل، وأخَّر لفظ الاسم «مُخرج» لأن الواقع بعده اسمان: هما الميّت والحيّ، أما فى بقية الآيات فكلها أفعال سواء كانت سابقة أم لاحقة.

﴿ **س٢١: قال تعالى: ﴿فَالِقُ الإِصْبَاحِ﴾ (الأنعام: ٩٦). كيف يقول: ﴿فَالِقُ الإِصْبَاحِ﴾ والصبح لا ينفلق بل الذى ينفلق هو الظلمة فهى تنفلق عن الصبح؟**

الجواب: فيه محذوف هو مضاف والتقدير فالق ظلمة الإصباح وقيل المحذوف تقديره «خالق الإصباح».

﴿ **س٢٢: قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾ (الأنعام: ٩٩)..**
و قال تعالى: ﴿وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ (الأنعام: ١٤١). فما سر انتصاب ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ﴾ مع أنه سبقهما واو العطف، وما قبلهما مجرور وهو «جناتٍ» فهو المعطوف على «من النخل»؟ وما سر ذكر «مُشْتَبِهاً» فى الآية الأولى و«متشابهاً» فى الآية الثانية؟

﴿الله﴾ **الجواب:** انتصب الزيتون على المدح والرمّان معطوف عليه أو أن الزيتون معطوف على «نبات» فى قوله ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾.

أما ذكر «مشتبهاً» فى الآية الأولى و«متشابهاً» فى الآية الثانية فهما بمعنى واحد، أى يشبه أحدهما الآخر يقال: (اشتبه الشيئان وتشابها نحو استويا وتساويا، والافتعال والتفاعل يشتركان كثيراً) [1]. وعلى ضوء ذلك يكون المعنى والزيتون والرمان متشابهان أو مشتبهان أو متماثلان فى الشكل والورق وغير متشابه فى الطعم والذوق.

كذلك قوله: (﴿مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾ فيه أقوال: أحدها: مشتبهاً فى المنظر وغير متشابه فى الطعم. رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثانى: مشتبهاً ورقه مختلفاً ثمره. والثالث: منه ما يشبه بعضه بعضاً ومنه ما يخالف. قال الزجاج: قرن الزيتون بالرمان لأنهما شجرتان تعرف العرب أن ورقهما يشتمل على الغصن من أوله إلى آخره) [2].

﴿الله﴾ **س٢٣: قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾ (الأنعام:٩٩). هل فى هذه الآية إشارة علمية؟**

﴿الله﴾ **الجواب: نعم: يقوم النبات بعملية التمثيل الضوئى، وهى أن الأوراق والمجموع الخضرى يأخذ فى الضوء ثانى أكسيد الكربون ويخرج الأكسجين اللازم لحياة الإنسان والحيوان، ويكوّن به الثمرة أو الحبوب، وفى الليل يأخذ الأكسجين ويخرج ثانى أكسيد الكربون ومادة اليخضور هى التى تقوم بهذه العملية، ولقد أشارت الآية إشارة لطيفة إلى ذلك حيث قال الله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا﴾ أى أخرجنا من النبات مادة خضراء هذا الخضر ﴿نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾ فالخضر هو الذى يقوم بعملية التمثيل الكلورفلى – أى التمثيل الضوئى – وهذه إشارة علمية.**

﴿الله﴾ **س٢٤: قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ (الأنعام:١٢٤). فى قوله: «أعلم» إشكال، وهو أنه: أفعل تفضيل، ويلزم منه أن الله يكون فى مكان أعلم منه فى مكان آخر، وهذا باطل لأن علمه تعالى لا يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة، فكيف ندرأ هذا الإشكال؟**

﴿الله﴾ **الجواب:** أفعل التفضيل «أعلم» ليس على بابه وليس للتفضيل بل هو بمعنى اسم الفاعل أى عالم حيث يجعل رسالته، أو أننا نضمّن أفعل التفضيل معنىً يتعدى إلى الظرف «حيث» ويكون

---

(١) تفسير النسفى جـ١ ص٤٩٢.

(٢) زاد المسير فى علم التفسير جـ٣ ص٩٤.

المعنى «الله أنفذ علماً حيث يجعل رسالته» أو نأتى من أعلم بصفة مشبهة.

س٢٥ : قال تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَـذَا قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ﴾ (الأنعام: ١٣٠)، **لقد أقرَّ الكفرة بكفرهم وشهدوا بذلك، وهذا يتناقض فى الظاهر مع قوله تعالى:** ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ وَاللّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام: ٢٣)، **فكيف ندرأ هذا التناقض الظاهرى بين آية الإقرار بالكفر وبين آية جحودهم له؟ ولِمَ كرَّر الشهادة فى الآية الأولى؟**

الجواب: تتفاوت المواطن فى يوم القيامة لطوله وكثرة دواهيه، فيجحدون شركهم فى بعضها ولكنهم فى مواطن أخرى لا يجدون مناصاً من الإقرار بأنهم كانوا مشركين أو أننا نقول: إنهم حين يجدون أهل التوحيد يُزَفُّون إلى الجنة فإنهم يجحدون شركهم وكفرهم، فيضرب الله على ألسنتهم فتنطق جوارحهم بكفرهم وعصيانهم، عندئذٍ لا يكتمون الله حديثاً.

وكرَّر شهادتهم فى الآية الأولى لاختلاف الجهة، فالشهادة الأولى حكاية لقولهم كيف يقولون ذلك ويعترفون بشركهم، والشهادة الثانية يبرزون خطأهم وضيق أفقهم وأنهم غرَّتهم الحياة الدنيا ولذَّاتها وشهواتها، فأصبحوا لايجدون مناصاً من الشهادة على أنفسهم.

س٢٦: قال تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾ (الأنعام: ١٤١).

ما فائدة جملة ﴿إِذَا أَثْمَرَ﴾ مع أن جملة ﴿كُلُواْ مِن ثَمَرِهِ﴾ تدل على إثماره؟

الجواب: أتت جملة ﴿إِذَا أَثْمَرَ﴾ للإعلام بأن وقت إباحة الأكل من وقت إخراج الشجر للثمر. ولا يتوهم أن إباحة الأكل وقت النضج فقط.

س٢٧: قال تعالى : ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللّهَ حَرَّمَ هَـذَا فَإِن شَهِدُواْ فَلاَ تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ (الأنعام: ١٥٠). **لماذا أفرد «هلم» مع أن المخاطبين جمع؟ وكيف يأمرهم الله باستحضار شهدائهم الذين يشهدون أن الله حرم هذا –أى ما زعموه– ثم أمر نبيَّه بألا يشهد معهم؟**

الجواب: أما عن الشطر الأول من السؤال: فكلمة «هلم» اسم فعل أمر بمعنى أَقْبِلْ، وهى عند الحجازيين صيغة واحدة يستوى بها المفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث. وعند بنى تميم فعل

أمر تلحقه علامة التأنيث والتثنية والجمع، وورد فى سورة الأحزاب قوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ (الأحزاب: ١٨).

أما عن الشطر الثانى من السؤال: إنه أمرهم باستحضارهم شهداءهم وهم الذين يشهدون معهم بالباطل ليلزم أكبر عدد من المشركين الحجة ويلقمهم الحجر، وأن الكفار على قدم واحدة فى الشهادة، ونهاه أن لا يسلِّم لهذا الحشد من شهود الباطل الذين يشهدون «أن الله حرم هذا»، فهم رغم أنهم حشد كبير فإنهم ليسوا على شىء بل هم فى ضلالهم يتخبطون.

س٢٨: قال تعالى: ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ (الأنعام: ١٥١).

و قال تعالى: ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم﴾ (الإسراء: ٣١). **ما سر تقديم ضمير المخاطبين وتأخير ضمير الأولاد فى الآية الأولى وعكس ذلك فى الآية الثانية؟**

الجواب: (كان ظاهر السياق أن يقدّم – فى الآية الأولى – ويقول «نحن نرزقهم وإياكم» كما فى آية الإسراء – الآية الثانية – لأن الكلام فى الأولاد، ولكن قدّم هنا خطاب الآباء ليكون كالدليل على ما بعده وقال هنا: (من إملاق) وفى الإسراء: (خشية إملاق). قال بعضهم: لأن هذا فى الفقر الناجز [1]، فيكون خطاباً للآباء الفقراء، وما فى الإسراء فى المتوقع فيكون خطاباً للآباء الأغنياء فلعلهم كان فقراؤهم يقتلون أولادهم وأغنياؤهم كذلك، وفى السمين: وفى هذه الآية قدّم المخاطبين. وفى الإسراء قدّم ضمير الأولاد عليهم فقال: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم﴾ فقيل: للتفنن فى البلاغة. وأحسن منه أن يقال: الظاهر من قوله: ﴿مِنْ إِمْلاَقٍ﴾ حصول الإملاق للوالد لا توقعه وخشيته فيبتدئ أولاً بالعِدة برزق الآباء بشارة لهم بزوال ما هم فيه من الإملاق، وأما فى آية الإسراء فظاهرها أنهم موسرون، وإنما يخشون حصول الفقر، ولذلك قال «خشية إملاق»، وإنما تخشى الأمور المتوقعة، فبدئ فيها بضمان رزقهم فلا معنى لقتلكم إياهم» [2].

---

(١) الناجز: الواقع والحاصل.

(٢) الفتوحات الإلهية جـ٢ ص١٠٨ بتصريف.

﴾(٧) سورة الأعراف﴿

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: المناسبة بين آخر سورة الأنعام وأول سورة الأعراف هي:

أن سورة الأنعام انتهت بحديث عن هداية الله لرسوله إلى هذا الدين، فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام: ١٦١). واستتبع هذا الحديث حديث عن سلوك الرسول ﷺ في الطاعات و محياه ومماته لله، واستتبع هذا الحديثَ حديثٌ عن نبذ الشرك وعن بلاء العباد في رفع درجات بعضهم فوق بعض وأنه سريع العقاب وأنه غفور رحيم. ثم شرع في أول سورة الأعراف في ذكر الكتاب الذي تضمن الدين السالف الذكر فقال ﴿كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، والتنكير في (كتاب) للتفخيم والتعظيم، فكأنه قال: هذا الصراط المستقيم والدين القيّم هو هذا الكتاب.

س٢: قال تعالى: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ (الأعراف: ٤)، البأس هو العذاب وهو يأتي قبل الإهلاك فلماذا قدَّم الهلاك عليه؟

الجواب: المعنى: وكم من قرية أردنا إهلاكها فجاءها بأسنا بياتاً أو هم قائلون، وهذا الأسلوب ورد في القرآن كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (النحل: ٩٨). و قوله تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ﴾ (المائدة: ٦).

س٣: قال تعالى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الأعراف: ٦). وقال تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ (الصافات: ١٠). وقال تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلا جَانٌّ﴾ (الرحمن: ٣٩).

فالآية الأولى و الثانية تثبتان السؤال يوم القيامة فإذا كان الله عالماً بهم فلماذا السؤال؟ و كيف ندرأ التناقض بين إثبات السؤال في الآيتين الأولى والثانية، ونفي السؤال في الآية الثالثة؟

الجواب: أنهم يسألون سؤال توبيخ وتقريع وليس سؤال استخبار.

أما درء التناقض فالجواب فيه من وجهين:

الأول: إن في القيامة مواقف مختلفة وأحوالاً متباينة وهي كثيرة، ففي موقف يُسألون وهو ما أثبتته الآية الأولى والثانية، وفي موقف آخر لا يسألون وهو ما نفته الآية الثالثة.

الثاني: أن السؤال الذى أثبتته الآية الأولى والثانية هو سؤال توبيخ وتبكيت وتقريع، وأما السؤال الذى نفته الآية الثالثة فهو سؤال الاستخبار أو إظهار المعذرة أو بيان الحجة.

س٤: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ، قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ (الأعراف: ١١، ١٢). **وقال تعالى:** ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ (الحجر: ٣٢). **وقال تعالى:** ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ (ص: ٧٥). **ما سر عدم ذكر حرف النداء فى الآية الأولى وذكره فى الآيتين الثانية والثالثة؟ وما سر حذف الحرف «لا» فى الثانية وذكره فى الأولى والثالثة؟ وما سر تغيّر الأسلوب فى الآيات الثلاث مع أنها تتحدث عن جزئية من حدث واحد؟ ولِمَ سأله الله عن المانع من السجود وقد علم منه سبب المنع؟**

الجواب: سر حذف النداء فى الآية الأولى لأن خطاب إبليس قرب من ذكره فى السورة التى وردت فيها الآية الأولى وهى قوله ﴿إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ، قَالَ مَا مَنَعَكَ﴾، فحسن حذف حرف النداء والمنادى، ولم يقرب فى سورة «ص» و«الحجر».

و سر مجىء «لا» فى الأولى والثالثة وحذفها فى الثانية: أنّ «لا» مزيدة للتوكيد لمعنى الفعل الذى دخلت عليه كما فى قوله تعالى: ﴿لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ وحذفها فى الآية الثانية هو الأصل «ما منعك أن تسجد» وأن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر هو السجود أى: ما منعك من السجود، وهذه الآية تفسر الآيتين و«لا» مزيدة للتوكيد، والاستفهام فى الآيات للتوبيخ والتقريع. واختلاف العبارات عند حكاية الله لهذا الحدث يدل على (أن اللعين قد أدمج فى معصية واحدة ثلاث معاصٍ: مخالفة الأمر، ومفارقة الجماعة، والإباء عن الانتظام فى سلك أولئك المقربين. والاستكبار مع تحقير آدم عليه السلام، وقد وُبِّخَ على كل واحدة منها، لكنه اقتصر عند الحكاية فى كل موطن على ما ذكر فيه اكتفاء بما ذكر فى موطن آخر وإشعاراً بأن كل واحدة منها كافية فى التوبيخ وإظهار بطلان ما ارتكبه، وقد تركت حكاية التوبيخ رأساً فى سورة البقرة وسورة بنى إسرائيل والكهف وسورة طه) [1]، وسأله الله عن المانع من السجود مع علمه بالمانع لإظهار معاندته وإبراز كفره وإخراج ما فى باطنه ليعلمه الخلق مع علم الله به، فيظهر لهم حسده لآدم وذريته.

س٥: قال تعالى: ﴿قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ (الأعراف: ١٢). **وقال**

---

(١) تفسير أبى السعود جـ٣ ص٢١٦.

مثل الآية السابقة في سورة «ص» . وقال تعالى في سورة الحجر: ﴿قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ (الحجر: ٣٣).

ما سر اختلاف الأسلوب في الآية الثالثة عن الآيتين السابقتين؟

وما سر إجابة إبليس بأجوبة تذكر أطوار خلق آدم من طين وصلصال وحمأ مسنون؟

ولماذا قدَّم طور الصلصال على الحمأ مع أنه متأخر عنه؟

الجواب: لقد جاء الجواب متحداً في الآية الأولى وآية سورة «ص» لأن السؤال واحد: «ما منعك» وأتى الجواب في سورة الحجر بلفظ «لم أكن» لأن السؤال في سورة الحجر أتى فيه بلفظ الكون في قوله ﴿مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾، فزاد لفظ الكون في الجواب.

أما إجابة إبليس المختلفة فلأنه يريد مزيداً من تحقير آدم، فظن الملعون أن خلقه أطواراً تقليل من شأنه وحط من كرامته، والأجوبة تنبئ عن ذلك ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾، ويبدو أن خلقه لم يكن أطواراً فهو من نار.

و تقدَّم الصلصال على الحمأ المسنون لتنتهى الآيات بالنون لمراعاة الفواصل.

س٦: قال تعالى: ﴿قَالَ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ، قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ (الأعراف: ١٤- ١٥).

كيف يمهل الله إبليس إلى يوم القيامة وهو يعلم أنه يفسد العباد ويغويهم؟

الجواب: لقد سأل إبليس ربه الإنظار إلى يوم القيامة ليكون ذلك ابتلاءً للعباد فيجاهدوه ويخالفوه وفي ذلك أعظم الثواب، ومن جاراه فقد أعدَّ الله له العقاب. ويكون حكمه حكم الأشياء التي خلقها الله لابتلاء العباد كزخارف الدنيا والشهوات التي ركبها الله في البشر، وهذا كله لامتحان الخلائق، وأيضاً شأنه شأن الدجال الذي ينزل في آخر الزمان.

س٧: قال تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الأعراف: ١٦). وقال في سورة الحجر: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ (الحجر: ٣٩). وفي سورة «ص» قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾، فما سر اختلاف الأسلوب؟

الجواب: أن آية سورة «ص» تفسِّر ما سبق، فكلها أقسام أقسم بها اللعين، فالقسم في سورة «ص» معناه: فبقهرك وغلبتك لأغوينهم أجمعين. وفي الآية الأولى وسورة الحجر قال: ﴿فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ و﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ فهذا قسم بإغواء الله تعالى إياه، ومعنى قَسَم اللعين أنه بمعاقبتك لي على غَيِّي[1] لأقعدنَّ لهم صراطك المستقيم، فإن إبليس يدرك أن إغواء الله له أثر من آثار قدرته

(١) هذا معنى الإغواء هنا . و قد يكون المعنى يحكم عليَّ بالغيّ.

عز وجل ، وحكم من أحكام سلطانه، فمآل القسم بما فى سورتى الأعراف والحجر واحد يفسرهما القسم فى سورة «ص» .

(وسأل الخطيب الإسكافى نفسه عن هذه المسائل فأجاب عنها وقال: إنّ اقتصاص ما مضى[1] إذا لم يقصد به أداء الألفاظ بعينها كان اتفاقها واختلافها سواء إذا أدى المعنى المقصود، وهذا جواب حسن إن رضيت به كُفيت مؤنة السَّهَر إلى السَّحَر) [2].

س٨: قال تعالى : ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الأعراف :١٨). **ما سر انفراد هذه السورة بقوله: ﴿اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُومًا مَّدْحُورًا﴾ دون بقية السور القرآنية التى تحدثت عن قصة آدم وإبليس؟**

الجواب: لقد بالغ اللعين فى هذه السورة فى إظهار عداوته لآدم وذريته بأساليب ليست فى غيرها من السور القرآنية، وهى قوله: **﴿لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ، ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾** (الأعراف :١٦ - ١٧)، **فلما بالغ بتلك الأساليب وأنهاها بأكبر جرم تجاه الحق جل وعلا بقوله ﴿وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِين﴾ أى مطيعين ، بَالَغَ الله فى الرد عليه بذمه بأشد الذم، فالذأم هو أشد الذم وهو بعد أمره بالخروج من الجنة أو من عداد الملائكة أو من ملكوت السموات مطروداً من رحمة الله، هو ومن تبعه من ذرية آدم، قال الله ﴿لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ .**

س٩: قال تعالى : ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ (الأعراف :٢١).

قوله «قاسمهما» يدل على المفاعلة، فكيف وقع ذلك بين اللعين وآدم وزوجه؟

الجواب: (أن المفاعلة ليست على بابها بل هى للمبالغة. أبو السعود، وفى السمين : المفاعلة هنا يحتمل أن تكون على بابها، فقال الزمخشرى: كأنه قال لهما أقسم لكما إنى لمن الناصحين، فقالا له: أتقسم بالله أنت إنك لمن الناصحين لنا، فجعل ذلك مقاسمة بينهم، أو أقسم لهما بالنصيحة وأقسما له بقبولها، أو أخرج قسم إبليس على وزن المفاعلة لأنه اجتهد فيه اجتهاد المقاسم، وقال ابن عطية: «وقاسمهما» أى حلف لهما، وهى مفاعلة إذ قبول المحلوف له وإقباله على معنى اليمين وتقريره كالقسم وإن كان بادى الرأى يعطى أنها من واحد، ويحتمل أن يكون

(١) اقتصاص ما مضى : أى تتبع أخبار الأمم السابقة وحكاياتها

(٢) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز جـ١ ص٢٠٨.

فاعل بمعنى أَفْعَلَ كباعدته وأبعدته. وذلك أن الحلف لما كان من إبليس دونهما كان فَاعَلَ بمعنى أصل الفعل) [1].

س١٠: قال تعالى : ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (الأعراف :٣٢). هذه الآية تثبت أن الطيبات فى هذه الدنيا للذين آمنوا، وإذا نظرنا إلى واقع الحياة وجدنا الكفرة يتمتعون بها وقد يتمتعون أكثر فما سر ذلك؟

الجواب : لقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ لينبه على أن الأصل أنه خلقها للمؤمنين وأن الكفرة تبع لهم فيها . فإن تمتع بها الكفرة كان هذا اختباراً للمؤمنين بالفقر يثابون عليه ويضاعف لهم الثواب. أما فى الآخرة فهى خالصة للمؤمنين.

س١١: قال تعالى : ﴿وَنُودُواْ أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف :٤٣). لقد قال رسول الله ﷺ «لن يُدْخِل أحداً عمله الجنة»، وكثير من الآيات تتحدث عن دخول المؤمنين الجنة بأعمالهم وهذا يتناقض مع الحديث السابق فكيف ندرأ هذا التناقض؟

الجواب : العمل الصالح يؤهل المؤمن لفضل الله ولا يدخله الجنة ولا يوجب دخول الجنة بذاته، ودخول المؤمنين الجنة بفضل الله وكرمه، وهذا ما يشير إليه الحديث . ولقد ذكرت الآيات القرآنية دخول المؤمنين الجنة بسبب أعمالهم تكريماً لهم وعلامة بارزة فى الدنيا لدخولهم الجنة. وأعمالهم الصالحة فى الدنيا بتوفيق الله، أليس دخولهم الجنة بفضله؟ بلى.

س١٢: قال تعالى : ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُواْ نَعَمْ﴾ (الأعراف :٤٤).

قال الله على لسان أهل الجنة: ﴿أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا﴾ فهلاً قال بعد ذلك: «فهل وجدتم ما وعدكم ربكم» فما سر مجيء الأسلوب بالحذف؟

الجواب : حذف ضمير الجمع فى «وعدكم» لأحد الأمور الآتية :-

١- للتخفيف ودلالة «وعدنا» عليه.

٢- أن أصحاب النار لم يلتفتوا إلى وعيد الله على ألسنة الرسل لأنهم لم يؤمنوا برسالاتهم، فكأن الوعيد لم يسمعوا به.

٣- أو أنه حذف الضمير لدلالة الأول عليه.

---

(١) الفتوحات الإلهية جـ٢ ص١٣٠.

﷽ **س١٣: قال تعالى :** ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ (الأعراف :٥٤). **وقال تعالى :** ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (طه :٥). **وقال تعالى :** ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ (السجدة :٤).
ما المراد بالاستواء؟

﴿الله﴾ **الجواب:** هذه الآيات وأمثالها كانت ميداناً للبحث من جانب العلماء واختلفوا فيما بينهم فى تفسيرها إلى ثلاث فرق :-

الفرقة الأولى: وهم السلف، وهم أهل السنة : قالوا الاستواء صفة قائمة بذات الله بلا كيف مع وجوب الإيمان بها، ونَكِلَ العلمَ بها إلى الله ﷻ ، والمعنى أن له صفة استواء على العرش على الوجه الذى عناه الله ﷻ مع تنزُّهه عن الاستقرار والتمكن. ولقد شفى الإمام مالك النفوس بإجابته عن سؤال يتعلق بالاستواء حين سئل عن قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ **فقال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، يقول الخطيب الشربينى فى تفسيره: (وسأل رجل مالك بن أنس عن قوله تعالى:** ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ **فأطرق رأسه ملياً وعلاه الرحضاء – أى العرق – ثم قال: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أظنك إلاَّ رجلاً ضالاًّ ثم أمر فأخرج. وروى عن سفيان الثورى والأوزاعى والليث بن سعد وغيرهم من علماء السنة فى هذه الآيات التى جاءت فى الصفات المتشابهة: أَمِرُّوها كما جاءت أَمِرُّوها بلا كيف، وإجماع السلف على أن لا يزيدوا على قراءة الآية)**(1).

الفرقة الثانية : وهؤلاء قاموا بتأويل هذه الآية وغيرها من الآيات المتشابهة، فبعضهم فسَّر الاستواء بمعنى الاستيلاء، فاستوى على العرش أى: استولى عليه، واستدلوا ببيتين من الشعر:

قد استوى بشر على العراق ∴ من غير سيف أو دَم مُهْرَاق

و قال آخر: هما استويا بفضلهما جميعاً ∴ على عرش الملوك بغير زور

ولا يجوز تفسير ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ **والآيات الأخرى بمعنى: «استولى»؛ لأن الاستيلاء لا يكون إلا لشىء بعيد لم يكن متمكناً منه ثم استرد وتمكن منه. وهذا محال فى حق الله تعالى، وبعضهم فسَّر استوى بمعنى: قصد، وهذا اتجاه مذهب الخلف.**

---

(١) السراج المنير جـ ١ ص٤٨٠.

الفرقة الثالثة : تنزه الله عن اتجاههم وهم المجسمة، ولقد سمعت بعض الجهلة من المعاصرين يقول برأيهم أى أنه جلس واستقر على العرش، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ومذهب السلف أسلم فى العقيدة فنأخذ به.

س١٤: قال تعالى : ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الأعراف :٥٦).

ما سر مجيء خبر «إنَّ» مذكراً «قريب» ، مع أنَّ اسمها مؤنث؟

الجواب : (اختلف أئمة اللغة والإعراب فى وجه تذكير خبر «إنّ» حيث قال: «قريب» ولم يقل «قريبة»، فقال الزجاج : إن الرحمة مؤولة بالرحم لكونها بمعنى العفو والغفران، ورجح هذا التأويل النّحّاسُ، وقال النضر بن شميل: الرحمة مصدر بمعنى الترحم، وحق المصدر التذكير. وقال الأخفش: أراد بالرحمة هنا المطر. وتذكير بعض المؤنث جائز، وقيل: إنه لما كان تأنيث الرحمة غير حقيقى جاز فى خبرها التذكير، ذكر معناه الجوهرى) [(١)].

س١٥: قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ (الأعراف :٥٧).

و قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ (الروم :٤٨).

و قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ (الفرقان :٤٨).

و قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ (فاطر: ٩).

فما سر مجيء «يرسل» فى الآية الأولى والثانية بلفظ المضارع ، ومجيء «أرسل» بلفظ الماضى فى الآيتين الثالثة والرابعة؟

الجواب : فى الآية الأولى فى سورة الأعراف سبقها ذكر الخوف والطمع : ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ (الأعراف:٥٦)، وهما يكونان فى المستقبل، فأتى الفعل بلفظ المضارع «يرسل»، وفى الآية الثانية من سورة الروم سبقها حديث بلفظ المضارع على أن الرياح مبشرات، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (الروم ٤٦). فالأفعال كلها جاءت بلفظ المضارع، ثم جاء الحديث عن الرياح على أنها تثير السحاب فقال: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ فالمناسب مجيء الفعل بلفظ المضارع والمستقبل حتى يواكب ما قبله.

وأما الآية الثالثة فى سورة الفرقان، فلقد سبقها أسلوب الفعل الماضى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ

---

(١) فتح القدير جـ ٢ ص٢٧٢ - ٢٧٣

مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً، ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا، وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ﴾ (الفرقان: ٤٥ - ٤٨)، فكلها أفعال بلفظ الماضى فأتى الفعل «أرسل» بلفظ الماضى.

وفى الآية الأخيرة فى سورة فاطر جاء الفعل بلفظ الماضى لأنه مرتبط بأول السورة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ﴾ (فاطر: ١). واسم الفاعل «فاطر» و«جاعل» بمعنى الماضى «فطر» و«جعل» فأتى الفعل بلفظ الماضى.

س١٦: قال تعالى: ﴿قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ، قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف: ٦٠- ٦١). **لِمَ جاء رد نوح غير مطابق لكلام القوم فقد قالوا له ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ ونفى بقوله: ﴿لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ﴾ فما سر ذلك ؟**

الجواب: الضلالة أخص من الضلال فهى تطلق على الواحدة، وحين نَفَى نوحٌ الضلالَ بكلمة ﴿لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ﴾ كان نفيه على أبلغ وجه، فكلمة «ضلالة» مفرد مؤنث نكرة وقعت فى سياق النفى «ليس»، ولذلك فهى تفيد العموم كأنه قال: ليس بى أدنى شىء من الضلال.

س١٧: قال تعالى: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف:٦٢).

وقال تعالى: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَاْ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ (الأعراف: ٦٨).

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ (الأعراف: ٧٩).

فما سر مجىء كلمة «أنصح» فى الآية الأولى وهى تتحدث عن نوح عليه السلام بلفظ المضارع؟ ومجيئها بلفظ اسم الفاعل فى الآية الثانية التى تتحدث عن هود؟ ومجيئها بلفظ الماضى فى الآية الثالثة وهى تتحدث عن صالح؟

وما سر مجىء كلمة «رسالات» مجموعة فى الآية الأولى والثانية ومفردة فى الآية الثالثة؟

الجواب: فى الآية الأولى قال: «أبلغكم» بالفعل المضارع للمستقبل فناسب العطف عليه بفعل مثله هو «أنصح»، وفى الآية الثانية سبق حديث باسم الفاعل «من الكاذبين» فناسبه اسم فاعل يأتى بعده هو «ناصح»، وفى الآية الثالثة سبق فعل ماض «أبلغتكم» فعطف عليه فعلاً ماضياً هو ««نصحت»، فكان التعبير بالمضارع المستقبل فى الآية الأولى والثانية لأنه حديث وقع من نوح وهود فى ابتداء الرسالة وتبليغها، وأما التعبير بالماضى فى قصة صالح فكان فى آخر تبليغه للرسالة وبعدها كان عذابهم.

أما سر جمع الرسالة فى الآية الأولى والثانية فإن نوحاً فى الآية الأولى وهوداً فى الآية الثانية كلاهما بلَّغ قومه أصول العقائد وعبادات أمروا بها، فعبَّر بالجمع مراعاة لذلك. وأما فى الآية الثالثة فإن صالحاً ذكر الناقة فقط: ﴿قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَـذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً﴾.(الأعراف :٧٣)، فكأنها رسالة واحدة فأفردها.

س١٨: قال تعالى : ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَالَمِينَ، إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ (الأعراف: ٨٠ - ٨١)، **وقال تعالى فى موطن آخر على لسان لوط:** ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ (الشعراء: ١٦٥)، **وقال تعالى:** ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ (النمل: ٥٥)، **وقال تعالى:** ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ، أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ﴾ (العنكبوت: ٢٨ - ٢٩). **فما سر اختلاف الاستفهام فى الآيات المحدثة عن لوط؟**

الجواب: **الاستفهام فى كل موطن للتوبيخ والتقريع والإنكار، بَيْدَ أنه أخذ صفة التدرج من البدء باستفهام هادئ كما فى الآية الثانية: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾، فلما انفعل الحديث مع القوم واشتد الإنكار، زاد مع الاستفهام «إنَّ» والتوكيد باللام ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ﴾ كما فى الآية الأولى والثالثة، فلما بلغ الأمر الغاية فى الفحش، وقارب عذاب الله أن يحل بهم زاد فى الآية الأخيرة فجمع فقال ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ و﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾ .**

لطيفة : قوم لوط هم أول البشر فى ارتكابهم تلك الفاحشة التى تستنكفها الطباع السليمة، فالله ﷻ حين أحل للزوج وطء زوجته ويكون ذلك فى مزدرع الذرية نهاه عن القرب منها فى أيام حيضتها فهو استقذار عارض وذلك لمصلحة الطرفين، أما إتيان الذَّكَر فهو استقذار لازم وفيه الهلاك، (قال عمرو بن دينار: ما نزا ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط. قال محمد بن إسحاق كانت لهم ثمار وقرىً لم يكن فى الدنيا مثلها، فقصدهم النَّاس فآذوهم فعرض لهم إبليس فى صورة شيخ، فقال لهم: إن فعلتم بهم كذا وكذا نجوتم منهم فأبوا، فلما ألحَّ النَّاس عليهم قصدوهم فأصابوا غلماناً صباحاً فأخبثوا فاستحكم فيهم ذلك. قال الحسن كانوا لا يفعلون ذلك إلاَّ بالغرباء، وقال الكلبى: أول من فُعل به ذلك الفعل إبليس الخبيث حيث تمثل لهم فى صورة شاب جميل فدعاهم إلى نفسه ثم عبثوا بذلك العمل) [1].

---

(١) تفسير أبى السعود جـ ٣ ص٢٤٥.

س١٩: قال تعالى فى قصة هود مع قومه: ﴿أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾ (الأعراف :٧١)، **وقال تعالى فى مواطن أخرى: «أنزل» كما فى سورة يوسف ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾** (يوسف :٤٠)، **فما سر التعبير بقوله فى الآية الأولى «نزَّل» بالتضعيف وفى الثانية «أنزل»؟**

الجواب: الفعل «نزَّل» يفيد التعدى والمبالغة والتكثير، و«أنـزل» يفيـد التعـدى فقـط، فـذكر الفعل الأول فى الآية الأولى على سبيل المبالغة والتكثير حين بالغ قوم هود فى الانتصار لآلهتهم، وأكثروا من الجدال مع هود بشأنها وقالوا ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ، قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾ (الأعراف :٧٠ - ٧١).

فناسب الرد على المبالغة فى جدالهم بما هو للمبالغة وهى كلمة «نزَّل» ومِنْ المزيـدة للتوكيـد. **أما الآية الثانية فكانت دعوة يوسف لصاحبيه فى السجن فقد كانت هادئـة خاليـة مـن الجـدال والذى ابتدأها هو يوسف فاقتضى المقام أن يأتى بفعل ليس للمبالغة وهو «أنزل».**

س٢٠: قال الله تعالى: ﴿فَعَقَرُواْ النَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ، فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ، فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ (الأعراف :٧٧ - ٧٩).
كيف يصح من صالح أن يخاطب الموتى بقوله: ﴿يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي﴾ إلى آخر الآية؟

الجواب: لقد وبخهم وهم أموات كما يقول الرجل لصاحبه وكان قـد نصحه حيّاً فلـم يعبأ بقوله، ولقد فعل ذلك رسول الله ﷺ بأهل القليب فى بدر، روى البخارى بسنده عن قتادة قال: ذكر لنا أنس بن مالك عن أبى طلحة «أن نبى الله ﷺ أمر يوم بـدر بأربعـة وعشـرين رجـلاً مـن صناديد قريش فقذفوا فى طوى[1] من أطواء بدر خبيث مخبث، وكـان إذا ظهـر علـى قـوم أقـام العَرْصَةِ ثلاث ليال، فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلها، ثم مشى واتبعه أصحابه وقالوا: ما نُرى ينطلق إلا لبعض حاجته، حتى قام على شـفة الرَّكِـيِّ، فجعـل ينـاديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: يا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان، أيسركم أنكم أطعتم الله ورسـوله، فانا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا؟ قال عمر: يـا رسـول الله، مـا

(١) بئر ليس فيه ماء

تكلم من أجساد لا أرواح لها؟ فقال رسول الله ﷺ : والذي نفس محمد بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم . قال قتادة: أحياهم الله حتى أسمعهم قوله، توبيخا وتصغيرا ونقمة وحسرة وندما»[1].

س٢١: قال الله تعالى على لسان نبي الله شعيب حين نهى قومه: ﴿وَلاَ تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ (الأعراف :٨٦). **صراط الله واحد كما أخبر الحق تعالى بذلك ﴿وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾** (الأنعام :١٥٣)، **فلماذا قال: ﴿بِكُلِّ صِرَاطٍ﴾ بالجمع؟**

الجواب: من وجهين :

الأول: أن صراط الله واحد ودينه واحد، بَيْدَ أنه يتشعب إلى أصول وفروض وحدود وأحكام كثيرة، فكان قوم شعيب إذا رأوا أحداً يشرع في شيء منها أوعدوه وصدوه بدليل قوله: ﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ .

الثاني: أنه يقال إنهم كانوا يقعدون في الطرقات المفضية إلى شعيب عليه السلام، فيتوعدون من أراده ويصدونه ويقولون: إنه كذاب. بَيْدَ أن الأول أولى بالقبول.

س٢٢: قال تعالى: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ (الأعراف :١٠٧)، **وقال تعالى: ﴿فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾** (طه :٢٠)، **وقال تعالى: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾** (القصص :٣١)، **كيف نوفق بين هذه الآيات الثلاث؟ في الأولى قال: «ثعبان»، وفي الثانية قال: «حية»، وفي الثالثة قال: ﴿كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ ؟**

الجواب: لم تخرج العصا عن كونها ثعباناً ذكراً كبيراً مبيناً من الحيَّات العظيمة ومع عظمها لم تكن بطيئة الحركة فكأنها جان أى كالثعبان الصغير في خفة حركته فالجان هو الثعبان الصغير أو كالجان في خفة الحركة والسرعة.

س٢٣: قال الله تعالى: ﴿قَالُواْ يَا مُوسَى إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾ (الأعراف :١١٥) **وقال في سورة طه: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾** (طه :٦٥). **فما سر اختلاف الأسلوب والمعنى واحد؟**

الجواب: لقد راعى نهاية الآيات في السورتين اللتين وردت فيهما الآيتان، ففي سورة الأعراف نهاية الآية في هذا الموطن النون، والنون هي نهاية الآيات من أول سورة الأعراف إلى

(١) صحيح البخاري جـ ٥ ص٩٨ كتاب الأنبياء ، باب: قصة غزوة بدر.

الآية المذكورة، أما فى سورة «طه» فنهاية الآيات بالألف من أول السورة، فلذلك ختمت الآية بالألف، وكذلك فى بقية آيات السور راعى نهاية الآيات، فقال فى الأعراف: «ساجدين»، وفى طه قال: « سجداً»، فيبنى على هذه المرعية مسائل كثيرة فليتذكر أولوا الألباب.

س٢٤: قال الله تعالى: ﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾ (الأعراف: ١٢٠).

لماذا لم يبدأ السحرة بإعلان الإيمان قبل السجود لأن الإيمان يأتى أولاً؟

الجواب: لقد قذف الإيمان فى قلوبهم وظهر أثر ذلك فى أنهم خروا ساجدين، فالسجود أثر الإيمان، وهم سجدوا لله شكراً على هدايتهم، ثم نطقوا به بعد سجودهم، فالإيمان وجد فى قلوبهم قبل السجود، وبعد السجود نطقوا به.

س٢٥: قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَـذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَى وَمَن مَّعَهُ﴾ (الأعراف: ١٣١). **ما السر فى مجىء الحسنة معرفة ووقوعها فى سياق «إذا» الشرطية، ومجىء السيئة نكرة وفى سياق «إنْ» الشرطية؟**

الجواب: لأن الله رحيم بعباده مطيعهم وعاصيهم ومؤمنهم وكافرهم، فلكثرة الحسنة من خصب ورخاء وصحة وعافية وبركة فى كل شىء صار كالواجب، فأتت معرفة ومقترنة بـ «إذا»، وأما السيئة فلا تقع إلاّ نادرة فأتت نكرة ومقترنة بـ «إن».

س٢٦: قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلاَتٍ فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ (الأعراف: ١٣٣). **ما سر كثرة الآيات؟**

الجواب: من وجهين:

الأول: أن كثرة معجزات الله تورث اليقين فى القلوب وترسخ الإيمان.

الثانى: أن كثرة المعجزات تأتى لقوم بالغوا فى عنادهم ومكرهم وإفسادهم وخبثهم، ومع هذا ساق الله إليهم المعجزة تلو الأخرى ولم يتعظوا وما أشنع ما انتهت به الآية فبدلاً من الإيمان استكبروا وكانوا مجرمين.

س٢٧: قال تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاَثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ (الأعراف: ١٤٢). وقال تعالى: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ﴾ (البقرة: ٥١). **ما سر مجىء الأربعين مفصّلة فى الآية الأولى ومجملة فى الثانية؟ وقوله: ﴿فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ عارٍ عن الفائدة لأن الإنسان يعلم أن ثلاثين وعشرة أربعون؟**

﴿الله﴾ **الجواب:** لقد أتت المدة مجملة فى سورة البقرة فى الآية الثانية، وفصلت فى الآية الأولى؛ لأن موسى أمره الله بصوم شهر ذى القعدة ثلاثين يوماً، فتضرر من رائحة فمه فتسوَّك، فقالت له الملائكة: كنا نشم من فيك رائحة المسك فأزلتها بالسواك، فأمره الله بصيام عشرة أيام أخر لتعود رائحة فيه، فهذا تفصيل بعد إجمال فى سورة البقرة.

وقوله: ﴿فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ ليس بتكرار فإن الجملة ذات فائدة حيث أزالت التوهم أن تكون العشرة من نفس الثلاثين بل هى زائدة عليها، فلما ذكر الأربعين زال الإيهام.

س٢٨: قال تعالى: ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِي وَبِكَلاَمِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (الأعراف: ١٤٤)، **كيف قال لموسى ذلك وكان هارون مصطفى ورسولاً؟ والرسالة واحدة فلماذا جمعها؟**

﴿الله﴾ **الجواب:** جَيْر [1]: إن هارون رسول، واصطفاه الله، بَيْدَ أنه كان تابعاً لموسى ووزيراً وردءاً له، والأصل فى حمل الرسالة موسى، وهارون تبعٌ له، أما اصطفاء هارون فكان إجابة لسؤال موسى لله، قال تعالى: ﴿ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي، هَارُونَ أَخِي، اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي، وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ (طه: ٢٩ – ٣٢)، **فالأصل فى الاصطفاء موسى، وهارون رسول برسالة أخيه وهو مفصح بها، وجمع الرسالة مع أنها مفرد باعتبار أنواعها وضروبها.**

س٢٩: قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ﴾ (الأعراف: ١٤٨). **المتخذ للعجلَ هو السامرى بدليل قوله تعالى:** ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ﴾ (طه: ٨٧ – ٨٨)، **فلماذا أسند اتخاذ العجل للقوم؟**

﴿الله﴾ **الجواب:** أسند اتخاذ العجل إلى القوم لأنهم رضوا بذلك وساعدوه كما تقول: قالت مصر، مع أن القائل واحد هو متحدثها الرسمى.

س٣٠: قال تعالى: ﴿قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي﴾ (الأعراف: ١٥٠).

و قال تعالى: ﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي﴾ (طه: ٩٤).

لماذا ذكر هارون أخاه موسى باسم أمه لا باسم أبيه والإنسان يعرف باسم أبيه؟

﴿الله﴾ **الجواب:** فيه لفتة لموسى إلى أنهما من أصل واحد وبطن واحد وذلك أدعى إلى الرأفة به بين القوم، وفى ندائه باسم أمه دعوة لمراعاة حرمة الرحم والصلة بينهما وهى الأم، فلقد قاست من

---

(١) جير: حرف جواب بمعنى نعم.

أجل موسى وذاقت بسببه صنوف العذاب وتجرعت مرارة الحرمان، فذكّره بحقها حتى يرق معه بخلاف ذكر الأب.

س٣١: قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ﴾ (النساء :١٦٣). الضمير فى «معه» يعود على النبى ﷺ، والذى أنزل معه هو جبريل، والنبى ﷺ أنزل إليه ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ (الأنعام :١٥٧) ؟

الجواب: « مع » بمعنى «إلى»، وأيضاً تجيء «إلى» بمعنى «مع» كما فى قوله تعالى: ﴿مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ (الصف :١٤).

س٣٢: قال تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ (الأعراف :١٦٠). تمييز ما فوق العشرة يكون مفرداً كما فى قوله تعالى: ﴿فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً﴾، وقوله ﴿فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ فَلِمَ جاء التمييز مجموعاً؟

الجواب: الجمع هنا معناه المفرد لأن معنى أسباطاً أى: قبيلة.

س٣٣: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ (الأعراف:١٧٠). ما سر التعبير بقوله «يُمَسِّكُون» بتشديد السين وضمِّ الياء دون «يَمْسِكُون» بتخفيف السين وفتح الياء؟ وما سر ذكر إقامتهم للصلاة مع أن المتمسك بالكتاب يفعلها ويفعل سائر العبادات؟

الجواب: أتى السياق بكلمة «يُمَسِّكون» التى تزيد فى حروفها عن حروف **«يَمْسِكُون» لأنها** تدل على المبالغة فى الاستمساك والتشبث، فهى أبلغ من التخفيف لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، وذكر الصلاة إظهاراً لمزيتها ولأنها عماد الدين وهى الفارقة بين المؤمن والكافر.

س٣٤: قال تعالى: ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاء اللَّهُ﴾ (الأعراف :١٨٨).
و قال تعالى فى سورة يونس: ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا إِلاَّ مَا شَاء اللَّهُ﴾ (يونس :٤٩).
ما سر تقديم النفع على الضر فى الآية الأولى وتأخيره فى الآية الثانية؟

الجواب: (أكثر ما جاء فى القرآن من لفظ الضر والنفع معاً جاء بتقديم لفظ الضر، **لأن العابد يعبد معبوده خوفاً من عقابه أولاً ثم طمعاً فى ثوابه ثانياً، يقوّيه قوله ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾** (السجدة:١٦)، وحيث تقدم النفع تقدّم لسابقة لفظ تضمّن نفعاً، وذلك فى ثمانية مواضع ثلاثة منها بلفظ الاسم، وهى ههنا فى هذه السورة وسورة الرعد وسورة سبأ، وخمسة بلفظ الفعل وهى فى الأنعام ويونس والأنبياء والفرقان والشعراء، أما فى هذه السورة – وهى الأعراف – فقد تقدمه :

﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي﴾ فقدم الهداية على الضلالة. وبعد ذلك: ﴿لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ فقدم الخير على السوء، فلذلك قدم النفع على الضر. وفى سورة الرعد: ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ فقدم الطوع، وفى سورة سبأ: ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء وَيَقْدِرُ﴾ فقدم البسط وفى سورة يونس قدم الضر على الأصل ولموافقته ما قبلها ﴿لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُم﴾ وفيها ﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ﴾ فتكرر فى الآية ثلاث مرات، وكذلك ما جاء بلفظ الفعل فلسابقة معنى يتضمّن فعلاً، أما فى سورة الأنعام ففيها: ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لاَّ يُؤْخَذْ مِنْهَا﴾ ثم وصلها بقوله: ﴿قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُنَا وَلاَ يَضُرُّنَا﴾ وفى يونس تقدمه قوله: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُواْ كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾. ثم قال: ﴿وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ﴾ ، وفى الأنبياء تقدمه قول الكفار لإبراهيم فى المجادلة: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلا يَضُرُّكُمْ﴾، وفى الفرقان تقدمه قوله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ ، وعدَّ نعماً جمة فى الآيات ثم قال: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُهُمْ﴾ تأمل، فإنّه برهان ساطع للقرآن) [1].

س٣٥: قال الله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ (الأعراف: ٢٠٠).
كيف يسلط الشيطان على الرسول ﷺ وكيف يقوم بالوسوسة له ؟

الجواب: هذا على سبيل الفرض أو هو تعليم لأمته وليس لوسوسة الشيطان أثر فى الرسول ﷺ بل إن شيطانه أسلم قياده للرسول ﷺ بعد أن أعانه الله عليه.

(٨) سورة الأنفال

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: (أنه لما ذكر تعالى كما تقدم قصص الأنبياء عليهم السلام مع أممهم فى تلك، ناسب أن يذكر قصة هذا النبى الكريم ﷺ مع قومه، وتقدم أنه لما أطنب سبحانه فى قصة موسى عليه السلام كان ذلك ربما أوهم تفضيله على الجميع فأتى بقصة المخاطب وهو رسول الله محمد ﷺ بهذا القرآن فى سورتين كاملتين: الأنفال فى أول أمره وأثنائه، وبراءة فى ختام أمره وانتهائه، وفرق بين القصتين وذلك أن قوم موسى عليه السلام كانوا فى سوء العذاب وكانوا يعلمون عن أسلافهم أن الله

(١) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز جـ ١ ص٢٢٠ - ٢٢١.

سيذكرهم وينجيهم من أيدى القبط فلما أتاهم موسى ﷺ وبين لهم الآيات التى أمره الله بها لم يشكُّوا فى أنه الموعود به من رحمة الله لهم وإتيانه نفع لهم عاجل مع ما فيه من النفع الآجل فأطبقوا على اتباعه وكانوا أكثر من ستمائة ألف مقاتل. ومع ذلك فقد كانوا يخالفون عليه فى كل قليل ولا يجدون قلوباً يواجهون بها القبط فى الإباء عن امتثال أوامرهم. وأما محمد ﷺ أتى قومه ولا حِسٌ عندهم من نبوة ولا علم لهم بها ولم يكونوا تحت ذل أحد بل كانوا ملوك العرب فعندهم أنه جاء يسلبهم عزّهم ويصيِّرهم له تبعاً فخالفوا أشد المخالفة ولم يَدَعُوا كيداً حتى باشروه ، إلى أن نصر الله نبيه، ودخل الناس فى دين الله أفواجاً وأظهر دينه على الدين كله كما وعد ﷺ، ثم أيَّد أمره من بعده ولم يزل أتباعه ظاهرين ولا يزالون إلى يوم الدين. فبين القصتين فرقان لأولى الأبصار والإتقان. وأما مناسبة أولها لآخر تلك، فقد تبين أن آخر الأعراف آخر قصة موسى ﷺ المختتمة بقصة بلعام، وأن ما بعد ذلك إنما هو تَتِمَّاتٌ لما تقدم لابد منها وتتمات للتتمات حتى كان آخر ذلك . مدح مَنْ أهَّلهم لعنديته سبحانه بالإذعان وتمام الخضوع، فلما أضيفوا إلى تلك الحضرة العالية اقتضى ذلك سؤالاً عن حال الذين عند المخاطب ﷺ ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأنفَالِ﴾)[1].

س٢: قال الله تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (الأنفال :٢)، **وقال تعالى : ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾** (الرعد :٢٨) **كيف نوفق بين الآية الأولى التى تصف المؤمنين بالوجل والخوف إذا ذُكِرَ الله والآية الثانية التى تصفهم باطمئنان قلوبهم بذكر الله؟**

الجواب: لا تعارض ولا منافاة بين الآيتين؛ لأنه فى الآية الأولى تجل قلوب المؤمنين فزعاً من عقاب الله إذا ذكرت آيات العقاب وتطمئن قلوبهم إذا ذكرت آيات الرحمة، وهما مقامان عظيمان وحالان: مقام الخوف، والثانى مقام الرجاء وقد جمعا فى قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (الزمر :٢٣).

س٣: قال تعالى : ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾ (الأنفال :٥) **كيف يخرج الله رسوله من بيته بالحق والمؤمنون كارهون هذا الخروج بالحق؟ أفلا يكون هذا عصياناً؟**

---

(١) نظم الدرر جـ ٨ ص٢١٦ ، ٢١٧.

﴿ﷲ﴾ **الجواب:** المؤمنون كرهوا الخروج للقتال إمَّا لنفرة الطبع وحب الحياة والبقاء، أو لعدم الاستعداد لهذه الحرب، وذلك أن عير قريش أقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها أربعون راكباً منهم أبو سفيان وعمرو بن العاص، فأخبر جبريل رسول الله ﷺ. فأخبر المسلمين فأعجبهم لقاء العير لعود خيرها عليهم وكانوا قلّة وخرجوا، بيد أن نبأ خروجهم كان قد طار إلى مكة عن طريق رسول أرسل به أبو سفيان لإنقاذه هو وعيره، فصاح أبو جهل فوق الكعبة: يا أهل مكة النجاة النجاة على كل صعب وذلول. عيركم أموالكم، إن أصابها محمد فلن تفلحوا بعدها أبداً، ومن جهة أخرى سلك أبو سفيان طريقاً غير طريق المسلمين ونجت العير من مضابثهم [1]، وخرجت قريش بقوتها فى خيلاءَ وتحدٍّ. أما المسلمون فعرفوا أن العير قد أفلتت وسيواجهون جيش مكة وهم قلة، فكرهوا القتال لنفرة الطبع وحب البقاء وعدم الاستعداد وكانوا قد خرجوا للعير وليس للنفير فطفقوا يجادلون الرسول ﷺ فى «الحق» أى القتال ومجادلتهم له قولهم: كيف نقاتل ولم نستعد للقتال. ولقد تبين لهم أن القتال هو الصواب واللائق وأنهم سينتصرون، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ ومع هذا انصاعوا لأوامر الرسول ﷺ ودخلوا الهيجاء وشهدوا بدراً وانتصروا ولم يعصوا ولم يخالفوا ولم يُعَدُّوا عاصين، بل قال فيهم رسول الله ﷺ حين أخطأ حاطب بن أبى بلتعة وأراد عمر بن الخطاب أن يضرب عنقه بالسيف فقال عليه السلام: (أليس من أهل بدر؟ فقال: لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة – أو قد غفرت لكم – فدمعت عينا عمر وقال: الله ورسوله أعلم) [2].

﴿ﷲ﴾ **س٤: قال تعالى:** ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ، يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ، وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ، لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ (الأنفال: ٥ – ٨).

ما سر تكرار «الحق» فى هذه الآيات أربع مرات؟

﴿ﷲ﴾ **الجواب: الحق هو الشيء الثابت الذى لا يعتريه التغيير وهو اسم من أسماء الله ،ولكنه أطلق فى المواطن الأربعة وله معان مختلفة فليس من قبيل التكرار، فإنه فأطلق فى الموطن الأول والمعنى:**

(١) المضابث للأسد بمثابة الأصابع للإنسان و المعنى: نجت من قبضتهم.

(٢) صحيح البخارى جـ ٣ ص٨٧ ، ٨٨.

حكم الأنفال لله ورسوله ثابت لا تغيير فيه كخروجك إلى بدر متلبساً بالحق، وأطلق في الموطن الثاني وأريد به القتال، والمعنى: يجادلك المسلمون في أمر قتال قريش بعد ما ظهر أن الله أراد قتالهم واختار لهم ذات الشوكة ولم يرض لهم العير، وأطلق في الموطن الثالث: ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ أي ويريد الله أن يظهر الحق بنصركم في ميدان بدر، وبشركم بالآيات التى أنزلها في محاربة قريش، وأطلق في الموطن الرابع وأريد به أن الله ﴿يَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ في بدر ويستأصل شأفتهم ليظهر الإسلام وأهله ويدحض الباطل أى الشرك وأهله فكلمة الحق أطلقت على هذه المعانى لثبوتها ككلمة الحق وليس هذا من التكرار.

س٥: قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ (الأنفال: ١٢). **هذه الآية دليل من الأدلة على أن الملائكة قاتلت في بدر فما الحكمة من قتال الملائكة مع أن جبريل قادر على أن يهلك الكفار بريشة من جناحيه؟**

الجواب: (إن ذلك لإرادة أن يكون الفضل للنبى ﷺ وأصحابه وتكون الملائكة مدداً على عادة مدد الجيوش رعاية لصورة الأسباب التى أجراها الله في عباده)[1]، ولقد أراد الله أن تكون قوة كل مَلَك في ميدان المعركة كقوة الرجل حتى لا تكون هناك مزيةٌ في الملائكة، وحتى لا تكون الهزيمة التى مُنِى بها المشركون نصراً بجانب أعداد الملائكة الهائلة وأعداد المسلمين، فأراد الله للملائكة الذين باشروا القتال مع المسلمين أن تكون قوة كل ملك مساوية للرجل من البشر ولم يُرد لها أن تكون قوة الملك الحقيقية.

س٦: قال تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـكِنَّ اللّهَ رَمَى﴾ (الأنفال: ١٧). **ما سر نفى القتل عن المؤمنين ونفى الرمى عن الرسول ﷺ مع أن المؤمنين باشروا القتال والرسول ﷺ رمى؟**

الجواب: هذه الآية نزلت (لما افتخر المسلمون بعد رجوعهم من بدر فكان الواحد منهم يقول: أنا قتلت كذا، أنا أسرت كذا، فعلّمهم الله الأدب بقوله: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ أى: تزهقوا أرواحهم ﴿وَلَـكِنَّ اللّهَ قَتَلَهُمْ﴾ أى أزهق أرواحهم، أو المراد: فلم تقتلوهم بقوتكم أى فلم تؤثر قوتكم في

---

(١) الفتوحات الإلهية جـ ٢ ص٣١٢

قتلهم ولكن التأثير لله) [1]. فالمنفى هو التأثير وإزهاق الروح، فهذا بيد الله أما مباشرة القتل والكسب فليس منفياً وليس فى النص ما ينفيه، وأما الرمى المنفى فإيصال التراب والحصى الذى رماه الرسول ﷺ إلى أعين القوم، أما رميه هو فلقد رمى، وهذا مثبت والمنفى الإيصال والتأثير.

س٧: قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾ (الأنفال: ٤٤)، **الهدف من تقليل الكفار فى أعين المسلمين عدم خوف المسلمين منهم ومن كثرتهم فما الهدف من تقليل المسلمين فى أعين الكفار؟**

الجواب: لقد قلل الله المؤمنين فى أعين الكافرين قبل دخول الوغى ليجترئ الكافرون على نزالهم وهم على قلتهم مستخفين بهم ثم يفاجأون بكثرة المؤمنين فتبهتهم ويهابونهم، فتدور الدائرة عليهم فيكون الظفر للمؤمنين.

س٨: قال الله تعالى: ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُواْ بِآيَاتِ اللّهِ فَأَخَذَهُمُ اللّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ (الأنفال: ٥٢). **وقال تعالى بعدها بآية:** ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَونَ وَكُلٌّ كَانُواْ ظَالِمِينَ﴾ (الأنفال: ٥٤).

فما سر التكرار فى الآية الأولى والثانية؟

الجواب: الآية الأولى بينت عقوبة الذين كفروا عند قبض أرواحهم، وأعطت مثالاً على ذلك وهم آل فرعون، فلقد عوقبوا عند حلول الموت بهم، ولقد سبق ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُواْ الْمَلآئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ، ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ، كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ (الأنفال: ٥٠ - ٥٢).

و ذكر فى الآية الثانية ما يفعله بهم بعد موتهم من إدخالهم النار بعد إهلاكهم: ﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَونَ وَكُلٌّ كَانُواْ ظَالِمِينَ﴾ **ومعروف أنهم بعد إغراقهم أدخلوا النار كما ورد فى الآية الأخرى:** ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ (غافر: ٤٦). **وقال عن قوم نوح** ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾ (نوح: ٢٥).

(قال تاج القراء [2]: وله وجهان آخران محتملان: أحدهما: كدأب آل فرعون فيما فعلوا. والثانى: كدأب آل فرعون فيما فعل بهم، فهم فاعلون فى الأول، ومفعولون فى الثانى، والوجه

---

(١) الفتوحات الإلهية جـ ٢ ص٢٣٤

(٢) الكرمانى

الآخر: أن المراد بالأول كفرهم بالله وبالثانى تكذيبهم بالأنبياء لأن تقدير الآية كذَّبوا الرسل بردهم آيات الله) [1].

س٩: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ﴾ (الأنفال: ٧٢). **وقال تعالى فى سورة التوبة:** ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللّهِ﴾ (التوبة: ٢٠). **فما سر تقديم الأموال على الأنفس وتأخير ﴿فِي سَبِيلِ اللّهِ﴾ فى الآية الأولى، وتقديم ﴿فِي سَبِيلِ اللّهِ﴾ وتأخير الأموال والأنفس فى الآية الثانية؟**

الجواب: قدَّم الأموال والأنفس فى الآية الأولى لأنه سبقها ذكر المال والفداء والغنيمة، وسبقها تنفير منها فى قوله: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (الأنفال: ٦٧ - ٦٨)، و فى الآية الثانية أخَّر ذكر المال والأنفس وقدَّم ﴿فِي سَبِيلِ اللّهِ﴾ وهو الجهاد لأنه سبق الحديث عنه بقوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ﴾ (التوبة: ١٦)، وقوله: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللّهِ﴾ (التوبة: ١٩)، **لذلك أخَّر الأموال والأنفس، وقدَّم «فى سبيل الله»، وهناك آيات أخرى حذف منها الأموال والأنفس اكتفاء بذكرهما فى مواطن أخرى.**

(٩) سورة التوبة

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: (لما كانت مناسبة أولها الداعى إلى البراءة ممن يخشى نقضه لآخر الأنفال، المبيِّن لمن يصلح للولاية، المختتم بشمول العلم فى حدٍّ عظيم من الظهور مع ما تقدم من بيان مناسبة آخر الأعراف لأول الأنفال، قدمت الأنفال مع قصرها على براءة مع طولها واشتباه أمرها على الصحابة فى كونها سورة مستقلة أو بعض سورة)[2].

س٢: ما سر تقديم سورة الأنفال على التوبة مع أن الثانية أطول من الأولى؟

الجواب: (اختلف الصحابة فى سورة الأنفال وسورة براءة: هل هما سورتان أو سورة واحدة؟ فقال بعضهم سورة واحدة لأنهما نزلتا فى القتال، ومجموعهما مائتان وخمس آيات فكان مجموعهما هو السورة السابعة من السبع الطوال، وقال بعضهم: هما سورتان، فلما حصل هذا

---

(١) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز جـ ١ ص٢٢٥.

(٢) نظم الدرر فى تناسب :والسور جـ ٨ ص٣٥٥.

الاختلاف بين الصحابة تركوا فرجة بينهما على قول من يقول إنهما سورتان . ولم يكتبوا «بسم الله الرحمن الرحيم» على قول من يقول هما سورة واحدة) [1].

وإذا كانتا سورة واحدة فيكون أولها فى الأنفال مما يلى آخر سورة الأعراف مناسب للربط بينهما، فلذلك قُدِّم هذا الجزء بعد سورة الأعراف وإن كانتا سورتين فقد سبق عقد المناسبات بين هذه السور.

﴿ **س٣**: **ما سر حذف «بسم الله الرحمن الرحيم» من أول سورة التوبة دون سائر السور القرآنية؟**

﴿ **الجواب**: (اختلف العلماء في سبب سقوط البسملة من أول هذه السورة على خمسة أقوال :

القول الأول: أنه قيل: كان من شأن العرب في زمانها في الجاهلية، إذا كان بينهم وبين قوم عهد، فإذا أرادوا نقضه كتبوا إليهم كتاباً ولم يكتبوا فيه بسملة، فلما نزلت سورة براءة بنقض العهد الذي كان بين النبي ﷺ والمشركين بعث بها النبي ﷺ عليٌ بن أبي طالب رضي الله عنه، فقرأها عليهم في الموسم، ولم يبسمل في ذلك على ما جرت به عادتهم في نقض العهد من ترك البسملة.

القول الثاني: ما رواه النسائي عن ابن عباس قال: قلت لعثمان ما حملكم إلى أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني، وإلى براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما، ولم تكتبوا سطر «بسم الله الرحمن الرحيم»، ووضعتموها في السبع الطوال، فما حملكم على ذلك؟ قال عثمان: إن رسول الله ﷺ كان إذا نزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب عنده فيقول: ضعوا هذه في السورة التي فيها كذا وكذا. وتنزل عليه الآيات فيقول: ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا. وكانت الأنفال من أوائل ما أنزل بالمدينة، وبراءة من آخر القرآن نزولاً، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، وقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها فظننت أنها منها، فمن ثمَّ قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر «بسم الله الرحمن الرحيم». وخرجه الترمذي وقال: هذا حديث حسن.

القول الثالث: ما روي عن عثمان أيضاً. وقال مالك فيما رواه ابن وهب وابن القاسم وابن عبد الحكم: إنه لما سقط أولها سقطت «بسم الله الرحمن الرحيم» معه. وروي ذلك عن ابن عجلان أنه بلغه أن سورة براءة كانت تعدل البقرة أو قربها، فذهب منها أولها، فلذلك لم يكتب بينهما «بسم الله الرحمن الرحيم». وقال سعيد بن جبير: كانت مثل سورة البقرة.

---

(١) الفتوحات الإلهية جـ ٢ ص٢٦١.

القول الرابع: قاله خارجة وأبو عصرة وغيرهما، قالوا: لما كتبوا المصحف في خلافة عثمان اختلف أصحاب رسول الله ﷺ، فقال بعضهم: براءة والأنفال سورة واحدة. وقال بعضهم: هما سورتان، فتركت بينهما فرجة لقول من قال: إنهما سورتان، وتركت «**بسم الله الرحمن الرحيم**» لقول من قال: هما سورة واحدة، فرضي الفريقان معاً، وثبتت حجتهما في المصحف.

القول الخامس: قال عبد الله بن عباس. سألت علي بن أبي طالب: لِمَ لَمْ يكتب في براءة «**بسم الله الرحمن الرحيم**»؟ قال: لأن «**بسم الله الرحمن الرحيم**» أمان، و«براءة» نزلت بالسيف ليس فيها أمان. وروى معناه عن المبرد قال: ولذلك لم يجمع بينهما، فإن «**بسم الله الرحمن الرحيم**» رحمة، وبراءة نزلت بسخطه. ونحوه عن سفيان. والصحيح أن البسملة لم تكتب، لأن جبريل عليه السلام ما نزل بها في هذه السورة، قاله القشيري. وفي قول عثمان: قُبض رسولُ الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها، دليل على أن السور كلها انتظمت بقوله وتبيينه، وأن براءة وحدها ضمت إلى الأنفال من غير عهد من النبي ﷺ، لما عاجله من الحمام قبل تبيينه ذلك. وكانتا تدعيان القرينتين، فوجب أن تجمعها وتضم إحداهما إلى الأخرى، للوصف الذي لزمهما من الاقتران ورسول الله ﷺ حي) [1].

س٤: قال تعالى: ﴿فَسِيحُواْ فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللّهِ وَأَنَّ اللّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾ (التوبة :٢)، **وقال تعالى**: ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (التوبة :٣). **هل هذا تكرار فى الآيتين فى قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللّهِ﴾ ؟**

الجواب: ليس هذا بتكرار؛ لأن الأولى خاصة بالمكان بدليل قوله «فى الأرض» والثانية خاصة بالزمان بدليل قوله: ﴿يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ﴾ .

س٥: قال تعالى: ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ﴾ (التوبة :٣).

ما المراد بالحج الأكبر؟ ولِمَ سُمِّى بذلك؟ وما الحج الأصغر؟

الجواب: الحج الأكبر هو يوم النحر ولقد بينه الرسول ﷺ، وروى ذلك فى كتب السنة فى «كتاب الحج»، ووصف الحج بالأكبر لأن يوم النحر يجىء عقب يوم عرفة وهو أهم الأركان؛ لأنه

---

(١) الفتوحات الإلهية جـ ٢ ص٢٦١ ، ٢٦٢.

مقيد بوقت معلوم، أما غيره من الأركان والواجبات فليس كذلك، ولأنه إذا فات يوم عرفة فات الحج، والحج الأصغر هو العمرة.

س٦: قال تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ﴾ (التوبة: ٥)، وقال تعالى بعد هذه الآية بآيات: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ (التوبة: ١١) **فما سر التكرار؟**

الجواب: من وجهين:

الأول: أن هذا ليس بتكرار فالآية الأولى فى شأن المشركين بدليل قوله تعالى فى نفس الآية: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ﴾، والآية الثانية فى شأن اليهود بدليل قوله تعالى قبلها ﴿اشْتَرَوْاْ بِآيَاتِ اللّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً﴾، فقد فسر كثير من المفسرين آيات الله بأنها التوراة والمراد بالشراء التبديل والتحريف، وعلى ذلك فليس تكرار.

الثانى: أن الآيتين فى المشركين، فالآية الأولى بينت نوع التعامل معهم بعد توبتهم مباشرة وهو تخلية سبيلهم، والآية الثانية بينت نوع التعامل بعد ذلك وهو الأخوّة فى الدين، والمراد بآيات الله الآيات القرآنية، والمراد بالشراء الترك. فلقد ترك المشركون آيات الله واتبعوا الشهوات فيكون الشراء مجازياً.

س٧: قال الله تعالى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ﴾ (التوبة: ٧).

و قال بعدها: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لاَ يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً﴾ (التوبة: ٨).

ما سر تكرار «كيف» وحذف بقية الجملة وهى: ﴿يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ﴾ ؟

الجواب: أعاد السؤال للتكرار على سبيل التأكيد، وحذف الجملة من باب الاكتفاء فلقد دلت عليها الجملة الأولى.

س٨: قال الله تعالى: ﴿لاَ يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً﴾ (التوبة: ٨).

و قال تعالى: ﴿لاَ يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً﴾ (التوبة: ١٠). **ما سر التكرار فى الآيتين؟**

الجواب: من وجهين:

الأول: أن الآية الأولى فى شأن الكفار بأنهم لم يراعوا «إلاًّ» يعنى قرابة «ولا ذمة» أى: ولا عهداً، فمشاعرهم مبتوتة من جهة أصولهم الإنسانية والعصبية، والآية الثانية فى شأن اليهود وتكون قرابتهم للمسلمين قرابة جوار وإنسانية، فليس فى الآيتين تكرار.

الثاني: أن قوله: ﴿لاَ يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً﴾ جواب وجزاء للشرط السابق ﴿إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾، ثم أعاده فى الآية الثانية تقبيحاً لهم.

و على ضوء ذلك تكون الآيات كلها فى المشركين فقط.

س٩: قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَى أُوْلَـئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ (التوبة :١٨).

ما سر عدم ذكر الإيمان بالرسول ﷺ مع أن الإيمان به شرط فى صحة الإيمان؟ وقال ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ﴾ والمؤمن يخشى المعاصى والمهلكات كالظلمة والبحر وغيرهما؟

الجواب: عن الشطر الأول من السؤال من وجهين:

الأول: أن الإيمان بالله مستلزم للإيمان برسوله فقال: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾، وكذلك فإن الآيات من أول السورة إلى هذه الآية قرنت الرسول ﷺ بالله تعالى، ولما كان هذا معلوماً أتى الإيجاز بالحذف.

الثانى: أن الآية اشتملت على الصلاة: ﴿وَأَقَامَ الصَّلاَةَ﴾ ومن أركان الصلاة التشهد، وهو مشتمل على ذكر الرسول ﷺ والإيمان به

أمّا الجواب عن الشطر الثانى من السؤال: فإن الخشية من الله خوف معه تعظيم للخالق، أما الخوف من غيره كالظلمة والبحار والسباع والزواحف فإنه خوف فطرى غريزى، فالخشية الأولى فيها محافظة على حدود الله وانصياع لأوامره واجتناب لنواهيه، أما الخشية الثانية وهى من المهلكات وغيرها فهى للمحافظة على الحياة، ولا تعارض بينهما.

س١٠: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاء إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة :٢٨).

لقد قال الله تعالى فى سورة الإسراء ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ (الإسراء :٧٠).

التكريم فى الآية الثانية يتناقض مع النجس فى الآية الأولى؟

الجواب: لقد ذهب ابن عباس — رضى الله عنهما — إلى (أن أعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير، وعن الحسن: من صافح مشركاً توضأ) [1].

(١) تفسير أبى السعود جـ ٤ ص٥٧.

وذهب أبو حنيفة إلى أن النهى عن قربهم من المسجد الحرام للحج والعمرة لا عن دخول الحرم مطلقاً، واستدل أبو حنيفة بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ فإنَّه إنما يكونوا إذا منعوا من دخول الحرم وهو ظاهر، ونداء علىٍّ كرَّم الله وجهه بقوله : ألا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك بأمر النبى ﷺ) [1] وقاس الإمام مالك تحريم سائر المساجد على المسجد الحرام فى المنع.

وأقول : إن الله قال: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـذَا﴾ والنجاسة التى وصف بها المشركون نجاسة معنوية لكون قلوبهم مملوءة بغير الله، وللازمتهم للجنابة، وهى أمر معنوى يقوم بالأعضاء يمنع من الصلاة فليست الجنابة أمراً محسوساً، وعليه فليست ذواتهم نجسة كالكلاب. وإذا مس المسلم المتوضئ جسد المشرك لا ينقض وضوءه. وهم يندرجون فى قائمة المكرمين من بنى آدم، بيد أنهم لكثرة ملازمتهم للجنابة وعدم اغتسالهم منها ولكثرة ملازمتهم للنجاسة، لا يدخلون الحرم ولا المسجد النبوى خلافاً لأبى حنيفة، **لأن النهى أتى على أبلغ وجه وهو النهى عن القرب فالنهى عن القرب فيه نهى عن الدخول، فلقد قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَا﴾ فنفسرها بأن النهى عن القرب ومباشرة الزنا، ونخالف الإمام مالكاً لأن المساجد الأخرى ليست كالحرم ولا المسجد النبوى ولا الأقصى فهذه المساجد لها مكانتها أما غيرها فيجوز دخول المشركين فيها خلافاً للإمام مالك.**

س١١: قال الله تعالى : ﴿قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ، وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ (التوبة: ٢٩ ، ٣٠)، **هذه الآيات تتحدث عن اليهود والنصارى وهم يؤمنون بالله واليوم الآخر؟ وكيف تقبل منهم الجزية مع بقائهم على الكفر، وقال الله تعالى: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾** (الأنفال :٦٧)**؟ وما سر ذكر الأفواه ومعلوم أن الأقوال تخرج منها؟**

الجواب : اليهود والنصارى يؤمنون بالله وباليوم الآخر، بَيْدَ أنهم هدموا صرح إيمانهم بشركهم، فاليهود قالوا: عزير ابن الله، والنصارى قالوا: المسيح ابن الله، فصاروا مشركين فأصبح إيمانهم بالله وباليوم الآخر لا وجود له مع شركهم، من أجل هذا نفت الآيات إيمانهم بالله وباليوم الآخر.

---

(١) حاشية الشهاب جـ ٤ ص٣١٦.

وأما قبول الجزية مع بقائهم على الكفر فلأحد أمرين:

الأول: قبلت الجزية من اليهود والنصارى لاعتقادهم التمسك بتوراة موسى وإنجيل عيسى.

الثانى: قبلت منهم حقنا لدمائهم وبقائهم واطلاع الله عليهم، فعلم أن بعضهم سيدخل فى الإسلام فأبقاهم مع قبول الجزية منهم.

وأما ذكر الأفواه مع أن المعلوم أن الأقوال تخرج منها فلأحد أمرين:

الأول: استعظام اجترائهم على النطق بها.

الثانى: أنه مجرد قول لا معنى له ولا دليل عليه.

س١٢: أليس فى تحصيل الجزية من اليهود والنصارى استغلال للشعوب؟

الجواب: لم تكن الأمة الإسلامية منذ ولادتها وتطورها من عهد رسول الله ﷺ إلى عصرنا هذا أمةً مستغلة ولا مستعمرة، بل فتح المسلمون البلاد وتركوا لأهلها الخيار فى دخول الإسلام ولم يجبروهم، وقبلوا الجزية من الذين ظلوا على دينهم، وقبلت منهم نظير حماية بلادهم وشق الأنهار وإنشاء الطرق، ولم تؤخذ الجزية من كل فرد؛ بل أخذت من الشاب القادر، أما العجوز والمرأة والطفل فليس عليهم جزية، فشتان بين أمة الإسلام والأمم الاستعمارية، التى اقتصت خيرات الشعوب وأذلت الكبير والصغير وهتكت أعراض النساء، وما زالت مساوئ الأمم الاستعمارية ماثلة فى أذهان النّاس وسطرها التاريخ، فالإنجليز سفكوا الدماء فى مصر وأذلوا أهلها ومنحوا اليهود دولة فى جسم الوطن العربى، والفرنسيون فى الجزائر سفكوا دماء مليون رجل وأكلوا خيراتها.

والإيطاليون فى ليبيا أذلوا أهلها وأراقوا دماءهم ونهبوا بلادهم، وكذلك الدول الأخرى فى العالم العربى، وفى النصف الأخير من القرن العشرين عادت أمريكا إلى دول العالم العربى فى صورة غير الصورة السابقة للاستعمار صورة تواكب العصر، وهى الصورة الاقتصادية وفرض السيطرة وامتصاص الشعوب، وأصبح العالم كله ينفذ سياستها ولاغرو لأنها القوة الوحيدة فى هذا العالم.

فشتان بين أمة الإسلام وبين الأمم الأخرى.

س١٣: قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (التوبة: ٣٢). **وقال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾** (الصف: ٨). **ما سر مجىء «أن» المصدرية فى الآية الأولى ومجىء لام التعليل فى الثانية؟ وما سر مجىء أسلوب القصر بالنفى والاستثناء فى الآية الأولى؟**

ﷻ **الجواب:** جاء بـ «أن» المصدرية في الآية الأولى لأن مرادهم إطفاء نور الله، فأنْ وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول به لقوله: «يريدون»، وأتى بلام التعليل الداخلة على قوله: «ليطفئوا» لبيان علّة كذبهم على الله في الآية السابقة عليها وهي قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الإِسْلامِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ، يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ (الصف :٧ -٨)، فبينت اللام علّة افترائهم الكذب على الله لإطفائهم نور شرع الله وأتت الآية الأولى بأسلوب القصر وهو بالنفي المعنوي ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ﴾ والاستثناء بـ «إلا»، وأيضاً الإتيان بفعل فيه معنى الامتناع والشمم، وهذا الأسلوب البلاغي الذي انفردت به الآية الأولى جاء بعد ارتكابهم جريمة هي أعظم الجرائم، وهي اتخاذهم الأحبار والرهبان والمسيح ابن مريم أرباباً من دون الله، وهذا أقبح الشرك، قال تعالى: ﴿اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ، يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُواْ نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ﴾ **أما الآية الثانية فقد عرت عن هذا الأسلوب لأن الذنب فيها أقل درجة من الذنب في الآية الأولى. فالذنب الذي سبق الآية الثانية هو افتراؤهم الكذب على الله كما سبق في تلك الآية.**

س١٤: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ، يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ (التوبة :٣٤ - ٣٥)، ما سر مجيء الكانزين مع الأحبار والرهبان ؟

ولِمَ أتى بالهاء في ﴿وَلاَ يُنفِقُونَهَا﴾ وهو ضمير مفرد مع أنه يعود على مثنى وهو الذهب والفضة؟

وهل كل من يكنز المال ويدخره يجري عليه هذا العقاب؟

ﷻ **الجواب:** **سر مجيء الكانزين مع الأحبار والرهبان أن الله نظمهم في سمط اليهود والنصارى، وجعلهم في حظيرتهم تغليظاً لهم أي الكانزين، ودلالة على كونهم أسوة لهم في استحقاق البشارة بالعذاب الأليم.**

وأتى بالهاء وهو ضمير مفرد يعود على مثنى وهو الذهب والفضة لأن الضمير يعود إلى المعنى دون اللفظ؛ لأن كل واحد من الذهب والفضة جملة وعدد كثير ودنانير ودراهم، وعود الضمير المؤنث «ها» على الجمع جائز في اللغة كما في هذه الآية، وخص الذهب والفضة دون غيرهما من العملات لأنهما قيمة الأشياء وبهما تدار المعاملات.

و ليس كل من يكنز المال ويدخره يجرى عليه هذا العقاب، فالذين يخرجون زكاة أموالهم لا يجرى عليهم هذا العقاب ولا يعدون من الكانزين؛ لأنه (لما نزلت هذه الآية كَبُرَ ذلك على المسلمين، فذكر عُمَرُ لرسول الله ﷺ فقال إن الله تعالى لم يفرض الزكاة إلاّ ليطيب بها ما بقى من أموالكم، ولقوله ﷺ: "ما أدّى زكاتُه فليس بكنز أو عُدَّ عليه"، فإن الوعيد عليه مع عدم الإنفاق فيما أمر الله بالإنفاق فيه، وأما قوله ﷺ – فى الحديث –: "من ترك صفراء أو بيضاء كوى بها" ،ونحوه فالمراد بها ما لم يؤد حقها لقوله ﷺ: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى منها حقها إلاّ كان يوم القيامة صُفِّحت له صفائح من نار فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره») [١].

وخص فى الآية الجباه والجنوب والظهور بالكى لما يأتى:

(١– أن جمعهم لهذه الأموال وإمساكهم كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم والشهية والملابس البهية.

٢– أو لأنهم ازوروا أى مالوا عن السائل وأعرضوا عنه وولّوه ظهورهم.

٣– أو لأنها أشرف الأعضاء الظاهرة، فإنها المشتملة على الأعضاء الرئيسية التى هى الدماغ والقلب والكبد.

٤– أو لأنها أصول الجهات الأربعة التى هى مقاديم البدن ومآخره وجنباه) [٢].

س١٥: قال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ (التوبة :٣٦).

ما سر تمييز هذه الأربعة عن غيرها مع أن أجزاء الزمن متشابهة؟

الجواب: لقد ميز الله بعض المخلوقات على بعضها، وفضل بعض النّاس على بعض، وفضل بعض الرسل على بعض، وفضل بعض الأمكنة فى الأرض على بعض، وفضل بعض الزمن على بعض، ففضل بعض الشهور على بعض، وفضل بعض الأيام على بعض، وفضل بعض الليالى على بعض، ففضل هذه الأشهر الأربعة وهى المحرم ورجب وذو القعدة وذو الحجة وذلك لما يأتى:

١– أن الإنسان إذا علم فضلها احترمها وعظّمها فلا يجترئ فيها على ممارسة القبائح

٢– فإذا ما جانب القبائح والرذائل فيها؛ فإن تركه لها يورثه ملكةً فى البعد عن القبائح، فيكون تعظيم هذه الأزمنة سبباً فى التزامه وترك سائر المعاصى.

---

(١) تفسير أبى السعود جـ ٤ ص٦٢.

(٢) المرجع السابق ص٦٣ بتصريف

س١٦: قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى وَلاَ يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ (التوبة :٥٤)، وقال تعالى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (التوبة :٨٠)، وقال تعالى: ﴿وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلاَ تَقُمْ عَلَىَ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (التوبة :٨٤).

فما سر تكرار الباء مع الرسول فى الآية الأولى: ﴿بِاللّهِ وَبِرَسُولِهِ﴾ دون الآيتين الثانية والثالثة؟

الجواب: كرر الباء مع الرسول لأن الكلام فى الآية الأولى إيجاب بعد نفى، وهو الغاية فى باب التأكيد وهو على سبيل القصر فلما أتى على هذا النحو من التأكيد أكُد المعطوف أيضاً بالباء ليكون السياق على نمط واحد فى التأكيد، بخلاف الآيتين الثانية والثالثة فإنهما خلتا من التأكيد.

س١٧: قال الله تعالى: ﴿فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (التوبة :٥٥)، و قال تعالى: ﴿وَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الدُّنْيَا﴾ (التوبة :٨٥). و تحت هاتين الآيتين عدة أسئلة وأجوبتها وهى:-

أولاً: لماذا قُرنت الجملة فى الآية الأولى بالفاء وفى الثانية بالواو؟

الجواب: الفاء حرف يتضمن معنى الجزاء ويقترن بجملة الجزاء إن كانت فعلية فعلها طلبى، أو كانت الجملة مقترنة بقد أو بالسين أو سوف أو نعم أو بئس أو كانت اسمية، وهو فى هذه الآية اقترن بجملة هى جواب وجزاء لشرط سابق تضمنته الآية السابقة على الآية الأولى وهو ﴿وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى وَلاَ يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾، وفى هذه الآية معنى الشرط، والتقدير «إن يكن منهم ما ذكر» فلا تعجبك، وهذا جواب الشرط وجزاؤه.

والآية الثانية ليست كذلك بل جملتها معطوفة فى نهيها على النهى السابق عليها، وهو: ﴿وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلاَ تَقُمْ عَلَىَ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَاسِقُونَ، وَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلاَدُهُمْ﴾

ثانياً: لماذا كرر فى الآية الأولى «لا» فى قوله: ﴿فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ﴾ ولم يكرر هذا الحرف فى الثانية؟

الجواب: لما أكد الكلام السابق على الآية الأولى بالنفى والاستثناء والإيجاب بعده وهو الغاية فى التأكيد، وذلك فى قوله تعالى: ﴿وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى وَلاَ يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾.

وعلّق قوله: ﴿فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ﴾ بهذا القول السابق تعليق الجزاء بالشرط المعنوى المستفاد منه كما سبق، اقتضى الكلام توكيداً كالتوكيد السابق، فأكد معنى النهى فى قوله: ﴿فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ﴾ بتكرار «لا»، فيكون الكلام السابق مؤكداً بأسلوب القصر بالنفى والاستثناء، وهذا مؤكد مثله، بيد أنه بتكرار «لا»، والآية الثانية ليست كذلك.

ثالثاً: ورد فى الآية الأولى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا﴾ وورد فى الثانية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا﴾ فما سر مجىء اللام فى الآية الأولى و«أن» فى الثانية؟

الجواب: «أنْ» فى الآية الأولى مقدرة وهى حرف مصدرى ونصب، وصارت اللام زائدة كزيادة الباء فى قوله: ﴿كَفَرُواْ بِاللّهِ وَبِرَسُولِهِ﴾ وكزيادة «لا» فى قوله: ﴿فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ﴾ وتكون الزيادة للتوكيد.

وجواب آخر:

(وهو أن المفعول فى الآية الأولى محذوف أى يريد الله أن يزيد فى نعمائهم بالأموال والأولاد ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا، والآية الثانية إخبار عن قوم ماتوا على الكفر فتعلق الإرادة بما فيه وهو العذاب) [1].

رابعاً: ورد فى الآية الأولى: ﴿لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ وورد فى الآية الثانية: ﴿أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الدُّنْيَا﴾ فما سر حذف «الحياة» من الآية الثانية؟

الجواب: الدنيا صفة للحياة فى الآيتين الأولى والثانية، فأتى بالموصوف وصفته فى الآية الأولى، وحذف الموصوف فى الآية الثانية اكتفاء بذكره فى الآية الأولى على سبيل الإيجاز، والآيتان ليس فيهما تكرار لأن الآية الأولى فى قوم والثانية فى قوم آخرين، أو أن الأولى فى المنافقين والثانية فى اليهود.

س١٨: قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ٦٠).

ما سر العدول عن اللام إلى «فى» فى المصارف الأربعة الأخيرة؟

الجواب: قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء﴾، وعطف المساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم على الفقراء، والمعنى على تقدير اللام فيكون المعنى: للفقراء وللمساكين وللعاملين عليها

---

(١) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز جـ ١ ص٢٣٣ بتصريف.

وللمؤلفة قلوبهم، ثم عدل عن «اللام» إلى «فى»: وفى الرقاب، والمعنى: وفى الرقاب وفى الغارمين وفى سبيل الله وفى ابن السبيل، وسر هذا العدول إلى حرف «فى» للإيذان بأنهم أكثر استحقاقاً للمتصدق عليهم بمن سبق ذكرهم باللام؛ لأن «فى» للوعاء فنبه بمجيئها مع هؤلاء على أنهم أحق بأن يجعلوا مظنة لوضع الصدقات فيهم كما يوضع الشيء فى وعائه مستقراً.

س١٩: قال تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سورة تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِم﴾ (التوبة: ٦٤).

إنزال السورة يكون على الرسول ﷺ لا على المنافقين فكيف قال ذلك؟

الجواب: حرف الجر «على» بمعنى «فى» أى تنزل فى شأنهم، وأتى بالحرف «على» زيادة فى إرهاب المنافقين وفضحهم.

س٢٠: قال تعالى: ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُواْ﴾ (التوبة: ٦٩).

لماذا أتى اسم الموصول مفرداً وليس مطابقاً للجمع السابق؟

الجواب: من وجهين:

الأول: اسم الموصول سواء كان للجمع أو المثنى أو المفرد يفيد العموم فهو فى معنى الجمع.

الثانى: أن اسم الموصول مراد به «الفوج» والمعنى: وخضتم كالفوج الذى خاضوا. والفوج مكون من أفراد.

س٢١: قال تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا﴾ (التوبة: ٨٢).

كيف يأمرهم بالضحك والبكاء وهما متناقضان؟

الجواب: الأمران معناهما الخبر والمعنى إن ضحكوا فى الدنيا فهو ضحك قليل وسيبكون فى الآخرة.

س٢٢: قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلاَ تَقُمْ عَلَىَ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (التوبة: ٨٤)، **لماذا عبَّر بالماضى مع أنهم لم يموتوا بَعْدُ فقال: «مات»؟**

الجواب: عبَّر بالماضى للدلالة على تحقق الوقوع وأنهم لن يفلتوا من قبضة الله.

س٢٣: قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سورة أَنْ آمِنُواْ بِاللّهِ وَجَاهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُوْلُواْ الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ الْقَاعِدِينَ، رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ﴾ (التوبة: ٨٦ - ٨٧)، **وقال تعالى:** ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاء رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ (التوبة: ٩٣).

فما سر بناء الفعل «طبع» للمجهول في الآية الأولى وبنائه للمعلوم في الآية الثانية وفاعله لفظ الجلالة مع أنه واحد؟

﴿الله﴾ **الجواب:** بني الفعل للمجهول في الآية الأولى لأنه جاء بعد فعل مبني للمجهول وهو «أُنْزِلَتْ»، فبني مجهول على مجهول وبني الفعل للمعلوم في الثانية لأنه محمول على ما تقدم من ذكر الله تعالى مرات متعددة.

س٢٤: قال تعالى: ﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ (التوبة: ٩٤)، و قال تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ (التوبة: ١٠٥) **ما سر تجريد الأولى من المؤمنين وإثباتها في الثانية؟**

﴿الله﴾ **الجواب:** الآية الأولى وردت في معرض الحديث عن المنافقين وفضح سرائرهم وكشف ما في قلوبهم، ولا يطلع على ما في سرائرهم وقلوبهم إلا الله علاَّم الغيوب، ثم يطلع رسوله على ذلك بالوحي إليه، والآية الثانية في المؤمنين وطاعاتهم وعباداتهم وهي ظاهرة لله ولرسوله وللمؤمنين؛ لأن أعمال المؤمنين موافقة لما في قلوبهم بخلاف المنافقين، فالمؤمنون يطلعون على عبادات بعضهم بعضاً.

س٢٥: قال الله تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ (التوبة: ١١٢). وقال تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ (الكهف: ٢٢). وقال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ (الزمر: ٧١). وقال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ (الزمر: ٧٣). وقال تعالى: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾ (التحريم: ٥).

لماذا أتت «الواو» مع الكلمات: «والناهون» «وثامنهم» «وفتحت» في الآية الثانية، «وأبكاراً»؟

﴿الله﴾ **الجواب:** لقد اختلفت مشارب العلماء في سر اقتران هذه الكلمات بالواو إلى فرق متعددة:

الفريق الأول: قالوا إن الواو للعطف وما بعدها معطوف على ما قبلها للمضادة بين المعطوف والمعطوف عليه، ويسمُّون هذه الواو بواو الضد.

الفريق الثاني: قالوا إنها واو الثمانية وتدخل على ما يكون ثامناً في العدد، فالعرب اعتادوا أن يقرنوها مع العدد ثمانية، والأعداد في الآيات واضحة فكلها ثمانية، أما عن آية الزمر وهي

مع أهل الجنة: ﴿حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾؛ لأن أبواب الجنة ثمانية وأبواب النار سبعة.

الفريق الثالث: قال أبو السعود: (والعطف فيه للدلالة على أن المتعاطفين بمنزلة خصلة واحدة كأنه قال: الجامعون بين الوصفين) [1].

وقد يكون المعنى فى آيتى سورة الزمر أن الواو فى آية ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾ تدل على أن الجنة فتحت قبل مجيئهم تكريماً وتشريفاً لهم، وأن الآية الأولى جرّدت منها دلالة على أن أهل النار أتوها ولم تفتح أبوابها بعد، فوقفوا فى ذلٍ ومهانة وعذاب ثم فتحت بعد ذلك، والدليل قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾، والدليل على أن أبواب الجنة فتحت قبل مجيء أهلها: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الأَبْوَابُ﴾ (ص: ٥٠)، والأَوْلَى أنها واو الثمانية.

(١٠) سورة يونس

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: (لما قدّم فى أول الأعراف الحث على إبلاغ النصيحة بهذا الكتاب: ﴿المص، كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأعراف: ١ - ٢)، وفرغ مما اقتضاه السياق من التحذير من مثل وقائع الأولين ومصارع الماضين وما استتبع ذلك من توصيل القول فى ترجمة هذا النبى الكريم مع قومه فى أول أمره وأثنائه وآخره فى سورتى الأنفال وبراءة، وختم ذلك بأن سور الكتاب تزيد كل أحد مما هو ملائم له متهئ لقبوله، وتبعده عما هو منافر له بعيد من قول ملاءمته وأن الرسول ﷺ قد حوى من الأوصاف والأخلاق العلى فى قوله: ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ، فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (التوبة: ١٢٨ - ١٢٩).

وهذا ما يوجب الإقبال عليه والإسراع إليه والإخبار بأن توليهم عنه لا يضره شيئاً؛ لأن ربه كافيه لأنه لا مثل له وأنه ذو العرش العظيم، لما كان ذلك كذلك أعاد سبحانه القول فى شأن الكتاب الذى افتتح به سورة الأعراف وختم به سورة التوبة، وزاده وصف الحكمة، وأشار بأداة البعد إلى أن رتبته فيها بعيدة المنال بديعة المثال فقال: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ (يونس: ١)) [2].

---

(١) تفسير أبى السعود جـ ٤ ص١٠٧.

(٢) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور جـ ٩ ص٦٢ ، ٦٣ بتصريف.

﴿ س٢: قال تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ (يونس:٢) **هل للصدق قدم؟**

الجواب: يقول أبو السعود: (﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ﴾ أى سابقة ومنزلة رفيعة عند ربهم، وإنما عبّر عنها بها – أى بالقدم – إذ بها يحصل السبق والوصول إلى المنازل الرفيعة، كما يعبر عن النعمة باليد لأنها تعطى بها، وقيل: المراد بالقدم: مقام صدق، والوجه أن الوصول إلى المقام إنما يحصل بالقدم، وإضافتها إلى الصدق للدلالة على تحققها وثباتها وللتنبيه على أن مدار نيل ما نالوه من المراتب العلية هو صدقهم، فإن التصديق لا ينفك عن الصدق) [1].

﴿ س٣: قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ (يونس:٣)، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ (السجدة:٤)، و قال تعالى: ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاء لِّلسَّائِلِينَ، ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ، فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاء أَمْرَهَا﴾ (فصلت:٩-١٢).

فالآية الأولى والثانية وبقية الآيات القرآنية الأخرى تبين أن الله خلق السماوات والأرض فى ستة أيام والآية الثالثة يفيد ظاهرها بأن خلقهما فى ثمانية أيام فكيف ندرأ التعارض المتوهم؟ وما المراد بالأيام؟

الجواب: أن الله خلق السماوات والأرض فى ستة أيام، ومفهوم الآية الثالثة أيضاً أنه خلقهما فى ستة أيام لا ثمانية أيام، وهذا المفهوم هو أنه خلق الأرض فى يومين، وجعل فيها رواسى، وبارك فيها وقدّر أقواتها فى يومين، فيكون المجموع أربعة أيام، وخلق السماوات فى يومين ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ فيكون المجموع ستة أيام هى خلق السماوات والأرض، وليس بين الآيات تعارض، ومن جهة أخرى ليس المراد ما يفهم من ظاهر النص وهو أنه خلق الأرض فى يومين وجعل فيها رواسى وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام، فيكون المجموع ستة أيام، وبإضافة يومى السماوات يكون المجموع ثمانية، ليس هذا مراداً بل المراد أن

(١) تفسير أبى السعود جـ ٤ ص١١٧.

الله خلق الأرض فى يومين. وجعل فيها رواسى وبارك فيها وقدّر أقواتها فى يومين فيكون المجموع أربعة أيام، وبإضافة يومى السماوات يكون المجموع ستة، كما تقول: خرجت من البصرة إلى بغداد فى عشرة أيام، وإلى الكوفة فى خمسة عشر، يوماً أى فى تمام خمسة عشر يوماً، وليس خمسة وعشرين يوماً. والمراد باليوم مع أنه لم تكن الأيام قد حدّدت على الأرض لأنها لا تحدد إلاّ بالليل والنهار؟ جوابه من وجهين:

الأول: أنه ليس المراد اليوم المعهود لدينا وهو المحدد بأربع وعشرين ساعة، ولكنّ المراد باليوم من الأيام الستة هو ألف سنة، (قال مجاهدٌ: ويوم من الستة أيام كألف سنة مما تعدون) (1).

الثانى: أنها أيام الدنيا واليوم منها هو المحدد بأربع وعشرين ساعة، والأيام هى: يوم الأحد والاثنين خلق فيهما الأرض، والثلاثاء والأربعاء قدر فيهما الأقوات وجعل فيهما الرواسى. والخميس والجمعة: خلق فيهما السماوات، وقدّر الله الأيام الستة فى علمه قبل خلق الأرض والسماوات، والله ﷻ كان قادراً ولا يزال قادراً أن يخلقهما فى برهة زمنية، إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، ولكنه خلقها فى ستة ليعلِّم عباده التأنى فى الأمور.

س٤: قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا﴾ (يونس:٤)، وقال تعالى: ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (هود:٤) ما السر فى مجىء لفظ «جميعاً» فى الآية الأولى؟

الجواب: الآية الأولى جاءت فى سياق كان الخطاب فيه للمؤمنين والكافرين فأتى باللفظ «جميعاً» بدليل قوله تعالى فى الآيات السابقة ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ﴾ (يونس:٢)، ثم جاء ببشارة المؤمنين بعد ذلك.

فالمراد جميع النّاس، والسياق فى الآية الثانية للمؤمنين ودليله ﴿أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ، وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (هود:٣)، فأتى بكلمة «جميعاً» فى الأولى مراعاة لعموم المؤمنين والكافرين، أما الآية الثانية فهى للمؤمنين فقط ولهذا لم يأت بلفظ «جميعاً».

س٥: قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ (يونس:٥)

لماذا جعل الضياء للشمس، والنور للقمر؟ ولماذا قدم الشمس على القمر؟

(1) فتح القدير جـ ٤ ص٦٣٥.

﴿الله﴾ **الجواب:** الضياء حرارة ونور. والنور بدون حرارة، فالشمس كتلة هائلة من اللهب والغازات تبعث حرارة ونوراً إلى كواكب مجموعتها وهى عطارد والزهرة والأرض والمريخ والمشترى وزحل ونبتون وبلوتو وأورانوس، وحرارة الشمس لا تصل إلى الكواكب البعيدة عنها فلذلك هى متجمدة، والقمر كوكب تابع للأرض، وهذه الكواكب تعكس الضوء الواقع عليها، فيكون عارياً عن الحرارة عند العكس، لأنه جسم معتم، لهذا جعل الله الضياء للشمس والنور للقمر.

و قدم الشمس على القمر: لأن الشمس هى الأصل، فلقد كان القمر وبقية الكواكب أجزاء منها، انفصلت عنها وهى كتل ملتهبة وظلت تبرد حتى صارت على ما هى عليه الآن.

س٦: قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا وَرَضُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا﴾ (يونس:٧). **ما سر تعدى الفعل «اطمأنوا» بالباء مع أنه يتعدى بإلى؟**

﴿الله﴾ **الجواب:** من وجهين:

١- أن الفعل «اطمأنوا» ضُمّن معنى «وثقوا» وهو يتعدى بالباء.

٢- أن معنى الباء هو «إلى» وحروف الجر ينوب بعضها عن بعض.

س٧: قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ﴾ (يونس:١٢).

وقال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ﴾ (يونس:١٠٧).

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ (الزمر:٨).

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا﴾ (الزمر:٤٩) **فما سر مجيء «الضر» نكرة ومعرفة؟**

﴿الله﴾ **الجواب:** أن الضر إذا أتى نكرة فيكون لأمور:

١- إمّا أن يراد به التقليل والتحقير، ويكون المعنى: إذا مسه أدنى شيء من الضر دعا ربه.

٢- أو يراد به العموم، فيشمل جنس كل ما يؤذيه ويؤلمه. ٣- أو يراد به التفخيم والتعظيم.

وإذا ورد معرّفاً فإنّه يكون بياناً لمعرفة سابقة كالآية الأولى، فجاء معرفة لأنه مراد به معرفة سبقت وهى الشر فى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ (يونس:١١) والسياق هو الذى يشير إلى كل ذلك.

س٨: قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ مِن بَعْدِهِم لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (يونس:١٤) **هذه الآية توحى بأن الله ما كان عالماً بأحوالهم قبل وجودهم وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً؟**

﴿ﷲ﴾ **الجواب:** الله ﷻ يعامل خلقه معاملة من يطلب العلم بما يكون منهم ليرتب عليه الثواب والجزاء، وهو عالم بما كان وما هو كائن وما يكون، فَعِلْمُ الله واحد لا فرق فى ذاته بين الماضى والمضارع بنوعيه الحال والاستقبال.

س٩: قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُواْ وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (يونس: ١٩). **وفى غير هذه الآيات من السور الأخرى قال:** ﴿ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (الزمر: ٢) **بزيادة الضمير «هم» فما سر ذلك؟**

﴿ﷲ﴾ **الجواب:** لقد تقدم الفعل وفاعله وهو قوله: «فاختلفوا»، فاكتفى به عن إعادة الضمير، أما غيرها من الآيات فقد ذكر الله فيها الضمائر مراعاة للأسلوب البلاغى.

س١٠: قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ (يونس: ٢٣). **وقال تعالى:** ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ (لقمان: ٣٢) **فما سر مجيء "أنجاهم" فى الآية الأولى و"نجَّاهم" فى الآية الثانية وفى عيرها؟**

﴿ﷲ﴾ **الجواب: أنها تأتى بالألف بحسب السياق، فتكون بعض الكلمات قد سبقت وهى بالألف فتأتى الكلمة موافقة لما سبق، وقد تكون بعض الكلمات قد سبقت فى الكلام بغير ألف ويغلب على السياق التشديد والمبالغة كما فى الآية الأولى، فلقد أتت الكلمة «أنجاهم» موافقة لما قبلها فلقد سبقها قوله تعالى:** ﴿لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (يونس: ٢٢).

وكالآية الثانية التى وقعت بعد كلمات فيها تشديد وهى ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (لقمان: ٣١).

س١١: قال الله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (يونس: ٣٨) **وقال تعالى:** ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (هود: ١٣).

ما سر مجيء «سورة» مفردة فى سور يونس فى الآية الأولى، و«عشر سور» فى سورة هود فى الآية الثانية، ومجيء «مفتريات» فى الآية الثانية؟

﴿ﷲ﴾ **الجواب: أن ما فى الآية الأولى تقديره: «فأتوا بسورة مثل سورة يونس» وكلمة قرآن تطلق** عليه كله وتطلق على الجزء منه، وما فى الآية الثانية تقديره: «عشر سور مما تقدَّمت» من أول الفاتحة وهى الفاتحة والبقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف والأنفال والتوبة ويونس.

ويحتمل أن الله خاطبهم أولاً بالإتيان بعشر سور مثله، فلما عجزوا عن ذلك أمرهم بأن يأتوا بسورة واحدة مثله، ومع هذا عجزوا، ويظل هذا التحدى قائماً إلى يوم القيامة.

والآية الأولى وردت بعد ذكر نفى الافتراء عن القرآن بقوله: ﴿وَمَا كَانَ هَـٰذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ (يونس:٣٧)، فلما نفى الافتراء عنه لم يأت بوصف السورة بأنها مفتراة وأتى بكلمة «مفتريات» فى الآية الثانية على حسب زعمهم: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾، فهم قالوا: محمد افتراه فقال لهم الله: ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾ كما تزعمون ولم يسبق نفى الافتراء فى هذه الآية.

س١٢: قال تعالى: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (يونس:٣٨)، **و قال تعالى:** ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ (البقرة:٢٣).

ما سر زيادة «من» فى الآية الثانية وحذفها من الأولى؟

الجواب: (أنه ﷺ كان أميًّا لم يطالع كتاباً ولا تُلمذ لأحد، فإذا أتى بمثل هذا القرآن فأتوا أنتم بسورة من رجل يساوى محمداً فى الأمية وعدم المطالعة فحيث حصل العجز حصل المعجز وهذا لا يدل على أن السورة معجز بل المعجز فى ورودها من مثل محمد ﷺ وأما فى سورة يونس فبيّن تعالى أن السورة نفسها معجز ليكون المعجز شاملاً للرسول محمد ﷺ وللسورة) [1].

س١٣: قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ (يونس:٥٦).

و قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾ (يونس:٦٦).

فما سر التعبير فى الآية الأولى بـ«ما» وفى الآية الثاني بـ«مَنْ» وهما اسما موصول؟

الجواب: أتى التعبير فى الآية الأولى بـ«ما» لأنه سبقها: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ﴾ (يونس:٥٤)، ثم أعقب هذه الآية قوله: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فأتى بكلمة «ما» مراعاة لكلمة «ما فى الأرض»، و«ما» تشمل العاقل وغير العاقل، فكل ما فى السماوات والأرض مملوك لله، ولا يملك أحد شيئاً، وأتى التعبير بـ«من» فى الآية الثانية؛ لأنه سبقه حديث عن قوم آذوا رسول الله ﷺ: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾، وهؤلاء القوم عقلاء فأتت بعدها الآية لتدل على أنهم مملوكون لله وهم فى قبضته ولن يخرجوا عن ملكه، فعبّر عن ذلك بـ«من».

---

(١) الروض الريان فى أسئلة القرآن جـ ١ ص١٠٨.

س١٤: قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ﴾ (يونس: ٦١).

و قال تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَخْفَىَ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء﴾ (آل عمران: ٥).

وقال تعالى: ﴿وَمَا يَخْفَى عَلَى اللّهِ مِن شَيْءٍ فَي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء﴾ (ابراهيم: ٣٨).

و قال تعالى: ﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاء﴾ (العنكبوت: ٢٢).

و قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ﴾ (آل عمران: ١٩٠).

وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ (سبأ: ١).

و قال تعالى: ﴿لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الْأَرْضِ﴾ (سبأ: ٣)

ما سر تقديم الأرض فى الآيات الأولى إلى الرابعة؟ و تقديم السماوات فى الآيات الخامسة والسادسة والسابعة؟

الجواب: قدّم الأرض فى الآيات الأولى إلى الرابعة لكون المخاطبين فيها ومتعلقين بها، وقدم السماوات فى الآيات الخامسة والسادسة والسابعة وغيرها من الآيات القرآنية لشرفها وأنها لم يُعص الله فيها، وهى مقر الملائكة، ومنها يُدبّر الكون وينزل الأمر.

س١٥: قال الله تعالى: ﴿وَلاَ يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (يونس: ٦٥)، **وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾** (المنافقون: ٨) **كيف الجمع بين الآيتين؟**

الجواب: العزة كلها لله، وعزة الرسول والمؤمنين من الله فهى لله يملكها.

س١٦: قال تعالى: **﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾** (يونس: ٨٣)، **وقال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾** (يونس: ٨٨). **ما سر قوله: «ملئهم» فى الآية الأولى وفى الثانية قال: «ملأه» ؟**

الجواب: الضمير فى الآية الأولى جاء مجموعاً لأنه يجوز أن يكون ضمير الجمع عائداً على فرعون، وجمع لأنه كان جبّاراً تعظيماً لشأنه، وقيل: إن قوم فرعون سموا بفرعون مثل ثمود فرجع الضمير إليهم بهذا الاعتبار.

س١٧: قال تعالى: **﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلِـهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ، فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾** (يونس: ٩٠ - ٩٢).

وقال تعالى : ﴿فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ آمَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ فِي الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ (يونس:٩٨). **ما سر عدم قبول توبة فرعون مع اعترافه وإقراره وقبول دعوة قوم يونس مع التشابه فى الموقف؟**

الجواب: أن فرعون تاب وآمن بعد أن أدركه الغرق وأيقن هلاكه، وكانت أمامه فسحة من الوقت ولم يغتنمها ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ﴾، وأثناء الهلاك: ﴿قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ فقال الله له: ﴿آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾، فالأيام والشهور والسنون استثمرها فى ألوهية مزيفة، فهل قدرته أنقذته مما حلّ به؟ وهذا الإله المزيف تخلى عن ألوهيته عندما أحدق به الهلاك، فكل مخلوق مهما تجبر وتكبر يعترف بالله تعالى وإن كان فرعون لم تقبل توبته.

أما قوم يونس فقد تابوا قبل أن يخالطهم العذاب ويحل بهم، فأماراته هى التى ظهرت وعلم الله نياتهم بخلاف فرعون فإنّه حينما أدركه الغرق وحل به وذاق مرارة الغرق أعلن توبته، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوَءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَـئِكَ يَتُوبُ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً، وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَـئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (النساء:١٧، ١٨).

وفرعون ما قصد بكلامه الإيمان بل قصد به التخلص من عذاب الغرق، وأيضاً هو منكر لألوهية الله مدّعٍ لألوهيته المزيفة، فهو منكر لوجود الخالق فأقر بأنه آمن بالذى آمنت به بنو إسرائيل، فكأنه اعتراف بأنه لا يعرف الله، فلم تقبل توبته رغم اعترافه بالإيمان ثلاث مرات ﴿آمَنتُ﴾، ﴿أَنَّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾، ﴿وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾، وأيضاً لم يقر بالنبوة فلم تقبل توبته.

س١٨: قال تعالى : ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾ (يونس:٩٢).

ما الفائدة من إنجاء جسد فرعون؟

الجواب: من وجوه :

الأول : ظنت بنو إسرائيل أنه لا يموت وأنه سيظهر بعد الغرق، فأخرجه الله تعالى ميّتاً ليشاهدوه ويتحققوا موته.

الثاني: أنه آمن من غير إخلاص فأخرج بدنه بغير روح.

الثالث: أنه لما ادعى الإلهية وعظم فى نفوس بنى إسرائيل رماه الله ميتاً جيفة ملقاة ليعتبر به من

يراه على هذه الحالة وما هو فيه من الذلة والإهانة) [1].

س١٩: قال تعالى : ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: ١٠٤) **وقال تعالى :** ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (النمل: ٩١) **ما سر مجيء المؤمنين فى الآية الأولى والمسلمين فى الثانية؟**

الجواب : الآية الأولى أتت موافقة لما قبلها، فقبلها حديث عن المؤمنين: ﴿كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: ١٠٣)، وأتت الآية الثانية موافقة لما قبلها. قال تعالى: ﴿إِن تُسْمِعُ إِلاَّ مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ (النمل: ٨١).

(١١) سورة هود

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب : (لمَّا ختمت السورة التى قبلها – يونس – كما ترى بالحث على اتباع الكتاب ولزومه والصبر على ما يعقب ذلك من مرائر الضير المؤدية إلى مفاوز الخير اعتماداً على المتصف بالجلال والكبرياء والكمال، ابتدئت هذه – هود – بوصفه بما يرغب فيه فقال بعد الإشارة إلى إعادة القرع بالتحدى على ما سلف فى البقرة «كتاب» أى عظيم جامع لكل خير، ثم وصفه بقوله ﴿أُحْكِمَتْ آيَاتُه﴾) [2].

و أقول:

لقد ختمت سورة يونس بقوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ (يونس: ١٠٩)، فهذا حديث عن القرآن وفيه أمر بالصبر على ترجمة أحكامه إلى واقع عملى وتبليغه للناس ثم أعقب ذلك بالحديث عن هذا القرآن فى أول سورة هود وهو أنه ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ وهو حديث فيه إخبار عن آيات القرآن بأن كل آية نظمت نظماً متقناً لا يعتريها أى خلل لا سيما وقد انطوت على دقائق الحكم وجلائلها فهو معجز تحدى الله به.

س٢: قال تعالى : ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا﴾ (هود: ٣).

كيف يُمتع المؤمنون المستغفرون التائبون فى الدنيا وقد ورد فى الحديث «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» [3].

---

(١) الروض الريان فى أسئلة القرآن جـ ١ ص١١٢.

(٢) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور جـ ٩ ص٢٢٤ ، ٢٢٥ بتصريف.

(٣) رواه مسلم والترمذى وأحمد وابن ماجه بالإسناد إلى أبى هريرة.

﴿الله﴾ **الجواب :** المعنى : أن من اشتغل بالطاعات واستغفر الله وتاب أحياه الله حياة طيبة بإدرار الرزق وتسهيله عليه فى حصوله من غير عناء وتعب، ونزَعَ من فؤاده حب الدنيا فلا يعبأ بها ولا يركن إليها فيستريح فيها ويمتع فيها متاعاً حسناً، إن المراد بالحديث أن متاع الدنيا بالنسبة إلى نعيم الآخرة سجن للمؤمن، وعذاب الدنيا بالنسبة إلى عذاب الآخرة جنة والذى يذوقه الكافر جنة له.

س٣ : قال تعالى : ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (هود:٦) رزق الخلائق تفضل من الله عليهم فما فائدة ذكر «على» التى تدل على الوجوب؟ وما الفرق بين المستقر والمستودع؟

﴿الله﴾ **الجواب :** الرزق تفضل من الله على الخلائق، وأتى بلفظ «على» التى تدل على الوجوب حتى يبدد قلق الخلائق تجاه الرزق ويطمئنهم ويطيب خواطرهم، ولايستطيع أحد منعه أبداً.

وقيل: إن «على» بمعنى «مِنْ»، ومستقرها هو الذى تأوى إليه ليلاً ونهاراً ومستودعها الموضع الذى يضمها بعد وفاتها.

س٤ : قال الله تعالى : ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ (هود:٧) ما سر ذكر ذلك؟

﴿الله﴾ **الجواب :** بيان كمال قدرته وأنه قبل خلق السماوات والأرض أمسك الماء حتى وضع العرش، والماء ليس مركزاً ولا فى جهة ولا فى مكان تعالى الله عن هذه الخواطر علوًّا كبيراً.

س٥ : قال تعالى : ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أُنزِلِ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ (هود:١٤).

و قال تعالى : ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ (القصص:٥٠).

لقد وردت كلمة «فإلَّم» فى الآية الأولى بغير نون وفى الآية الثانية بإثبات النون «فإن لم» وورد الخطاب بالجمع فى الآية الأولى «لكم» وفى الثانية بالإفراد «لك»، فما سر ذلك؟

﴿الله﴾ **الجواب :** حذف النون فى الآية الأولى وإثباتها فى الثانية، هذا من فصل الخط، ومجىء الضمير فى الأولى بالجمع وفى الثانية بالإفراد مع أن المراد بالضمير هو الرسول ﷺ لتعظيم شأنه، والسياق يوضح ذلكَ: ﴿قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ، فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أُنزِلِ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ (هود:١٣ ، ١٤).

س٦ : قال تعالى : ﴿لاَ جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ﴾ (هود:٢٢).

و قال تعالى : ﴿ لاَ جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرونَ﴾ (النحل:١٠٩).

فما سر المجىء بالتفضيل فى الآية الأولى واسم الفاعل فى الثانية؟

﴿الجواب﴾ **الجواب:** هاتان الآيتان تتحدثان عن الكفرة، بيد أن الآية الأولى تتحدث عنهم حين ضلوا عن سبيل الله وأضلوا غيرهم. فحملوا أوزارهم وأوزاراً مع أوزارهم، فسيضاعف لهم العذاب، فعبّر عن ذلك بأفعل التفضيل.

ويدل على ذلك الآية التى سبقتها: ﴿أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ (هود:٢١)، والآية الثانية تتحدث عن الكفرة حين ضلوا عن سبيل الله فهم الخاسرون، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿أُولَـئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (النحل:١٠٨). فهؤلاء ضلوا عن سواء السبيل فحملوا أوزارهم فقط.

س٧: قال تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللّهِ﴾ (هود:٢٩). **هذه الآية متعلقة بقصة نوح عليه السلام وفى غير هذه القصة من القصص القرآنى جاء قوله:** ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾**، فما سر مجىء المال فى الآية الأولى؟**

الجواب: جاء المال فى الآية الأولى لأنها واردة فى قصة نوح عليه السلام، وجاء بعدها قوله: ﴿وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ **فمجىء لفظ خزائن جعل الأجر هو الأليق بالمال.**

لطيفة:

قال تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (هود:٤٤).

(﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ﴾ الآية: أمَرَ فيها ونهى وأخبر ونادى ونعت وسمَّى وأهلك وأبقى وأسعد وأشقى، وقصَّ من الأنباء ما لو شرح ما اندرج فى هذه الجملة من بديع اللفظ والبلاغة والإيجاز والبيان لجفت الأقلام، وفى العجائب للكرمانى: أجمع المعاندون على أن طوق البشر قاصر عن الإتيان بمثل هذه الآية بعد أن فتشوا جميع كلام العرب والعجم فلم يجدوا مثلها فى فخامة ألفاظها وحسن نظمها وجودة معانيها فى تصوير الحال مع الإيجاز من غير إخلال) [1].

س٨: قال تعالى: ﴿وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (هود:٤٤)، **لقد قضى الله على قوم وكيف يليق بالله تعالى أن يهلك الأطفال والدواب والطير وهى غير مكلفة؟**

الجواب: من وجهين:

---

(١) الإتقان فى علوم القرآن جـ ٣ ص١٦٥.

الأول: أنهم كانوا لا يلدون إلاَّ أطفالاً مطبوعين على الكفر كما أخبر بذلك نوح عليه السلام ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا، إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ (نوح: ٢٦ ، ٢٧)، فألحقت الذرية بصناديد الكفر في العذاب.

الثاني: قيل إن الله أعقم نساءهم قبل الطوفان بأربعين سنة فما غرق إلاَّ من جاوز الأربعين، أما الدواب والطير فإن الله يعوضها حسبما تقتضيه حكمته، ومن الأدب مع الله أنه لا يُسْأَل عما يفعل.

س٩: قال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّونَهُ شَيْئًا﴾ (هود: ٥٧)، **وقال تعالى:** ﴿إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئًا﴾ (التوبة: ٣٩) **فما سر ثبوت النون في الآية الأولى وحذفها في الثانية والفعلان من الأفعال الخمسة و«لا» نافية ؟**

الجواب: الفعل «ولا تضرونه» معطوف على فعل مرفوع وهو ﴿يَسْتَخْلِفُ رَبِّي﴾ والمعطوف على المرفوع مرفوع وهو مرفوع بثبوت النون، والفعل في الآية الثانية معطوف على «يستبدلْ» وهو معطوف على جواب الشرط «يعذبكم»، فيكون مجزوماً وعلامة جزمه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة.

س١٠: قال تعالى: ﴿وَأُتْبِعُواْ فِي هَـٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ (هود: ٦٠)، و قال تعالى : ﴿وَأُتْبِعُواْ فِي هَـٰذِهِ لَعْنَةً﴾ (هود: ٩٩)، ما سر ذكر الدنيا في الأولى وحذفها في الثانية؟

الجواب: الآية الأولى في ذكر قوم عاد، والثانية في قصة موسى، وهم مقدمون على موسى، فلما ذكر في الآية الأولى الصفة والموصوف اقتصر في الثانية على ذكر الموصوف اكتفاء بما سبق.

س١١: قال تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ (هود: ٦١).
وقال تعالى : ﴿وَاسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ (هود: ٩٠).
ما سر النهاية المختلفة للآيتين مع أنه سبقهما الأمر بالاستغفار؟

الجواب: اختلفت الآيتان في ختمهما مراعاة للنظم والفواصل، ففي الآية الأولى قدّم العلة الباعثة على الأمر بالاستغفار وهي أن الله قريب، وهذا باعث على الاستغفار، وأعقب هذه العلة بذكر الغاية المتأخرة وهي الإجابة فقال: ﴿قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾، وفي الآية الثانية أتت الفاصلة موافقة للفواصل؛ لأن كل نهايات الآيات السابقة عليها جاءت بحرف الدال، فأتت الآيتان مختلفتين لمراعاة الفواصل، ومثل ذلك ما ورد في وصف إبراهيم بوصف وقع فيه تقديم وتأخير بين آيتين

هما قوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ﴾ (هود:٧٥)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ (التوبة:١١٤) وذلك لمراعاة الفواصل، فالآيات السابقة على الآية الأولى انتهت بالباء «يعقوب» و«عجيب»، وفى الثانية بالميم «الجحيم».

س١٢: قال تعالى : ﴿قَالُواْ يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَـذَا أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ (هود:٦٢).

و **قال تعالى :** ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لاَ يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللّهُ جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّواْ أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُواْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ (إبراهيم:٩). **فما سر التعبير فى الآية الأولى بقوله «وإننا» و«تدعونا» والتعبير الذى يخالف ذلك فى الآية الثانية «وإنا» و«تدعوننا» ؟**

الجواب : (أنه فى الآية الأولى جاء السياق على الأصل وهو «إننا» وجاء «تدعونا» خطاب مفرد. **وفى الآية الثانية وقع بعد حرف التوكيد «إنَّ» واسمها الفعل «تدعوننا» فحذفت النون من «إنَّ» استثقالاً للجمع – بين النونات– وفى الآية الثانية اقترن بضمير قد غيَّر ما قبله بحذف الحركة وهو الضمير المرفوع فى «كفرنا» فغيَّر ما قبله فى «إنا» بحذف النون، وفى الآية الأولى اقترن بضمير لم يغيِّر ما قبله وهو الضمير المنصوب والضمير المجرور** ﴿فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَـذَا أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾) [1].

س١٣: قال تعالى: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ (هود:٦٧)، **وقال تعالى:** ﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ﴾ (هود:٩٤) **ما سر إلحاق تاء التأنيث فى الآية الثانية مع أن الفاعل واحد هو «صيحة» ؟**

الجواب : الصيحة مؤنث مجازى، وإلحاق التاء وعدم إلحاقها حسن وجائز، لكنَّ التذكير أخف فى الأولى وفى الثانية إلحاقها جاء موافقاً لما بعدها ﴿كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ (هود:٩٥).

س١٤: قال الله تعالى: ﴿وَجَاءهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَـؤُلاء بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَلاَ تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ، قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ، قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ (هود:٧٨ – ٨٠)، **كيف يقول لوط** عليه السلام ﴿هَـؤُلاء بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ **كيف يعرض بناته على هؤلاء المجرمين؟ وكيف يقول** ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ **؟**

---

(١) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز جـ ١ ص٢٥٢.

ﷻ **الجواب:** أن لوطاً يعرف ما يقول وهو يتصرف مع القوم فى إطار رسالته، والجواب على ذلك من وجهين:

الأول: أنه عرض بناته من صلبه على القوم ليتزوجوهن فى ظل شريعة الله، وليس فى سفاح بدليل قوله: ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ والطهر يتنافى مع السفاح أو اللواط، وكان تزوج المسلمات من الكفار جائزاً، ولنا فى رسول الله ﷺ أسوة حسنة فلقد زوج ابنتيه من عتبة بن أبى لهب وأبى العاص بن وائل، ثم حُرِّم ذلك، وكان موقفاً نبيلاً من نبى الله لوط عليه السلام إذ أراد أن يقى أضيافه ببناته، وذلك غاية في الكرم والمروءة والشهامة، يدل على ذلك قوله: ﴿فَاتَّقُواْ اللّهَ وَلاَ تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ .

الثانى: أن المراد بالبنات نساؤهم، فالإشارة فى قوله: ﴿هَـؤُلاء بَنَاتِي﴾ لتنزيلهن منزلة الحاضرات عنده، لأن كل نبى أبٌ لأمّته كما فى قوله تعالى عن الرسول ﷺ: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ (الأحزاب:٦).

أما قوله: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ فلقد قال هذا القول وهو إنسان ونبى ولا يدرك أن أضيافه ملائكة فماذا كان يقول لوط وهو غريب عن هؤلاء القوم ولم يكن من نسبهم فلقد كان من أرض العراق وكان ابن أخى إبراهيم عليه السلام ، فلما هاجر إلى الشام أرسله الله إلى أهل سدوم، وقيل: إنهم فى قرية عند حمص، وقيل: هم أهل الأردن، فلقد قال لوط هذه المقالة ومعناها: لو كانت لى طاقة أو آوى إلى عشيرة تنصرنى لبطشت بكم ودافعت عن أضيافى، فردت الملائكة عليه: ﴿قَالُواْ يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُواْ إِلَيْكَ﴾ فأروه أنه يأوى إلى ركن شديد وهو إلى القوى العزيز، ولهذا قال رسول الله ﷺ: «يغفر الله للوط إن كان ليأوى إلى ركن شديد» [1].

ﷻ **س١٥: قال تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾ (هود:٨١). وقال تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ (الحجر:٦٥) فما سر الاستثناء فى الآية الأولى ﴿إِلاَّ امْرَأَتَكَ﴾ وعدم الاستثناء فى الآية الثانية مع أن الأصل الاستثناء لأنها هالكة مع القوم ؟ وما سر الزيادة فى الآية الثانية ﴿وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ﴾ ؟**

ﷻ **الجواب:** لم يستثن فى الآية الثانية لأنه سبقها فى الآية السابقة عليها استثناء لها وهو

---

(١) صحيح البخارى جـ ٤ كتاب بدء الخلق ص١٨٠.

قوله: ﴿إِلاَّ آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ، إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾ (الحجر: ٥٩ ، ٦٠).
فلم يذكر الاستثناء فى الآية الثانية اكتفاء بما سبق من ذكره، وسر الزيادة فى الآية الثانية أن التصريح فيها بنزول العذاب بقومه المؤمنين جعله قلقاً عليهم، فأتت الزيادة لطمأنة لوط عليه السلام بتلك الجملة: ﴿وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ﴾ لأنه إذا سار خلفهم وكان من ورائهم عَلِم بنجاتهم ولا يخفى عليه حالهم، فيتبدد قلقه ويذهب خوفه.

س١٦: قال تعالى: ﴿فَاتَّبَعُواْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ، يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ (هود: ٩٧ ، ٩٨).

ما سر الإتيان بلفظ الماضى: ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ وكلمة «ورد» لا تقال إلاَّ لنزول الماء كما فى قوله تعالى ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاء مَدْيَنَ﴾ (القصص: ٢٣)، فلماذا جعلها للنار؟

الجواب: عبر بلفظ الماضى كما فى آيات أخرى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ وقوله: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ﴾، وقوله: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾، وقوله: ﴿أَتَى أَمْرُ اللّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ وغيرها من الآيات، فلقد عبَّر الله بلفظ الماضى مبالغة فى تحقيق الوقوع.

أما قوله: ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ نُزِّلت النار منزلة الماء لأن أهل النار يتطلعون إلى قطرة ماء تروى عطشهم وتخفف من حرارة أجسادهم، فيوردهم النار بدل الماء زيادة فى تعذيبهم وقطعاً لرجائهم.

س١٧: قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ (هود: ١٠٥).
و قال تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ لا يَنطِقُونَ، وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ (المرسلات: ٣٥ - ٣٦)، **وقال تعالى:** ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ (النحل: ١١١). **الآيتان الأولى والثانية نفتا الكلام يوم القيامة، والآية الثالثة أثبتته وبينت أن هناك مجادلة فكيف التوفيق بين الآيات؟**

الجواب: **يوم القيامة يوم طويل يصل مقداره إلى خمسين ألف سنة، وهو متعدد المواقف والمشاهد، ففى بعض المواقف يسمح للخلق بالجدال عن أنفسهم، وفى بعض المواقف يكفون عن الكلام ولا يؤذن لهم به، وفى البعض يختم على أفواههم وتتكلم جوارحهم.**

س١٨: قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ، خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ﴾ (سور هود: ١٠٦ - ١٠٧)، **وقال تعالى:** ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ﴾ (هود: ١٠٨).
كيف يقول الله: ﴿مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ﴾ فى الآيتين، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُواْ للّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (ابراهيم: ٤٨) ؟ ولماذا استثنى فى الآيتين فقال: ﴿إِلاَّ

﴿مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ وليس هناك استثناء بعد دخول أهل الجنةِ الجنةَ وأهلِ النارِ النارَ كما ورد في الحديث «يا أهل الجنة خلود ولا موت، ويا أهل النار خلود ولا موت»؟

الجواب: أما عن الشطر الأول من السؤال فالجواب من وجهين:

الأول: المراد بالسماوات والأرض سماوات الآخرة فسماؤها دائمة، وأرضها دائمة أبدية، بدليل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾.

الثاني: التعبير بقوله: ﴿مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ﴾ تعبير عن التأبيد ونفي للانقطاع كقول العرب: «ما لاح كوكب».

أما الشطر الثاني من السؤال: فالاستثناء صحيح، وبيانه أن الاستثناء من الخلود في النار وهو أن العذاب فيها في مراحل فينتقلون من مرحلة إلى أخرى حتى يصلوا إلى مرحلة هي أغلظ المراحل كلها وهي سخط الله عليهم، فلا ينتقلون من مرحلة إلى أخرى إلاّ إذا شاء الله.

وكذلك في الجنة يصلون في الدرجات بتفضل الله عليهم إلى درجات رفيعة وذلك بمشيئة الله تعالى، ويجوز أن تكون أداة الاستثناء «إلاّ» بمعنى الواو كما في قوله تعالى: ﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ (البقرة:١٥٠)، ويكون المعنى: خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض، و«ما شاء ربك» زائداً على ذلك، ويجوز أن يكون الاستثناء: ﴿إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ بمعنى «كما شاء ربك» كقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ (النساء:٢٢)، أي كما قد سلف.

س١٩: قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ (هود:١١٧) وقال تعالى في سورة القصص: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ (القصص:٥٩). ما سر التعبير بالفعل المضارع في الآية الأولى «ليهلك» وسر التعبير باسم الفاعل في الآية الثانية «مُهلك» ؟

الجواب: وردت الآيتان في معرض نفي الظلم عن الله ﷻ، فلقد نفى الله الظلم عن ذاته المقدسة بأبلغ لفظ يستعمل في النفي وهذا اللفظ هو «ما» ولام الجحود وهي التي تأتي بعد كون منفي سواء كان في الماضي أو الحال أو الاستقبال، أي لم أظلم في الماضي، ولا أظلم في الحال ولا في الاستقبال، وهذه اللام لا يظهر بعدها «أنْ» ولا يقع بعدها المصدر، فالغاية من ذلك المبالغةُ في نفي الظلم، وفي الآية الثانية لم يصرح بالظلم فاكتفى باسم الفاعل وهو للزمن غير المعيَّن ثم نفاه.

﴿(١٢) سورة يوسف﴾

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: قال صاحب نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور: (لما أخبر فى آخر تلك – أى سورة هود – بتمام علمه وشمول قدرته دل على ذلك أَهْلَ السبق من الفصاحة والفوت فى البلاغة فى أول هذه بما فعل فى كلامه، من أنه تعالى يقدر على أن يأتى بما تذهب الأفهام والعقول على كرِّ الأزمان وتعاقب الدهور وتوالى الأيام وتمادى الليالى فى معناه كل مذهب، وتطير كل مطار مع توافر الدواعى واستجماع القوى، ولا تقف من ذلك على أمر محقق ولا مراد معلوم، وعلى أن يأتى بما يفهم بأوائل النظر أدنى معناه فهما يوثق بأنه مراد، ثم لا يزال يبرز من دقائق المعانى كلما كرر التأمل، وتغلغل الفهم إلى حد يعلم أنه معجوز عن كل ما فيه من جليل معانيه ولطيف مبانيه، فقال: «آلر») [١].

س٢: قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ (يوسف: ٤) ما سر مجيء التاء فى «أبت»؟ وما سر تأخير الشمس والقمر مع أنهما يقدمان فى الآيات القرآنية غالباً؟ ولماذا جمع الكواكب جمع عقلاء؟ ولماذا أفرد الشمس والقمر بالذكر مع أنهما من الكواكب؟ ولم كرر الفعل «رأيت»؟

الجواب: التاء هى تاء التأنيث، وأصل الكلمة «يا أبى» فَعُوِّض عن الياء تاء التأنيث، والغرض منها تعظيم يوسف لوالده، وكانت التاء لأنها تناسب الياء فى كون كل منهما من حروف الزوائد، (وقيل: إن الياء أبدلت تاء لأنها تدل على المبالغة والتعظيم فى نحو علاّمة، والأب والأم مظنة التعظيم) [٢]، وأخر الشمس والقمر لإظهار مزيتهما وشرفهما على سائر الكواكب والنجوم كما يعطف الخاص على العام.

ولقد جمعها جمع عقلاء فى قوله: «رأيتُهم» وقوله: «ساجدين» لأنها فعلت ما يفعله العقلاء من السجود، وأفرد الشمس والقمر بالذكر مع أنهما من الكواكب لفضلهما وشرفهما وارتباط البشر بهما فى التسخير. أما التكرار فليس بتكرار لأنه رآها فأخبر بالرؤية، ثم سئل كيف رآها فقال «ساجدين».

---

(١) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور جـ ١٠ ص٣ ، ٤ .

(٢) حاشية الشهاب جـ ٥ ص١٥٤.

س٣ : قال الله تعالى : ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا﴾ (يوسف: ٥)، **ما سر التصغير فى كلمة «يا بنى» ؟ ولماذا عدَّى «يكيد» باللام ؟**

الجواب : السر فى التصغير فى نداء القرآن كله فى هذا الاسم «يا بنى» لأحد أمرين:

الأول: الشفقة لصغر السن كما فى هذه الآية.

الثانى: العطف والرحمة كما فى سورة هود فى قصة نوح ولقمان كما فى قصته والصافات كما فى قصة إبراهيم.

وأصل كلمة «بُنَيّ» أصلها بَنَوٌ» صغِّرت على وزن «فُعَيل» فصارت «بُنَيْوٌ»، وقعت الواو إثر ياء فقلبت ياء، ثم أدغمت الياء فى الياء فصارت «بُنَيّ»، وعدَّى «يكيدوا» باللام لتضمنها معنى الاحتيال، والمعنى فيحتالوا لإهلاكك.

س٤ : قال تعالى : ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (يوسف: ٦).

لقد قال: ﴿كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ﴾ فما سر التعبير عنهما بالأبوين مع كونهما جدين : أحدهما جده وهو إسحاق وإبراهيم أبوه؟

الجواب: عبَّر عن الجدين بالأبوين للإعلام بكمال ارتباط يوسف بالأنبياء الكرام عليهم السلام، وإشعاراً بأن معنى الولد أنه سر أبيه، وأن أباه سر له، فيطمئن فؤاد يوسف بما أخبر به أباه.

س٥ : قال تعالى: ﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾ (يوسف: ٨). **تفضيل بعض الأبناء على بعض يورث الحقد والحسد، فلِمَ أقدم يعقوب على ذلك وهو محرَّم ؟ ولماذا اعترض الأبناء على ذلك وهم يعلمون أنه نبيٌّ؟**

الجواب: قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، ولا دخل للإنسان فى الحب، ولقد أحب يعقوب يوسف وأخاه لما يأتى:-

١- أن أمهما قد ماتت.

٢- أنهما لا يزالان صغيرين، أما بقية الأبناء فقد كبروا واعتمدوا على أنفسهم، ولم يفعل يعقوب ما هو مذموم، فلم يخصهما بمال دون بقية الأولاد.

٣- أن يوسف كان حسن الصورة مليح الفعل، فبالغ يعقوب فى محبته، وكان يخشى عليه العين.

٤- أنه لما رأى يوسف المنام وقصه على أبيه عرف أبوه التأويل وعرف بنبوته فأحبه.

٥- أن يعقوب كان يرى فى يوسف آثار النجابة وشواهد الخير، ولذلك مالت إليه نفسه .

أما اعتراضهم على أبيهم وهم يعلمون أنه نبى وهم مؤمنون . لقد جوَّزوا ذلك بناء على أن أباهم يفعل ذلك عن اجتهاد منه. واجتهاده أدى إلى خطأ من وجهة نظرهم.

س٦: قال الله تعالى : ﴿اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ (يوسف:٩) **أولاد يعقوب أنبياء، فكيف يعزمون على قتل أخيهم ويلقون بأبيهم فى طريق الحزن ويكذبون عليه بالذئب وهذا يقدح فى نبوتهم؟**

الجواب: كل ما فعله أبناء يعقوب كان قبل نبوتهم.

س٧: قال تعالى : ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ (يوسف:١٨) وقال تعالى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾ (يوسف:٨٣). **ما سر تكرار جملة: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ ؟ وما سر ركون يعقوب إلى الصبر وهو يدرك أن يوسف حيّ بدليل قوله: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾ فلماذا لم يبحث عن يوسف وركن إلى الصبر؟**

الجواب: أما الشطر الأول من السؤال: فإنّه ليس فى الآيتين تكرار؛ لأن يعقوب كان من شيمته أنه يتذرع بالصبر دائماً ويتحلى بحبس النفس عن الجزع، فكان يقول تلك الجملة فى مواطن الشدة، فقالها فى الآية الأولى حين أخبروه بأن الذئب أكل ولده، وقالها ثانياً حين أخبروه بما جرى لابنه بنيامين فى مصر وحبسه هناك، والصبر الجميل هو الخالى من الشكوى إلى الخلق.

أما الشطر الثانى من السؤال: فلقد ركن يعقوب إلى الصبر ولم يبحث عن يوسف مع علمه بحياته لما يأتى:

أولاً : أنه أراد تفويض أمره إلى الله تعالى، وأسلم قياده لله ﷻ حتى يتضاعف الثواب والأجر.

ثانياً: يحتمل أن يعقوب آثر الصبر على البحث حتى لا يهتك ستر بنيه أمام النّاس فخاف عليهم ألسنتهم.

ثالثاً: يحتمل أن الله أوحى إليه بالصبر ومنعه من طلب يوسف حتى يتحقق ما أراده الله.

س٨: قال الله تعالى عن يوسف : **﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾** (يوسف:٢٢).

و قال تعالى عن موسى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ (القصص:١٤).

فما سر الزيادة مع موسى بقوله: «واستوى» وتجريد الآية المتحدثة عن يوسف منها ؟

الجواب: أن يوسف نُبِّئ وهو طفل حين قُذف به فى البئر، وأوحى الله إليه كما أخبر الله تعالى بذلك: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِ وَأَجْمَعُواْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ (يوسف:١٥)، فيوسف أوحى الله إليه وآتاه الحكم والعلم وهما النبوة قبل أن

يكتمل كمال الرجال، لهذا لم يأت الله فى الآية الأولى بقوله: «واستوى»، أما موسى فأوحى الله إليه بعد أن بلغ كمال الرجال وهو سن الأربعين لهذا أتى الله بكلمة «واستوى» بعد موسى.

س٩: قال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ (يوسف: ٢٤).

ما سر التعبير بقوله: ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ ؟

الجواب: هذه الآية كانت ميداناً للبحث نزله كثير من العلماء وكان يوسف كالغرض، منهم من ذاد عن حماه، ومنهم من رماه بسهام الألسنة الحداد التى لا دليل عليها ولا جذور لها ولا أصل تقف عليه، فكانت تلك السهام كالنباتات الطافية على وجه الماء فى النهر، وأسوق سهام بعضهم:

قال فريق من الطاعنين فى يوسف (و قد فسر «هَمَّ» يوسف بأنه حَلَّ تِكَّةَ سراويله[1] وقعد بين شعبها الأربع، وهى مستلقية على قفاها، وفسَّر البرهان بأنه سمع صوتاً «إيَّاك وإيَّاها»، فلم يكترث له، فسمعه ثانياً فلم يعمل به، فسمع ثالثاً: أعْرِض عنها فلم ينجع فيه حتى مُثِّلَ له يعقوب عاضًّا على أنملته. وقيل: ضرب بيده فى صدره فخرجت شهوته من أنامله. وقيل: كلُّ ولد يعقوب له اثنا عشر ولداً إلاَّ يوسف فإنَّه وُلِد له أحد عشر ولداً من أجل ما نقص من شهوته حين همَّ بها. وقيل: صيح به يا يوسف لا تكن كالطائر كان له ريش فلما زنى قعد لا ريش له. وقيل: بدت كفٌّ فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم، مكتوب فيها: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ، كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ (الانفطار: ١٠، ١١) فلم ينصرف، ثم رأى فيها: ﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً﴾ فلم ينته، ثم رأى فيها: ﴿وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ﴾ فلم ينجع فيه، فقال الله لجبريل عليه السلام : أدرك عبدى قبل أن يصيب الخطيئة، فانحط جبريل وهو يقول : يا يوسف أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب فى ديوان الأنبياء) [2].

وقال هذا الفريق فى تفسير «البرهان» فى قوله: ﴿لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ (ذكر هذا الفريق أن البرهان هو الصوت الذى سمعه. وقيل: كان هناك صنم فقامت المرأة لتستره وقالت ليوسف «أستحيى أن يرانا» فقال يوسف: استحييت مِمَّن لا يسمع ولا يبصر ولا أستحيى من السميع العليم.

---

(١) أى رباط سراويله و هى ما تكون على القبل و الدبر.

(٢) الكشاف جـ ٢ ص٣١١، ٣١٢ .

وذهب فريق آخر إلى الدفاع عن يوسف وجعله المثل الأعلى فى العفّة، فاتجهوا إلى التحليل اللغوى للكلمات الواردة فى هذا الشأن فقالوا: ﴿لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ جواب «لولا» محذوف تقديره لولا أن رأى برهان ربه لخالطها، فحذف لأن قوله: «وهمَّ بها» يدل عليه، كقولك: هممت بقتله لولا أنى خفت الله، ومعناه: لولا أنى خِفت الله لقتلته)[1].

وقال آخرون: (﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾ قال أبو عبيدة: هذا على التقديم والتأخير كأنه أراد ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ﴾ ولولا أن رأى برهان ربه لهمَّ بها، وقال أحمد بن يحيى: أى همت زليخاء بالمعصية وكانت مصرَّةً، وهمَّ يوسف ولم يواقع ما همَّ به، فبين الهمَّتين فرق)[2].

و قيل: همَّ بضربها ودفعها عن نفسه. وقيل همَّ بالفرار منها وتبعته، وقيل: إن البرهان كفه عن الضرب إذ لو ضربها لأوهم أنه قصدها بالحرام فامتنعت فضربها [3].

و قيل: إن يوسف لم يهمّ أصلاً وأراد النفور من المرأة، وسُمِّى نفوره «همّاً على سبيل المشاكلة لمجرد وقوعه فى صحبة همها بالذكر.

مناقشة الفريقين:

أولاً: لقد تجاوز الفريق الأول كل الأعراف المتعلقة بالأنبياء وبعفتهم، ونزلوا إلى ميدان الوحل، فلو أدركوا أن يوسف نُبِّئَ وصار نبيًّا منذ ألقى فى البئر بدليل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِ وَأَجْمَعُواْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَـذَا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ فكيف يجلس بين شعبها الأربع وهو نبى؟ ولقد تجاوز بعضهم الحدود وقال: جلس منها مجلس الخاتن -بالتاء- أيجوز هذا على نبى؟

أيها السادة الأفاضل: ماذا بقى بعد حلّ التكة والجلوس فى تلك الأوضاع التى لا تليق بأهل المروءة؟ فكيف تليق بنبى كيوسف عليه السلام ؟

أيها المسرفون فى طعن نبى الله يوسف عليه السلام: لو أن رجلاً من أفجر أهل الأرض تهيأ للزنا وجلس هذا المجلس الذى رميتم به يوسف . وسمع ما قيل: «إياك وإياها» واليد التى رآها دون عضد ومكتوب عليها: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ لأصاب هذا الفاجر الفتور والذعر، ويقول هؤلاء: لم ينصرف يوسف، وبالغوا فى تصويب سهام الطعن ﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى﴾، ﴿وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ

---

(١) المرجع السابق ص٣١١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن جـ ٩ ص١٦٦ .

(٣) المرجع السابق.

إِلَى اللَّهِ﴾ كتبتا على اليد ولم ينصرف حتى انحط جبريل من السماء وقال له: «أتعمل عمل السفهاء»؟ أيليق هذا الكلام بهذا الكريم ابن الكريم ابن الكريم كما نعته رسول الله ﷺ؟

الأدلة على براءة يوسف من افتراءات هؤلاء:

١- أن يوسف نبي والنبي لا يفعل وسيلة تؤدى إلى كبيرة فلم يفعل ما رموه به.

٢- قال الله تعالى بعد أن قال: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ قال: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ ودليل هذه الآية من وجهين:

الأول: أن الله قال: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ﴾ فالسوء أمر خارجي صرفه الله عنه، فلو فعل السوء وجلس منها كما زعم هؤلاء لكان النص القرآني غير ذلك وهو: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ﴾.

الثاني: أن الله مدح يوسف فقال ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾، فإن كان باسم المفعول فيكون المعنى: إنه من عباد الله الذين أخلصهم واصطفاهم لنفسه، وإن كان باسم الفاعل كان المعنى: إنه من عباد الله الذين أخلصوا دينهم لله، ولو فعل ما قالوا لم يستحق من الله الثناء، وإبليس لا يغوى المخلصين.

٣- قال الله تعالى عن امرأة العزيز ﴿وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾ يقول أبو السعود في تفسيرها: («فاستعصم» امتنع طالباً للعصمة، وهو بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد، كأنه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة منها كما في «استمسك» واستجمع الرأي، وفيه برهان نيّر على أنه لم يصدر عنه عليه السلام شيء مخل باستعصامه بقوله: «معاذ الله» من الهم وغيره)[1].

ولقد قالت امرأة العزيز: «فاستعصم»، فهذه الكلمة فيها زيادة في حروفها على كلمة «عصم نفسه» وهذا يدل على أنه لم يفعل ما افتراه العلماء عليه.

٤- لو كان يوسف جرى بعد أن جلس منها مجلس الخاتن أو بين شعبها الأربع لجرى بهيئته، وهي خلع تكته ولرآه السيد ومن معه على حاله حين استبقا الباب سيكون عند ذلك المعتدى بهيئته التي رؤى عليها، ولزاد من اعتدائه على سيدة القصر قولها: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ وانقلبت الشهادة ضد يوسف عليه وعلى نبينا السلام.

(١) تفسير أبي السعود جـ ٤ ص٢٧٣.

٥- لو كان هناك فعل كالذى قالوه فى حق يوسف لكان ذنباً وكان القرآن قد تحدث عنه وعن توبته كما تحدث عن فعل آدم عليه السلام وعن توبته، وكما تحدث عما دار فى خاطر سيد البشر حين أمره الله بالزواج من زينب بنت جحش بعد طلاقها من زيد بن حارثة، وكان الابن المتبنى للرسول ﷺ وأراد تشريع أمر يتعلق بالمسلمين، وهو جواز الزواج من زوجة الابن بالتبنى، وخشى الرسول كلام النّاس فكشف الله عما يجول بخاطره: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ (الأحزاب:٣٧) فلو فعل يوسف شيئاً ما اتهمه به بعض علماء اليهود وبعض علماء الإسلام لأخبر القرآن عنه.

٦- **الشاهد الذى تحدث عن عفة يوسف بالدليل القاطع على براءته سواء الرجل الذى هو من أهلها وكان مع السيد حين استبقا الباب، أو كان الرضيع الذى تحدث فى المهد كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ، فهذا دليل على نزاهة يوسف وأنه لم يقع منه ما افتراه عليه العلماء.**

وما أجمل ما قاله الزمخشرى تعقيباً على ما افتراه أولئك العلماء على يوسف يقول: (فالقرآن قص قصته وضرب صورة كاملة عليها، ليجعل له لسان صدق فى الآخرين كما جعله لجده الخليل إبراهيم عليه السلام، وليقتدى به الصالحون إلى آخر الدهر فى العفة وطيب الإزار والتثبت فى مواقف العثار، فأخزى الله أولئك فى إيرادهم ما يؤدى إلى أن يكون إنزال الله السورة التى هى أحسن القصص فى القرآن العربى المبين. ليقتدى بنبى من أنبياء الله فى القعود بين شعب الزانية وفى حَلِّ تكته للوقوع عليها، وفى أن ينهاه ربه ثلاث كرّات ويصاح به من عنده ثلاث صيحات بقوارع القرآن وبالتوبيخ العظيم وبالوعيد الشديد وبالتشبيه بالطائر الذى سقط ريشه حين سفد غير أنثاه، وهو جاثم فى مربضه لا يتحلحل ولا ينتهى ولا ينتبه حين يتداركه الله بجبريل وبإجباره. . ولو أن أوقح الزناة وأشطرهم وأحدهم حدقة وأجلحهم وجهاً لقى بأدنى ما لقى به نبى الله مما ذكروا لما بقى له عرق ينبض ولا عضو يتحرك، فيا له من مذهب ما أفحشه)[1].

فما سر التعبير بالهَمِّ ؟

الهم: ميل نفسى داخلى، وليس معه نزوع أو شروع فى تحقيق ذلك الميل. فهو مرتبة من

---

(١) الكشاف جـ ٢ ص ٣١٢.

مراتب أحاديث النفس الداخلية وهذه المراتب كما ذكرها الشاعر فى قوله:

مراتب القصد خمسٌ هاجس ذكروا ∴ فخاطرٌ فحديث النفـس فاستمعا

يليـــه هـــمٌّ فعـــزمٌ كلها رفعـــت ∴ سوى الأخير ففيه الأخذ قد وقعا

وهمُّ يوسف كالصائم يرى الماء فى يوم صائف فيكون هناك رغبة فطرية غريزية إلى الماء، وأتى الله بكلمة «همَّت به» و«همَّ بها» وهما مادة واحدة، بيد أن همَّ امرأة العزيز تجاوزتْهُ إلى العزم والتصميم على المعصية وتلبية فطرتها، وأما همُّ يوسف فلم يخرج عن دائرة الهمِّ، ففطرته تدعوه وهو يخاصمها ويردها، وهذا يثبت الفحولة ليوسف فهو بشر فيه الدوافع الفطرية، فهَمَّ يوسفُ وملك نفسه ورفض تلبية غريزته، وهذا مدح ليوسف وليس قدحاً فيه؛ لأنه مع الغريزة همَّ ولكنه ملك نفسه وسيطر عليها ﴿لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ ، فلو لم يكن هناك هَمٌّ لما كان لنفوره عن الفعل معنى. وهمُّ يوسف بالمرأة وكبحه جماح فطرته صار حسنة أعطاه الله الأجر عليها، قال ﷺ فيما يرويه عن ربه: (إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بيَّن ذلك، فمن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو همَّ بها وعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومن همَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو همَّ بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة)[1].

وجواب «لولا» فى قوله: ﴿لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ محذوف، تقديره: لولا أن رأى برهان ربه لخالطها، وأبهم البرهان لتذهب النفس فيه كلَّ مذهب، فيشمل لقاء الله ﷻ أو دخول النار أو الموت والبلى إلى غير ذلك.

س١٠: قال تعالى: ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (يوسف:٢٥).

وهذه الآية يتفرع عنها أربعة أسئلة:

- **ما سر توحيد كلمة «الباب» بعد جمعه فيما سبق فى قوله: ﴿وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ﴾ ؟**
- **ولماذا أسند القدَّ إليها مع أن له دخلاً فى القد بجذب نفسه منها؟**
- **ولماذا قال «سيدها» ولم يقل: «سيدهما» فهما قد وجداه سوياً؟**
- **ولماذا لم تجزم بعقابه فقالت: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ؟**

(١) صحيح البخارى جـ ٧ ص٢٤٠ كتاب الرقاق باب من هم بحسنة أو سيئة.

﴿الله﴾ الجواب:

أولاً: وحَّد الباب وقد جمعه قبل ذلك لأن المراد بالباب هو الباب البرَّانى آخر الأبواب، وكان منه المخرج من القصر، والتقيا مصادفة بالعزيز.

ثانياً: أسند القد للمرأة مع أن لقوة يوسف دخلاً فى القد، حيث كان يجذب نفسه منها، للإيذان بأنها بالغت فى بذل المجهود لجذبه إليها رغبة لتلبية غريزتها وعدم فوت هذه الفرصة دون أن تسعد فؤادها بالمحبوب، أو أنها خافت من افتضاح أمرها فبالغت فى جذبه خوفاً من الفضيحة.

ثالثاً: قال الله «سيدها» ولم يقل: «سيدهما» لأن الزوج كان يقال له: «السيد»، فتقول المرأة لبعلها: سيدى، وظل هذا عند المصريين إلى وقت قريب «سى السيد»، أو أنه لم يقل: سيدهما لأن يوسف ليس مملوكاً له على الحقيقة، فَمِلْكُ العزيز ليوسف لم يصح.

رابعاً: أما عدم جزمها بعقابه ولم تصرح بإعدامه لأنها تريد بقولها: ﴿مَا جَزَاء مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوَءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أمرين:

١- تبرئة ساحتها عند زوجها ونصاعة جيبها وإظهار عفتها، فلقد رئيت على حالة من الزينة وهى خلف يوسف، فما أمكر المرأة التى ألقت بالسؤال قبل أن يتكلم أحد: ﴿مَا جَزَاء مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوَءًا﴾ ؟

٢- التلويح ليوسف بأنها تستطيع أن تجدد العقاب، فتلقى فى روعه الروع حتى يستنزل عن استعصامه ويقضى حاجتها.

و يدل على ذلك دعاؤه: ﴿وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ .

س١١: قال الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (يوسف:٣٣).

ما السر فى إيثار يوسف السجن وهو عذاب ومشقة على إتيان امرأة العزيز وهو مُكْرَه على ذلك؟ وما سر التعبير بقوله ﴿يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾؟ وما معنى «إلا» ؟

﴿الله﴾ الجواب: لقد آثر يوسف السجن وهو مشقة وعذاب إلاَّ أن العذاب بالنسبة لعمر الدنيا قليل؛ لأنه يعقبها جزاء ونعيم أبدى، ولا قيمة لعمر الدنيا بالنسبة للآخرة، أما تلبية رغبة سيدة القصر فهى لذة بعدها سقر، فلا سعادة فيها، وأفعل التفضيل «أحب» ليس على بابه؛ لأنه ليس فى السجن شائبة محبة. وبالنسبة لتلبية رغبة المرأة فليس فيها شائبة محبة عند يوسف، ولكنهما

شران أهونهما وأقربهما إلى الإيثار السجن، وجاء التعبير عن الإيثار بالحب لحسم قضية طمعها في أن يأتيها بعد تهديده بالسجن: ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾.

وسر التعبير بقوله: ﴿يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ هو أن النسوة اللاتى تحدثن عن علاقتها بفتاها، واللاتى دعتهن امرأة العزيز إلى وليمة لها، هؤلاء النسوة قلن ليوسف: افعل ما تأمرك به امرأة العزيز، وخوفنه من عصيانها، وقيل: إن النسوة دعون يوسف كما دعته امرأة العزيز، وهذا هو السر في قوله: ﴿يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ .

و«إلا» مكونة من «إنْ» الشرطية و«لا» النافية، أدغمت النون الساكنة فى اللام، وفعل الشرط «تصرف»، وجواب الشرط «أصْبُ» وهو مجزوم وعلامة جزمه حذف حرف العلة.

س١٢: قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُاْ الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾ (يوسف:٣٣)، **ما السر فى سجنه بعد سطوع البراهين الدالة على براءته؟**

الجواب: من وجوه:

١- أن المرأة أرادت أن تبرَّ بقسمها وأن يسجن يوسف طمعاً فى أن السجن يلين عريكة يوسف ويلوى عنقه فيلبى رغبتها ويقضى حاجتها.

٢- يحتمل أن تكون المرأة يئست من تمسك يوسف بالفضيلة، ولم تُجْدِ معه تهديداتها، وتصرَّمت حبال رجائها عن جذبه إليها، فلم تنته وسائلها من المراودة تارة ومن الإفصاح تارة ومن التهديد أخرى، ورغم هذه الوسائل المتعددة إلاَّ أنها عجزت عن اختراق حصن عفة يوسف فلما يئست أشارت على زوجها بسجنه، وزوجها بدا له ولأهله براهين براءته، ولم يستطع العزيز أن يفعل شيئاً لأن المرأة قد استنوقته فكان ذلولاً تسوقه حيث شاءت، فأمر بسجن يوسف.

٣- يحتمل أن حبها لفتاها قد انتشر فى المدينة ولاكته جميع الألسنة، فرأوا حبسه حتى يئدوا هذه الفضيحة.

س١٣: قال تعالى: ﴿أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ﴾ (يوسف: ٣٦) **وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾** (يوسف:٤٣) **وقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى﴾** (الصافات:١٠٢). **ما سر التعبير فى هذه الآيات وأشباهها بالفعل المضارع «أرى» مع أن زمنه يقال بالماضى لأنه وقع قبل زمن التكلم؟**

﴿الله﴾ **الجواب:** من وجهين :

الأول: أنه استحضار الصورة الماضية في الذهن .

الثاني: أنه حكاية حال ماضية.

س١٤: قال تعالى : ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ (يوسف:٤٢) **فما سر التعبير بالفعل الماضي مع أنه للمضارع؟ و ما سر لبث يوسف في السجن بعد مقالته هذه للناجي؟**

﴿الله﴾ **الجواب:** عبَّر بالماضي وكان السياق يقتضي أن يكون بالمضارع «يظن» مبالغة في الدلالة على تحقق وقوع النجاة من الإعدام، وأنه سيكون ساقي الملك، ومعنى الظن على ضوء ذلك يكون بمعنى اليقين ويؤيد ذلك قوله : ﴿قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾، ولقد ورد الظن في القرآن الكريم بمعنى اليقين، على لسان المؤمن الطائع يوم القيامة : ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ ، إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيهْ﴾ (الحاقة:١٩ - ٢٠) والظان هو يوسف عليه السلام .

وسر لبثه في السجن بعد مقالته للناجي أن يوسف عليه السلام ربط مصير خروجه بعلائق تتعلق بالعباد، فقال للناجي: ﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾**، فالإنساء في الحقيقة لله تعالى، ولكنه أسند للشيطان تأدباً مع الله تعالى لما يضعه الشيطان في قلب العبد من الشواغل التي تعوقه عن ذكر الله، وسؤال يوسف للناجي أن يذكره للملك بصفته وينعته له بنعوته حتى يخرجه من السجن هذا السؤال مرخص لغيره من البشر، أما هو فنبي واللائق به أن يأخذ بالعزائم ولا يستعين بغير الله، فلبث في السجن سبع سنين بعد قوله للناجي،** وقد سبق أن سجن خمس سنين.

لطائف:

اللطيفة الأولى: ربما يجول بالخاطر هذا السؤال: **لماذا دخل يوسف السجن؟ هل عاقبه الله على عفته بدخول السجن والله قادر على أن يقيمه في القصر الذى طرد منه؟ والجواب أن دخوله السجن كان لأمور:**

١- **أن السجن كان حصناً ليوسف من إثم امرأة العزيز، فهو بشر وفيه الغريزة والدوافع التي تدفعه إلى تلبيتها.** فلو ظل في القصر فربما أصابه وحل الرذيلة، وهو الذى فضل السجن على المعصية فقال: ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ .

٢- أن السجن كان تربية لنفسه وصقلاً لها، فهو الذى سيقوم مستقبلاً على خزائن الأرض بعد خروجه من السجن، ليشعر بشعور المحرومين وذل المظلومين وقهر المستضعفين، فيكون ملجأً لهؤلاء، فيسعد المحرومين، ويمسح دموع المظلومين، ويقيل عثرات المستضعفين.

٣- لقد بدأت الدعوة للتوحيد عند يوسف فى قبر الأحياء وهو السجن فتميز عن غيره من الأنبياء بهذه الميزة، فأظهر الله على يديه حقيقة وهى أن دعوة الأنبياء لا تتوقف عند حد، ولا يطفئ نورها غيابات السجون، ولا يعوق رسولها أغلال الجبابرة والحكام.

اللطيفة الثانية: قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَاْ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ، يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ، قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ، ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ، ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ (يوسف:٤٥ - ٤٩).

فلقد ورد فى هذه الآيات كلمة «أمة» وهى هنا ظرف بمعنى الحين.

ووردت بمعنى الجماعة من البشر: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ (المؤمنون:٥٢).

ووردت بمعنى الإمام: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا﴾ (النحل:١٢٠).

ووردت بمعنى الطريقة: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ (الزخرف:٢٣).

ومن جهة أخرى: وجَّه يوسف البشرية إلى أمر يحفظ صحتها وطعامها دون ضرر، وذلك وحيٌ وهو حفظ الحبِّ فى سنابله حتى لا تصيبه الأتربة ولا يأكله السوس، وما أعظم هذا التوجيه، أما الآن فرحمة الله على البشرية التى أصيبت فى صحتها بسبب المبيدات الحشرية والسموم القاتلة التى تدخل الأجسام مع الطعام والشراب، وأتت على المقاومة الطبيعية للحشرات والقوارض فقضت عليها مثل «أبي قردان، والنمس، والغراب، والهدهد، والعصفور، وأبي العيد» وغيرها من المخلوقات التى خلقها الله للتوازن الطبعى، فأضر بالبيئة ما صنعه الإنسان.

س١٥: قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ (يوسف:٤٩) ما السر فى عدول هذه الآية عن لفظ السَّنَة إلى كلمة عام مع أن السياق كان عن السنوات؟

الجواب: لقد سبق أن قال الله تعالى: ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾، ثم قال: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ﴾ أى سبع سنين، ثم قال: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ لقد عدل عن «السنة» إلى كلمة «عام» تحاشياً للمدلول، فالسنوات التى تصاب فيها

البلاد بالقحط هى سبع شداد. وعبر عن العام الذى يليها بالمخالفة بأنه يختلف عنها، فهى سنوات قحط وهو عام غيث وخير، فيه يعصرون الفواكه والقصب والزيتون والسمسم ونحوها، وعبّر عن العام لمخالفة حاله عن السنوات السابقة.

س١٦: **قال تعالى :** ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ (يوسف: ٥٠). **ما السر فى تشبث يوسف بالسجن ولم يسارع بالخروج مع رسول الملك، وقال له:** ﴿ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ ؟ **و لماذا لم يتعرض لامرأة العزيز؟**

الجواب : لم يسرع يوسف فى الخروج من السجن حتى يمحو أثر التهمة، فالتمس من الملك البحث عن واقعته، وأراد شهادة نسوة المدينة اللاتى حضرن متكأ امرأة العزيز، وشهدن عليها حين اعترفت ببراءته، وقالت أمامهن ﴿فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾ **وساعد النسوة امرأة العزيز فى حث يوسف على تلبية طلب سيدة القصر فسمعن قول يوسف المصحوب بالأسى والأنين:** ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ **ولم تنس واحدة منهن تلك الشهادة، فإن آثار جراح أيديهن علامات بارزة على حفظ تلك الشهادة، فأراد يوسف بقوله لرسول الملك البحث والتفتيش عن هؤلاء النسوة حتى تسطع شمس براءته فى سماء مصر، وتتبدد غيوم كذب امرأة العزيز بشهادة النسوة، فإنها لا تستطيع أن تكذّب نسوة المدينة، ولقد أثمرت تلك الشهادة فاعترفن بذلك** ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ﴾ (يوسف: ٥١).

والسر فى عدم تعرض يوسف لامرأة العزيز ما يأتى:

أنه ما زال خائفاً منها ومن مكرها، فما فتئ يقاسى الأحزان ويعانى الأشجان، ولمّا لم يذكرها كافأته على فعله هذا واعترفت وأقرت لأنه سترها، فقالت: ﴿حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَاْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ﴾

س١٧: **قال تعالى :** ﴿قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَاْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ، ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ،وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (يوسف: ٥١ - ٥٣).
من قائل ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ ؟

الجواب : الظاهر من السياق ومتابعته أن هذا القول من تتمة كلام امرأة العزيز، وما أبرئ نفسى من الخيانة حيث قلت فى حق يوسف ما قلت، واتهمته بما ليس فيه، وفعلت به ما

فعلت، فإن كل نفس أمارة بالسوء إلاّ نفساً رحمها الله بالعصمة كنفس يوسف إن ربى غفور لذنبى وغفور لجميع ذنوب خلقه رحيم بى وبهم عند التوبة.

وذهب فريق سامحهم الله إلى القول بأن هذا القول هو قول يوسف، وكان مدخلاً للنيل من عفته، ولكن على فرض أن هذا القول من كلام يوسف فيكون تفسيره ما يأتى:

أن يوسف قال ذلك عندما سطعت شمس براءته من النسوة ومن صاحبة القضية، فقال ذلك على سبيل التواضع وهضم النفس البريئة، فلا يريد أن يزكى نفسه حتى يكون بعيداً عن حال الإعجاب بنفسه، فالله هو الذى حفظه وعصمه، فهو من باب التحدث بنعمة الله عليه وإبراز سره المكنون فى شأن أفعال العباد، فهو لا ينزهها عن السوء من حيث هى هى، ولم يسند لها الفضيلة بمقتضى طبعها وغريزتها من غير توفيق الله ﷻ.

س١٨: قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مِكِينٌ أَمِينٌ، قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ (يوسف: ٥٤ - ٥٥).

تزكية النفس ليست ممدوحة، فما سر تزكية يوسف لنفسه فى قوله ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ ؟

الجواب: أن الإنسان العالم إذا جهله النّاس وجهلوا مكانته فى العلم لا بأس أن يلفت أنظار النّاس إلى معرفته، ولا سيما إذا كانت هناك مصلحة عامة يستطيع أن يفعلها.

س١٩: قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾ (يوسف:٥٦).

ما سر التعبير بكلمة «مكَّنَّا»؟ وما المراد بالأرض؟

الجواب: التعبير بالتضعيف وإضافة الفعل إلى «نا» الفاعلين، للمعظم نفسه للمبالغة فى كمال ولاية يوسف عليه السلام وسيطرته وإحكام قبضته للحكم، والمراد بالأرض أرض مصر، فتكون «أل» للعهد وليست للجنس.

س٢٠: قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ﴾ (يوسف:٥٩)

ما السر فى تنكير كلمة «أخ» مع أنه يريد أخاً بعينه هو بنيامين؟

الجواب: لم يقل: بأخيكم، ونكّر أخاً مبالغة فى إظهار عدم معرفته بهم.

س٢١: قال تعالى: ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ﴾ (يوسف:٦٦)

ما السر فى سماح يعقوب لأولاده فى أخذ بنيامين مع أنه كان لهم سابقة فى ضياع يوسف والغدر به؟

﴿الجواب﴾: من وجوه:

الأول: احتمال أنه سمح لهم لأنهم كبروا وطفقوا يسلكون سبل الخير، فلقد كان بين واقعة الغدر بيوسف وبنيامين أربعون سنة.

الثاني: أن الضرورة ألجأته إلى أن يترك لهم بنيامين، فالقحط قد أكلهم.

الثالث: أن حسدهم ليوسف كان لمنزلته من أبيه ورؤيته ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ فقد قال ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ أما بنيامين فلم يكن هناك حسد منهم له.

الرابع: أنه ترك بنيامين تلبية لوحى الله له حتى تتحقق رؤية يوسف ويدخلوا مصر.

س٢٢: قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ، قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ، قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاء بِهِ حِمْلُ﴾ (يوسف: ٧٠ - ٧٢).

كيف يأمر يوسف المؤذن بأن يتهم قوماً بالسرقة بغير حق؟

﴿الجواب﴾: من وجهين:

الأول: الحقيقة أنهم سارقون ليوسف فى الصغر، فكان النداء عليهم من باب التعريض.

الثانى: أن المؤذن لم يكن عنده علم بحيلة يوسف، فكان نداؤه فى الظاهر حقاً لا كذباً.

الثالث: أن يوسف أخبر أخاه بنيامين بحيلته، وترك له الاختيار، فرضى بما يفعله يوسف، قال تعالى: ﴿إِنِّي أَنَاْ أَخُوكَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ (يوسف: ٦٩).

س٢٣: قال الله تعالى: ﴿قَالُواْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾ (يوسف: ٧٧)

ما سر اتهامهم ليوسف بالسرقة وهو المقصود بقولهم: ﴿سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ﴾ ؟

﴿الجواب﴾: لم تكن سرقة يوسف نقصاً فيه، ولم تلصق به عيباً إلا مع إخوة أعماهم الحسد ليوسف حتى بعد أن توارى عنهم واختفى، حتى ظنوه فى عداد الموتى، ولم يتركوه ووصفوه بالسارق، وكانت السرقة وساماً على صدر يوسف، يقول العلامة أبو السعود: (- أن عمته - كانت تحضنه[1]، فلما شب أراد يعقوب عليه السلام انتزاعه منها وكانت لا تصبر عنه ساعة، وكانت لها منطقة - أى حزام - ورثتها من أبيها إسحاق عليه السلام، فاحتالت لاستبقاء يوسف عليه السلام - عندها -، فعمدت إلى المنطقة فحزمتها عليه من تحت ثيابه، ثم قالت: فقدت منطقة إسحاق

(١) تحضنه: تربيه لأن أمه ماتت.

عليه السلام، فانظروا من أخذها، فوجدوها محزومة على يوسف، فقالت: إنه لى سِلْمٌ أفعل به ما أشاء، فخلاه يعقوب عليه السلام عندها حتى ماتت ، وقيل: كان أخذ فى صباه صنماً لأبى أمه فكسره وألقاه فى الجيف ، وقيل: دخل كنيسة فأخذ تمثالاً صغيراً من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه) [1].

س٢٤: قال تعالى: ﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُواْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّىَ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللّهُ﴾ (يوسف: ٨٠) **لماذا لم يتبع بقية الإخوة كبيرهم؟**

الجواب: لقد أخذ يعقوب العهد على أبنائه حتى يأتوا بابنه بنيامين، فلما استبقاه يوسف بحيلته رجعوا إلى أبيهم وبقى كبيرهم، فلم يخطئ الأبناء، فالذى أقام بجانب بنيامين كان منفذاً للعهد، والذين رجعوا إلى أبيهم لإخباره بما وقع لبنيامين لم يخطئوا، لأنهم لو أقاموا فى مصر لعظمت المحنة على يعقوب بانفراده وهو شيخ كبير، ففى رجوعهم إلى أبيهم طمأنةٌ له حتى لا يظن هلاكهم فيتضرر يعقوب عند غيابهم.

س٢٥: قال الله تعالى: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (يوسف: ٨٤) **لقد قال يعقوب هذا القول بعد أن أخبره الأبناء بسرقة بنيامين واحتجازه فى أرض مصر، فما سر تأسفه على يوسف والمصيبة مصيبة بنيامين؟ وكيف جاز ليعقوب عليه السلام أن يحزن هذا الحزن و تبيض عيناه وهو نبىٌّ؟**

الجواب: سر تأسف يعقوب على يوسف مع أن المصيبة فى بنيامين هو أن بنيامين على قيد الحياة، وهو فى الأسر بسبب السرقة الملفقة له، وإنما أسف على يوسف لأن مصيبته هى أم المصائب عند يعقوب عليه السلام ، و معين ألمها لم ينضب بمرور الأزمان فهو لا ينسى يوسف لأن مصيره مجهول بالنسبة له؛ لأن حيلة الدخول عليه بأكل الذئب له لم يتجرعها، فمصيره غامض، أما بنيامين فهو واثق من حياته وحياة أخيه الذى أبى أن يغادر مصر مراعياً عهد أبيه.

ومن جهة حزن يعقوب: فإن حزنه لا يقدح فى نبوته، لأن فطرة الإنسان تهتز وقت المصائب ووقت تذكرها، وهذا شعور داخلى فطرى، والدموع حينما تذرف من المآقى فليس فى ذلك شىء إذا كان مع الأدب مع الله عز وجل ولم يجزع ولم يعترض على أمر الله عز وجل، بل يكون الرضا بحكم الله وقضائه ، وإنما الجزع وعدم الرضا و الصياح والنواح و لطم الخدود وضرب الصدور و تمزيق

---

(١) تفسير أبى السعود جـ ٤ ص٢٩٨.

الثياب ووضع الطين على الوجه أو وضع الألوان المشعرة بالحزن ، هذا هو المذموم، و لم يفعل ذلك يعقوب عليه السلام، و لا يقدح حزنه على فلذة كبد وقرة عينه، بل كان يردد دائماً: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ (يوسف:٨٦).

لطيفة :

قال الله تعالى: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ، فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ (يوسف:٨٧ - ٨٨).

لقد عرف يعقوب بأمر ابنه بنيامين، وأمر أولاده بالرجوع إلى مصر وأن يجتهدوا في طلب يوسف وبنيامين، فلقد عرف عن طريق الوحى أن يوسف حى، فلقد قيل: إنه سأل ملك الموت هل قبضت روح ابنى يوسف؟ قال له: لا، وأشار له إلى جانب مصر، و قال: اطلبه هنا، وقيل: **إن الرؤيا التى سمعها من يوسف عرف أنها حق ولا تخطئ، من أجل هذا أمر أولاده بالبحث عن يوسف وأخيه بنيامين، ونهاهم عن القنوط من فرج الله، و أرسل معهم رسالة إلى عزيز مصر، وذهب الأولاد إلى مصر و أتوا إلى يوسف فقالوا له: ﴿مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ فبكى يوسف وقدموا له رسالة أبيهم وهى (من يعقوب إسرائيل الله بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله ، إلى عزيز مصر: أما بعد، فإنا أهل بيت موكل بنا البلاء، أما جدى فشدت يداه ورجلاه و رمى به فى النار ليحرق فنجّاه الله، وجعلت النار عليه برداً وسلاماً، وأما أبى فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله، و أما أنا فكان لى ابن وكان أحب أولادى إلىّ فذهب به إخوته إلى البرية، ثم آتونى بقميصه ملطخاً بالدم وقالوا: قد أكله الذئب، فذهبت عينانى من بكائى عليه، ثم كان لى ابن وكان أخاه من أمه، وكنت أتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا: إنه سرق وأنك حبسته لذلك، وإنا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقاً، فإن رددته علىّ وإلا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام. فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتمالك: وكتب الجواب: اصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا)** [1].

لطيفة :

لماذا لم يبعث يوسف رسولاً إلى أبيه ليعرفه بحياته ويطمئنه فيستقر خاطر أبيه؟

---

(١) الكشاف جـ ٢ ص٢٧٣.

والجواب من وجوه:

١- أن يوسف مر منذ فارق أباه بمراحل من حياته ذاق خلالها آلام الغربة وقسوة المعاملة، فدخل القصر وهو صبى، وكيف يجول بخاطر هذا الصبى الذى بيع و اشتراه العزيز أن يرسل إلى أبيه؟ ثم دخل مرحلة مطاردة امرأة العزيز له وانتهى به المطاف إلى السجن، ولبث فى السجن زمناً آخر بعد خروج صاحبى السجن وإعدام أحدهما وعمل الآخر فى خدمة الملك ليكون ساقياً له، ومكث يوسف بعدهما بضع سنين، ثم انتقل إلى سُدة الحكم، ثم أتى إخوته فلم تكن هناك فرصة للاتصال بأبيه.

٢- لعل الله صرفه عن الاتصال بأبيه ليعظم أجرهما.

٣- يحتمل أنه لو اتصل بأبيه فإن إخوته سيقتلونه ولايتركونه .

س٢٦ : قال الله تعالى عن يوسف وإخوته حين اعترفوا بخطئهم: ﴿قَالُواْ تَاللّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ، قَالَ لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (يوسف:٩١، ٩٢) **وقال تعالى فى شأن يعقوب حين طلب أولاده أن يستغفر لهم: ﴿قَالُواْ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ، قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيَ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾** (يوسف:٩٧ ، ٩٨).

ما سر إخبار يوسف إخوته بالمغفرة من غير سؤال، وسر مهلة الأب لهم فى الاستغفار ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيَ﴾ ؟

الجواب : أن يوسف عليه السلام لم يذق آلام البُعد كما ذاقها يعقوب، ويخفف عنه تلك الآلام اشتغاله بالحكم، فهذا يهون عليه ذلك، أما يعقوب فأخَّر الاستغفار إلى الأوقات التى تُجاب فيها الدعوات كوقت السحر أو ليلة الجمعة أو إلى أن يأذن الله له فى الاستغفار.

س٢٧ : قال الله تعالى : ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَن تُفَنِّدُونِ﴾ (يوسف:٩٤) **كيف أدرك يعقوب بحاسة الشم رائحة ولده وبينهما مئات الكيلومترات؟**

الجواب : من وجوه:

١- أن يوسف كان عليه قميص من الجنة كان يعقوب قد أخذه عن إسحاق، وإسحاق أخذه عن أبيه إبراهيم . فلما نزعه يوسف ليرسله إلى أبيه صفقت الريح فيه ففاحت رائحة الجنة فى الأرض فشمها يعقوب لأنه كان يعرفها من القميص، أو أن الله أمر الريح أن تحمل الرائحة إليه.

٢- أن الأمر على سبيل التعريض والكناية، فالله أخبر يعقوب بلقائه بيوسف عن طريق الوحى وقال يعقوب: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ .

﴿ﷺ﴾ **س٢٨:** قال تعالى : ﴿فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا﴾ (يوسف:٩٦).

كيف عاد البصر إلى يعقوب بمجرد شم القميص؟

الجواب: من وجهين:

١- أن يعقوب نبى ووالد لأنبياء، والمعجزات تظهر على أيديهم، فلا عجب فى هذا.

٢- لقد شم يعقوب رائحة القميص، وهى دلالة على ظفره بلقاء ولده الذى كان فى عداد المفقودين، فقويت حواس جسده، و انتشرت الحرارة الغريزية فى أنحاء بدنه. فتحللت الأجزاء التى حجبت حصول الرؤية بقوة دفع الدماء إلى العين، فوجدت العين قوة لم تكن من قبل، وعاودته الصحة كما كانت، وهذا يقع فى البشر نادراً.

﴿ﷺ﴾ **س٢٩:** قال تعالى : ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ (يوسف:٩٩) **ما سر دخولهم على يوسف قبل دخولهم مصر؟ و ما سر التعبير بالأبوين مع أنه أبوه وزوجة أبيه؟**

الجواب: لقد جاء أبواه من بلادهم بعد أن أخبر الوالد بوجود يوسف ووصوله إلى سدة الحكم، فخرج يوسف لاستقبالهم، وكان مستقراً فى بيت مضروب له خارج مصر، فاستقبلهم وضم أبويه إليه و عانقهما ، ثم قال: ﴿ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ .

وسر التعبير بالأبوين فى قوله: ﴿آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾ وقوله: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ مع أنه يعقوب وزوجته؟ **فالجواب:** لقد اتجهت مشارب العلماء إلى اتجاهين:

الأول: قال ابن إسحاق: إن أمه كانت تحيا ولم تمت بعد.

الثانى: قال علماء التفسير : إن أمه ماتت وهو صغير و إن أباه قد تزوج بخالته

فعلى الاتجاه الأول يكون قد غلّب إطلاق الأب على الأم فقال: أبويه، وعلى الاتجاه الثانى أن الآيات جعلت الخالة أماً، ويجوز أن يطلق لفظ الأم على زوجة الأب لأنها الرابّة تربى أولاد الزوج و ترعاهم فهى تقوم مقام الأم و من جهة أخرى يطلق على الخالة لفظ الأم كما أنه يطلق على العم لفظ الأب.

﴿ﷺ﴾ **س٣٠:** قال الله تعالى : ﴿ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ (يوسف:١٠٠).

ما سر تسمية هذا البلد بهذا الاسم ؟

الجواب: (سميت مصر لأنها آخر حدود المشرق وأول حدود المغرب فهى حد بينهما والمصر الحد وأهل هجر يكتبون فى عهدهم: اشترى فلان الدار بمصورها أى: بحدودها. وقال عدى:

وجاعل الشمس مصراً لا خفاء به ∴ بين النهار وبين الليل قد فصلا

وحكى ابن فارس أن قوماً قالوا: سميت بذلك لقصد النّاس إياها، كقولهم: مصرتُ الشاة إذا حلبتها، فالناس يقصدونها ولا يكادون يرغبون عنها إذا نزلوها[1]، وهذا الاسم «مصر» أرض الكنانة ورد ذكره فى الكتب السماوية وغيَّر هذا الاسم فى العصر الحديث «جمال عبد الناصر» وجعلها الجمهورية العربية المتحدة ، وجاء بعده «السادات» فغير الاسم إلى جمهورية مصر العربية.

س٣١: قال تعالى : ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَـٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ (يوسف:١٠٠)، ما سر إباحة يوسف أن يسجدوا له و ليس هناك سجود لغير الله؟

الجواب: لم يكن سجودهم بوضع الجباه على الأرض، ولكنها انحناءة بالغوا فيها فكانت **جارية عندهم مجرى التحية والتكرمة، فلكل شعب تحيته كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد وتقبيل الجبهة أو الأنف إلى غير ذلك، أمّا ما يفهم من السجود على الأرض فيأباه الله ويأباه يوسف عليه السلام.**

ومن جهة أخرى يمكن صرف ذلك بأنهم خروا سجداً لله من أجل يوسف أن أطال الله فى عمره، وجمعهم به وذهب نزغ الشيطان من بينهم فيكون السجود شكراً لله.

س٣٢: قال تعالى : ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بَي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاء بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ (يوسف:١٠٠)، ما سر عدم ذكر إخراجه من الجب و ذكر السجن مع أنه فى الجب كان أقرب إلى الموت؟

الجواب: من وجوه :

الأول: أنه لو ذكر الإخراج من البئر لكان فيه استحضار الصورة الماضية لإخوته حين ألقوه فى غيابة الجب، وفى هذا توبيخ لهم، فمن أدبه لم يذكر ذلك.

الثانى : أنه خرج من السجن، وبعد الخروج انتهى به المطاف إلى الحكم، أما الخروج من الجب فكان بعده الرق و البُعد عن أبيه ووقوعه فى دائرة التهمة، فذكر السجن و لم يذكر الجب.

الثالث: أن خروجه من السجن قد بَعُد عهده و تقادم ، بخلاف خروجه من السجن إذ كان قريب عهد به، وبعده وصل إلى سدة الحكم، وجمع الله بينه و بين أبويه و إخوته، فهى أحداث متقاربة ما زالت حديثة فى الذاكرة.

(١) زاد المسير فى علم التفسير جـ ١ ص٨٩ – ٩٠.

س٣٣: قال تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنُيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (يوسف: ١٠١). **الأنبياء يعلمون أنهم يموتون على الإسلام فطلب يوسف أن يتوفاه الله على الإسلام من باب تحصيل الحاصل؟**

الجواب: من وجهين:

الأول: أن الرسل يتميزون عن أقوامهم بحالة تزيد على الأقوام، و هي الاستسلام لحكم الله و قضائه لتطمئن قلوبهم وتنشرح صدورهم فهذه الحالة طلب يوسف دوامها واستمرارها عليه.

الثاني: أنه علم قومه هذا الدعاء و بدأ به بنفسه.

(١٣) سورة الرعد

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: لقد ختم الله سورة يوسف بحقيقة هي أن القرآن لم يكن حديثاً مفترى، وهو آية على صدق من نزل عليه، وأنه هدى ورحمة لقوم يؤمنون، ختمت السورة بهذا بعد أن أشار الله إلى كثرة الآيات الكونية التي يمر عليها الكفرة وهم عنها معرضون عن التدبر فيها، وابتدأ سورة الرعد بذكر القرآن وبعض الآيات الكونية على طريق اللف و النشر المشوّش لأنه أفصح للبدء.

س٢: قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ (الرعد: ٢)

هذه الآية وردت في سورة فاطر[1] وسورة الزمر[2]، وقال تعالى في سورة لقمان: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ (لقمان: ٢٩).

فما سر مجيء الآية الأخيرة بقوله: ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ بدل اللام؟

الجواب: أن الآية في سورة لقمان وقعت بين آيتين تدلان على انتهاء الدنيا، والآية الأولى: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ (لقمان: ٢٨)، والآية الثانية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لاَّ يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا﴾ (لقمان: ٣٣). فالحديث عن البعث في الآية الأولى و الحديث عن يوم القيامة في الآية الثانية يدلان على انتهاء الدنيا، ولما وقعت الآية: ﴿كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ بينهما أتى بـ «إلى» التي تدل على انتهاء الغاية بخلاف بقية الآيات فليس فيها ذلك.

---

(١) سورة فاطر الآية ١٣

(٢) سورة الزمر الآية ٥

﴿ س٣: قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا﴾ (الرعد: ٣).

و قال تعالى: ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ (النازعات: ٣٠).

كيف نوفق بين «المد» وهو البسط وبين «الدحو» وهو القريب من الكرة؟

الجواب: نعم إنها مدحوة، وهي مع هذا كرة عظيمة تجرى في الفضاء، ولما كانت عظيمة هائلة كان الذى يسير في أى جزء من أجزائها يشعر بمدها وتسطيحها.

س٤: قال تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ (الرعد: ١١).

لماذا جمع «معقبات» جمع مؤنث والملائكة لا توصف بالأنوثة ولا الذكورة ولا الخنوثة، بل يجمعون جمع مذكر لأن الذكورة هي أشرف هذه الأقسام؟

وكيف يحفظونه من أمر الله ولا قدرة للملائكة ولا لأحد من الخلق أن يحفظ أحداً من أمر الله؟

الجواب: «معقّبات» جمع «معقّبة» والتاء فيها للمبالغة كعلاّمة وفهّامة، وجمعت بالألف والتاء جرياً على قواعد العربية فالتأنيث ليس حقيقياً.

أما كيف ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ ولا قدرة للملائكة؟ فالجواب من وجوه:

١- أن الكلام فيه تقديم وتأخير والمعنى له معقبات من أمر الله يحفظونه.

٢- أن المعنى من أمر الله أى من أجل الله.

٣- أن «مِنْ» في قوله: ﴿مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ بمعنى الباء والمعنى: «يحفظونه بأمر الله».

لطيفة: قال الله تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ (الرعد: ١٣) ساق العلامة أبو السعود في هذه الآية: (أن إرْبَد بن ربيعة أخا لبيد قد أقبل مع عامر بن الطفيل إلى رسول الله ﷺ يبغيانه الغوائل، فدخلا المسجد وهو عليه الصلاة والسلام جالس في نفر من الأصحاب - رضى الله عنهم -، فاستشرفوا لجمال عامر، وكان من أجمل النّاس، وقد كان أوصى إلى إربد أنه إذا رأيتنى أكلم محمداً ﷺ فدر من خلفه واضربه بالسيف، فجعل يكلمه ﷺ فدار أربد من خلفه ﷺ فاخترط من سيفه شبراً فحبسه الله تعالى فلم يقدر على سلّه وجعل عامر يومئ إليه، فرأى النبى ﷺ الحال فقال: اللهم اكفنيهما بما شئت، فأرسل الله ﷻ على إربد صاعقة في يوم صحو صائف فأحرقته، وولّى عامر هارباً فنزل في بيت امرأة سلولية، فلما أصبح ضم عليه سلاحه وتغير لونه وركب فرسه فجعل يركض في الصحراء ويقول: ابرز يا ملك الموت ويقول الشعر، ويقول: واللات لئن أصحر لى محمد وصاحبه يعنى ملك الموت لأنفذتهما برمحى، فأرسل الله تعالى ملكاً فلطمه بجناحه فأرداه في التراب فخرجت على

ركبته في الوقت غدة عظيمة، فعاد إلى بيت السلولية وهو يقول: غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية، ثم دعا بفرسه فركبه فأجراه حتى مات على ظهره .

وروى عن الحسن أنه كان رجل من طواغيت العرب، فبعث النبي ﷺ نفراً من أصحابه يدعونه إلى الله ﷻ فقال لهم: أخبروني عما تدعونني إليه، ما هو؟ ومم هو من ذهب أم من فضة أم من نحاس أم من حديد أم من دُرٍّ؟ فاستعظموا مقالته فرجعوا إلى النبي ﷺ فقالوا: ما رأينا رجلاً أكفر قلباً ولا أعتى على الله منه، فقال ﷺ : ارجعوا إليه، فرجعوا إليه فبينما هم عنده ينازعونه إذ ارتفعت سحابة ورعدت وبرقت ورمت بصاعقة فاحترق الكافر. فجاءوا يسعون ليخبروه ﷺ بالخبر، فاستقبلهم الأصحاب فقالوا احترق صاحبكم قالوا من أين علمتم قالوا: أوحى إلى النبي ﷺ)[1].

س٥: قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾ (الرعد: ١٥) **وقال تعالى:** ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾ (الحج: ١٨)، **وقال تعالى في سورة النحل:** ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلائِكَةُ﴾ (النحل: ٤٩).

ما سر التعبير بـ«مَنْ» وهي للعاقل في الآيتين الأولى والثانية وفي الآية الثالثة بـ«ما» وهي للعاقل وغير العاقل؟

الجواب: لقد ذكرت «مَنْ» بفتح الميم في الآيتين: **الأولى والثانية لمناسبتها للسياق**، وذكرت «ما» في الآية الثالثة لمناسبتها ذلك، فالآية الأولى سبقها حديث عن العالم العلوي وعن الملائكة وعن الأصنام التي تُعبد من دون الله فقال: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ، وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ﴾ (الرعد: ١٢ - ١٣)، وحين بدأ الحديث عن الإخبار بسجود من في السموات والأرض لله أتى بـ «مَنْ» وغلّب جانب العقلاء، وذكر الأرض تبعاً لها، ولم يذكر ما فيها استخفافاً بالكفار والأصنام الذين سبق الحديث عنهم ، والآية الثانية سبقها حديث عن المؤمنين وجميع الأديان ، فذكر مَنْ في السموات وغلّب العقلاء تعظيماً لهم، وذكر «مَنْ في الأرض» لأنه تقدّم ذكرهم، والآية الثالثة سبقها حديث عن خلق الله على سبيل العموم، وليس فيه ذكر للملائكة ولا للإنس تصريحاً، فذكرت الآية ما في السموات وما في الأرض.

---

(١) تفسير أبي السعود جـ ٥ ص١٠.

س٦ : قال الله تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (الرعد: ٤١)، **كيف تنقص الأرض من أطرافها؟**

الجواب: لقد كان للأقدمين والمحدثين وجهة نظر فى نقص أطراف الأرض، فالأقدمون قالوا: إن المراد بالأرض هى أرض الكفر، فإن الله يفتحها على المسلمين شيئاً فشيئاً، ويلحقها بأرض الإسلام، ويذهب الكفرة إمّا بالقتل أو بالأسر أو بالإجلاء أو يذوبون فى المجتمع الإسلامى بعد دخولهم فى الإسلام.

أما المحدثون وأهل العلم فقالوا: إن المرد بالأرض هى جنس الأرض فـ«أل» للجنس وليست للعهد كما ذهب الأقدمون، وقالوا: إن أطراف الأرض تنقص بفعل عوامل التعرية، وخاصة حركتا المد والجزر فتتآكل أطراف الأرض شيئاً فشيئاً، وهذا حكم الله ولا معقب لحكمه وهو سريع الحساب.

(١٤) سورة إبراهيم

س١: ما مناسبة سورة إبراهيم لسورة الرعد؟

الجواب: لقد ختم الله سورة الرعد بشبهة آثار رهجها أهل الكفر بقولهم ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلاً﴾، ودحض الله شبهتهم بقوله ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ ، فلما أنهى السورة بدحض شبهتهم بأنه لا شهادة تكافئ شهادة الذى أنزله على رسوله سيدنا ﷺ وعنده أصل هذا الكتاب فى اللوح المحفوظ، عقّب ذلك بالحديث عن هذا الكتاب فقال: ﴿الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ .

س٢: قال الله تعالى فى أول سورة البقرة : ﴿الم، ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾ ، وقال تعالى فى أول سورة يونس : ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ ، وقال تعالى فى أول سورة هود: ﴿الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ﴾ ، وقال تعالى فى أول سورة يوسف: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ ، وقال تعالى فى أول سورة الرعد: ﴿المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ ، وقال تعالى فى أول سورة الأعراف: ﴿المص، كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ ، فما سر مجيء «الكتاب» منكّراً بعد تعريفه؟

الجواب: أنه جاء معرفاً بأل ومعرّفاً بالوصف فهو معروف وحين يأتى منكّراً يكون التنكير قد جاء لغرض التفخيم والتعظيم.

س٣: قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (ابراهيم: ٤). **لقد ثبت بالأدلة القطعية أن الرسول محمداً ﷺ مرسل إلى جميع البشر وهم مختلفون في الألسنة واللغات، فيلزم من هذه الآية أن الحجة لا تلزم غير الناطقين بالعربية؛ لأنه لم يأت بلغاتهم.**

الجواب: أن الرسول ﷺ: بعث إلى النّاس كافة، فلو نزل عليه كتاب بلغات الأمم كلها لأدى ذلك إلى اختلاف الكلمة، وبرزت دواعي التنازع، وظلت البشرية بركاناً يغلي أبداً، وظهرت الاجتهادات المتناقضة في أصول الدين حسب اللغات المختلفة، بَيْدَ أن نص الآية: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فكل رسول بَيَّنَ لقومه ما نزل عليه من رسالة وكان كل واحد منهم قد بُعث إلى قومه خاصة، **والرسول محمد ﷺ بعث للناس كافة للإنس والجن بالأدلة القطعية، وبيَّن لقومه العرب ما في القرآن وعلى العرب أن يترجموا هذا الكتاب إلى البشرية كافة وأن يبينوا تفسيره، وبالترجمة يتحد النظم وتجتمع البشرية على كتاب واحد وأصول واحدة لا خلاف فيها، ويظهر الاختلاف والائتلاف في أمر وقع في خلافة عثمان رضي الله عنه حين أخبره حذيفة بن اليمان بأن النّاس اختلفوا في المصاحف فأهل العراق يقرأون بقراءة تخالف غيرهم، وأهل الشام كذلك، فجمع النّاس على مصحف واحد حتى لا تتشتت الأمة وتتفرق كلمتها، فالرسول ﷺ مرسل إلى النّاس كافة، والقرآن يصل إلى غير العرب عن طريق الترجمة، وتلزمهم الحجة أيضاً إن سمعوا عن الإسلام ولم يصلوا إليه بتعلم لغته.**

س٤: **قال الله تعالى:** ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (ابراهيم: ٦)، **وقال تعالى في سورة البقرة:** ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوَءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (البقرة: ٤٩)، **وقال تعالى في سورة الأعراف:** ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَونَ يَسُومُونَكُمْ سُوَءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (الأعراف: ١٤١)، **فما سر اختلاف التعبير بالقتل والذبح في الآيات؟ و ما سر اقتران الآية الأولى بالواو العاطفة فقال «ويذبحون» والبلاء في تذبيح الأبناء ظاهر فكيف يكون استحياء النساء بلاء؟**

الجواب: كلمة «يسومونكم» معناها: يبغونكم، و«سوء» مصدر بمعنى السيِّء القبيح، فالمعنى:

يبغونكم ويذيقونكم سيّء العذاب، وأتت كلمة «يقتلون» فى الآية الثالثة على سبيل تفسير سوء العذاب، وأتت كلمة «يذبحون» فى الآية الثانية تفسيراً أيضاً وتفسيراً للقتل، وكان بالذبح وهو من كلام الله ﷻ فى الآيتين، أما الآية الأولى فهى من كلام موسى ﵇ حين ذكّرهم بأيّام الله، فعدّد لهم المحن، فاقتضى ذكر العطف مع التعدد.

أما كيف يكون استحياء النساء بلاء: فهو أن قوم فرعون كانوا يستحيونهن تحت أيديهم كالإماء فيقمن بالخدمة وغيرها وهذا الإذلال بلاء.

س٥ : لقد انتهت الآيات فى السؤال السابق بجملة هى ﴿وَفِي ذَلِكُم بَلاء مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾، **فكيف يكون فعل آل فرعون من قتل الأبناء واستحياء النساء بلاء من الله؟ ووجه البلاء فى ذبح الأبناء ظاهر فما وجه البلاء فى استحياء النساء؟**

الجواب : أن البلاء الذى وقع ببنى إسرائيل هو بقَدَر الله ﷻ حتى يقع ويظهر ما علمه الله مَنْ المؤمن الثابت على دين الله والمؤمن الذى يعبد الله على حرف وهذا بلاء بالشر.

أو أن البلاء هو نعمة إنجائهم من آل فرعون وغرق آل فرعون، وهذا بلاء بالخير كما قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾، **وقال الله تعالى :** ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاء مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ .

نعم: البلاء فى ذبح الأبناء ظاهر، أما استحياء النساء فالمراد به بقاؤهن، ووجه البلاء فى استبقاء حياتهن أن آل فرعون كانوا يستخدمونهن فى خدمتهم فى البيوت، ويفرقون بينهن وبين الزوجات، فإبقاء النساء فيه إذلال وأيضاً إبقاء النساء بدون ذرية مصيبة وبلاء كما قليل:

ومن أعظم الرزء فيما أرى ∴ بقاء البنات وموت البنينا

س٦ : قال تعالى : ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (ابراهيم: ١٠)

ما المراد بالاستفهام فى قوله ﴿أَفِي اللّهِ شَكٌّ﴾ **؟**

الجواب : المراد بالاستفهام: الإنكار. والمعنى: ليس فى الله شك لوضوح براهينه وسطوع أدلته، وعدم خفائه، ولذلك أتبع الجملة بقوله ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ وهذا دليل لا يكون إلاّ لله وحده دون غيره.

س٧ : قال الله تعالى : ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾.
و قال تعالى فى سورة الأحقاف: ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾

(الأحقاف: ٣١)، وقال تعالى فى سورة نوح: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (نوح: ٥)، وقال تعالى فى سورة الصف: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ (الصف: ١٢).

فلماذا عرت الآية الأخيرة من حرف الجر «مِنْ» ؟

الجواب: قال فريق من العلماء إن «مِنْ» فى الآيات التى وردت فيها للتبعيض، والآيات التى جاء فيها هذا الحرف هى للكفار، فيكون المعنى يغفر لكم بعض ذنوبكم فى الكفر وهى المتعلقة بحقوق الله دون حقوق العبيد ومظالمهم ، وهذا يخالف قول الرسول ﷺ لعمرو بن العاص حين أسلم: «أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله» [1].

ونقول: مجىء حرف الجر مع الكفار وعدم مجيئه مع المؤمنين للتفرقة بين الخطابين، ولئلا يسوى بينهم.

س٨: قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ، وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (ابراهيم: ١١ ، ١٢).

ما سر التكرار مع اختلاف المؤمنين والمتوكلين؟

الجواب: ليس فى الآيتين تكرار، فنهاية الآية الأولى بينت أن الرسل استحدثوا التوكل، ونهاية الآية الثانية بينت الثبات على ما استحدثوه من التوكل، وقدموه للمؤمنين فى الآية الأولى على المتوكلين فى الآية الثانية لأن صفة الإيمان سابقة على صفة التوكل.

س٩: قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ (ابراهيم: ١٣).

هل كان الرسل على ملة الأقوام حتى يقول الأقوام: ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ ؟

الجواب: من وجهين:

الأول: حاش لله أن الرسل كانوا على ملة الأقوام، ولكن العود بمعنى الصيرورة، وكلمة «عاد» بمعنى «صار» تأتى كثيراً فى العربية.

الثانى: أن الرسل من الأقوام التى نبتوا فيها وعاشوا أطفالاً بينهم وصاروا شباباً، ولم يعلنوا التمرد على عبادات أقوامهم، بل كانوا فى الظاهر معهم إلى أن بعثوا إلى أقوامهم، فأعلنوا مخالفتهم والتمرد عليهم، فطلب الأقوام منهم استمرارهم على الحالة الأولى والسكوت عنهم، وهيهات هيهات.

---

[1] رواه مسلم كتاب «الإيمان» باب كون الإسلام يهدم ما قبله جـ ١ ص١٢٢.

﷽ **س١٠: قال تعالى :** ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلاَلُ الْبَعِيدُ﴾ (إبراهيم: ١٨)،

وقال تعالى فى سورة البقرة: ﴿لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ﴾ (البقرة: ٢٦٤)،

لماذا قدَّم الوصف «مما كسبوا» على الموصوف «شيء» والآية الثانية جاءت على الأصل فتأخرت الصفة «مما كسبوا» على الموصوف «شيء»؟

وإذا كانت الأعمال الصالحة للكفرة غير مقبولة كما فى هذه الآية وكما ورد فى سورة النور، فهل يصبح الكافر الذى يعمل الخير كالكافر الذى يصنع الشر؟

﴿الله﴾ **الجواب:** الأصل ما جاءت به الآية الثانية الواردة فى سورة البقرة؛ لأن الوصف فى اللغة العربية يأتى بعد الموصوف، ولقد قدم الوصف «مما كسبوا» فى الآية الأولى لأن الكسب هو المقصود بالذكر، ولأن المثل ضرب من أجل الكسب وهو العمل، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَى شَيْءٍ﴾ .

أما الكفرة الذين يعملون الخيرات فإنهم لا يتساوون بغيرهم من أهل الكفر، وذلك من وجهين:

الأول : أن الله يعطيهم الجزاء على ذلك فى دنياهم بزيادة أموالهم أو درء بعض المصائب عنهم أو بتوفيق أولادهم، أما فى الآخرة فليس لهم شىء من الثواب.

الثانى: أن الله يخفف عنهم من العذاب فى جهنم بقدر أعمالهم ولا يخرجون منها، فخلودهم أبدى.

﷽ **س١١: قال تعالى :** ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾ (إبراهيم: ٣٥)، **وقال تعالى فى سورة البقرة:** ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ (البقرة: ١٢٦).

ما سر تنكير «بلداً» فى الآية الثانية وتعريفها فى الأولى؟

﴿الله﴾ **الجواب:** من وجوه :

الأول: أن إبراهيم نُكّر بلداً فى الآية الثانية لأن إبراهيم سأل الله أن يجعله من جملة البلاد التى يعمها الأمن، وفى الآية الأولى سأل الله ﷻ أن يزيل عن أهله الخوف كأنه قال: هو الآن بلد ولكنه مخوف.

الثانى: أن سورة البقرة كَمُل نزولها قبل أن تكمل سورة إبراهيم، ولم تنزل هذه الآية التى نحن بصددها إلاَّ بعد آية سورة البقرة، فآية سورة البقرة وردت فيها الكلمة نكرة ثم لما عرفت صارت معرفة، فعرفت بـ «أل».

الثالث: يجوز أن تكون اللام فى الآية الأولى للعهد، كما فى قوله تعالى: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ﴾ (السجدة: ٧)، فـ«أل» للعهد والمعهود آدم. و«أل» فى «البلد» هى للعهد، والمعهود مكة.

س١٢: قال تعالى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ (ابراهيم: ٤١).

كيف يستغفر إبراهيم لوالديه وهو يعلم أن أباه مسرف فى كفره؟

الجواب: أن استغفار إبراهيم لأبيه يجوّزه العقل. وعاطفة البنوة وبره بأبيه يجوزان ذلك، لقد قابل إبراهيم شر أبيه حين هدده بالقتل بأنه سيستغفر له. قال تعالى: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْراهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا. قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ (مريم: ٤٦ - ٤٧). وطفق إبراهيم يستغفر له لأنه لم يعلم امتناع ذلك إلاّ بعد نهيه عن الاستغفار لأبيه، وقال الله فى حقه: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ (التوبة: ١١٤).

وذهب بعض العلماء إلى أن المراد بوالديه آدم وحواء وهذا الرأى لا تقوم له قائمة لأنه لو كان المراد ما ذهبوا لما عوتب ولما نُهى عن ذلك.

س١٣: قال تعالى: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ (ابراهيم: ٤٢).

كيف يليق بالرسول أن يحسب الله غافلاً عما يعمل الظالمون؟

الجواب: المراد الثبات والاستمرار على ما أنت عليه من عدم حسبانك الله غافلاً كما فى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ (الأحزاب: ١)، فالمراد: اثبت على ما أنت عليه من التقوى، ولا تطع الكافرين والمنافقين.

س١٤: قال تعالى: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ (ابراهيم: ٥٠)

ما سر كون سرابيل أهل النار من القطران؟ ولماذا خص الوجوه بالذكر مع أن النار تغشى جميع أجسادهم؟

الجواب: السرابيل: جمع سربال وهو القميص، والقطران: شيء يُستخرج من شجر يسمى الأبهل، فيطبخ وتطلى به الإبل الجُرْبُ فيحرق بحرارته وحدته داء الجرب، وتصل حرارته إلى داخل جوف الكائن الحى، وهو قابل للاشتعال، والزفت الذى تُعَبّد به الطرق وتصير أسفلتية، نوع منه، وهو أسود اللون، وهو يزيد من حرارة النار لأن اللون الأبيض يعكس الحرارة والأسود يمتصها ليزيد من الحرارة على أجساد أهل النار. وهو منتن فيحصل به لأجسادهم خمسة أنواع

من العذاب: لذعه وحرقته، والاحتفاظ بالحرارة على الأجساد، ولونه الموحش، ونتنه الذى يزيد فى الإيذاء والعذاب.

و خص الله الوجوه بالذكر مع أن النار تغشى جميع أجسادهم لكونها أعز الأعضاء وأشرفه،ا ولكونها مجمع المشاعر والأحاسيس، فهى جمعت الحواس الخمس من حس وبصر وشم وذوق وسمع، أما بقية الجسد ففيه الحس واللمس.

(١٥) سورة الحجر

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: يقول الإمام البقاعى: (لما ختم الله التى قبلها بعنوان الكتاب ابتدأ هذه بشرح ذلك العنوان، وأوله وصفه بأنه جامع، والخير كله فى الجمع، والشر كله فى الفرقة، فقال تعالى: ﴿الَر تِلْكَ﴾ أى هذه الآيات العالية المقام النفيسة المرام ﴿آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ أى الكامل غاية الكمال الذى لا كتاب على الحقيقة غيره، الجامع لجميع ما يقوم به الوجود من الخيرات، القاطع فى قضائه من غير شك ولا تردد، الغالب بأحكامه القاهرة فى وعده ووعيده وأحكامه فى إعجازه لجميع من يعانده) [1].

س٢: قال تعالى: ﴿الَر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ﴾ (الحجر: ١).

ما سر تنكير القرآن وعدم مجيئه على المألوف معرفةً؟

الجواب: التنكير للتفخيم والتعظيم، فلقد جمع الكمال وجمع الفصاحة والغرابة فيها، ويكفى فيه قوله: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ (الأنعام: ٣٨).

س٣: قال تعالى: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ﴾ (الحجر: ٢)

«ربما» دخلت على الفعل المضارع، وهى لا تدخل إلاَّ على الفعل الماضى، فما سر دخولها على المضارع؟ وما معنى التقليل؟

الجواب: أن هذا الحديث من أخبار الله ﷻ، والمضارع فى إخبار الله ﷻ كالماضى فى تحقق وقوعه، فالمعنى: ربما ود الذين كفروا، والتقليل هنا يجوز أن يكون على حقيقته وهو أن ودادهم يقع مرة، والمعنى: لو كانوا يودون الإسلام مرة واحدة فحرىٌّ بهم أن يسارعوا إليه، ويجوز أن يكون التقليل للتكثير، والمقام مقام تكثير. ولكنه عدل عنه إلى التعبير بقوله: «ربما»

---

(١) نظم الدرر جـ ١١ ص٢.

وكثرة تمنيهم أن يكونوا مسلمين عند الموت وعند السؤال وعند البعث، وأسلوب استعارة القليل للكثرة وقع في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ (الصف: ٥). فالتعبير بـ«قد تعلمون» للتقليل لأن «قد» دخلت على المضارع والمقصود به التكثير، والمقصود توبيخ بني إسرائيل على أذاهم لموسى عليه السلام على توفر علمهم برسالته ومناصحتهم له.

س٤: قال تعالى: ﴿لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (الحجر: ٧).

ما معنى «لو ما»؟ ولِمَ أتت على هذا التركيب مع «ما»؟

الجواب: «لو ما» هي حرف امتناع لوجود مثل «لولا»، وأتت «ما» النافية مكان «لا» وركّبت هذا التركيب فصارت «لو ما» وخصت هذه السورة بها مرعاً لكلمة «ربما»

س٥: قال تعالى: ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ (الحجر: ٢٨)، **وقال تعالى:** ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (آل عمران: ٥٩)، **وقال تعالى:** ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ (ص: ٧٦).

مرة يقول «خلقه من تراب»، ومرة يقول «من طين»، ومرة يقول «من حمأ مسنون»، ومرة في هذه السورة وفي سورة الرحمن يقول: «من صلصال» أليس هذا تناقضاً؟

الجواب: بلى: هذه مراحل خلق آدم، أصله من تراب، ثم لما خالطه الماء صار طيناً، ثم تغيّر الطين واسودّ وهو الحمأ، ثم شكله وجفّ فصار صلصالاً كالفخار يحدث صوتاً عندما يطرق ثم صيّره إنساناً سويّاً، فهذه مراحل خلق آدم.

س٦: قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ (الحجر: ٣٥)

و قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ (ص: ٧٨)

ما سر مجيء اللعنة على الجنس في الآية الأولى، وإضافتها إلى ياء المتكلم في الآية الثانية؟

الجواب: أتت اللعنة على الجنس في الآية الأولى لأن السابق من النصوص جرى على الجنس في أول السورة كالملائكة والسماء والإنسان والجان واللعنة، وفي الآية الثانية تقدم عليها قوله: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، وقوله: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾، وقال: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي﴾ مراعاة للسياق.

س٧: قال الله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ (الحجر: ٤٧)، و قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ

الأنْهَارُ﴾ (الأعراف: ٤٣). ما سر زيادة «إخوانا» في الآية الأولى؟

﴿الله﴾ **الجواب:** الآية الأولى نزلت فى أصحاب رسول الله ﷺ والرسول قد آخى بينهم فى الدنيا، والآية الثانية نزلت فى عموم أهل الجنة من كل أمّة، وسبقها ما يدل على ذلك: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (الأعراف: ٤٢).

س٨: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ (الحجر: ٨٧).

ما المراد بالسبع المثانى؟

﴿الله﴾ **الجواب:** ذهب فريق من العلماء إلى أنها سورة الفاتحة، ومعنى المثانى هى التثنية وهى التكرار، وسُميت بذلك لأنها تكرر قراءتها فى الصلاة، أو معنى المثانى: من الثناء وهو المدح، وسميت بذلك لاشتمالها على ما هو أعلى ثناء على الله، وقيل: إن المراد بالسبع المثانى السور السبع الطوال: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف والأنفال والتوبة. وهما فى حكم السورة الواحدة، ولذلك لم يفصل بينهما بالبسملة، وقيل غير ذلك.

لطيفة: قال الله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ (الحجر: ٩٤، ٩٥).

(روى عن عروة بن الزبير فى المستهزئين: هم خمسة نفر ذوو أسنان وشرف وهم: الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والأسود بن عبد يغوث والأسود بن المطلب والحرث بن الطلاطلة، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ماتوا كلهم قبل بدر، قال جبريل عليه السلام للنبى ﷺ: أمرت أن أكفيكهم، فأومأ إلى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظُّماً لأخذه، فأصاب عرقاً فى عقبه فقطعه فمات، وأومأ إلى أخمص العاص بن وائل فدخلت فيها شوكة فقال: لدغت لدغت وانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات، وأشار إلى عينى الأسود بن المطلب فعمى، وأشار إلى أنف الحرث فامتخط قيحاً فمات، وإلى الأسود بن عبد يغوث وهو قاعد فى أصل شجرة فجعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات)[1].

(١) الكشاف جـ ٢ ص٣٢٠.

(١٦) سورة النحل

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: (لما ختم الحجر بالإشارة إلى إتيان اليقين، وهو صالح لموت الكل ولكشف الغطاء بإتيان ما يوعدون مما يستعجلون به استهزاء من العذاب فى الآخرة بعد ما يلقون فى الدنيا، ابتدأ هذه بمثل ذلك سواء، غير أنه ختم تلك باسم الرب المفهم للإحسان لطفاً بالمخاطب، وافتتح هذه باسم الله الأعظم الجامع لجميع معانى الأسماء؛ لأن ذلك أليق بمقام التهديد) [١].

س٢: قال تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ (النحل: ١).

ما سر التعبير بالفعل الماضى مع أن هذا الأمر لم يأت بعد؟

الجواب: عبَّر بالماضى للدلالة على تحقق الوقوع، أو أن كل آت قريب.

س٣: قال الله تعالى: ﴿وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (النحل: ٥).

ما سر تقديم الملبوس وهو الدفء والمنافع على الأكل؟

الجواب: قدم الملبوس على الأكل لأن الملبوس يبقى زماناً طويلاً غالباً فقدمه.

س٤: قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ (النحل: ٦)،

لِمَ قدَّم «تريحون» على «تسرحون» مع أن السرح يكون أولاً ثم تكون الإراحة وهى عود الدواب إلى حظائرها؟

الجواب: قدَّم «تريحون» على «تسرحون» لأن النعمة أظهر على الأنعام عند الروحة؛ لأنها تعود ممتلئة البطون ممتلئة الضروع، وفى السرح جمال أيضاً، فالرعاة إذا سرحوها بالغداة وروحوها بالعشى زينت هذه الأنعام الطرق والأفنية، واختلط ثغاء الغنم برغاء الإبل، وعلا خوار البقر، فكان فى هذه المشاهد جمال يحسه من يربى تلك الأنعام.

س٥: قال تعالى: ﴿يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل: ١١).

لماذا قدَّم الزرع على الزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات؟

الجواب: قدَّم الزرع لأن الحاجة إليه أمسّ من غيره، فالزرع يكون منه الحب الذى منه القوت للإنسان والحيوان، وثنى بالزيتون لأنه إدام للقوت الذى يخرج من الزرع، وشجرته

(١) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور جـ ١١ ص١٠١، ١٠٢.

مباركة، ومن دهنه ينير الإنسان لياليه، ثم ثلّث بالنخيل لأن التمر غذاء للإنسان على مدار السنة، فيأكله رُطباً وتمراً، وأتى بالأعناب بعده لأنه يكون منه الغذاء وهو زبيب ويتفكه به وهو عنب، ثم أتى بباقى الثمرات بعد ذلك.

لطيفة: ذكر الله النخيل ولم يذكر التمر لأن النخلة يستفيد الإنسان بكل جزء منها، فيستفيد بخوصها فى عمل أوعية يستخدمها، ويستفيد بجريدها فى سقف بيته، ويستفيد بليفها فى استحمامه ويصنع منه الجرير، ويستفيد بعراجينها فى تنظيف بيته ويستفيد بجمارها فكل جزء منها ينتفع به الإنسان، ولقد شبهها الرسول ﷺ بالمسلم ،فعن ابن عمر عن النبى ﷺ قال: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم، حدثونى ما هى؟ قال: فوقع النّاس فى شجر البوادى، قال عبد الله: فوقع فى نفسى أنها النخلة ثم قالوا: حدثنا ما هى يا رسول الله؟ قال: هى النخلة» [1].

س٦: قال الله فى الآية السابقة: ﴿يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، و قال تعالى: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ (النحل: ١٣)**، و قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾** (النحل: ٦٥)**. وقال تعالى: ﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾** (النحل: ٦٧)**. وقال تعالى: ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾** (النحل: ٦٩)**. و قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾** (النحل: ١٢)**، ما سر الإفراد فى الآيات الخمس فقال ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً﴾ وسر الجمع فى الآية الأخيرة فقال ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ﴾ ؟**

الجواب: المشار إليه فى الآيات الخمس مفرد وهو فى الآية الأولى «الإنبات»، وفى الثانية «الذرء» وهو المخلوق المختلف الألوان، وفى الآية الثالثة «الماء الذى ينزل من السماء»، وفى الرابعة «المتخذ المسكر» وفى الخامسة «ما يخرج من بطون النحل» وهو العسل، فكان قوله: «إن فى ذلك لآية» بالإفراد لمطابقة المفرد، وجمع فى الآية الأخيرة لأن المشار إليه متعدد، وهو الليل والنهار

---

(١) صحيح البخارى جـ ١ ص٣٨ كتاب العلم ، باب: طرح المسألة.

والشمس والقمر والنجوم وكلمة «مسخرات» بالجمع أيضاً، فأتت كلمة «آيات» بالجمع لمطابقة هذا الجمع.

س٧: قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ (النحل: ١٤).

ما سر وصف الله السمك بكونه «طرياً» ؟

الجواب: لقد وصفه الله بالطراوة لأن الفساد يكون سريعاً إليه وخاصة فى الصيف، وكلما بقى بعد صيده وقتاً طويلاً ذهبت فوائده.

لطيفة: قال الزمخشرى: (ما بال الفقهاء قالوا: إذا حلف الرجل لا يأكل لحماً فأكل سمكاً لم يحنث. والله تعالى سماه لحماً كما ترى؟ قلت: مبنى الإيمان على العادة وعادة النّاس، إذا ذكر اللحم على الإطلاق لا يفهم منه السمك، وإذا قال الرجل لغلامه اشتر بهذه الدراهم لحماً، فجاء بالسمك كان حقيقاً بالإنكار، ومثاله أن الله تعالى سمّى الكافر دابة فى قوله: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللّهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ (الأنفال: ٥٥)، **فلو حلف حالف أنه لا يركب دابة فركب كافراً لم يحنث، لقد بلغ عدم الحنث فى هذه المسألة من أبى حنيفة رضى الله عنه إلى سفيان الثورى فأنكره واحتج بآية سورة النحل بأن الله سماه لحماً، فلو حلف إنسان أنه لا يأكل لحماً فأكل سمكاً حنث عند سفيان، فبعث إليه أبو حنيفة رجلاً وسأله عن رجل حلف لا يصلى على بساط فصلى على الأرض هل يحنث أم لا؟ فقال سفيان: لا يحنث، فقال أبو حنيفة: أليس أن الله تعالى قال:** ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ (نوح: ١٩). **فعرف سفيان أن ذلك تلقين أبى حنيفة.**

س٨: قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ (النحل: ١٤). **كيف يخاطب الله المسلمين الذكور بقوله:** ﴿وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ **واللؤلؤ والمرجان يتزين بهما النساء وهما محرمان على الرجال؟**

الجواب: المراد بالحلية حلية النساء، والمراد بقوله: «تلبسونها» أى: تلبسها نساؤكم وتتزين النساء لأجلكم.

س٩: قال تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ (النحل: ١٥)،

ما معنى ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ **؟**

الجواب: من وجهين:

١- الكلام على حذف مضاف تقديره «كراهة أن تميد بكم».

٢- قدر الكوفيون فى هذه الآية وأضرابها كلمة «لئلا» حتى يستقيم المعنى، وهذا كقوله تعالى: ﴿يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ﴾ (النساء: ١٧٦).

ﷺ س١٠: قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ، أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ (النحل: ٢٠ ، ٢١)، **ما سر مجيء ﴿غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ مع أن كلمة أموات تدل عليها؟ وكيف ينفى عن الأصنام كونهم «لا يشعرون» وهم لا يشعرون؟**

الجواب: أتى بكلمة «غير أحياء» للتأكيد، فلقد اعتقد الكفرة أن بها حياة فأتى بالكلمة بعد أموات للتوكيد. ونفى الشعور عن الأصنام وهم لا يشعرون، جرياً على ما اعتقد المشركون من شعور تلك الأصنام.

ﷺ س١١: قال تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ (النحل: ٢٤).

و قال تعالى : ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْاْ مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْرًا﴾ (النحل: ٣٠).

ما سر رفع «أساطير» فى الآية الأولى ونصب «خيراً» فى الثانية مع أن موقعهما واحد؟

الجواب: رفع الأول ونصب الثانى للفصل بين الجوابين، فالجواب الأول جواب الكافرين الجاحدين، والجواب الثانى جواب الموحدين المقرين، فجواب الكافرين مضطرب صادر من متحيرين قالوا عن القرآن: سحر وكهانة وشعر وأساطير الأولين، وأعانه عليه قوم آخرون، أما المؤمنون فحين سئلوا لم يتلعثموا، بل قالوا الحقيقة، وكان الجواب مطابقاً للسؤال مفعولاً لأنزل، وأفاد التنكير فى «خيراً» التعظيم والتفخيم.

ﷺ س١٢: قال تعالى : ﴿لِيَحْمِلُواْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلاَ سَاء مَا يَزِرُونَ﴾ (النحل: ٢٥)، وقال تعالى : ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (العنكبوت: ١٣)، وقال تعالى : ﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الزمر: ٧)، **كيف ندرأ هذا التناقض المتوهم بين مفهوم الآيتين الأولى والثانية وبين الآية الثالثة؟**

الجواب: الأصل أنه لا تحمل نفس آثمة ذنب نفس أخرى فكل نفس تحمل إثمها إلاَّ نفساً أضلَّت وتسببت فى إضلال نفس أخرى فأوردتها موارد الهلاك كالكافر إذا سعى فى إضلال غيره بأساليبه وطاوعه هذا الآخر، كان على الكافر ذنب آخر يحمله على ذنبه وهو ذنب الآخر، قال رسول الله ﷺ : «من سنَّ فى الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها، ولا ينقص من أجورهم شيء، ومن سنَّ فى الإسلام سنة سيئة فعُمل بها بعده، كتب عليه وزر من عمل بها، ولا يَنقُص من أوزارهم شيء»[1].

(١) صحيح مسلم جـ ٤ ص٢٠٦٠ كتاب العلم ، باب «من سن سنة حسنة أو سيئة» .

﷽ **س١٣: قال تعالى :** ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾ (النحل: ٢٦). **ما سر ذكر كلمة ﴿مِن فَوْقِهِمْ﴾ مع أن السقف يكون من فوق؟**

الجواب : من وجهين :

١- ذكر الفوق للتوكيد .

٢- قد يسقط السقف وهم ليسوا تحته فأتت كلمة «من فوقهم» لتؤكد أنهم تحته.

﷽ **س١٤: قال تعالى :** ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٣٢).

الأمر بدخول الجنة لا يكون إلاَّ يوم القيامة وبعد الحساب فكيف يقولون لهم ذلك عند الوفاة؟

الجواب : أن الأمر بالدخول فى الجنة بشارة وتقال للطيبين فى مواطن عدة. عند الموت وفى القبر ويوم البعث.

﷽ **س١٥: قال الله تعالى :** ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (النحل: ٤٠).

المخاطب فى قوله «كن» ليس موجوداً أبداً، لأنه إن كان موجوداً كان الأمر بإيجاده تحصيل حاصل وهذا عبث والعبث على الله محال؟ وإن كان المخاطب غير موجود فكيف يخاطب الله معدوماً بقوله : «كن» ؟

الجواب : هذا تمثيل وتقريب للعقول البشرية لنفى التعب والمعاجلة، وخطاب للبشر بما يعقلون لأن كل ما أراده الله كائن على كل حال من الإسراع.

﷽ **س١٦: قال تعالى :** ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ، أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (النحل: ٤٦ - ٤٧). **لمن هذا التخوف الوارد فى الآية ؟**

الجواب : هذا التخوف للذين ﴿مَكَرُواْ السَّيِّئَاتِ﴾ فهل يأمنون ﴿أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ، أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ﴾ أى متقلبين فى مسايرهم ومتاجرهم ومعايشهم، أو يأخذهم وهم متخوفون من نزول العذاب بهم، أو أن يهلك الله قوماً قبلهم فيتخوفوا، فيأخذهم بالعذاب وهم خائفون متوقعون نزوله، أو المعنى: أنه يأخذهم على تنقصهم شيئاً فشيئاً فى أنفسهم وأموالهم حتى يهلكوا، وهذه الآية جعلت عمر بن الخطاب يلقيها على المنبر فقال (ما تقولون فى قول الله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾؟ فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال: هذه لغتنا: التخوف: التنقص قال فهل تعرف العرب ذلك فى أشعارها؟ قال: نعم قال شاعرنا:

تَخَوَّفَ السَّيْرُ مِنْهَا تامِكاً قَرِداً ... كَمَا تَخَوَّفَ عُودَ النَّبْعَةِ السَّفَنُ[1]

فلما سمع عُمَرُ البيت وهو لأبى كبير الهذلى، وقيل لزهير، قال: أيها النّاس عليكم بديوانكم لا يضل، قالوا: وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية فإن فيه تفسير كتابكم [2].

س١٧: قال الله تعالى : ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْاْ إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلاَلُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالْشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ (النحل: ٤٨) **لِمَ عدَّى الفعل «يروا» بإلى وهو يتعدى بنفسه؟ ولم أفرد «اليمين» وجمع الشمائل؟**

الجواب: عدَّى الفعل «يروا» بإلى، لأنه ضمنه معنى النظر: أى: أو لم ينظروا إلى ما خلق الله. وأفرد اليمين على إرادة الجمع كقوله تعالى: ﴿وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ أى الأدبار، أو أن معنى «اليمين أى جهة المشرق، فالمنطقة التى تشرق عليها الشمس واحدة فكانت اليمين واحدة، وأما الشمائل فالمراد بها الانحرافات الواقعة فى الظلال بعد وقوعها على الأرض وهى كثيرة [3].

س١٨: قال تعالى : ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَالْمَلآئِكَةُ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (سورة النحل: ٤٩)، **سجود المكلفين العقلاء خلاف سجود غيرهم من غير العقلاء فكيف عبر عن العقلاء وغير العقلاء بلفظ واحد وهو «يسجد»؟ ولماذا لم يأت «بِمَنْ» بدل «ما» ليغلِّب العقلاء على غير العقلاء كما هى عادة الآيات القرآنية؟**

الجواب: المراد بسجود المكلفين العقلاء فى الآية : طاعتهم لله وعبادتهم له، والمراد بسجود غير العقلاء: انقيادهم لإرادة الله وتسخيرهم فيما خلقوا له، والمعنيان تجمعهما كلمة «سجود»، فعبر عنه بقوله: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ أما مجيء «ما» فقد وردت على طبيعة السياق. فهى للعاقل وغير العاقل، أما «مَنْ» فهى للعاقل فقط.

س١٩: قال الله تعالى : ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (النحل: ٥٠). **هذه الآية تثبت الجهة لله تعالى فكيف نصرفها؟**

الجواب: من وجهين :

١- المراد بالفوقية فوقية الرفعة وسمو المنزلة.

---

(١) التخوف: هو التنقص شيئاً فشيئاً ، و التامك: السنان المرتفع و النبعة نوع من الشجر: و السفن: بفتح السين والفاء: المبرد الحديد ينحت به الخشب.

(٢) الكشاف جـ ٣ ص٤٣٩.

(٣) الروض الريان جـ ١ ص١٩٣ بتصريف.

٢- الآية فيها مقدر محذوف. والمراد يخافون عذاب ربهم أن ينزل من فوقهم.

﴿ س٢٠: قال تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لاَ تَتَّخِذُواْ إِلـهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلـهٌ وَاحِدٌ فَإيَّـايَ فَـارْهَبُونِ﴾ (النحل: ٥١) **في اللغة العربية يجمعون بين العدد والمعدود فيما سوى واحد واثنين فنقول رجل للدلال على الواحد واثنين للدلالة على رجلين، أما ما سوى هذين العددين فيجمع بين العدد والمعدود، فنقول: رجال ثلاثة وخمسة رجال إلى غير ذلك، فما سر الجمع في هذه الآية فقال: «إلهين اثنين» «إنما هو إله واحد» ؟**

﴿ **الجواب:** الاسم الدال على الإفراد والتثنية يدل على أمرين: الجنس، والعدد الخاص به، فإن أريد الدلالة على أن المَعْنِيَّ هو العدد، يساق الحديث للعدد مشفوعاً بما يؤكده «إله واحد» وعلى ذلك فقس، فإن لم تؤكده بواحد لم يحسن الكلام وخُيِّلَ للسامع أنك تثبت الألوهية لا الوحدانية.

﴿ س٢١: قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَكِن يُـؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (النحل: ٦١)، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَـرَكَ عَلَـى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (فاطر: ٤٥)،

أضاف الظلم إلى كل النَّاس والظلم معصية والأنبياء معصومون فكيف ندرأ ذلك؟ والمراد بقوله «عليها» في الآية الأولى الأرض وهى تفهم من السياق والمراد بقوله «على ظهرها» أى الأرض، فما سر مجيء الظهر في الآية الثانية؟

﴿ **الجواب:** المراد بالناس في الآية الأولى هم الظالمون فأل للعهد وتفهم من السياق فلا تشمل الأنبياء ولا المؤمنين المخلصين.

وفى اللغة العربية يأتى الضمير المؤنث كناية عن الأرض وغيرها، فالعرب تجوِّز هذا فيقولون: «فلان أفضل مَن عليها» أى على الأرض، ويقولون: «فلان أكرم من تحتها» يريدون السماء، ويقولون عن الأصابع من اليد الواحدة: «والذى شقهن خمساً»، وجوزوا هذا لحصول كلام بين متكلم وسامع، ولما كان الضمير فى الآية الأولى كناية عن غير مذكور فى السياق وهى الأرض لم يسق الظهر لئلا يلتبس الكلام بالدابة المذكورة، لأن الظهر أكثر ما يستعمل فى الدابة، وفى الآية الثانية سبقها ذكر الأرض مرتين فى الآية السابقة عليها وهى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ﴾ (فاطر: ٤٤). فذكر الظهر حيث لا يكون التباس، وهناك وجهة نظر أخرى،

قيل: (إنما قال فى النحل بظلمهم ولم يقل على ظهرها احترازاً عن الجمع بين الظائتين؛ لأنها تثقل فى الكلام وليست لأمة من الأمم سوى العرب)[1].

س٢٢: قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ﴾ (النحل: ٦٦)

و قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ (المؤمنون: ٢١)

لِمَ ذكَّر الضمير فى «بطونه» فى الآية الأولى وأنث فى الثانية فقال: «بطونها» ؟

الجواب: أن لفظ أنعام مفرد لا جمع له كرهط وقوم، وهو فى معناه جمع لأنه يشمل أجناساً متعددة من الدواب، فأفرد فى الآية الأولى مراعاة للفظ وجمع فى الثانية لأن الضمير المؤنث يعود على الجمع فى معنى الأنعام.

س٢٣: قال الله تعالى: ﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ (النحل: ٦٧) ، **كيف يسوق الله «السَّكَر» وهو حرام فى مقام تذكيرهم بنعم الله عليهم؟**

الجواب: أن الله يلفت انتباههم إلى شىء أدمنوه ويجدون فيه لذة، فذكرهم بأشجاره، وكان هذا قبل تحريم الخمر فآية المائدة نسخت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾ (المائدة: ٩٠)، وذكَّر الضمير «منه» مع أنه يعود على جمع مؤنث وهو ثمرات لأنه أراد: ومن ثمرات النخيل «ثمَرٌ» تتخذون منه.

س٢٤: قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ شَيْئًا وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ﴾ (النحل: ٧٣). **لماذا أفرد الضمير فى «يملك» والضمير «هو» مع أنه يعود على «ما» ؟ ولماذا جمع فى «لا يستطيعون» والواو تعود على «ما» أيضاً؟ ولماذا جمعها جمع العقلاء؟**

الجواب: أفرد الضمير لأنه يعود على لفظ «ما» واللفظ مفرد، وجمع الضمير فى «يستطيعون» مراعاة لمعنى «ما» فهى تفيد العموم، وجمعها جمع العقلاء جرياً على معتقديها بأنها تعقل وتنفع وتضر وهى الأصنام المعبودة من دون الله.

س٢٥: قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْدًا مَّمْلُوكًا لاَّ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٧٥). **العبد هو المملوك فلماذا وصفه بوصف زائد «مملوكاً»؟ ولِمَ عبَّر بالجمع فى قوله: ﴿هَلْ يَسْتَوُونَ﴾ مع أن السياق للمثنى: ﴿عَبْدًا مَّمْلُوكًا﴾ و﴿وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا﴾ ؟**

---

(١) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز جـ ١ ص٢٨٤.

﴿ﷲ﴾ **الجواب:** ذكر الوصف الزائد «مملوكاً» حتى يتميز العبد المملوك عن العبد المملوك لله، فهى عبودية الخالق: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ (مريم: ٩٣)، فذكر «مملوكاً» ليميزه عن الحر.

وعبَّر بالجمع فى ﴿هَلْ يَسْتَوُونَ﴾ لأن العبد المملوك عام والمراد بـ «مَنْ» رزقناه اسم الموصول وهو من ألفاظ العموم، فيكون المعنى «هل يستوى الأحرار والعبيد».

س٢٦: قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (النحل: ٧٨).

لقد عطف جملة ﴿جَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ﴾ على جملة ﴿أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ وهذا يقتضى جعل السمع والأبصار والأفئدة متأخرة بعد الإخراج من البطون، والأمر ليس كذلك لأنها خلقت فى الأرحام قبل الإخراج؟ ولماذا أفرد السمع دون الأبصار والأفئدة؟

﴿ﷲ﴾ **الجواب: لقد عطف جملة «جعل» على «أخرجكم» بحرف الواو، وهو لا يوجب الترتيب، وأفرد السمع لأنه مصدر وهو يطلق على المفرد والمثنى والجمع، وقدَّم السمع على بقية الأعضاء المذكورة لأنه هو الذى يعمل قبل الأبصار، فالمولود لا يرى الأشياء إلاَّ بعد أيام من ولادته أما السمع فيعمل مباشرة بعد أن تزول الأجزاء الهلامية من طريق السمع وهى الفتحات.**

س٢٧: قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلاَلاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ (النحل: ٨١).

لِمَ لَمْ يذكر البرد مع أن السرابيل تكون للبرد أكثر؟

﴿ﷲ﴾ **الجواب:** من وجوه:

١- **لم يذكر البرد اكتفاء بذكر الحر، لأن حصول الضد فى الذهن يستلزم حضور الضد الآخر، فكان مكتفياً بأحدهما عن الآخر، وذكر الحر دون البرد لأن بلاد العرب يسودها طقس حار على مدار السنة غالباً.**

٢- **ذكر الحر يغنى عن ذكر البرد، لأن جعل السرابيل فى الحر يكون أولى منه جعلَ سرابيل تقى من البرد.**

س٢٨: قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ (النحل: ٨٩). **هذه الآية تبين أن القرآن تبيان لكل شىء، فلو بحثنا فيه تفاصيل كثير من العلوم والمعارف لا نجدها؟**

﴿الله﴾ **الجواب:** المراد بكل شيء من أمور الدين سواء المتعلقة بالدنيا أو بالآخرة.

س٢٩: قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ (النحل: ٩٧)، «مَنْ» **تفيد العموم فما فائدة** ﴿مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى﴾ ؟

﴿الله﴾ **الجواب:** فائدة ﴿مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى﴾ أنها أفادت دفع التخصيص لأحد الجنسين دون الآخر، فأفادت الذكور والإناث.

س٣٠: قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (النحل: ٩٨).

الفاء للترتيب والتعقيب وهذا يقتضى أن تكون الاستعاذة بعد القراءة

﴿الله﴾ **الجواب:** هناك مذهبان:

الأول: أن الاستعاذة بعد القراءة، وحجتهم أن القارئ إذا قرأ القرآن حصل له أجر عظيم، فإذا لم يستعذ بالله وقعت الوساوس فى قلبه وشغلته عن شكر ما حصل عليه من الثواب، فيحبط ثواب قراءته .

الثانى: أن الاستعاذة قبل القراءة، وعليه جمهور القراء، ويكون معنى الآية: إذا أردت قراءة القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم.

س٣١: قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ﴾ (النحل: ١١٢). **وقع تكرار فى قوله: «آمنة» و«مطمئنة» وهذا يخالف البلاغة ؟ وأتى بجمع القلة «أنعُم» فتكون القرية كفرت بأنواع قليلة من نعم الله فكيف ندرأ هذا؟**

﴿الله﴾ **الجواب:** أن كلمة «آمنة» أى ذات أمن حتى فى زمن الخوف، و«مطمئنة» مستقرون بها لا يأتى من يخرجهم منها، فليس فى الآية تكرار.

أما التعبير بجمع القلة دون جمع الكثرة «نِعَم» فالمقصود التنبيه بالأدنى على الأعلى، أى: أنهم كفروا بأقل النعم، ومن باب أولى أنهم كفروا بأكثر النعم.

لطيفة: قال الله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (النحل: ١٠٦) هذه الآية نزلت فى قوم من المؤمنين المستضعفين فى مكة (فتنوا فارتدوا عن الإسلام بعد دخولهم فيه، وكان فيهم من أكره فأجرى كلمة الكفر على لسانه[1] وهو معتقد للإيمان، منهم: عمار وأبوه «ياسر»

(١) هو عمار بن ياسر

وأمه «سمية» و«صهيب» و«بلال» و«خباب» و«سالم» عُذِّبوا، فأما «سمية»فقد رُبطت بين بعيرين ووجئ فى قلبها بحربة وقالوا: إنك أسلمتِ من أجل الرجال فقتلت، وقُتل «ياسر» زوجها، وهما أول شهيدين فى الإسلام، وأما «عمار» فقد أعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرهاً، فقيل : يا رسول الله إن عماراً كفر ، فقال: كلا إن عماراً مُلئ إيماناً من قرنه إلى قدمه، واختلط الإيمان بلحمه ودمه، فأتى «عمار» رسول الله ﷺ وهو يبكى فجعل النبى ﷺ يمسح عينيه وقال: مالك؟ «إن عادوا فعد لهم بما قلت، ومنهم جبر مولى الحضرمى أكرهه سيده فكفر ثم أسلم مولاه وأسلم وحسن إسلامهما وهاجرا) [1].

فأى الأمرين أفضل، ما فعله عمار أم ما فعله أبواه؟

ما فعله عمار فيه رخصة فقد أخذ بالرخصة ﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾، وما فعله أبواه وغيرهما كما يأتى فيه ترك للرخصة والإعراض عن التقية، وفيه صبر على القضاء وضرب المثل للآخرين، وفيه إعزاز للإسلام، ورضوا بتعجيل النعيم المقيم فى الفردوس الأعلى، (ولقد روى أن مسليمة أخذ رجلين من المؤمنين فقال لأحدهما : ما تقول فى محمد؟ قال: رسول الله. قال: ما تقولى فيَّ؟ قال: أنت أيضاً. فخلاه ، وقال للآخر: ما تقول فى محمد؟ قال : رسول الله ، قال: فما تقول فيَّ؟ قال: أنا أصم، فأعاد عليه ثلاثاً، فأعاد جوابه، فقتله. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: أما الأول فقد أخذ برخصة الله، وأما الثانى : فقد صدع بالحق فهنيئاً له [2]) [3]

وذكر الحافظ ابن كثير فى تفسيره عند تفسيره لسورة الفجر: (ذكر الحافظ محمد بن المنذر الهروى المعروف بشكر فى كتاب العجائب عن قباث بن رزين أبى هاشم قال: أسرت فى بلاد الروم، فجمعنا الملك وعرض علينا دينه على أن من امتنع ضربت عنقه فارتد ثلاثة، وجاء الرابع فامتنع فضربت عنقه وألقى رأسه فى نهر هناك فرسب فى الماء ثم طفا على وجه الماء ونظر إلى أولئك الثلاثة فقال: يا فلان ويا فلان ويا فلان ، يناديهم بأسمائهم، قال الله تعالى فى كتابه ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ، ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً، فَادْخُلِي فِي عِبَادِي، وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ (الفجر: ٢٧ - ٣٠)**، ثم غاص فى الماء. وقال: فكادت النصارى أن يسلموا ووقع سرير**

(١) الكشاف جـ ٣ ص٤٧٥ - ٤٧٦ بتصريف.

(٢) ذكر الواحدى أن المقتول هو حبيب بن زيد عم عباد بن تميم . والآخر هو عبد الله بن وهب الأسلمى.

(٣) أخرجه ابن أبى شيبة فى مسنده.

الملك، ورجع أولئك الثلاثة إلى الإسلام، قال: وجاء الفداء من عند الخليفة أبى جعفر المنصور فخلصنا)[1].

س٣٢: قال الله تعالى: ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ (النحل: ١١٢)، كان السياق يقتضى أن يقول: «وكساهم لباس الجوع والخوف» لأن اللباس لا يذاق بل يلبس؟

الجواب: من وجوه:

١- أن الآية وردت على سبيل الاستعارة، وذلك أن الجوع والخوف كانا شديدين، فكأنهما أحاطا بأهل القرية من كل الجهات، فشبهت شدة الجوع والخوف باللباس بجامع الإحاطة فى كلّ، ثم حُذفت الشدة.

فلقد حصل فى ذلك الجوع والخوف حالة تشبه المذوق، وحالة تشبه الملبوس، فاعتبر الله كلا الأمرين، فقال: ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾.

ذكر الإمام فخر الدين الرازى عند تفسيره لهذه الآية: أن ابن الراوندى الزنديق، وهو أحمد بن يحيى بن إسحاق الراوندى، وكان معتزلياً يلازم الروافض والملاحدة، قصد الطعن فى القرآن فى هذه الآية فسأل ابن الأعرابى، وهو الإمام المحدث أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد بن الأعرابى صاحب التصانيف، سكن مكة وصار شيخاً للحرم، ومات سنة أربعين وثلاثمائة، قصده ابن الراوندى فسأله: هل يذاق اللباس؟ فقال له: لا بأس، ولا لباس، يا أيها النسناس، هب أنك تشك أنه كان نبياً أما كان عربياً؟ وكان قصد ابن الراوندى أن اللباس لا يذاق بل يلبس، وأجابه أن ذلك الجوع والخوف كانا شديدين، فكأنهما أحاطا بهم من كل الجهات فأشبها اللباس، والحاصل من هذه الاستعارة أنه حصل فى ذلك الجوع حالة تشبه المذوق وحالة تشبه الملبوس، فاعتبر الله كلا الأمرين.

٢- فى الآية مقدر محذوف، والتقدير: «فأذاقها الله عذاب الجوع والخوف»، وعبّر عن العذاب المحذوف باللباس لأنه عمهم وأحدق بهم.

س٣٣: قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (النحل: ١٢٠-١٢٢)، كيف يكون إبراهيم أمة وهو فرد واحد؟ وكيف تصرح الآية بأنه من بعض

(١) تفسير القرآن العظيم.

الصالحين وهو فى أعلى مقامات الصالحين؟

﴿ﷲ﴾ **الجواب:** كلمة «أمة» لها مدلولات متعددة، فمن معانيها: الجماعة من البشر يعيشون على أرض واحدة، أو المشتركون فى أمر من الأمور كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ (المؤمنون: ٥٢).

ومن معانيها: «الحين» كما فى قوله تعالى: ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ (يوسف: ٤٥).

ومن معانيها: «القدوة والإمام» كما فى هذه الآية التى نحن بصددها. فإبراهيم إمام وقدوة يؤمه النّاس ليأخذوا منه الخير، فلقد جمع صفات الخير، وجاء برسالة فيها خير. ويقوى هذا المعنى قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ (البقرة: ١٢٤).

ويجوز أن يكون إبراهيم وحده أمّة كما قال أبو نواس:

ليس على الله بمستنكر ∴ أن يجمع العالم فى واحد

وأما الشطر الثانى من السؤال: فالآية تقول: ﴿لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أى: أنه بعض الصالحين، وهو فى أعلى مقامات الصالحين، فكيف ندرأ هذا؟

والجواب عن ذلك أن الآية توضح أن الله استجاب دعوته كما طلبها إبراهيم، قال تعالى حكاية عنه: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (الشعراء: ٨٣)، وطلبها وهو يرتدى ثوب التواضع فأجابه الله تعالى بسؤاله مدحاً للتواضع، مع أن مقامه عند الله فى أعلى مقامات الصالحين، لأنه الخليل وليس فى الآية ما ينفى أن يكون فى أعلى الصالحين، وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ﴾ (الأنعام: ٨٣).

لطيفة: قوله فى الآية: ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾ فالأنعم جمع قلة، ونعم الله على إبراهيم كثيرة ولا تحصى، فاستعمال جمع القلة فى مقام جمع الكثرة واستعمال الكثرة فى القلة، وهذا يقع كثيراً فى اللغة العربية.

﴿ﷲ﴾ س٣٤: قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (النحل: ١٢٧).

و قال تعالى فى سورة النمل: ﴿وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (النمل: ٧٠).

فما سر حذف النون فى الآية الأولى وإثباتها فى الآية الثانية؟

﴿ﷲ﴾ **الجواب:** هذه الكلمة «تك» و«تكن» كثر ورودها وترددها فى القرآن الكريم فتحذف النون فيها فى مواطن تخفيفاً ومن غير قياس، بل تشبهاً بحروف العلة كما فى بعض الأسماء مثل: قاضٍ: بدون ياء، والقاضى بالياء.

وجاء الحذف فى الآية الأولى دون الآية الثانية مراعاة لما قبلها وهو قوله ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، ولقد وردت بحذف النون وإثباتها فى آية واحدة: ﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾ (لقمان: ١٦).

س٣٥: قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ (النحل: ١٢٨). لماذا قال الله فى هذه الآية وغيرها: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ﴾، و ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ولماذا لم يقل «هم معى» ؟

الجواب: قال الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ﴾، و﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ لتشريفهم ورفع منزلتهم.

(١٧) سورة الإسراء

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: (لما كان مقصود النحل التنزه عن الاستعجال وغيره من صفات النقص، والاتصاف بالكمال المنتج لأنه قادر على الأمور الهائلة، ومنها جعل الساعة كلمح البصر أو أقرب، وختمها بتفضيل إبراهيم عليه السلام والأمر باتباعه بالإشارة إلى نصر أوليائه مع ضعفهم فى ذلك الزمان وقلتهم على أعدائه على كثرتهم وقوتهم، وكان ذلك من خوارق العادات ونواقض المطردات، وأمرهم بالتأنى والإحسان، افتتح هذه – أى سورة الإسراء – بتحقيق ما أشار ذلك الختم إليه بما خرقه من العادة فى الإسراء، وتنزيه نفسه الشريفة من توهم استبعاد ذلك تنبيهاً على أنه يفعل الأمور العظيمة الشاقة) [١].

وهناك مناسبة أخرى ذكرها النيسابورى، قال: (لما عزم على نبيه فى خواتيم النحل جوامع مكارم الأخلاق حكى طرفاً مما خصه به من المعجزات) [٢].

س٢: افتتح الله هذه السورة بقوله ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً﴾ وافتتح سورة الحديد والحشر والصف بالفعل الماضى فقال ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾، وافتتح سورة الجمعة والتغابن بالفعل المضارع فقال ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ﴾، وافتتح سورة الأعلى بفعل الأمر فقال: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ فما سر ذلك؟ ولماذا خص الإسراء بالمصدر «سبحان» ؟

الجواب: لقد ورد الأسلوب مختلفاً فى الأزمنة المختلفة استيفاء للجهات المشهورة لهذه

---

(١) نظم الدرر جـ ١١ ص٢٨٧.

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان جـ ١٥ ص٥.

الكلمة وليكون تسبيح الله فى جميع الأزمنة. فنص عليه بالماضى لسبق زمنه، ونص عليه بالمضارع لشموله للحال والاستقبال، ثم نص عليه بالأمر لخصوصه بالاستقبال، وورد الأسلوب بالمصدر ليكون التسبيح مطلقاً دون التعرض للزمن. ولذلك بدأ به أول السور المتحدثة عن التسبيح فى فواتحها وهى الإسراء؛ لأنه الأصل ولأنه مشعر بالإطلاق.

س٣: قال الله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى﴾. الفعل «أسرى» والفعل «سرى» لغتان: وهما بمعنى واحد هو السير ليلاً، فما سر مجىء «أسرى» وليس «سرى»؟

الجواب: أتى الله بالفعل «أسرى» المتعدى، ومصدره «إسراء» ولم يأت بالفعل «سَرَى» ومصدره «سُرى» بضم السين؛ لأن الرسول ﷺ لم «يَسر» بنفسه وباختياره، بل هو بقدرة الله وإرادته ولذلك عُدِّى بالباء فهو الذى سيَّره بعنايته ورعايته.

س٤: قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾، ما سر التعبير بعبده دون نبيه أو رسوله؟

الجواب: مقام العبودية لله هو أشرف المقامات فقال «بعبده» وأضافه لنفسه تشريفاً للرسول ﷺ، ولو كان هناك اسم أشرف منه لسمَّاه الله ﷻ به، فانظر إلى هذا البيت:

لا تَدْعُنِى إلاَّ بِيَا عَبْدِها ∴ فإنَّه أشــرف أسمائى

يقول النيسابورى فى تفسيره (يروى أنه لما وصل النبى ﷺ إلى المراتب العلية فى معراجه أوحى الله إليه: يا محمد بم أُشَرِّفُكَ؟ فقال: يا رب: تنسبنى إلى نفسك بالعبودية، فأنزل الله فيه: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾) [(1)]. أو نقول: قال الله: ﴿أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ ولم يقل: بنبيه أو رسوله لئلا تضل أمته كما ضلت أمة المسيح عليه السلام، حيث ادعته إلها لأن الحدث خارق للعادة.

س٥: قال بعض المفكرين الذين لا يسبرون غور الآيات القرآنية: إن الإسراء والمعراج كانا مناماً، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ (الإسراء: ٦٠) فما الأدلة على أن الإسراء والمعراج كانا يقظة؟

الجواب: الإسراء والمعراج كانا يقظة ويدل على أنه كان فى اليقظة هذه الأدلة:

الأول: تصدير الآيات بقوله: **﴿سُبْحَانَ الَّذِي﴾** ولها معنيان:

١- «سبحان» مصدر وهو علم جنس للتنزيه والتقديس، ويكون معناه فى الآيات: الثناء على الله بتنزيهه وتقديسه بما هو أهله حيث وقع منه هذا الحدث المعجز.

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان جـ ١٥ ص ٥ - ٦.

٢- هذا المصدر صيغة تعجب سماعية، فأنت أيها القارئ لو رأيت منظراً بديعاً تقول: «سبحان الله»، وتصدير الآيات بتلك الصيغة يكون المعنى به: تعجبوا أو اعجبوا من قدرة الله التى وقع منها الإسراء والمعراج، فهو أمر خارق للعادة، ووقع فى جزء يسير من الليل.

وإذا عرفنا معنى «سبحان» يكون الإسراء والمعراج قد وقعا يقظة، لأنهما لو كانا مناماً لما كان هناك اعتراف بقدرة الله أو التعجب منها؛ لأن الذى يقع مناماً لا يدعو إلى الدهشة أو الإثارة.

الثانى: لقد قال الله تعالى: ﴿أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾، وفى هذه الجملة دليلان:

١- كلمة «أسرى» وهى السير ليلاً، وهل السير يكون للجسد مع الروح أو للروح فقط؟ فالسير يكون للجسد والروح معاً.

٢- كلمة «بعبده» تطلق على ذات الإنسان بجسده وروحه ولا تطلق على الروح فقط.

الثالث: فاعل «أسرى» ضمير مستتر جوازاً تقديره «هو» يعود على اسم الموصول المراد به الله ﷻ، والله على كل شيء قدير، ولا اعتراض على الله فى شيء من أفعاله، فهو الذى أسرى بعبده يقظة بقدرته.

الرابع: لو كان الحدث مناماً ما ارتد بعض المسلمين عن إسلامهم، ولما أحدث الإسراء زلزالاً فى قريش.

الخامس: إخبار الرسول ﷺ عن عير قريش وعن عدد جمالها وأحوالها وما فقد منها، فلو كان مناماً ما وقع ذلك.

السادس: إخباره عن ميقات العير، وبأنه يكون مع طلوع الشمس، ويتقدمها جمل أروق.

و أسوق رواية تؤيد الأدلة الثلاثة الأخيرة الرابع والخامس والسادس:

(يُروى أنه - أى الرسول ﷺ - كان نائماً فى بيت أم هانئ وقال: مثل لى النبيون فصليت بهم، وقام ليخرج إلى المسجد فتشبثت أم هانئ بثوبه فقال: مالك؟ قالت: أخشى أن يكذبك قومك إن أخبرتهم، قال: وإن كذبونى، فخرج فجلس إليه أبو جهل فأخبره رسول الله ﷺ بحديث الإسراء، فقال أبو جهل: يا معشر «بنى كعب بن لؤى» هلم، فحدثهم فمن بين مصفق وواضع يده على رأسه تعجباً وإنكاراً، وارتد ناس ممن كان آمن به، وسعى رجال إلى أبى بكر، فقال: إن كان قال ذلك لقد صدق، قالوا: أتصدقه على ذلك، قال: إنى لأصدقه على أبعد من ذلك،

فسمى الصديق رضي الله عنه، ومنهم من سافر إلى ثَمّ، فاستنعتوه المسجد فجُلّى له بَيْتُ المقدس. فطفق ينظر إليه وينعته لهم، فقالوا: أمَّا النعت فقد أصاب فقالوا: أخبرنا عن عيرنا. فأخبرهم بعدد جمالها وأحوالها، وقال: تَقْدُمُ يوم كذا مع طلوع الشمس، يقدمها جمل أورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال قائل منهم : والله هذه الشمس قد شرقت، وقال آخر: وهذه العير قد أقبلت يقدمها جمل أورق كما قال محمد، ثم لم يؤمنوا) [1].

لقد كانت رحلة إيمانية لاطلاعه على بعض آيات الله، فهل كان يدقق فى أوصاف المسجد الأقصى؟ كلا، فلما سألوه أطلعه الله عليه وهو جالس بينهم، روى الترمذى «عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: (لما كذَّبتنى قريش قمت فى الحِجْرِ، فجلى الله لى بيت المقدس. فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه)[2].

معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ : ليس المراد بالرؤيا الواردة فى الآية هى الرؤيا المنامية الحلمية، وإنما المراد بها رؤية العين، روى البخارى عن ابن عباس قال: «هى رؤيا عين أُرِيَهَا رسولُ الله ﷺ ليلة أسرى به إلى بيت المقدس»[3].

وسميت الرؤية العينية «رؤيا» -بالألف- لأنها وقعت ليلاً.

س٦ : قال الله تعالى : ﴿مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ .

ولقد وردت روايات تخبر بأنه كان فى بيت أم هانئ فكيف نوفق بين الآية والرواية؟

الجواب: لا خلاف بين الآية والرواية، والتوفيق بينهما من وجهين :

١- أنه كان نائماً فى بيت أم هانئ، وحمتله الملائكة إلى المسجد، وبدأت الرحلة بعد الإعداد لها بشق الصدر فى المسجد وركوب البراق.

٢- أن أرض مكة كلها حرم، فهى مسجد، فأى مكان فيها مسجد.

س٧: قال تعالى : ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ .

فلم كان إلى هذا المكان دون غيره كالوادى المقدس فى سيناء؟

الجواب: قال الشيخ الجمل: (والحكمة فى إسرائه إلى بيت المقدس دون العروج به من مكة لأنه محشر الخلائق، فيطؤه بقدمه ليسهل على أمته يوم القيامة وقوفهم ببركة أثر قدمه، أو لأنه

---

(١) البحر المحيط جـ ٦ ص٦.

(٢) الجامع الصغير جـ ٥ ص٢٨٠.

(٣) البخارى جـ ٥ ص٦٨.

مجمع أرواح الأنبياء، فأراد الله تعالى أن يشرفهم بزيارته ﷺ، وليخبر النّاس بصفاته فيصدقوه فى الباقى)[1].

وأقول: «إن المسجد الأقصى محشر الخلائق هذا فيه نظر؛ لأن الله تعالى قال عن يوم المحشر: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ (ابراهيم: ٤٨)، ويبقى أن نقول: إن الإسراء والمعراج كانا قبل الهجرة والمسلمون كانوا فى مكة وكانت مكة جحيماً يتقلبون فيه، ويتولى إيقاد النيران صناديد قريش، وتعدى الإيذاء إلى الرسول ﷺ، وابتلى آنذاك بموت السيدة خديجة وعمه أبى طالب، فكانت الرحلة اطلاعاً على بعض آيات الله، وفيها تسلية للرسول ﷺ وإشارة إلى أنه وصل إلى هذا المكان، وسيصل دينه إلى هذا المكان أيضاً، ولو حاربته قريش أو حاربه أهل الجزيرة العربية.

لطيفة: لقد صلى الرسول ﷺ بالأنبياء فى المسجد الأقصى وقدموه إماماً، وسر ذلك أن كل صاحب دين سوى الإسلام عليه أن ينخلع من دينه، وأن ينسلخ من عقيدته ويدخل فى الإسلام لأن رسوله قد اقتدى بالنبى محمد، فعليه أن يقتدى به ويؤمن برسالته ويلزم جماعة المسلمين، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران: ٨٥)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ﴾ (آل عمران: ١٩).

س٨: قال الله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً﴾.

الإسراء: هو السير ليلاً، فما سر مجيء كلمة «ليلاً» مع تنكيرها؟

الجواب: ذكر كلمة «ليلاً» يفيد أن الحدث وقع فى جزء يسير من الليل، ولم يستغرق الليل كله؛ لأن التنكير يفيد أمرين:

الأول: التقليل والتحقير. **الثانى:** التفخيم والتعظيم

والسياق هو الذى يدل على أحد الأمرين، فأفاد التنكيّر التقليل.

لطائف: لقد أسرى برسول الله ﷺ، وعرج به إلى السموات وما بعدها، ثم عاد إلى مضجعه فوجده لا يزال دافئاً، وهذا لا يدعو إلى إنكار الحدث، أو القول بأنه كان مناماً؛ لأن الرسول ﷺ انتقل إلى المسجد الأقصى بدابة يقال لها: البراق مسافة خطوه عند منتهى طرفه – أى بصره – كما ورد فى الأحاديث الصحيحة، وكانت الرحلة على هذه الهيئة لأن الله سيطلعه على آيات

---

(١) الفتوحات الإلهية جـ ٢ ص٦٠٨ ، ٦٠٩ .

وهو فى طريقه إلى المسجد الأقصى، ولو كانت بغير ذلك لا يرى تلك الآيات، أما المعراج : فهو الصعود إلى السموات، فلقد خرج الرسول ﷺ عن نطاق الأرض، وحين تركها أصبح فى زمن غير زمن الأرض، فلا تقاس الأحداث بزمن الأرض بل هو فى زمن آخر.

س٩: قال تعالى : ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ، **وقال تعالى :** ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ (الأنعام: ٧٥).
التعبير بكلمة «ملكوت السموات» يوحى بأن إبراهيم رأى أكثر من الرسول ﷺ فهل هذا صحيح؟

الجواب : ليس هذا صحيحاً، لأن الرسول ﷺ رأى آيات أكثر من الخليل عليه السلام. والأدلة على ذلك ما يأتى:

١- ملكوت السموات والأرض ليس كل آيات الله بل هو بعض آيات الله.

٢- التعبير بقوله : ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ يدل على الجمع فى الآيات، وإضافة الجمع إلى «نا» وهو ضمير الجمع للمعظم نفسه يفيد التشريف، وتكتسب الآيات عظماً بحسب ما أضيفت إليه وهو الله ﷻ، أما الإضافة فى ملكوت فهى مضافة إلى السموات، وهل السموات أعظم أم الله؟ والحقيقة : أنه الله، وتستشعر هذه العظمة فى قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (الزمر: ٦٧).

٣- لقد وصل الرسول ﷺ فى تلك الليلة إلى مقام لم يصله رسول من قبله، حتى إن جبريل تأخر وتقدم ﷺ، ورأى الله ﷻ وحياه وخاطبه، فالذى رآه الرسول ﷺ أعظم مما رآه إبراهيم الخليل عليه السلام.

س١٠: قال تعالى : ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا، فَإِذَا جَاء وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً﴾ (الإسراء: ٤ - ٥). **لقد اختلف العلماء فى هؤلاء العباد، فقيل: سنحاريب وجنوده، وقيل: حفيده بختنصَّر، وقيل: جالوت، وهؤلاء كفرة فكيف يقول الله: ﴿عِبَادًا لَّنَا﴾ وهم كفرة؟**

الجواب : العبودية نوعان:

١- عبودية عامة وهى عبودية الخلق، فالله خالق مؤمنهم وكافرهم، فالكل عبيده كما فى قوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ (مريم: ٩٣).

٢- عبودية خاصة كما في قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا﴾ (الفرقان: ٦٣).

فالمراد بالعبودية فى قوله تعالى: ﴿عِبَادًا لَّنَا﴾ هى العبودية العامة.

س١١: قال الله تعالى: ﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء: ٩).

و قال تعالى: ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ (الكهف: ٢).

ما سر وصف الأجر فى الآية الأولى بقوله: «كبيراً» ووصفه فى الآية الثانية بقوله: «حسناً»؟

الجواب: الوصفان هما لموصوف واحد هو أجر المؤمنين العاملين، أما وصفه بـ «كبيراً» فى الآية الأولى فلكونه عظيماً وكبيراً، وأما وصفه بالحسن فلأن صاحبه يراه فيسر به ويظهر أثره على مُحَيَّاه، وخصت الآية الأولى فى سورة الإسراء بقوله: «كبيراً» مراعاة لفواصل الآيات قبلها وبعدها، فالفواصل التى قبلها هى «نفيرا وتتبيرا وحصيرا » والفواصل التى بعدها «أليما وعجولا وتفصيلا» وخصت آية سورة الكهف بقوله: «حسناً» مراعاة لما تقتضيه الآيات قبله وبعده، فقبله: «عوجاً»، وبعده: «أبداً» و«ولداً».

فلسفة زائفة:

قال الله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (الإسراء: ٢٣).

زعم بعض الفلاسفة: أن الدنيا دار شقاء وبلاء وفساد وتعاسة. ولما كان الوالدان هما السبب المباشر فى وجود الابن حمّلوهما مسئولية هذا الشقاء، فلقد طلبا الوقاع والجماع واللذة، فأتى الولد على أثر ذلك إلى الوجود فى عالم الآفات والمخافات، فأى إنعام للأبوين على الابن؟

(حكى أن واحداً من المتسمين بالحكمة كان يضرب أباه ويقول: هو الذى أدخلنى فى عالم الكون والفساد، وعرضنى للموت والفقر والزمانة والعمى وقيل لأبى العلاء المعرى: ماذا نكتب على قبرك قال: اكتبوا عليه:

هذا جناه أبى علىّ ∴ وماجنيت على أحد

وقال فى ترك التزوج والولد:

وَأَرَحتُ أولادي فَهُم في نِعمَةِ الـ ∴ ـعَدَمِ الَّتي فَضَلَت نَعيمَ العاجِلِ

وَلَو اَنَّهُم ظَهَروا لَعانوا شِدَّةً ∴ تَرميهُمُ في مُتلِفاتِ هَواجِلِ

وقيل للإسكندر: أستاذك أعظم منّة عليك أم والدك؟ فقال: الأستاذ أعظم منّة لأنه تحمل أنواع

الشدائد والمحن عند تعليمي، أرتعني في نور العلم، وأما الوالد فإنّه طلب تحصيل لذة الوقاع لنفسه، وأخرجني إلى آفات عالم الكون والفساد) [1].

وهذه فلسفة زائفة ونظرة خاطئة، لقد خلق الله الذكر والأنثى، وغرس فيهما نداء الفطرة مقروناً بلذة ليلتقي الذكر بالأنثى، ولولا هذه اللذة ما كان هناك لقاء وما كانت هناك ثمرة للذة، وهي وجود الابن، ولكن من أجل الولد هناك اللذة، وهي لذة في دقائق قصيرة وراءها جبال من المتاعب من أجل هذا الولد تستمر سنين طويلة، يعيشانها في ظل الآلام والتربية حتى يكبر. أهذه المتاعب لذة؟ وإذا لم يرزقهما الله الولد يشقيان بالطواف على الأطباء ومعامل التحاليل، أفي لذتهما عند لقاء الفطرة سعادة؟ كلا، لأنها بغير ثمرة.

ومن جهة أخرى: لقد أمر الله ببر الوالدين عقب كل آية فيها أمر بعبادة الله وحده، فعلى سبيل المثال: ﴿وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (النساء: ٣٦). فإذا أمر الله بذلك لا يُسأل عن السبب.

س١٢: قال الله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا﴾ (الإسراء: ٢٣).

لقد ورد السياق في النهي في قوله: «ألا تعبدوا» للجمع، وتغير الخطاب إلى المفرد في قوله: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ﴾ فما سر ذلك؟

الجواب: تغير الخطاب وهو النهي من الجمع إلى المفرد ليكون بر الوالدين فرض عين على كل ابن، ولا يكون فرض كفاية؛ إذا فعله أحد الأبناء سقط الإثم والحرج عن الباقين، فالخطاب موجه إلى كل ابن على التعيين وليس على الجميع، ولقد ذكرت كلمة «عندك» لتحقق هذا الخطاب.

س١٣: لقد ورد الأمر ببر الوالدين في جميع مراحل حياتهما فلم نصت الآية ببرهما في الكبر؟

الجواب: الأمر ببر الوالدين في جميع مراحل حياتهما، والنهي عن التلفظ بكلمة «أف» في جميع مراحل حياتهما، وخصت الآية البر في مرحلة الكبر لأنهما يكونان في طور العجز والوهن، فهما أحوج ما يكون إلى ابنهما، وذكرت الآية كلمة «عندك» لتبيّن أنهما يكونان في بيته وكنفه، ويتولى رعايتهما بنفسه، كما كانا يتوليان رعايته إبان عجزه في طفولته، فكانا يفعلان

(١) مفاتيح الغيب جـ ١٠ ص١٨٥ - ١٨٦.

ذلك ويتمنيان له البقاء وطول الأجل، فعليه أن يبرهما ولا يتمنى موتهما أو موت أحدهما، فما يفعله الأبناء فى آبائهم يصنعه الأحفاد معهم.

لطيفة: قال أبو السعود فى تفسيره (روى أن شيخاً أتى النبى ﷺ فقال: إن ابنى هذا له مال كثير، وإنه لا ينفق علىَّ من ماله فنزل جبريل عليه السلام وقال: إن هذا الشيخ قد أنشأ فى ابنه أبياتاً ما قُرِعَ سَمْعٌ بمثلها، فاستنشدها فأنشدها الشيخ فقال:

غَــذَوْتُكَ مولــوداً وَعُلتُــكَ يافِعــاً	تُعَــلُّ بمــا أجــني عَلَيــكَ وَتَنهــلُ
إذا لَيلَــةٌ نابَتــكَ بالشَــكو لَــم	أَبِــت لِشَــكواكَ إلاّ ســاهِراً أَتَمَلمَــلُ
كَــأَني أنــا المَطــروقُ دونَــكَ بِالَّــذي	طُرِقْــتَ بِــهِ دونــي فَعَينــايَ تَهمُــلُ
تَخــافُ الـرَدى نَفسـي عَلَيـكَ وَإِنَّـني	لأَعلَــمُ أَنَ المَــوتَ حَــتمٌ مُؤَجَّــلُ
فَلَمّــا بَلَغْــت السِّــنَ وَالغايَــةَ الَّــتي	إليهــا مَــدى مــا كُنــتُ فيــكَ أُؤَمِــلُ
جَعَلْــتَ جَزائــي غِلظَــةً وَفَظاظَــةً	كَأَنَّــكَ أَنــتَ المُــنعِمُ المُتَفَضِــلُ
فَلَيتَــكَ إذ لَــم تَــرعَ حَــقَّ أُبــوَّتي	فَعَلْــتَ كَمــا الجــارُ المُجــاوِرُ يَفعَــلُ

فغضب رسول الله ﷺ، وقال: أنت ومالك لأبيك) [1].

س١٤: قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً﴾ (الإسراء: ٣٢).

ما سر النهى عن القرب دون النهى عن الزنا، فلم يقل «ولا تزنوا» ؟

الجواب: يقول الشهاب فى حاشيته على تفسير البيضاوى (فهو نهى عنه – أى الزنا – على أبلغ وجه سواء كان كناية أو دلالة، وفيه إشارة إلى تحريم العزم على المحرمات إذا صمم عليه) [2].

والنهى عن القرب من الفعل أبلغ من النهى عن الفعل، ويدخل فى النهى عن القرب التقبيل والمفاخذة والملامسة والمخادنة، فلو ورد النهى عن الزنا لما دخلت مقدماته فى التحريم، فورود النهى عن القرب فيه تحريم للفعل على أبلغ وجه.

س١٥: قال الله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (الإسراء: ٤٤) هل يقع التسبيح من الجمادات؟ و كيف يسبح الكافر وهو فى الأرض كما قال تعالى: ﴿وَمَن فِيهِنَّ﴾ ؟

---

(١) تفسير أبى السعود جـ ٥ ص١٦٦.

(٢) حاشية الشهاب جـ ٦ ص٢٨.

﴿اللهِ﴾ **الجواب:** التسبيح يقع من سائر الكائنات، ويمكن تقسيمها إلى أقسام ثلاثة:

الأول: المخلوقات العاقلة وهى الملائكة والإنس والجن، وهى تنطق وتهتف بالتسبيح، وهذا ثابت بالأدلة الدامغة، ولما كان ذلك ثابتاً لا أسوق أدلته، فهى تسبح بالنطق باللسان وإقرار الجنان.

الثانى: الحيوانات سواء كانت برية أو بحرية وكذلك الحشرات، فإنها تسبح بالنطق، ولكن لا يفهم البشر تسبيحها، وإذا أراد الله أن يفهم عبداً قولها أو تسبيحها أسمعه وأفهمه، قال تعالى عن نملة سليمان وهدهده: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ، حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ، فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ، وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ، لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ، فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ، إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ (النمل: ١٧ - ٢٣).

ولقد علَّم الله سليمان منطق الطير فقال: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ (النمل: ١٦)، فإذا كان للطير والحشرات لغة فهى تنطق بالتسبيح ولكن لا نفقه تسبيحها، أما الحيوانات فلها لغتها، قال رسول الله ﷺ فيما يرويه أبو هريرة رضي الله عنه: (بينما رجل يسوق بقرة له قد حمل عليها التفتت إليه البقرة فقالت: إنى لم أُخْلق لهذا، ولكنى إنما خُلقت للحرث، فقال النَّاس: سبحان الله تعجباً وفزعاً: أبقرة تَكلَّم، فقال رسول الله ﷺ: فإنى أومن به وأبو بكر وعمر) [(١)].

وقال أبو هريرة: (قال رسول الله ﷺ «بينما راع فى غنمه عدا عليه الذئب فأخذ منها شاة، فطلبه الراعى حتى استنقذها منه، فالتفت إليه الذئب فقال له: من لها يوم السبع يوم ليس لها راع غيرى فقال النَّاس: سبحان الله، فقال رسول الله ﷺ: فإنى أومن بذلك أنا وأبو بكر وعمر) [(٢)].

فهذه الأحاديث تدل على أن للحيوانات لغتها، فهى تنطق بالتسبيح ولكننا لا نفقهه.

الثالث: الجمادات : وهى أيضاً تسبح وتهتف بتنزيه الله ﷻ، ولكن لا نسمع تسبيحها، فإذا أراد الله إسماع تسبيحها لبعض النَّاس أسمعه، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا

(١) صحيح مسلم جـ ٤ ص١٨٥٧ ، ١٨٥٨ ،كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل أبى بكر.

(٢) المرجع السابق ص١٨٥٨.

جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ (سبا: ١٠). والمعنى: رجّعى معه التسبيح فسبّحى، يروى البخارى حديثاً (عن علقمة عن عبد الله قال: كنا نعد الآيات بركة وأنتم تعدونها تخويفاً، كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر فقَلّ الماء، فقال: اطلبوا فضلة من ماء فجاءوا بإناء فيه ماء قليل فأدخل يده فى الإناء ثم قال: حى على الطهور المبارك والبركة من الله، فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل) [1].

و لقد روى جابر بن عبد الله — رضى الله عنهما — (أن النبى ﷺ كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة، فقالت امرأة من الأنصار أو رجل: يا رسول الله ألا نجعل لك منبراً؟ قال: إن شئتم، فجعلوا له منبراً، فلما كان يوم الجمعة دفع المنبر، فصاحت النخلة صياح الصبى، ثم نزل النبى فضمه إليه تئن أنين الصبى الذى يُسكّن، قال: كانت تبكى على ما كانت تسمع من الذكر عندها)[2].

هذه أدلة تدل على أن كل ما فى كون الله يُسبّح، ونهاية الآية التى معنا تدل على ذَلِكَ: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾، ولا يخفى ما فيه من أسلوب القصر المؤكد بالنفى والاستثناء، فمعنى «إن» هى معنى ما النافية.

أما تسبيح الكافر فهو تسبيح الحال، فوجوده كإنسان آية على وجود الله وعلمه وإرادته وقدرته.

س١٦: قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ (الإسراء: ٤٥) **السياق يقتضى أن يكون «حجاباً ساتراً» فهو اسم فاعل، فلماذا جاء بصيغة اسم المفعول؟**

الجواب: من وجوه:

١- أن ذلك مخلوق لله ﷻ لا يراه أحد من المشركين، فهو مستور عنهم.

٢- أو أن معنى كلمة «مستور»، أى: ذو ستر فيكون معنى اسم المفعول هكذا كما تقول: مكان مهول أى: ذو هول.

٣- أن المعنى «ساتراً» ولقد جاء مفعول بمعنى فاعل، وهذا مما يذكر فى القرآن كثيراً.

---

(١) صحيح البخارى جـ ٤ ص٢٣٥ كتاب الأنبياء، باب صفة النبى.

(٢) المرجع السابق ص٢٣٧

س١٧: قال تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُورًا﴾ (الإسراء: ٤٧).
الكفرة لم يتبعوا الرسول ﷺ فكيف يقولون ذلك؟

الجواب: من وجهين:

١- أن يكون قول الظالمين للمؤمنين الذين اتبعوا الرسول ﷺ.

٢- أن المراد من الظالمين أئمة الظلم، والكفرة يقولون للظالمين من بنى جنسهم: إن اتبعتم محمداً فقد اتبعتم رجلاً مسحوراً.

س١٨: قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي القُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء: ٦٠).
ما سر لعن هذه الشجرة مع أنها لا ذنب لها؟

الجواب: من وجوه:

١- لعنت شجرة الزقوم لأنها طعام أهل النار، وأهل النار ملعونون، فهى قد لعنت بلعن طاعميها، فوصفت باللعن على سبيل المجاز، قال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ، طَعَامُ الأَثِيمِ﴾ (الدخان: ٤٣، ٤٤).

٢- أن معنى اللعن هو الإبعاد من رحمة الله، وهى فى أصل الجحيم فى أبعد مكان عن رحمة الله كما قال تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ (الصافات: ٦٤).

٣- أن اللعن ورد جرياً على لسان العرب، حيث يطلقون اللعن على كل طعام ضار، وهى تضر من أكلها، قال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ، طَعَامُ الأَثِيمِ، كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ، كَغَلْيِ الْحَمِيمِ﴾ (الدخان: ٤٣ - ٤٦).

س١٩: قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إَلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا، قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إَلاَّ قَلِيلاً﴾ (الإسراء: ٦١ - ٦٢). **من أين علم الملعون أنه يسهل عليه إغواؤهم وأنه يستأصلهم بالإغواء؟**

الجواب: يحتمل أن يكون عرف هذا العلم من جهتين:

الأولى: من استراقه للسمع مما يدور بين الملائكة فى السماء فلم تكن قد حرست بعد، وحرست بعد إرسال الرسول ﷺ كما ورد فى سورة الجن.

الثانية: أنه استنتج هذا من رد الملائكة على الله: ﴿قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ (البقرة: ٣٠)، فاستنتج علمه من هذا القول بأن

هذا المخلوق يسهل عليه إغواؤه، ولهذا أقسم فى كلامه ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إَلاَّ قَلِيلاً﴾ وهذا الاستثناء للمخلصين.

س٢٠: قال تعالى : ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَـذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إَلاَّ قَلِيلاً، قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا، وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا﴾ (الإسراء: ٦٢ – ٦٤).

ما سر أمر الله إبليس أن يتسلط على بعض العباد ليغويهم ويضلهم؟

الجواب: أن الأمر على سبيل التهديد لإبليس ومن تبعه من البشر، وهذا الأمر كالأمر الوارد للمشركين فى قوله تعالى: ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ (الزمر: ١٥).

س٢١: قال تعالى : ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً، وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً، إِذاً لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ (الإسراء: ٧٣ – ٧٥).

هل كاد الرسول ﷺ أن يفتن عن وحى الله كما صرّحت الآيات؟

الجواب: لقد ساق الزمخشرى رواية فى سبب نزول هذه الآيات فى الكشاف لا تليق بعصمة النبى ولا بالأمانة، ومن الأفضل أن نضرب عنها صفحاً ولا نلتفت إليها ولا إلى كل كتاب أوردها، أما الروايات الصحيحة فهى ما وردت عن عطاء عن ابن عباس، وما وردت عن سعيد بن جبير، أما الأولى: (فقد نزلت – هذه الآيات – فى وفد ثقيف، أتوا رسول الله ﷺ فسألوا شططاً وقالوا متعنا باللات سنة، وحرّم وادينا كما حرّمت مكة شجرها وطيرها ووحشها، وأكثروا فى المسألة فأبى ذلك رسول الله ﷺ ولم يجبهم، فأقبلوا يكررون مسألتهم وقالوا: إنا نحب أن تعرف العرب فضلنا عليهم، فإن كرهت ما نقول وخشيت أن تقول العرب: أعطيتهم ما لم تعطنا فقل: الله أمرنى بذلك، فأمسك رسول الله ﷺ عنهم، وداخلهم الطمع فصاح عليهم عمر: أما ترون رسول الله ﷺ أمسك عن جوابكم كراهية لما تجيئون به، وقد هم رسول الله ﷺ أن يعطيهم ذلك فأنزل الله هذه الآية) [١].

(١) أسباب نزول القرآن ص٢٩٧.

وقال سعيد بن جبير: (قال المشركون للنبى ﷺ : لا نكف عنك إلاَّ بأن تلم بآلهتنا ولو بطرف أصابعك، فقال النبى ﷺ : ما علىَّ لو فعلت والله يعلم أنى كاره، فأنزل الله هذه الآية)[1].

وقال قتادة: (ذكر لنا أن قريشاً خلوا برسول الله ﷺ ذات ليلة إلى الصبح يكلمونه ويفخمونه ويسودونه ويقاربونه فقالوا: إنك تأتى بشىء لا يأتى به أحد من النَّاس، وأنت سيدنا وابن سيدنا، وما زالوا به حتى كاد يقاربهم فى بعض ما يريدون، ثم عصمه الله تعالى عن ذلك، فأنزل الله تعالى هذه الآية)[2].

س٢٢: قال تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ (الإسراء: ٧٨)، **إن اللام فى «لدلوك» بمعنى «من» الابتدائية، فيكون المعنى: أدِّ الصلاة من بعد ميل الشمس عن وسط السماء إلى غسق الليل، وهذا الوقت يشمل الظهر والعصر والمغرب والعشاء، فلماذا عبَّر عن صلاة الصبح بصلاة الفجر؟ ولماذا عبَّر عن الصلاة بالقرآن؟**

الجواب: عبر عن صلاة الصبح وهى الفريضة بصلاة الفجر وهى النافلة لأحد أمرين:

الأول: أن صلاة الصبح وقعت فى وقت ملتبس بوقت الفجر، فعبر عنها بالفجر.

الثانى: أن صلاة الفجر سنة، فمن أدَّاها يكون من باب أولى أنه يؤدى الفريضة وهى صلاة الصبح.

أما لماذا عبَّر عن الصلاة بالقرآن وقال: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ أى صلاة الفجر فلأن القراءة ركن من أركانها، ويعبر عن الصلاة بأحد أركانها، فإن الصلاة تسمى بالركوع والسجود والقنوت.

س٢٣: قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعًا، أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا، أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ قَبِيلاً، أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إَلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً﴾ (الإسراء: ٩٠-٩٣).

ما سر عدم تلبية ما طلبوه من هذه الآيات وغيرها والتى اقترحوها؟

الجواب: من وجهين: **الأول:** أن الله علم أن بعض مشركى مكة سيؤمنون وأنهم سيلدون من يؤمنون، فمنع الله تحقيق ما اقترحوه من آياتٍ رحمةً بهم وبمن يؤمن من ظهورهم؛ لأن سنة الله اقتضت إن حقق الله الآيات ولم يؤمنوا استأصلهم الله بالعذاب كما فعل فى الأمم السابقة، قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفًا﴾ (الإسراء: ٥٩).

---

(١) و (٢) المرجع السابق.

يقول الجمل: (أى ما السبب فى ترك الإتيان - بالآيات المقترحة من قبل المشركين - إلاَّ أن كذب بها الأولون، أى إلاَّ طريقة تكذيب الأولين وهى إهلاكنا لمن كذب بعد أن نأتيه بما اقترح فلم يؤمن، وفى زاده : أى وما منعنا أن نرسل بها إلاَّ علمنا بأن الآخرين يكذبون بها كما كذب بها الأولون، فيستوجبون عذاب الاستئصال على ما جرت به السنة الإلهية، وفى السمين: أى ما منعنا من إرسال الرسل بالآيات إلاَّ كعادة من قبلهم، لكنْ عَلِمَ اللهُ تعالى أنه يؤمن بعضهم، ويلد بعضهم من يؤمن، فلذلك لم يرسل الله الآيات لهذه المصلحة) [1].

الثانى: أن الله تعالى (اقتضت سنته أن يستأصل بالعذاب من يكذب بعد ظهور الآيات التى المقترحة، وعلم الله من مشركى مكة أنهم لن يؤمنوا بعد ظهور الآيات التى اقترحوها، فإكراماً لنبيه لم يظهر ما اقترحوه من آيات حتى لا يعذب قريشاً وهو فيهم، قال تعالى : ﴿وَمَا كَانَ اللَّـهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّـهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (الأنفال:٣٣)، فما كان الله ليعذب الكافرين من قريش ومحمد ﷺ بينهم وما كان الله معذبهم والمؤمنون بينهم يستغفرون الله.

س٢٤: قال تعالى : ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا﴾ (الإسراء:١٠٠)، قوله تعالى : ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا﴾ أى بخيلاً، وعلى الأرض من هو كريم سخى جواد كحاتم الطائى وغيره، فكيف نوفق بين الآية والواقع؟

الجواب: من وجهين:

١- **أن الأصل فى الإنسان البخل؛ لأنه خلق مفتقراً إلى الله محتاجاً إلى نعمه وفضله، والمحتاج من طبيعته أن يمسك ما يدفع به الحاجة لنفسه، إلاَّ أنه قد يجود لأسباب خارجية عنه،** وهذه الأسباب هى الاستجابة لأمر الله.

٢- **أن الإنسان يجود ويسخو رغبة فى الثواب إن كان مؤمناً، ورغبة فى الثناء إن كان كافراً، فهو فى الحقيقة ما أخرج من ماله إلاَّ ليأخذ العوض الذى عبر الله عنه بقوله : ﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾** (المزمل:٢٠).

(١) الفتوحات الإلهية جـ ٢ ص٦٣٢

﴿ (١٨) سورة الكهف ﴾

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: (لما ختمت تلك – أى سورة الإسراء – أمر الرسول ﷺ بالحمد عن التنزه عن صفات النقص لكونه أعلم الخلق بذلك، بدئت هذه – أى سورة الكهف – بالإخبار باستحقاقه سبحانه الحمد على صفات الكمال التى منها البراءة عن كل نقص، منبهاً بذلك على وجوب حمده بما شرع من الدين على هذا الوجه الأحكم بهذا الكتاب القيِّم الذى خضعت لجلاله العلماء الأقدمون، وعجز عن معارضته الأولون والآخرون)[1].

وأقول:

لقد ختمت سورة الإسراء بقوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَم يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ (الإسراء:١١١)، **فهذا أمر بالحمد على تنزيه الله تعالى عن اتخاذ الولد، وليس له شريك، ولم يبتغ النصر من أحد لذُلٍّ يلحقه، فهو أهل للحمد، ثم افتتحت سورة الكهف بالحديث بأسلوب خبرى فيه أمر بالحمد على إنزاله الكتاب هداية للخلق خالياً من أى عوج، فليس بين آياته اختلاف أو تناقض، قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا﴾** (الكهف:١).

س٢: قال الله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً﴾، وقال فى صدر سورة الكهف: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾، فالإسراء بالرسول ﷺ نعمة، وإنزال الكتاب عليه نعمة، فلماذا كان الافتتاح بالتسبيح فى الإسراء والافتتاح بالحمد فى الكهف؟

الجواب: الإسراء والمعراج متلازمان، والمعراج صعوده ﷺ إلى السموات والوصول إلى سدرة المنتهى، وفى صعوده تشبيه بالملائكة، ومر ﷺ بالأماكن المعروفة بهم وهى مساكنهم ومقرهم، والتسبيح أفضل عبادات الملائكة، فلما صعد إلى هذه الأمكنة كان التسبيح ملائماً لهذا المقام، أما فى سورة الكهف فإنزال الكتاب عليه نعمة يتعين عليها الحمد، لذلك أمر به فى الأسلوب الخبرى: (الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب) أو هو مستحق للحمد على إنزاله الكتاب.

س٣: قال تعالى: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا. قَيِّمًا﴾ (الكهف:١ – ٢)، ما سر الجمع بين نفى العوج وبين إثبات الاستقامة فى قوله: «قيما» وفى أحدهما غنىً عن الآخر؟

---

(١) نظم الدرر جـ ١٢ ص٢

﴿الله﴾ **الجواب:** من وجهين :

١- أن كلمة «عوجا» نكرة وقعت فى سياق النفى فأفادت العموم، فمجىء «قيما» إذا كان بمعنى الاستقامة كان الجمع للتأكيد، فرب مستقيم لا يخلو من أدنى عوج عند السبر والتأمل.

٢- يجوز أن تكون «قيما» أفادت معنى آخر وهو أن القيم بمعنى القيم بمصالح العباد سواء كانت دينية أو دنيوية أو أخروية، أو أنها أفادت معنى آخر أيضاً وهو أنه القيم على ما قبله من الكتب السماوية المهيمن عليها.

س٤: قال تعالى : ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ (الكهف:٢)، وقال تعالى : ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ (الكهف:٥٦) ، **من عادة القرآن أنه غالباً ما يقدم البشارة على الإنذار كما فى الآية الثانية، فما سر تقديم الإنذار على البشارة فى الآية الأولى؟**

﴿الله﴾ **الجواب:** قدم الإنذار على البشارة لإظهار كمال العناية بزجر الكافرين.

س٥: قال تعالى : **﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾** (الكهف:٤).

لقد سبق هذه الآية حديث عن إنذار الكفار، فلماذا كرر الإنذار مع الذين قالوا: اتخذ الله ولدا؟

﴿الله﴾ **الجواب:** كرر الإنذار للذين قالوا: اتخذ الله ولدا، وهم اليهود الذين قالوا: العزير ابن الله، والنصارى قالوا: المسيح ابن الله، وكفار مكة الذين قالوا : الملائكة بنات الله، لقد كرّر الله الإنذار مع هذه الأصناف للدلالة على أن كفر هؤلاء هو أقبح أنواع الكفر.

س٦: قال تعالى : **﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾** (الكهف:٥).

علام انتصبت «كلمة» ؟ والكلمة تخرج من الأفواه فلماذا قال: ﴿تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ ؟

﴿الله﴾ **الجواب:** نصبت «كلمة» على أنها تمييز منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، وفاعل الفعل «كبرت»، وأتى بجملة ﴿تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ وهى نعت «لكلمة» مع أنها تخرج من الأفواه لاستعظام اجترائهم على النطق بها والتفوه بها، أو أنه أتى بهذه الجملة ليبين أنها مجرد كلمة تخرج من الفم لا وجود لواقعها ولا صحة لأدلتها، ولذلك أتى بعدها بقوله : ﴿إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا﴾

س٧: قال تعالى : ﴿سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ (الكهف:٢٢). وقال تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾ (التوبة:١١٢). وقال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ

أَبْوَابُهَا﴾ (الزمر:٧٣)، وقال تعالى: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾ (التحريم: ٥).

فما سر اقتران «ثامنهم » و«الناهون عن المنكر» و«أبكاراً» بالواو دون ما سبق هذه الكلمات؟

الجواب: لقد اختلف العلماء فى هذه الواو إلى اتجاهات متباينة:

١- قال فريق من العلماء إنها «واو الثمانية»، وهذه الواو تدور على ألسنة العرب، فإذا قاموا بالعد ووصلوا إلى الثمانية قرنوها بالواو، وإذا تأملنا هذه الآيات وجدناها مع العدد ثمانية، وأتت الواو مع كلمة «فتحت أبوابها»؛ لأن عدد أبواب الجنة ثمانية. وفى باقى الآيات أتت مع العدد ثمانية، وقد أنكر أبو على الفارسى القول بأنها واو الثمانية، وناظره فى ذلك ابن خالويه(١).

٢- قال بعضهم: إن الواو زائدة للتوكيد، وهذا الرأى ضعفه البصريون؛ لأن الواو من حروف المعانى فلا تزاد.

٣- قيل: إنها واو الضد، قال عنها أبو حيان: وهى ظاهرة فى الآيات ما عدا آية الكهف والزمر، فليس هناك ضد.

٤- قيل: إنها واو الحال، وهى ظاهرة فى آية الزمر، والأَوْلى أن نقول بالرأى الأول أو الرابع.

س٨: قال تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ (الكهف:٢٢).

ما السر فى عدم اقتران السين بالفعلين الثالث والرابع «يقولون»؟ ولماذا قال بعد القول الأول والثانى: «رجماً بالغيب» ولم يقلها بعد الثالث؟

الجواب: أما الشطر الأول من السؤال: فإن السين فى الفعل الأول للاستقبال، والفعلان اللذان بعده هما فى حكم الاستقبال ويجرى عليهما ما يجرى على الفعل الأول «سيقولون»، فهما داخلان فى حكم الأول.

أما الشطر الثانى من السؤال، فالقائلون بأنهم ثلاثة رابعهم كلبهم، والقائلون بأنهم خمسة سادسهم كلبهم؛ جاء بعد كلام الفريقين قوله: ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ أى: قالوا ذلك عن غير يقين، بل مصدر القول عندهما الظن والحدس والتخمين، أما أصحاب القول الثالث، وهم القائلون بأنهم

(١) انظر فتح القدير جـ ٢ ص٥٩٣

سبعة وثامنهم كلبهم فلم تدخلهم الآية فى سلك الراجمين بالغيب، وهذا يدل على أنهم أقرب إلى الصواب.

س٩: قال تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ (الكهف: ٣١)، **وقال تعالى فى سورة الحج:** ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ (الحج: ٢٣)، **وقال تعالى فى سورة الإنسان:** ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ (الإنسان: ٢١)، **كيف نوفق بين هذه الآيات؟ فالأولى** ﴿أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ **والثانية** ﴿أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ **والثالثة** ﴿أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ ؟

الجواب: أن كل واحد يحلى بثلاثة أساور: من ذهب ولؤلؤ وفضة ولا تعارض، أو أن كل واحد يحلى بالنفيس على قدر عمله ودرجته فى الجنة، فإنها جنان.

س١٠: قال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا، كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَرًا، وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا، وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ (الكهف: ٤٣). **لماذا أخبر عن «كلتا» بالإفراد «آتت» ؟ وما وجه إفراد الجنة فى قوله:** ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ﴾ **وهما جنتان كما صرحت الآيات؟**

الجواب: عن الشطر الأول من السؤال من وجهين:

١- أتى بالإخبار عن «كلتا» بالإفراد مراعاة للفظ «كلتا» وليس لمعناها.

٢- ذهب البصريون إلى أن «كلا» و«كلتا» اسمان مفردان غير مثنَّيَيْن.

والجواب عن الشطر الثانى من السؤال من وجهين:

الأول: أنه لم يدخل صاحبه إلاّ جنة واحدة، أو أنه أدخله واحدة ثم انتقل بعدها إلى الأخرى.

الثانى: لما اتصلت الجنتان بالزرع كانتا كالواحدة.

س١١: قال تعالى: ﴿إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ (الكهف: ٥٠).

لقد اختلف العلماء فى أصل إبليس فهل هذه الآية أضافت شيئاً؟

الجواب: لقد تباينت آراء العلماء فى الحديث عن أصل إبليس إلى فريقين:

الفريق الأول: ويمثله البغوى والواحدى، واتجاه هذا الفريق أن إبليس من الملائكة، فإن لم يكن من الملائكة ما شمله أمر الله بالسجود لآدم ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ

إبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٣٤)، فلو لم يكن من الملائكة لما كان عاصياً، لأن الملائكة هم المأمورون، فيقول: يا رب أمرت الملائكة ولستُ من الملائكة، ولذلك قالوا: إن الاستثناء متصل كقولك «قام القوم إلاّ رجلاً»، وهذا هو الأصل.

الفريق الثانى: ذهب كثير من العلماء إلى أنه من الجن، بدليل قوله تعالى: ﴿إلاَّ إبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ فقالوا: إنه من الجن، وقالوا: إن الاستثناء منقطع كقولك «ذُبِح البقرُ إلاّ شاة» فالاستثناء منقطع. ومن أدلتهم على أنه من الجن وليس من الملائكة أن الملائكة فطرت وجبلت على الطاعة، فلا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، كما صرحت الآيات بذلك، فلو كان من الملائكة ما عصى اللهَ ﷻ وما أبى وما استكبر.

رأى الفريق الأول فى كلام الفريق الثانى:

قالوا: (ولا يرد على ذلك قوله تعالى: ﴿إلاَّ إبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ لجواز أن يقال كان من الجن فعلاً ومن الملائكة نوعاً، أو لأن الملائكة قد يسمون جناً لاختفائهم، والحاصل أن ما ذكروه محاولة على جعل الاستثناء متصلاً وهو الأصل)[1].

و الذى أراه :

أن إبليس اسم أعجمى وليس عربياً، ومعنى هذا الاسم كما فى المصباح المنير «أَبْلَسَ إبْلاسَاً: إذا سكت غما، وأبلس أى: أيس، فهو اليائس القانط من رحمة الله.

وهذا الاسم علم على مخلوق لا يرجى منه خير بل هو شر، ولا يجود إلاّ بالشر، وهذه فطرته، ولقد كان قبل عصيانه الأمر عابداً طائعاً ورعاً، رقى بعبادته إلى مرتبة الملائكة فصار فى درجتهم، بيد أن فطرته غير فطرتهم، فهم لا يعصون الله ويفعلون ما يؤمرون، أما هو فتمرد على الأمر بالسجود لآدم، وبرر إباءه بكلمات تنبئ عن حسده لآدم وذريته، ويظهر ذلك فى قوله وسلوكه، يقول: ﴿ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ (الحجر: ٣٣)، ويقول ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ (ص: ٧٦)، فالآية التى نحن بصددها وهى آية الكهف حسمت الأمر، وبينت أنه كان من الجن وسما بعبادته وفسق عن أمر ربه، أما الذين قالوا إنه من الجن فعلاً ومن الملائكة نوعاً فالملائكة لا تفعل ما فعله إبليس، والملائكة لا تتناكح ولا تتناسل أما الملعون فإنَّه يتناكح ويتناسل، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إلاَّ

(١) الفتوحات الإلهية جـ ١ ص٤١

إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً﴾ (الكهف: ٥٠).

س١٢: قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ (الكهف: ٦٠). أين مجمع البحرين؟

الجواب: لقد اختلفت اتجاهات العلماء فى تحديد مجمع البحرين إلى ما يأتى:

قيل: إن مجمع البحرين ملتقاهما، والمراد بالبحرين بحرا فارس والروم، وبحر فارس هو اليوم الخليج العربى، وبحر الروم هو البحر الأبيض المتوسط، والذى أراه أنه لا ملتقى بينهما.

و قيل: بحر الأردن وهو البحر الميت، وبحر القلزم وهو البحر الأحمر، والذى أراه أنه لا ملتقى بينهما.

و قيل: مجمع البحرين عند طنجة أى حيث يلتقى البحر المتوسط بالمحيط الأطلسى.

و ذهب الأستاذ/ سعيد اللحام إلى أن المراد بالبحرين: ملتقى دجلة والفرات فى أرض العراق.

والذى أراه: أن ملتقى البحرين: هو التقاء النيل بالبحر المتوسط، أو التقاء جزأى البحر الأحمر ببعضهما وهى منطقة جنوب سيناء عند رأس محمد، وهاتان المنطقتان هما مسرح لأحداث موسى عليه السلام.

س١٣: قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ (الكهف: ٦١)، و قال تعالى: ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ (الكهف: ٦٣)، ما سر الإتيان بالفاء فى الآية الأولى «فاتخذ»؟ وما سر الإتيان بالواو فى الآية الثانية «واتخذ»؟ وكيف نسى الفتى أمر الحوت ومثله لا ينسى لأنه أمارة على لقاء العبد الصالح وهما قد خرجا من أجله؟ وما سر إسناد النسيان إلى الفتى وموسى مع أن النَّاسى هو الفتى؟

الجواب: لقد أتى بالفاء فى الآية الأولى وهى للترتيب والتعقيب وهو أنهما نسيا حوتهما أنه **الآية الدالة على لقاء الخضر، وعقب النسيان أحياه الله ﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ أى:** طريقاً كالنفق محفوراً فى الرمال سلكه الحوت، فأتى بالفاء التى تدل على التعقيب، **أما فى الآية** الثانية فكان هناك مدة من الزمن وقع فيها السير بعد مجاوزة مجمع البحرين ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا، قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾، فبعد مجاوزة المكان

ومواصلة السفر والنصب بقى العطف دون التعقيب، فأتى بالواو فقال: «واتخذ».
أما عن نسيان الفتى لأمر الحوت فسببه أمران:

١- إمَّا أن الشيطان ألقى بوساوسه فى عقل وقلب الفتى فأغرقه بوساوسه، فنسى الفتى أمر الحوت ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ .

٢- انشغال الفتى بما رآه من قدرة الله الباهرة فى أمر الحوت فقد كان ميتاً مملَّحاً جافاً فكيف يحييه الله ويجرى فى البحر، فنسى أنه دلالة وعلامة على لقاء العبد الصالح فلم يذكر أمره لموسى.

و سر إسناد النسيان إلى موسى والفتى مع أن النَّاسى هو الفتى لأن موسى نسى أن يطلب الحوت ويتعرف حاله، ونسى يوشع أن يذكر له ما رآه من أمره وإحيائه.

س١٤: قال الله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا، قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ (الكهف: ٦٥ ، ٦٦).

- ما سر ذكر قوله: ﴿مِن لَّدُنَّا﴾ مع أن هذه الجملة تشملها ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا﴾ ؟

- ولماذا بدأه موسى بالاستفهام ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ﴾ ؟

- وهل اتباع موسى للخضر للتعلم يدل على أن الخضر أفضل من موسى؟

الجواب:

أولاً: أفاد ذكر قوله ﴿مِن لَّدُنَّا﴾ تفخيم وتعظيم علمه.

ثانياً: لقد سأل موسى الخضر واستأذنه فى الاتباع للتعلم، وفى هذا السؤال ملاطفة ومبالغة فى حسن الأدب، وسمى الخضر بهذا الاسم لأنه كان إذا صلى فى مكان اخضرَّ ما حوله، واسمه بُليا بن ملكان.

ثالثاً: المتعلم يتبع العالم وقد تتفاوت المراتب بينهما، وليس فى هذا ما يدل على أن الخضر أفضل من موسى، فقد يأخذ الفاضل عن الفاضل، ويأخذ الفاضل عن المفضول إذا كان كل واحد منهما مختصاً بعلم لا يعلمه الآخر فاختص موسى بعلم الأحكام الشرعية والقضاء بظاهرها واختص الخضر بعلم الباطن والغيب، ويبرز هذا الأمر الحوار الذى دار بينهما ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا . قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا، وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ يقول الشوكانى: (قال - أى موسى - أتيتك لتعلمنى مما عُلِّمت رشدا، قال: إنك لن تستطيع معى صبرا يا موسى. إنى على علم من

الله علمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم من الله علمك الله لا أعلمه)[1].

ومما يدل على أن الخضر ليس بأفضل من موسى الرسول أن المعلم ليس أفضل من المتعلم التابع ما رأيناه من تعليم جبريل عليه السلام للرسول ﷺ، ومع هذا فالرسول أفضل منزلة عند الله من جبريل كما ورد في الأحاديث الصحيحة، وما ورد في ليلة الإسراء والمعراج عندما وصلا إلى سدرة المنتهى وتأخر جبريل فسأله الرسول ﷺ فقال له ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ .

س١٥: قال تعالى: ﴿فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ (الكهف:٧١)، **وقال تعالى:** ﴿فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾ (الكهف:٧٤) **ما السر في ذكر الإمر في الآية الأولى والنكر في الآية الثانية؟**

الجواب: (الإمر: العجب، والعجب يستعمل في الخير والشر بخلاف النكر لأن النكر ما ينكره العقل فهو شر، وخرق السفينة لم يكن معه غرق، فكان أسهل من قتل الغلام وإهلاكه، فصار لكل واحد معنى يخصه)[2].

فالنكر أفظع وأنكر من الإمر، لهذا كان مع قتل الغلام؛ لأن القتل لا يمكن تداركه بخلاف نزع اللوح من السفينة فإنَّه يمكن تداركه بإرجاعه، وقد ذهب بعض العلماء إلى أن النكر أقل من الإمر (لأن قتل نفس واحدة أهون من إغراق أهل السفينة)[3].

و المتأمل للسياق يدرك أن النكر أفظع من الإمر.

س١٦: قال تعالى : ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ (الكهف:٧٢) **وقال تعالى :** ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ (الكهف:٧٥) **ما سر زيادة كلمة «لك» في الآية الثانية؟**

الجواب: الآية الأولى جاءت عقب خرق السفينة فذكَّره الخضر بأنه أي موسى لن يستطيع معه صبراً، والآية الثانية جاءت عقب قتله للغلام، فذكره بما قال له بيد أنه زاد فيها «لك» لأن سبب العتاب أكثر وموجبه أقوى، أو أنه زادها للتوكيد كما تقول لمن توبخه «لك أقول وإياك أعني».

---

(١) فتح القدير جـ ٣ ص٤٣٠.

(٢) بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز جـ ١ ص٣٠١ .

(٣) فتح القدير جـ ٣ ص٣٧٤.

﴿ **س١٧: قال تعالى :** ﴿فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾ (الكهف: ٧٤) **كيف يقتل بغير حق فهو لم يقتل نفساً ولم يكن زانياً محصناً ولم يكلف حتى يكون تاركاً لدينه فلماذا قتله الخضر؟**

﴿ **الجواب:** لقد اختلف العلماء فى هذا الغلام إلى قولين:

الأول: ذهب ابن عباس وسعيد بن جبير والكلبى إلى أنه كان قد بلغ سن التكليف وكان كافراً. وكان أبواه مؤمنين، واسمه شمعون، وقيل: حيسون. وقيل: اسم أبيه سلاس واسم أمه رحمى. وقيل اسم أبيه كازير واسم أمه سهوى. وأنه أى الغلام كان يقطع الطريق.

الثانى: ذهب جمهور العلماء إلى أنه لم يكن بالغاً ولذلك قال موسى: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ وهو الذى يقتضيه لفظ الغلام، فإن الغلام فى الرجال يطلق على من لم يبلغ، وتقابله الجارية فى النساء[(١)].

والذى أراه:

أن هذا الغلام لم يبلغ حد التكليف وإن كان يطلق أحياناً لفظ الغلام على البالغ على اعتبار ما كان، وغلام الخضر لم يكلف للأدلة الآتية:

١- أنه لو كان مكلفاً ما سأل موسى الخضر عن القتل؛ لأنه يحرص على ألاّ يقع فى مثل ما وقع فيه عند خرق السفينة، فكان يقول: إنه صنع شيئاً فى سره ولكنه دعاه عدم التكليف إلى السؤال والإنكار.

٢- حين أنكر موسى قال: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ وقوله: «زكية» أى طاهرة بريئة من كل إثم وهذا يكون فى غير المكلف.

إذاً لماذا قتله الخضر؟ (وكان الخضر قتله لما علم من سره وأنه طبع كافراً كما فى صحيح الحديث، وأنه لو أدرك لأرهق أبويه كفراً وقتل الصغير غير مستحيل، إذا أذن الله فى ذلك فإن الله تعالى هو الفعال لما يريد القادر على ما يشاء وفى كتاب العرائس: أن موسى لما قال للخضر: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾ الآية، غضب الخضر واقتلع كتف الصبى الأيسر، وقشر اللحم عنه وإذا فى عظم كتفه مكتوب «كافر لا يؤمن بالله أبداً»)[(٢)].

و عن أبىّ بن كعب قال: (قال رسول الله ﷺ عن الغلام الذى قتله الخضر: طبع كافراً، ولو

(١) أنظر الجامع لأحكام القرآن جـ ٦ ص٢١ ، ٢٢.

(٢) المرجع السابق ص٢١.

عاش لأرهق أبويه طغياناً وكفراً [(١)].

س١٨: قال تعالى: ﴿فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾ (الكهف:٧٧) ، **ما سر إعادة لفظ «أهل» فلقد أظهر فى موضع الإضمار؟**

الجواب: لقد نظم بعض الأدباء هذا السؤال فقال سائلاً الإمام السبكى:

(رأيت كتاب الله أعظـــم معجز ∴ لأفضل مـــن يهـدى بـــه الثقلان

و من جملة الإعجاز كون اختصاره ∴ بإيجـــاز ألفـــاظ وبسـط معـــان

و لكننى فى الكهف أبصـرت آية ∴ بها الفكر فى طـول الزمان عنانى

وما هـــى إلاَّ استطعمـا أهلها فقد ∴ نـرى استطعمـــاهم مثلـه ببيـان) [(٢)]

و أظهر أهلها فى موضع الإضمار لما يأتى:

١- لزيادة التوكيد.

٢- لكراهة اجتماع الضميرين: التثنية للعبد وموسى، والضمير العائد على «أهـل»، ويكونـان فـى كلمة واحدة لما فيه من التكلف والثقل.

٣- لزيادة التشنيع ببخل أهلها وإظهارهم فى الثانى بدل إضمارهم .

س١٩: **قال تعالى :** ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ (الكهف:٧٩)، **وقال تعالى :** ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا، فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ (الكهف:٨٠) **وقال تعالى :** ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ (الكهف:٨٢).

كيف أسند الخضر الإرادة إلى نفسه فى الآية الأولى «فأردتُ»؟ وأسندها إلى نفسه وإلى الله فى الثانية «فأردنا»؟ وأسندها إلى ربه فى الثالثة مع أنه الذى باشر تلك الأفعال ومعه موسى؟

الجواب: أسند الخضر الإرادة إلى نفسه فى الآيـة الأولى لأن خـرق السـفينة ظـاهره الفسـاد، فأسنده إلى نفسه تأدباً مع الله ﷻ، وأسندها إلى نفسه وإلى ربه وأتى بـ «نا» الفاعلين «فأردنا» لأن قتل الغلام كان من جانبه، وإزهاق روحه كان من الله ﷻ، وأسنده فى الآية الثالثـة إلى الـرب:

(١) صحيح مسلم ،كتاب القدر ، باب: «معنى كل مولود يولد على الفطرة» جـ ٤ ص٢٠٥٠.

(٢) حاشية الشهاب جـ ٦ ص١٢٥.

«فأراد ربك» لأن إقامة الجدار وحفظ الكنز لليتيمين إنعام محض من الله، فأسنده إليه وفيه تأدب مع الله حيث جرد الخضر نفسه من هذا الإنعام رغم دوره فى هدم الجدار وبنائه.

س٢٠: قال تعالى: ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ (الكهف:٨٢). **وقال تعالى: ﴿مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾** (الكهف:٧٨). **ما سر التعبير فى الآية الأولى «تسطع» وفى الثانية «تستطع»؟**

الجواب: لقد جاءت الثانية فى موقف سابق، وهو عندما أعلن الخضر فراق موسى بعد أن سأل موسى عن بناء الجدار فقال له الخضر: ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾.

فالمواقف الثلاثة، وهى خرق السفينة وقتل الغلام وبناء الجدار دون أجر فى قرية بخيلة كانت غامضة على موسى عليه السلام، وكان الأمر ثقيلاً فأتى بالكلمة «تستطع» كثيرة الحروف لمناسبة الثقل فى الغموض، أما الآية الأولى فكانت فى موقف قد شرح فيه الخضر لموسى المواقف الثلاثة فصارت معلومة لموسى. فأتى بالتخفيف فى بنية الكلمة «تسطع» لمراعاة الحال، وقيل: إن الخلاف فى بناء الكلمتين «تستطع» و«تسطع» لمغايرة فنون التعبير والتنويع فى الأسلوب.

س٢١: قال تعالى: ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا، فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ (الكهف:٩٦، ٩٧). **ما سر إسناد جعل زبر الحديد ناراً لضمير ذى القرنين وإسناد إفراغ القطر عليه له أيضاً؟ وما سر التعبير فى الآية الأولى: «اسطاعوا» وفى الثانية: «استطاعوا»؟**

الجواب: أسند جعل زبر الحديد ناراً لذى القرنين مع أن النافخين فيها عماله، وأسند الإفراغ إليه مع أن الذى يقوم بالإفراغ هم عماله أيضاً لأنه هو الآمر بالنفخ، وهو الآمر بالإفراغ.

و قال: «اسطاعوا» مع إظهار السد و«استطاعوا» مع نقبه لأن صعود السد المذكور أخف من نقبه وخرقه، فعبر عن الإظهار بالتخفيف فى بنية الكلمة لمراعاة سهولته فى الإظهار. وعبر عن النقب بـ«استطاعوا» لأنه أثقل وأشد من الإظهار، فأتى بالزيادة فى بنية الكلمة لمراعاة الثقل والشدة فى النقب، أو هو من التفنن فى التعبير وتنويع الكلام.

لطائف:

الأولى: قال تعالى: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾. لقد انتهت تلك الآية بقوله: ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ أى: رحمة فى نزع لوح السفينة وقتل الغلام وهدم الجدار ثم بنائه؟

إن الرحمة ليست ظاهرة بل متمثلة فى معنى واحد هو تحمل الضرر الأدنى لدفع الضرر الأعلى.

الثانية: لقد ورد فى قصة ذى القرنين: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا﴾ (الكهف: ٨٦).

لقد فسر العلماء «العين الحمئة» تفسيرين:

١- أنها تغرب فى عين حارة. ٢- أنها تغرب فى طين وماء.

والشمس جرم من الأجرام السماوية، وهى كتلة هائلة ملتهبة تشع ضوءاً وحرارة، وهى تجرى فى فلكها تتبعها مجموعة من الكواكب، وهى تابعة لمجرة درب التبانة، فكيف تغرب فى طين وماء أو فى عين حارة؟

إن «ذا القرنين» بلغ موضعاً فى الغرب لم يبق بعده شىء من العمارات، فوجد الشمس تغرب وقد انتهى به المطاف إلى شاطئ البحر، والواقف على شاطئ البحر أو الراكب البحر يراها تغرب كأنها فى عين حارة؛ لأن الشفق الأحمر يكون كالنار، وقد يكون الإنسان على الشاطئ وبين الشاطئ والماء مسافة كبيرة من الطين، فيراها كأنها تغرب فى طين وماء.

الثالثة: قال الله تعالى: ﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لاَّ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً، قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ﴾ (الكهف: ٩٣ - ٩٤)، **يقول الله: ﴿لاَّ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً﴾ فكيف فهم ذو القرنين كلامهم؟**

والجواب من وجهين:

١- أنه فهم كلامهم عن طريق ترجمان.

٢- أنه فهم كلامهم لأن الله قال: ﴿وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا، فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ .

(١٩) سورة مريم

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: (لما كان مقصود التى قبلها - أى الكهف - الدلالة على أن القرآن قيِّمٌ لا عوج فيه، وبه تمام الانتظام فى نعمة الإبقاء الأول، ودل على ذلك بأنه ساق المسئول عنه من القصص أحسن سوق، وكشف عن مخبآته القناع أبدع كشف، إلى غير ذلك مما خلَّله به من بدائع الحكم وغرائب المعانى، فاضحة لمن ادعى لله ولداً، وختمها بمثل ذلك من وصف الكتاب والتوحيد المنافى لقبول التعدد بولد أو غيره بكل اعتبار والعمل الصالح، ابتدأ هذه بالكشف عن أغرب من تلك القصص تحقيقاً لآية ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ بسباق

غير ما تقدم فيما مضى من السور وجزئيات لم تذكر إلاَّ فيها مع عدم المخالفة لما مضى)[1].

ﷻ **س٢: قال تعالى:** ﴿ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا، إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا، قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا، وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا، يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا، يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا، قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا، قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ (مريم: ٢ - ٩). **وقال تعالى:** ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ، فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ (آل عمران ٣٨ - ٣٩). **الآيات الأولى والثانية فى دعوة زكريا ربه أن يهبه ولداً، فما سر اختلاف الأساليب فيهما؟ ولماذا طلب زكريا الولد وقد بلغ من الكبر عتياً وامرأته عاقر؟ فلما أجابه الله استبعد واستعجب** ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ **؟**

الجواب: الآيات الأولى فصّلت الأسباب التى قدمها زكريا من أجل دعوته، وفصلت هذا الجانب من جوانب قصة زكريا، والآيات الثانية أوجزت وأجملت فى القصة، مع أن الآيات المجملة أتت بجزئية لم تذكر فى الآيات الأولى التى فصلت وهى ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى﴾ وكيف تكلمه الملائكة وهو يصلى ؟

والجواب: أن المراد بالصلاة الدعاء فكان يدعو فبشرته.

أما الشطر الثانى من السؤال فيجاب عليه من وجهين:

الأول: أن الاستفهام استفهام تعجب وسرور بهذا الأمر العظيم، فلقد بلغ من الكبر عتياً، ولقد وهن العظم وبلغ الغاية التى ليس بعدها غاية فى الكبر، والطرف الثانى وهو العاقر وهى لا تلد، فهناك سببان فكيف ذلك؟ ثم لما بُشِّرَ استفهم استفهام تعجب وسرور.

الثانى: أن الاستفهام استبعاد للعادة المألوفة فى البشر لا استبعاد القدرة الله.

ﷻ **س٣: قال تعالى:** ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا، وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا، وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ (مريم: ١٢ - ١٤).

(١) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور جـ ١٢ ص١٦٢ ، ١٦٣.

و قال تعالى فى حق عيسى : ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ (مريم:٣٢).

ما سر التعبير فى حق يحيى بقوله: «عصيا» وفى حق عيسى بقوله: «شقيا»؟

الجواب: من وجهين:

١- المنفى كل عصيان بدليل وقوع النكرة فى سياق النفى، ولقد جاء فى الحديث «ما من أحد من بنى آدم إلاَّ أذنب أو همَّ بذنب إلاَّ يحيى».

٢- أن المنفى المبالغة فى العصيان؛ لأن أصل «عصيًّا» عَصِيىٌ على وزن فَعَيل، ثم أدغمت الياء فى الياء، والأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر، وهى لا تقع عن عمد بل عن اجتهاد، وأثبتت لعيسى السعادة لأنها نفت الشقاوة عنه، وأيضاً هو معصوم من الكبائر، وكلاهما سبقت له السعادة.

س٤: قال تعالى : ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ (مريم:١٥).

و قال تعالى : ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ (مريم:٣٣).

ما سر تنكير «سلام» فى الآية الأولى وتعريفه فى الآية الثانية؟

ولماذا ذكر السلام فى هذه المواطن الثلاثة: الميلاد والموت والبعث؟

الجواب: نكَّر السلام فى الآية الأولى لأنه من الله ﷻ وهو فى حق يحيى، والتنكير للتقليل، والقليل من الله كثير كما قال الشاعر:

قَليل مِنكَ يَكفيني وَلَكِن ∴ قَليلك لا يُقال لَهُ قَليل

ومن أجل هذا قرأ الحسن بالتنكير فى قوله «اهدنا صراطاً مستقيما» أى: نحن نسعد منك بالقليل، وأمثلته فى الشعر كثيرة:

وَإِنّي لَأَرضى مِنكِ يا هندُ بِالَّذي ∴ لَوَ اَيقَنَـهُ الواشي لَقَرَّت بَلابِلُه

بِلا وَبِـأَن لا أَستَطـيعُ وَبِالمُـنى ∴ وَبِالوَعدِ حَتّى يَسأَمَ الوَعدُ آمِلُه

والسلام الثانى من عيسى على نفسه، والألف واللام لاستغراق الجنس، فالسلام على يحيى بالتنكير من الله أعظم من السلام على عيسى المعرف بالألف واللام، ويجوز أن يكون الله أوحى إلى عيسى بقوله ذلك فيكون سلام عيسى كسلام يحيى، وإنما أدخلت الألف واللام على سلام عيسى لأن النكرة إذا تكررت صارت معرفة ، (وقيل: إن نكرة الجنس ومعرفته سواء، تقول: لا أشرب ماء، ولا أشرب الماء فهما سواء) (١).

(١) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز جـ ١ ص٣٠٨.

أما الشطر الثاني من السؤال: فلقد ذكر المواطن الثلاثة في الآيتين لأن هذه المواطن أوحش ما يمر به الإنسان: الأول: عند خروجه من رحم أمه، ومن مخرج ضيق، فعناية الله هي التي تقدر له الحياة عند خروجه مع ضعفه ووهنه وقلة حيلته وهوانه، والثاني: عند خروج روحه وهي أشق ما يعانيه الإنسان عند نزعها، والثالث: وعند البعث وما يلاقيه من شدائد وأهوال، فخص الله يحيى وعيسى بالسلام والسلامة في هذه المواطن أماناً لهما.

س٥: قال تعالى: ﴿فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلاَّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا، وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا. فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ (مريم: ٢٤ - ٢٦).

ما سر تقديم الأمر بالأكل على الشرب؟ وهل في إعلانها الصوم دليل على براءتها؟

الجواب: أما الشطر الأول من السؤال: فالمرأة النفساء التي وضعت حملها لتوها يُطلَبُ لها الأكل وليس الشرب، وفي العادة لا يقدم للنفساء الماء بل الطعام، والرطب سهل المضغ غير التمر، سهل البلع، سهل الهضم، يشتمل على جميع العناصر الغذائية.

أما الشطر الثاني من السؤال: فالمراد بالصوم الصمت فلا ترد على من يرمونها بالزنا، فقد قيل من أذل النّاس سيفه لم يجد مشافهاً، ومن جهة أخرى سيدافع عنها ولدها.

س٦: قال تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا، يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ (مريم: ٢٧ ، ٢٨).

لقد كان بين مريم وهارون مئات السنين، فكيف قالوا لها: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ﴾ ؟

الجواب: من وجوه :

الأول: أن المراد بهارون هو أخو نبي الله موسى عليه السلام، فلقد كانت من نسله كما يقال للرجل من تميم: يا أخا تميم، وللهمداني يا أخا همدان، يا واحداً منهم، فنسبت إلى هارون من هذا الوجه بأن الزنا ليس من شيمة ذرية هارون.

الثاني: أن المراد بهارون هو رجل صالح من بني إسرائيل ينسب إليه كل من عُرف بالصلاح، ومرادهم من نسبتها إليه أنكِ كنتِ في الزهد والعبادة والانقطاع إلى الله كهارون الصالح، فكيف صرتِ هكذا؟

الثالث: أنه رجل فاسق من بني إسرائيل نسبت إليه تشبيهاً بفسقه.

الرابع: أنه كان لها أخ من أبيها يسمى هارون من صلحاء بني إسرائيل، فعيِّرت به. يقول

الخطيب الشربيني: (قال الرازى: وهذا هو الأقرب لوجهين:

١- أن الأصل فى الكلام الحقيقة، فيحمل الكلام على أخيها المسمى بهارون.

٢- أنها أضيفت إليه، ووصف أبواها بالصلاح، فحينئذٍ يصير التوبيخ أشد؛ لأن من كان حال أبويه وأخيه بهذا الحال يكون صدور الذنب منه أفحش)[1].

فعلى الآراء الثلاثة الأولى ليس المراد بالأخوة فيها أخوة النسب، بل كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُواْ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ أى أشباه الشياطين.

س٧: قال تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ (مريم: ٢٩).

كيف عرفت أنه يتكلم حتى أشارت إليه؟

الجواب: لقد عرفت قبل ذلك حين ناداها جبريل ﴿أَلاَّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا، وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا، فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ فالمراد بالصوم الإمساك عن كلام الإنس، فأمرت بالسكوت، فأدركت أن المتكلم عيسى، فأشارت إليه ليدافع عن أمه فى مرحلة مخالفة لعادة البشر.

س٨: **قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا، وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾** (مريم: ٣٠، ٣١). **ما سر نطق عيسى فى المهد؟ وكيف عبر بالماضى ﴿آتَانِيَ الْكِتَابَ﴾ وهو لم يأته إلاَّ بعد أن صار كهلاً؟ وكيف يكلف طفل فى المهد وهو لم يبلغ الحلم بالصلاة والزكاة؟**

الجواب: لقد أنطقه الله فى المهد لأمرين:

١- للدفاع عن أمه وبأنه معجزة وأن الله صنعه بـ«كن» فهو مخلوق.

٢- علم الله أزلاً أن بعض البشر سيجعلونه إلهاً وولداً لله. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، فأنطقه فى المهد حتى يحدد مقامه فى إطار العبودية ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾.

أما الجزء الثانى من السؤال: فإنه عبر بالماضى ﴿آتَانِيَ الْكِتَابَ﴾ وهو الإنجيل للدلالة على تحقق الوقوع.

أما الجزء الثالث فالجواب عنه من وجهين:

---

(١) السراج المنير جـ ٢ ص٤٢٣، ٤٢٤.

الأول : أن الله لم يأمره بأدائهما فى الحال، بل عندما يؤمر بهما فى مرحلة التكليف.

الثانى: (أن عيسى لما انفصل صيَّره الله بالغاً عاقلاً تام الخلقة، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (آل عمران: ٥٩)، فكما أنه تعالى خلق آدم تاماً كاملاً دفعة، فكذا القول فى عيسى عليه السلام .

قال الرازى : «وهذا أقرب إلى ظاهر اللفظ» (١).

وأقـول : الوجه الأول هو الأولى بالقبول، أما الوجه الثانى وهو مـا رجحـه الـرازى - رحمـه الله- فهو بعيد، لأنه قاس خلق عيسى على خلق آدم بأن صيَّره تام الخلقة رجـلاً كـاملاً بالغـاً، فهذا غير صحيح من وجهين:

١- لو كان الأمر كذلك لصرح به فى الآيات.

٢- لو كان الأمر كذلك، وهو مخالف لعادة البشر، لما كان لمعنى نطق عيسى فى المهـد مقـام فـى القلوب أو العقول، إنما الإعجاز فى نطقه وهو طفل رضيع لا ينطق غيره من البشـر فـى مثـل سِنِّه.

٣- وعلى ضوء ذلك يكون معنى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾ خلقه بالكلمة «كُنْ» فكان آدم، خلقه من غير أب وأم، وعيسى خلقه من غير أب، وهما بكلمة «كن».

س٩: قال تعالى: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (مريم: ٣٧)، وقال تعالى فى سورة الزخرف: ﴿ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ (الزخرف: ٦٥). ما سر التعبير فى الآية الأولى بالكفر وفى الثانيـة بـالظلم مـع أنهمـا فى شأن عيسى عليه السلام ؟

الجـواب: أن قصة عيسى شرحت فى سورة مريم شرحاً وافياً وفيهـا، المعـالم المتعـددة التـى تضع عيسى فى مقام العبودية، وقد اعترف بذلك وهو فى المهد ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾، ومع هذا نسبوه إلى الله، وقالوا ببنوته لله، فأتى بلفظ الكفر، فهو أبلغ فى هذا المـوطن مـن الظلـم فقـال: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وفى الآية الثانية ذكرت قصته مجملـة، فوصـفهم بلفـظ الظلـم وهـو دون الكفـر، أو نقول: لما كان معلوماً أنهم كفروا بجعله ولداً لله على ما سـبق فـى الآيـات القرآنيـة أضـاف لهـم وصفاً آخر هو الظلم فسجَّله عليهم مع الكفر.

---

(١) السراج المنير جـ ٢ ص٤٢٥.

س١٠: قال تعالى: ﴿إلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ (مريم: ٦٠)، وقال تعالى: ﴿إلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ (الفرقان: ٧٠)، ما سر مجيء «عملاً» في الآية الثانية وحذفه من الأولى؟

الجواب: لما أوجز في ذكر المعاصي في الآية الأولى وما قبلها أوجز في العبارة فقال: ﴿إلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾، ولما أطنب في الآية الثانية وما قبلها في ذكر المعاصي أطنب في العبارة وأتى بكلمة «عملاً».

(٢٠) سورة طه

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: لقد ختمت «سورة مريم» بقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا، وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ (مريم: ٩٧ ، ٩٨) لما صرح الله تعالى بأنه يسّر القرآن بلسان الرسول ﷺ، وجعله أي القرآن بشارة للمؤمنين وإنذاراً لهؤلاء المشركين الموغلين في اللدادة وهي شدة الخصومة بالباطل، وصرح بأنه أهلك كثيراً من الأمم التي عتت عن أمر ربها، فلم يشعر بوجودهم أحد أو يُسْمَع لهم صَوْتٌ خفيٌّ، فربما أصاب الرسول همٌّ وغمّ من أن قومه سيحل بهم البوار، وبقراهم الدمار، وأن مدتهم قد انتهت، فأتت سورة «طه» لتسكن روع الرسول ﷺ وتبدد حزنه، وتمحو غمه فقال: ﴿طه، مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى، إِلاَّ تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى، تَنزِيلاً مِّمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى﴾ (طه: ١ - ٤) لقد سبق الحديث عن الاستواء في سورة الأعراف.

س٢: قال تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى، إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى، فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِي يَا مُوسَى، إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ (طه: ٩ - ١٢).

وقال في سورة النمل: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ، فَلَمَّا جَاءهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (النمل: ٧ ، ٨).

وقال تعالى في سورة القصص: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ، فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِي مِن شَاطِئِ الْوَادِي الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ

الْعَالَمِينَ﴾ (القصص: ٢٩ ، ٣٠).

الآيات تتحدث في السور الثلاث عن خروج موسى عليه السلام بأهله إلى مصر، وضل موسى الطريق، وفي الظلام الدامس رأى ناراً، وأمر أهله بالمكث حتى يذهب إلى تلك النار، ويطمع في أن يجد عند النار هدى ليهتدى إلى الطريق إلى مصر، ويُحضر من هذه النار قبساً يستدفئون به، فوصل إلى موضع النار. **ولقد اختلفت أساليب الآيات في التعبير عن هذا الموقف، فما سر ذلك؟**

﴿الله﴾ **الجواب:** هذه الأساليب القرآنية جاءت بإجمال ثم تفصيل، وقد يأتى الحديث عن الموقف بتفصيل ثم إجمال، وفي سورة طه فصَّل الموقف، وأوجز في سورة النمل، ثم فصل في القصص، وبالغ فيه، فإنَّه يقدم بعض الأشياء في موطن، ويؤخرها في موطن آخر، ففي سورة طه قال: ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ أى هادياً يخبرنى بالطريق فيهديني إليه، وأخر ذكر الخبر فيها، وقدمه في النمل، وفي القصص مراعاة لفواصل الآيات في السور الثلاث، وكرر «لَعَلِّى» في القصص لفظاً وفي «طه والنمل» معنىً، لأن «أو» في قوله: ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ نائب عن «لعلى»، وسآتيكم يتضمن معنى «لعل»، وفي القصص قال: «جذوة»، وفي النمل قال: «بشهاب قبس»، وفي طه «بقبس»؛ لأن الجذوة من النار: خشبة في رأسها قبس أى نار، فهي شهاب، وهي في السور الثلاث عبارة عن معنى واحد.

وقال في طه: «فلما أتاها»، وقال في النمل: «فلما جاءها»، وقال في القصص: «أتاها»، فالإتيان والمجيء بمعنى واحد في الآيات الواردة في السور الثلاث، ولكن لما ورد في «طه» الإتيان كثيراً أتى بكلمة «أتاها» وورد كثيراً، ومن وروده قوله تعالى: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولا إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ﴾ وقوله: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ﴾ وقوله: ﴿ثُمَّ أَتَى﴾ وقوله ﴿ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا﴾، أما في النمل فقد ورد فيها لفظ «جاء» لأن المجيء ورد في سورة النمل كثيراً كقوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم﴾ وقوله: ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ وقوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ﴾، وجاء «الإتيان» في القصص للسبب الذى ورد في سورة طه.

س٣: قال تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى، قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾ (طه: ١٧ ، ١٨). **الله يعلم ما بيمينه، فما سر السؤال ؟وكانت الإجابة أن يقول موسى هي عصاي فما سر بسطه في الكلام وإجماله في الأخير ﴿وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾ ؟**

﴿الله﴾ **الجواب:** سؤال الله لموسى للتقرير، ولبيان تعدد المنافع الكثيرة المتعلقة بتلك العصا، ثم يبين له بعد هذه المنافع المنفعة العظمى الخفية في العصا، وهي كونها معجزة لفرعون وقومه، قال الله

له بعد أن قال: ﴿وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾، ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى، فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى، قَالَ خُذْهَا وَلا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَى﴾ (طه: ١٩ - ٢١).

و سر بسط موسى فى الكلام أنه أجاب بأربعة أجوبة، منها ثلاثة مفصلة والرابع مجمل، فلقد بسط موسى فى الجواب لأن المقام مقام خطاب الحبيب، وأجمل فى الرابع رغبة فى أن يطول الحديث مع الله، ورجاء أن يسأله الله عن تفصيل تلك المآرب فيتلذذ بالخطاب، وإما أنه أجمل فى الرابع لأنه أحس أنه أطال وأطنب فى الجواب، فاستحيا من الله فأجمل فقال ﴿وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾ .

لطيفة: ذكر بعض العلماء أن اسم تلك العصا «نبعه». وقالوا: كانت لآدم، وأتى بها من آس الجنة، وظلت تنتقل من جيل إلى جيل حتى وصلت إلى شعيب، وكان عصى الأنبياء عنده، ولما قضى موسى الأجل وتزوج ابنته، وهم بالخروج إلى مصر أمر شعيب ابنته أن تعطى موسى عصا يدرأ بها السباع عن غنمه، فوقع فى يدها عصا آدم فأخذها موسى بعلم شعيب [١].

أما عن المآرب فكانت العصا ذات شعبتين ومحجن، فإذا طلب الغصن حناه بالمحجن، وإذا طلب كسره لواه بالشعبتين، وإذا سار ألقاها على عاتقه فعلق بها أدواته من القوس، والكنانة، والحلاب وغيرها، وإذا كان فى البرية ركزها وعرض الزند على شعبتيها، وألقى عليها الكساء واستظل، وكان يقاتل بها السباع عن غنمه، وكان فيها من المعجزات أنه كان يستقى بها فتطول البئر، وتصير شعبتاها دلواً، وتكون شمعتين بالليل، وإذا ظهر عدو حاربت عنه، وإذا اشتهى ثمرة ركزها فأورقت وأثمرت، ويركزها لينبع الماء فإذا رفعها نضب، وكانت تقيه الهوام [٢].

س٤: قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي، وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي، وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي، يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ (طه: ٢٥ - ٢٨) **كيف يرسل الله رسولاً وفى آلة التبليغ عقدة لا تبين الكلام؟**

الجواب: لقد صال المفسرون وجالوا فى هذه العقدة (فعن سعيد بن جبير رضي الله عنه فى قوله: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾ قال: عجمة بجمرة نار أدخلها فى فيه عن أمر امرأة فرعون تدرأ به عنه عقوبة فرعون حين أخذ موسى بلحيته وهو لا يعقل قال: هذا عدو لى، فقالت امرأته: إنه لا يعقل) [٣].

---

(١) انظر "الفتوحات الإلهية جـ ٣ ص٦٨ و الكشاف جـ ٢ ص٥٣٣.

(٢) انظر الكشاف جـ ٢ ص٥٣٣.

(٣) تفسير ابن أبى حاتم جـ ٧ ص٢٤٢١ .

وجيء بجمرة وجوهرة فوضعتا أمامه فأراد أن يأخذ الجوهرة، فأخذ جبريل بيد موسى فوضعها على الجمرة فوضعها على فيه فاحترق لسانه، وصارت فيه عقدة، وسواء كانت هذه العقدة موروثة أم من الجمرة ؛ فإنها أثر فى لسان موسى وعرف عنه ذلك، ولما بعثه الله تعالى كان مدركاً لما فى آلة التبليغ من أثرها فقال: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي، يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ وكانت حبسة لطيفة، قال الله عن موسى: ﴿وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي﴾ (الشعراء:١٣)، ولقد أجابه الله عن الأدعية التى طلبها ومنها حل العقدة فقال: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ (طه:٣٦)، ومن العجب أن بعض المفسرين قال: إن العقدة لم تحل كلها لأنه عند طلبه نكّر العقدة وقال: «من لسانى»، ولم يقل «عقدة لسانى» فهو لم يطلب الفصاحة كاملة وقال بعضهم: زالت كلها بدليل ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ وذهب الشيخ «عبد الوهاب النجار» فى كتابه «قصص الأنبياء» إلى الخروج من هذا المأزق فقال: إن هذه العقدة بسبب مكثه فى أرض مدين مدة عشر سنوات، فصار باختلاطه بهم غير فصيح، أمّا هارون فكان بين أهل مصر ولم يتغير لسانه، فنشأ بين المفسرين خلاف لا داعى له لما يأتى:

١- أن موسى أبدى عذراً لله ﷻ بعد أن أرسله من طور سيناء إلى فرعون قائلاً: ﴿رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ، وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ (القصص:٣٣ ، ٣٤) فإبداء العذر وسؤاله إرسال هارون معه كان عقب رجوعه وتكليفه بالرسالة من طور سيناء، فقال الله له ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾، وسؤاله إرسال هارون معه لا ينقص من قدر موسى، وليس فى لسانه عيب، فموسى فصيح بيد أن هارون أفصح منه، وليس فى هذا عيب يخل بالرسالة.

٢- دعاء موسى بقوله: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي، وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي، وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي، يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ كان بعد قوله: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾، وبذلك يكون موسى قد حل الله عقدة لسانه، وليس الأمر كما قال الذين قالوا: إنها لم تذهب بكمالها لأنه لا دليل لهم، بل التنكير دليل على فصاحة موسى، فإنّه يفيد التقليل، ومجىء كلمة «مِنْ» فى قوله: «من لسانى» لأنها ليست للتبعيض، بل هى بيانية، فيكون موسى فصيحاً قبل دعائه، وهارون أفصح منه، وبعد الدعاء صار موسى أفصح مما كان قبل الدعاء.

٣- بقى كلام فرعون، وهو تعييره بقوله: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ، أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ (الزخرف:٥١ ، ٥٢)، فتعييره هذا

كان باعتبار ما قبل رسالة موسى، وفى حالة صغره ثم زالت فى كبره وبعد رسالته ودعائه، وهذا ما نراه فى الأطفال تظهر فى صغرهم وتختفى، ففرعون عرف تلك العقدة حين كان موسى صغيراً وهو فى قصره وذهبت بعد كبر موسى وخروجه عشر سنوات إلى أرض مدين.

أو أقول رداً آخر مع الرد الذى سقته:

إن موسى كان سريع الانفعال، ويظهر ذلك من مواقف متعددة، كقول الله تعالى: ﴿ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ (القصص: ١٥)، وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا، أَلاَّ تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي، قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي﴾ (طه: ٩٢ - ٩٤)، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾ (يونس: ٨٨).

ومن مظاهر انفعاله السريع الخوف عند وقوع شىء مخالف لعادته كرؤيته للعصا حين انقلبت ثعباناً وحية، والخوف من أن يفرط فرعون عليه وعلى أخيه فقال: ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى﴾، فيحتمل أن تكون عقدته حبسة فى لسانه عندما يعتريه الخوف من أمر ما، فسأل الله أن يذهبها فذهبت، وهذا يقع كثيراً من النَّاس، فعندما يداهمهم الخوف يضطرب تفكيرهم، وتنعقد ألسنتهم عن النطق، وظهر إفصاحه عن هذه الحبسة عندما أمره بالذهاب إلى فرعون منذراً، فتذكر الموقف وأدرك أنه سيخاف منه وتعتريه حبسة الخوف، فقال لله تعالى: أرسل معى أخى، فهو أفصح لساناً، وسيشد من أزرى، فأواجه الموقف، قال تعالى: ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى، قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي، وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي، وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي، يَفْقَهُوا قَوْلِي، وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي، هَارُونَ أَخِي، اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾ (طه: ٢٤ - ٣١) وعلى هذا لا يكون فى شخصية موسى أدنى شائبة تخل بالرسالة.

س٥: قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى، إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى، أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ﴾ (طه: ٣٧ - ٣٩).

هل قذف موسى فى البحر وتلقف عدو الله له مَنٌّ؟ وما سر اقتران الساحل بالباء بدل الحرف «على»؟

الجواب: نعم: قَذْفُ موسى فى البحر وتلقف عدو الله له مَنٌّ مِنَ الله على موسى وأمه، وبيان ذلك من وجهين: **الأول**: أنها لو لم تفعل ذلك لطالته يد فرعون وكان القتل مصيره.

و **الثانى**: أن البحر فيه الهلاك عن طريق الغرق فهو يبتلع كل ما ألقى فيه فى أحشائه.

فجعله الله بقدرته الحصن الحصين لإنقاذ موسى من القتل المحقق، وجعل اليد التى تحصد رءوس أطفال بنى إسرائيل هى التى تنتشله وتربيه وتهدهده أليس فى هذا مَنٌّ مِنَ الله عليه.

واقترنت كلمة الساحل بالباء لبيان رحمة الله بموسى فلو قال: «فليلقه اليم على الساحل» لكان هناك أذىً لموسى، ولكنه أتى بالباء ومعناها المصاحبة كما فى قوله تعالى: ﴿اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا﴾ (هود: ٤٨)

س٦: قال تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ (طه: ٣٩)، **وقال تعالى:** ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ (الطور: ٤٨)، **لماذا وحَّد «عين» مع موسى عليه السلام فى الآية الأولى، وجمعها فى الآية الثانية مع سيد الخلق ﷺ؟**

الجواب: وحَّد فى الأولى لأنه أضافها إلى مفرد وهو ياء المتكلم، وجمع لأنه أضافها إلى ضمير الجمع وهو «نا» للمعظم نفسه، **وهذا الجمع إيذان بغاية الاعتناء والحفظ، والتفاوت فى المقام بين الحبيب والكليم.**

س٧: قال تعالى : ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ﴾ (طه: ٤٠)

وقال تعالى: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ﴾ (القصص: ١٣)

ما سر استعمال الرجع فى الآية الأولى والرد فى الثانية؟

الجواب: هما بمعنى واحد، والرجع ألطف لأن الرد فيه حرفان متماثلان، وخصت القصص بكلمة «رددناه» لمواكبة الآيات السابقة، فلقد ورد: ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (القصص: ٧).

س٨: قال الله تعالى: ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ (طه: ٤٣).

ما سر إرسالهما والله يعلم أنه لن يؤمن ؟

الجواب: أرسلهما إلى فرعون إلزاماً للحجة، وقطعاً للمعذرة، كما ورد فى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً﴾ (طه: ١٣٤).

س٩: قال تعالى : ﴿فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ (طه: ٤٤).

ما سر الأمر بأن يقولا له قولاً ليناً مع أن الله أمر رسوله بالإغلاظ على المشركين؟

الجواب: لفرعون حق على موسى فهو الذى رباه فى قصره، ورعاه فى صغره، وهو بمثابة الوالد لموسى، والله لا ينقص أحداً حقه ولو كان مشركاً، فأمره بالإنة القول له.

س١٠: قال تعالى: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولا إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾ (طه: ٤٧). وقال تعالى: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

(الشعراء: ١٦)، ما سر التثنية فى الآية الأولى «رسولاً» والإفراد فى الثانية «رسول» ؟
و فى الأولى قال: ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ﴾ وهى تسع آيات فكيف نوفق؟
﴿الجواب﴾: أما الشطر الأول من السؤال: فقد ثنى فى الأولى وأفرد فى الثانية (لأن الرسول مصدر سُمِّىَ بِهِ، فحيث وحَّده حُمِلَ على المصدر، وحيث ثنى حمل على الاسم، ويجوز أن يقال: حيث وحَّد حُمِلَ على الرسالة لأنهما أرسلا لشىء واحد، وحيث ثنى حمل على الشخصين)[1].
أما الشطر الثانى من السؤال: فإن «آية» نكرة، وهى تفيد كلمة معجزة، وهى تشمل جميع الآيات، أو أن المراد هى الآية الأولى وهى العصا ثم تبعتها بقية الآيات.
س١١: قال الله تعالى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾ (طه: ٤٩)
ما سر خطابه الاثنين مع أنه ينادى واحداً هو موسى؟
﴿الجواب﴾: حذف الثانى وهو هارون لدلالة الأول عليه، ومراعاة الفواصل الآيات حيث انتهت الآيات بالألف.
س١٢: قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً﴾ (طه: ٥٣)
وقال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً﴾ (الزخرف: ١٠)
ما سر مجىء الفعل «سلك» فى الآية الأولى و«جعل» فى الثانية؟
﴿الجواب﴾: (السلوك مع السبيل أكثر استعمالاً، فخص به «طه»، وخص الزخرف بجعله ازدواجاً للكلام، وموافقة لما بعدها)[2].
وأقول: إن «سلك» و«جعل» بمعنى واحد، وهما بمعنى أنشأ، وخص سورة الزخرف التى منها الآية الثانية بقوله: «جعل» لموافقتها لما قبلها وهو قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ وموافقتها لما بعدها ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ﴾ وقوله: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ وقوله: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا﴾.
س١٣: قال تعالى: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لاَّ نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلا أَنتَ مَكَانًا سُوًى، قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ (طه: ٥٨ ، ٥٩).
سألوا مكاناً فأجابهم عن الزمان فكيف التوفيق؟

(١) بصائر ذوى التمييز جـ ١ ص٣١٤.
(٢) بصائر ذوى التمييز جـ ١ ص٣١٤.

﴿ﷺ﴾ **الجواب:** لقد أجابهم إجابة هى أدق وأحكم مما ضربه آل فرعون، فحدد لهم اليوم وهو يوم الزينة، وفى ثناياه تحديد المكان لأنهم فى هذا اليوم يجتمعون فى مكان واحد معروف للكبير والصغير، فكان تحديده أدق وأحكم، واختار موسى هذا اليوم لأنه يوم عيدهم، ويضمهم جميعاً مكان واحد، فأراد أن يعرف النّاس جميعاً رسالته وتظهر معجزته على رؤوس الأشهاد، وتعلو كلمة الله، وتدحض ألوهية فرعون الزائفة.

س١٤: قال تعالى: ﴿قَالُوا إِنْ هَـٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ﴾ (طه: ٦٣)

لقد رفع اسم «إنَّ» وهو منصوب فكيف التوفيق بين الآية والقاعدة؟

﴿ﷺ﴾ **الجواب:** اختلف العلماء فى ذلك:

١- قال بعضهم: «إنْ» هى المخففة من الثقيلة، وأهملت فلا تعمل، ولما أهملت خيف التباسها بالنافية، والإعراب: «هذان» مبتدأ مرفوع بالألف لأنه مثنى، و«لساحران» خبره.

٢- وقال بعضهم: «إنْ» بمعنى: نعم. وليس لها عمل، واسم الإشارة: مبتدأ و«لساحران» خبره.

٣- وقال بعضهم: «إن» مخففة من الثقيلة، وهى عاملة واسمها ضمير محذوف إمّا أنه ضمير الشأن أو ضمير القصة أى: قصة موسى، والضمير هو «ها»، وجملة ﴿هَـٰذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ مبتدأ وخبر فى محل رفع خبر «إن»[(١)].

٤- ذهب بعضهم إلى أنها جاءت على لغة من يلزمون المثنى حالة واحدة فى إعرابه واستدلوا بهذا البيت:

تَزَوَّدَ مِنَّا بَيْنَ أُذْنَاهُ ضَرْبَةً ∴ دَعَتْهُ إلى هَاوى التُّرَابِ عَقِيمِ

س١٥: قال تعالى: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ﴾ (طه: ٧٠).

ما سر تقديم هارون على موسى مع أن موسى هو الأصل فى الرسالة؟

﴿ﷺ﴾ **الجواب:** قدّم هارون على موسى لمناسبة الفواصل، فكل الفواصل بالألف.

س١٦: قال الله تعالى: ﴿قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا، أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي، قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ (طه: ٩٢ - ٩٤)، **ما سر ندائه لأخيه موسى بقوله:** ﴿يَا ابْنَ أُمَّ﴾ **؟ ولماذا لم يقل له: «يا ابن أبى أو**

(١) أنظر: الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون جـ ٨ ص٦٣.

يا أخى»؟ و كيف يأخذ موسى بلحية وبرأس أخيه هارون وهو أكبر منه؟ وكيف يسكت هارون على عبادة العجل؟

ﷺ **الجـواب :** أن موسى كان ثائراً غاضـباً لله، وكـان هـارون خليفـة علـى قومـه، وأخـرج لهـم السامرى عجلاً جسداً له خوار، وكان ذلك فى فترة تلقى الوحى عن الله وكتابته فى الألواح، فلما عاد موسى وجد القوم يعبدون العجل، فأتى إلى خليفته عليهم وهو هارون، فموسـى كان ثـائراً لله وفعل ما يفعله كل عاقل، فأخذ بلحية أخيه ورأسه، فقال له هارون: ﴿يَا ابْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ لقد كان موسى ثائراً ورد عليه هارون حتى يُلطِّف المقام، فذكره بالرحم التى تربطهما، وهذا أبلغ فى الترفق والترحم والتلطف من قولـه: يا ابن أبى أو أخى، وفى هذا استعطاف لموسى وترقيق لقلبه حتى لا يبطش به، فموسى كان على حق لقد خرج لتلقى التوراة، فعاد فوجد القوم يعبدون عجلاً، إنه موقف يطيش فيه عقل الحليم.

واجتهد هارون فخشى إن تركهم تفرقوا، فريق يتبعه وفريق يعكـف علـى عبـادة العجـل مـع صانعه السامرى. أو خشى أن يفضى الأمر إلى قتال بعضهم بعضـاً، وهـارون حـذرهم ولم يسـكت ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي، قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾ (طه: ٩٠ - ٩٢)، فموسى معذور ولم يخطئ، وهارون اجتهد ولم يقصر.

ﷺ **س١٧: قال تعالى : ﴿إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى، وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَى﴾** (طه: ١١٨ - ١١٩) **لماذا قرن بين الجوع والعرى والظمأ والضحو، والمناسبة تقتضى اقـتران الجـوع بالعطش، والعرى بالضحو؟ ولماذا لم يذكر الشبع والكسوة والرِّى والكَنَّ؟**

ﷺ **الجـواب :** وردت الآية على أسلوب «الترصيع» وهو : **اقتران الشىء بمـا يجتمـع معـه فـى قدر مشترك.** فأتى بالجوع مع العرى وبابه أن يكون مع الظمأ ، وبالضحى مع الظمـأ و بابـه أن يكون مع العرى، لكن الجوع و العرى اشتركا فى أمر واحد هو «الخُلُوّ»، فالجوع: خلو البطن من الطعام ، والعرى: خلو الجسد من اللباس، والظمأ والضحى اشتركا فى أمر واحد هو «الاحـتراق» فالظمأ فيه حرارة الجوف وجفافه من عدم الماء، والضحى جفاف الجوف من حر الشمس.

ولم يذكر الشبع والكسوة ،والرى والكَنّ من الحرارة، وذكرهـا بأسمـاء أضـدادها ليـذكره بأصـناف الشقاء، ويحذره منها، فيكون التذكير بالنعم أبلغ، فيكـون ذكـر الشـىء بنفـى ضـده مبالغـة فـى التذكير بالنعمة.

ﷺ س١٨: قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى، قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا، قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى﴾ (طه: ١٢٤ - ١٢٦). **كيف وقع «ضنكا» وصفاً لمعيشة وهى مؤنث؟**

الجواب: إن «ضنكا» مصدر ويستوى فيه المفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث.

لطيفة: كثر الانتحار فى البلدان الغنية مثل السويد وفرنسا وبريطانيا وأمريكا وغيرها، فرغم وجود عوامل الترف من مال كثير وفرش وثير ونساء فاتنات، وصاحب ذلك كثير من حالات الانتحار فى جميع الأعمال، كثر فى الشباب وظهرت حالات انتحار فى وسط الأطفال، وهذا سببه الفراغ الدينى. فلو دخلوا الإسلام وفروا إلى الله ما انتحروا.

(٢١) سورة الأنبياء

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: قال الإمام البقاعى: (لما ختمت «طه» بإنذارهم بأنهم سيعلمون الشقى والسعيد، وكان هذا العلم تارة يكون فى الدنيا بكشف الحجاب بالإيمان، وتارة بمعاينة ظهور الدين، وتارة بإحلال العذاب بإزهاق الروح بقتل أو غيره، وتارة ببعثها يوم الدين، افتتحت هذه - أى سورة الأنبياء - بأجل ذلك وهو اليوم الذى يتم فيه كشف الغطاء، فينتقل فيه الخبر من علم اليقين إلى عين اليقين وحق اليقين، وهو يوم الحساب فقال: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾) (١).

و أقول: انتهت سورة «طه» بقوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى﴾ (طه: ١٣٥) هذا أمر من الله لرسوله بأن يخبر قومه الذين أبوا رسالته، وتمسكوا بدين آبائهم أن يخبرهم بقوله ﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ﴾ أى منتظر ما يؤول إليه الأمر «فتربصوا» فانتظروا «فستعلمون» يوم القيامة مَنْ أصحاب الدين المستقيم، «ومن اهتدى» أنحن أم أنتم، ثم شرع فى أول سورة الأنبياء بأن هذا اليوم قد اقترب فقال: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾.

ﷺ س٢: قال تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ (الأنبياء: ١).
كيف وصف يوم القيامة بالاقتراب و قد مر ما يقرب من ثلاثين وأربعمائة وألف سنة ولم يأت بعد؟

---

(١) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور جـ ١٢ ص٣٧٨ ، ٣٧٩.

﴿الله﴾ **الجواب:** الاقتراب هذا بالزمن البشرى فكل آتٍ وإن طالت أزمانه فهو قريب، قال تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ (الحج:٤٧).

يقول الزمخشرى: (ولأن كل آت وإن طالت أوقات استقباله وترقبه قريب، إنما البعيد هو الذى وجد وانقرض ولأن ما بقى فى الدنيا أقصر وأقل مما سلف منها بدليل انبعاث خاتم النبيين الموعود مبعثه آخر الزمان وقال ﷺ: «بعثت فى نسم الساعة» [1]، وفى خطبة بعض المتقدمين: وَلّت الدنيا حذاء ولم تبق إلاّ صبابة كصبابة الإناء) [2].

س٣: قال تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ (الأنبياء:٢). و **قال تعالى:** ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلاَّ كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ (الشعراء:٥). **كيف يوصف الذكر وهو القرآن بأنه محدث وهو كلام الله القديم ؟**

و ما سر تخصيص الآية الأولى بقوله: ﴿مِّن رَّبِّهِم﴾ والثانية بقوله: ﴿مِّنَ الرَّحْمَنِ﴾ ؟

﴿الله﴾ **الجواب:** وَصْفُ القرآن بكونه محدثاً هو وَصْفٌ لإنزاله، فقد أنزل ولم يكن موجوداً قبل المنزل عليه ﷺ، أما الكلام نفسه فهو قديم أزلى، وقيل: المراد بالذكر مواعظ الرسول ﷺ .

أما الشطر الثانى من السؤال: فلقد خصت الآية الأولى بقوله: «من ربهم» أى بالرب مضافاً لموافقة ما بعدها ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ ، وخصت الآية الثانية بالرحمن وهى فى سورة الشعراء لاختصاص كل سورة بوصف من أوصاف الله تعالى.

س٤: قال تعالى: ﴿لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّواْ النَّجْوَى﴾ (الأنبياء:٣).

النجوى هى الحديث فى السر، فلماذا جملة «وأسروا» ؟

﴿الله﴾ **الجواب:** أفادت هذه الجملة المبالغة فى إخفائهم الحديث الذى يتناجون به حيث لا يفطن أحد إليه ولا يعلم أحد أنهم يتناجون.

س٥: قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لاَّ يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾ (الأنبياء:٨).

ما سر توحيد «جسدا» مع أن الظاهر يقتضى الجمع وهو «أجساد»؟

﴿الله﴾ **الجواب:** من وجهين:

الأول: أن المراد به الجنس على سبيل التأويل بذلك، والجنس يشمل القليل والكثير.

---

(١) نسم الساعة: أى حين ابتدأ وأقبلت أوائلها.

(٢) الكشاف جـ ٤ ص١٢٤ ، ١٢٥.

الثانى: أنه مصدر للفعل «جَسَدَ» بفتح الحروف الثلاثة، والمصدر يطلق على الواحد وما فوقه وعلى المذكر والمؤنث.

س٦: قال الله تعالى عن الملائكة: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٠).

هذه الآية تثبت أن شغل الملائكة هو التسبيح الدائم، وهناك آيات أخرى تشير إلى أنهم يقومون بأعمال كلفوا بها. مثل من يقومون بقبض الأرواح. ومن يقومون بسوق الرياح والأمطار. ومن يقومون بسوق الأرزاق إلى العباد. ومن يقومون بكتابة الأعمال وغير ذلك، وتخلل تسبيحهم حديثهم عن خلق بنى آدم واستغفارهم للمؤمنين. فكيف نوفق بين قوله تعالى: ﴿لا يَفْتُرُونَ﴾ أى لا ينقطعون عن التسبيح وبين هذه الأعمال منهم؟

الجواب: من وجوه:

١- أنهم لا يفترون عن العزم والتصميم على أداء التسبيح فى أوقاته اللائقة به.

٢- أن تسبيحهم يستغرق معظم أوقاتهم كما تقول: فلان مواظب على الجماعة لا يفتر عنها، أى: أنه يؤدى معظمها.

٣- أنهم يسبحون، وإذا قاموا بعمل فإنهم مأمورون به فهو تسبيح أيضاً، فجميع أوقاتهم يسبحون فيها.

س٧: قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنبياء: ٣٠) **ما مفهوم دخول همزة الاستفهام على حرف العطف؟ وما المراد بالسموات؟ وما معنى «رتقا»؟ والكافرون لم يروها على هذه الحالة فما معنى «يرى»؟**

الجواب: من الأساليب الشائعة فى الميدان القرآنى دخول همزة الاستفهام على حرف العطف كالواو والفاء كما فى هذه الآية وثم. فالهمزة فى هذا الأسلوب للإنكار، وهى داخلة على محذوف يقدّر من السياق، وما بعد حرف العطف معطوف على هذا المحذوف، وتقديره فى صدر الآية التى نحن بصددها: أجهلوا ولم يعلموا؟ لأن الفعل «يرى» هو بمعنى يعلم: أن السموات والأرض ﴿كَانَتَا رَتْقًا﴾ وتقديره فى عجز الآية: «أكفروا بعد ذلك فلا يؤمنون»؟ وعلى ذلك فقس جميع هذه الأساليب على هذين المثالين.

والمراد بالسموات كل ما علا فتشمل الكواكب والنجوم والسموات السبع؟ والمراد فى هذه الآية أن السموات هى الشمس وما معها من كواكبها التى انبثقت عنها، فهى كتلة عظيمة من الغازات

الملتهبة، ووقعت فيها انفجارات تناثرت عنها هذه الكواكب التابعة لها ومنها الأرض. ثم أخذ سطح الأرض يبرد فى ملايين السنين، ويدل على ذلك ما يخرج من باطن الأرض عن طريق البراكين، ويقول العلماء: إن المجموعة الشمسية محفوظة بنظام عجيب عن طريق القوة المركزية الجاذبة وهى التى تجذب الكواكب فلا تند عن الشمس والقوة الطاردة المركزية، وهى التى تبعد كواكب المجموعة الشمسية عن الشمس فى مدار ثابت فلا يقع واحد منها على الشمس. والقوتان متعادلتان، هذا ما يقوله العلماء، أما قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ﴾ (فاطر: ٤١)، وقول الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ (الزمر: ٦٧)، فلو لم تكن السموات والأرض بقدرته تعالى لوقع خلل واضطراب فى كثير من النجوم بفعل الانفجارات الهائلة التى تحدث فى ملايين النجوم، فيختل النظام الكونى، ولكنها فى قبضة خالقها، والمجموعة الشمسية التى تتبعها الأرض تابعة لمجرة درب التبانة، وهناك مجرات كثيرة تشتمل على ملايين النجوم والكواكب، فسبحان مكوكبها وخالقها.

أما كلمة «يَرَ» فى قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فليست بمعنى الرؤية البصرية، بل هى العلمية ولا إشكال.

لطيفة: لقد قال الله تعالى فى عجز الآية السابقة: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ وفى هذه الآية دليل على أن كوكب الأرض يختص دون غيره من الكواكب بوجود الماء عليه، ففيه الحياة، أما غيره من بقية الكواكب إلى آخر كوكب فهى عارية عن الحياة، ولا وجود لحيٍّ عليها، وآخر ما أخبرت به الهيئات العلمية الأمريكية وتناقلته وكالات الأنباء العالمية بتاريخ ٢٥ من شعبان سنة ١٤٢٠هـ أن كوكب المريخ عليه ماء وأن مركبة الفضاء الأمريكية هبطت عليه اليوم، ولكن الماء متجمد وليس على صورة سائلة كما هو الحال على كوكب الأرض، وكل ما فى المريخ متجمد.

س٨: قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُوًا﴾ (الأنبياء: ٣٦).

و قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُوًا﴾ (الفرقان: ٤١).

ما سر الإظهار فى الآية الأولى بقوله ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وإضمارهم فى الآية الثانية؟

الجواب: أظهر فى الآية الأولى لأنه لم يتقدم للكفار ذكر، وأضمر فى الآية الثانية لأنه تقدم حديث عنهم: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لا يَرْجُونَ نُشُورًا، وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُوًا﴾ فلما تقدم ذكرهم أضمر.

س٩: قال تعالى: ﴿أَفَلا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (أنبياء: ٤٤)، **كيف ينقص الله الأرض؟**

الجواب: نظر العلماء قديماً إلى هذه الآية فقالوا: إن «أل» في الأرض للعهد، والمراد بها أرض الكفرة، وإنقاصها بإتيان جيوش المسلمين عليها ودخولها، وأسند الإتيان عليها ونقصانها إلى نفسه تعظيماً للمؤمنين. ولو دققنا النظر في الآية لوجدنا فيها معنىً آخر غير هذا المعنى وهو:

أن الأرض تنقص بعوامل التعرية، فالماء في البحار والمحيطات يأكل من الأرض وينقصها، وهناك مدن من قديم الزمان أكلها البحر وأصبحت مستقرة في أحشائه كالإسكندرية القديمة، فآثارها الآن تحت المياه، وعلماء الآثار والبحار يقومون بإجراء الأبحاث عليها وهي في أعماق البحر.

وهناك جزر تأكل منها المياه وشطآن تبتلعها الأمواج، وهناك الرياح التي تؤثر في الأرض وتنقص منها، والله هو الذي خلق ذلك.

س١٠: قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (الأنبياء: ٤٧).

كيف توزن الأعمال وهي أعراض؟ وما سر اختيار حبة الخردل دون بقية الحبوب؟

الجواب: عن الشطر الأول من وجهين:

الأول: أن الكلام على حذف مضاف والتقدير: ونضع موازين صحائف الأعمال.

الثاني: قال كثير من المفسرين إن الله يجعل في كفة الحسنات جواهر بيضاء مشرقة، جوهرة بعدد الحسنة، وفي كفة السيئات أعياناً سوداء مظلمة، فيحصل الوزن.

والجواب عن الشطر الثاني من السؤال: أن اختيار حبة الخردل لأنها أقل الحبات وزناً، وأنها لا تثقل ميزاناً.

س١١: قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ، قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾ (الأنبياء: ٥٢).

وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ، قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ، قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ، أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ، قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ (الشعراء: ٧٠ - ٧٤).

ما سر اختلاف الأسلوب في الآيتين في الأولى قال ﴿قَالُوا وَجَدْنَا﴾ وفي الثانية قال ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا﴾ ؟

الجواب: أن قوله في الآية الأولى: ﴿وَجَدْنَا آبَاءَنَا﴾ جواب لقوله تعالى: ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ﴾، وفي الآية الثانية جواب من القوم لسؤال إبراهيم ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾، ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾، ثم قال

لهم: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ، أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾، فأتى بصيغة الاستفهام ومعناه النفى ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا﴾ أى قالوا: «لا بل وجدنا» لأن السؤال فى الآية يقتضى أن يكون فى جوابهم نفى لينفى ما نفاه السائل فأضربوا عنه بحرف الإضراب «بل»، وهذا إضراب من ينفى الأول ويثبت الثانى، فقالوا: «بل وجدنا»[1].

س١٢: قال تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلاَّ كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ (الأنبياء: ٥٨).

لماذا أتى بضمير الجمع للعقلاء فى قوله: «فَجَعَلَهُمْ» وفى قوله: «لهم» مع أنه يعود على غير العقلاء وهم الأصنام؟

الجواب: أتى بضمير العاقل لغير العاقل جرياً على اعتقاد المشركين بأنها تنفع وتضر وهذا النفع والضر من صفات العقلاء.

س١٣: قال الله تعالى: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴾ (الأنبياء: ٦٥).

هذا رد من إبراهيم على عبدة الأصنام الذين سألوه: ﴿أَأَنتَ فَعَلْتَ هَـذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾، فأجابهم: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾، أليس هذا كذباً والكذب على الرسل محال؟

الجواب: (والجواب من وجهين:

الأول: أنَّ قصد إبراهيم عليه السلام لم يكن إلى أن ينسب الفعل الصادر عنه إلى الصنم، بل قصده تقريره لنفسه وإثباته لها على أسلوب تعريضى، كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتاباً بخط رشيق وأنت شهير بحسن الخط: أنت كتبت هذا وصاحبك أُمِّىٌّ لا يحسن الخط أو لا يقدر إلاَّ على خرمشة فاسدة، فقلت له: بل أنت كتبته، كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به، لا نفيه عنك وإثباته للأمى والمخرمش؛ لأن إثباته والأمر دائر بينكما للعاجز منكما استهزاء به وإثبات للقادر.

الثانى: أن إبراهيم عليه السلام غاظته تلك الأصنام حين رآها مصطفة مرتبة وكان غيظه من كبيرها أشد لما رأى من زيادة تعظيمهم له وتبجيلهم فأسند الفعل إليه لأنه هو السبب كما يسند الفعل إلى الحامل عليه)[2].

---

(١) أنظر كتاب "بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز جـ ١ ص٣٢٠ وهذا بتصرف.

(٢) الروض الريان فى أسئلة القرآن جـ ١ ص٢٦٢، ٢٦٣.

س١٤: قال تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ (الأنبياء: ٦٩). **كيف يصح مخاطبة النار وهى لا تعقل ؟ وكيف امتنعت عن إحراق إبراهيم وطبعها وعملها الإحراق؟**

الجواب: وجواب الشطر الأول من السؤال: أن المراد بالخطاب التكوين والتحويل، وهذا النوع من الخطابات لا يختص بالعقلاء فقط بل هو للعقلاء وغيرهم، والقرآن الكريم مترع بهذا الأسلوب، فعلى سبيل المثال يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (النحل: ٤٠)، وكقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي﴾ (هود: ٤٤). وكقوله تعالى: ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ﴾ (سبأ: ١٠)، وقال تعالى: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ (فصلت: ١١).

أمَّا الشطر الثانى من السؤال: فإن الله سلب من النار خاصيتها وطبعها، وأبقى إضاءتها وإشراقها فكانت بردًا وسلامًا على إبراهيم وهذه معجزة لإبراهيم عليه السلام.

س١٥: قال تعالى : ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ﴾ (الأنبياء: ٧٠).

وقال تعالى فى سورة الصافات: ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَسْفَلِينَ﴾ (الصافات: ٩٨).

ما سر مجىء الأنبياء فى الآية الأولى والأسفلين فى الثانية؟

الجواب: فى سورة الأنبياء ومنها الآية الأولى كاد إبراهيم القوم كيدًا ،وأقسم على ذلك، قال تعالى : ﴿وَتَاللَّهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾، وهم كادوا لإبراهيم، قال تعالى: ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾، فوقعت بينهم مكايدة فغلبهم إبراهيم لأنه حطم أصنامهم فهزموا، ولم يهزموه عند إلقائه فى النار لأن الله حفظه، وجعلها بردًا وسلاماً عليه، فكانوا هم الأخسرين، وفى سورة الصافات ومنها الآية الثانية: ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾، فأوقدوا ناراً عظيمة وأجّجوها، وبنوا بنيانًا عالياً، ورفعوه إليه ورموه منه إلى أسفل، فخصت الصافات بالأسفلين.

س١٦: قال تعالى : ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلاًّ جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ (الأنبياء: ٧٢).

لقد وهب الله لإبراهيم إسحاق ويعقوب فما سر جعل يعقوب نافلة دون إسحاق؟

الجواب: لقد تفضل الله على إبراهيم وسارة بإسحاق فبشرهما به، وزاد فضله بيعقوب فهو ابن إسحاق يقول تعالى عن زوج إبراهيم: ﴿فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ﴾ فبشرهما بالولد وهو إسحاق وبولد الولد وهو يعقوب، فكان نافلة أى زيادة فى البشارة.

س١٧: قال تعالى : ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ، فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ (الأنبياء ٧٨، ٧٩).

كيف يفهمها الله لسليمان وهو لم يُنَبَّأ بعد وترك داود وهو نبى يوحى إليه؟
ولماذا جمع الضمير فى «لحكمهم» مع أنه يعود على داود وسليمان؟

الجواب : القضية هى أن غنمًا لقوم انتشرت فى حرث قوم آخرين بالليل، فأفسدت الحرث وأهلكت زرعه، فحكم داود بالغنم لصاحب الحرث، فقال سليمان وهو ابن إحدى عشرة سنة : أرى أن تدفع الغنم إلى أهل الحرث ينتفعون بألبانها وأولادها وأصوافها، وأن الحرث يصير إلى أرباب الشاء يقومون عليه حتى يعود كهيئته يوم أفسد، لقد اجتهد داود واجتهد سليمان، وليس هناك وحىٌ فى هذا الشأن؛ لأن سليمان كان ابن إحدى عشرة سنة، وداود لم يوحَ إليه فى هذا الشأن فاجتهد الوالد والابن وكان اجتهاد الابن أشبه بالصواب، وقيل : حكم الاثنان داود وسليمان بالوحى، وكان وحى سليمان بالإلهام، إلاَّ أن حكم داود نسخ بحكم سليمان، وهذا بعيد لأن سليمان لم يصل سن الأربعين بل كان مجتهدًا، وأفهم الله سليمان عن طريق الإلهام هذا الحكم ليكون ذلك توطئة لنبوته وملكه بعد ذلك.

وجمع الضمير فى قوله : «لحكمهم» لأنه أراد داود وسليمان والمتحاكمين إليهما.

س١٨: قال تعالى : ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (الأنبياء ٧٩).
ما سر تقديم الجبال على الطير والطير لها منطق قال تعالى عنها : ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ (النمل : ١٦)، **والجبال جمادات؟**

الجواب : أن تسبيح الجبال أدل على المعجزة لأنها جمادات، والكل يسبِّح ويهتف بتنزيه الله، قال تعالى : ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (الإسراء : ٤٤).

س١٩: قال تعالى : ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾ (الأنبياء : ٨١)، **وقال تعالى : ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاء حَيْثُ أَصَابَ﴾** (ص : ٣٦). **كيف نجمع بين وصف الريح بكونها عاصفة ووصفها بكونها «رخاء» ؟**

الجواب : لقد سخر الله لسليمان الريح وجعلها طائعة لسليمان حسب ما يريدها، فإن كان يريدها عاصفة شديدة تعصف وتزمجر كانت كذلك، وإن أرادها رخية طيبة كالنسيم صارت كذلك، فعن الآية الأولى قال : ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ﴾، وعن الثانية قال : ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاء﴾ ولا تعارض.

س٢٠ : قال تعالى : ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ (الأنبياء : ٨٣،

٨٤)، وقال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا﴾ (ص:٤٣).

ما سر مجيء (عندنا) في الآية الأولى و(منا) في الآية الثانية؟

الجواب: قال في الآية الأولى: ﴿مِنْ عِندِنَا﴾ لأن أيوب قد بالغ في التضرع والتذلل والدعاء. وختم تضرعه بقوله: ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ فأجابه الله بمبالغة مناسبة لمبالغته في دعائه فقال: ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾، لأن (عند) تدل على أن الله آتاه ما سأله من غير واسطة. والآية الثانية وهي من سورة «ص» سبقها حديث بقوله: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا﴾. وقوله: ﴿وَوَهَبْنَا﴾ ليكون مناسباً لصدر الآية.

س٢١: قال تعالى: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ (الأنبياء:٩١).

و قال تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ (التحريم:١٢).

كيف نوجه الآيتين ففي الأولى قال: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا﴾ وفي الثانية قال: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ﴾ ؟

الجواب: أن الضمير في (فيها) يعود على مريم لأنها المقصودة بالذكر؛ لأن النفخ والحمل والاستمرار فيه حتى تلد هي ظرف له، فخصت بالتأنيث، أمَّا الضمير المذكر (فيه) في الآية الثانية فالمراد به الفرج؛ لأن الحديث في هذه الآية حديث عن الإحصان، والإحصان يكون للفرج، فعبر عنه بضمير المذكر، وذهب بعض المفسرين إلى أن المراد بالفرج هو فرج جيبها.

س٢٢: قال تعالى: **﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾** (الأنبياء:٩٨). **هذه الآية تبين أن ما عُبِدَ من غير الله سيُلقى في جهنم مع عابده، فالعابدون والمعبودون وقود جهنم، فهل عيسى عليه السلام سيكون مع من زعم بنوته لله والعُزَيْر مع اليهود والكل في جهنم؟ وما السر في إلقاء المعبودين في النار وسيكونون حطب جهنم؟**

الجواب: أن الآية خطاب لمشركي مكة والمراد بها الأصنام والأوثان وهي لا تعقل، ولو أراد عيسى والعزير لقال: (إنكم ومن تعبدون)، وأتى بـ «من» للعاقل، ولكنه أتى بـ«ما» وهي لغير العاقل فدل على أن الآية لا تشمل عيسى والعزير.

والسر في إلقاء المعبودين في النار مع العابدين ما يأتي:

١- التبكيت لمن عبدوها وزيادة في توبيخهم حتى تتضاعف حسرتهم.

٢- أنها تحمى في النار فتلتصق بأجسادهم فيزداد عذابهم.

س٢٣: قال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾** (الأنبياء:١٠١).

و قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ (مريم:٧١).

كيف يردونها والآية الأولى تخبر بأنهم عنها مبعدون فكيف التوفيق بين الآيتين؟

الجواب: من وجهين:

١- أنهم يردونها ويمضون على الصراط، حتى إذا تجاوزوها أبعدوا عنها.

٢- أنهم مبعدون عن إحراقها وعذابها وآلامها.

س٢٤: قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء:١٠٧).

الرسول ﷺ لم يكن رحمة للكافرين وهم من العالمين، ولو لم يبعث لما عُذّبوا بكفرهم؟

الجواب: المراد بالعالمين المؤمنون، وهو رحمة للكافرين في عصره لأن الله لم يعذبهم عذاب استئصال قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (الأنفال:٣٣).

س٢٥: قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ﴾ (الأنبياء:١١٢)

الله يحكم بالحق فهذا القول تحصيل حاصل؟

الجواب: الحق هنا ليس ضد الباطل ولكن ما وعده الله من النصر والظفر على أعدائه.

(٢٢) سورة الحج

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: يقول الإمام البقاعي: (لما ختمت التي قبلها - أي سورة الأنبياء - بالترهيب من الفزع الأكبر وطي السماء وإتيان ما يوعدون والدينونة بما يستحقون، وكان أعظم ذلك يوم الدين، افتتحت هذه - أي سورة الحج - بالأمر بالتقوى المنجية من هول ذلك اليوم فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أي الذين تقدم أول تلك أنه اقترب لهم حسابهم ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ أي احذروا عقاب المحسن إليكم بأنواع الإحسان بأن تجعلوا بينكم وبينه وقاية بالطاعات)[1].

س٢: قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ (الحج:٢).

ما سر الجمع في الخطاب في قوله: «ترونها»؟ والإفراد في قوله: ﴿وَتَرَى النَّاسَ﴾ ؟

ولِمَ آثر كلمة «مرضعة» على «مرضع» ؟ وما سر إثبات السكر ونفيه؟

الجواب: سر الجمع في قوله: (ترونها) والإفراد في قوله: (وترى النّاس) من أوجه:

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور جـ ١٣ ص١ بتصريف.

١- (جمع فى الأول : لأن الرؤية متعلقة بالزلزلة، وكل النّاس يرونها، وأفرد ثانياً لأن الرؤية الثانية متعلقة بكون النّاس سكارى فلا بد من جعل كل أحد رائيًا للباقى بقطع النظر عن اتصافه بالسكر) [1].

٢- جمع فى الأولى على معنى يوم ترونها أيها النّاس، وأفرد ثانياً لأن المخاطب مفرد وهو الرسول ﷺ. أو المخاطب على معنى الجمع والتقدير. وترى أيها المخاطب، وهو كل من له أهلية الخطاب.

وآثر كلمة «مرضعة» على مرضع، لأن كلمة مرضعة بالتاء المربوطة هى التى ألقمت ثديها للرضيع، والمرضع هى التى من شأنها أن ترضع، ولكنها لا تباشر الإرضاع فى حال وصفها به، فآثر الكلمة الأولى ليدل على هول الموقف، فإذا فوجئت به المرضعة وقد ألقمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما يعتريها من هول ورعب، وأثبت السكر للناس على سبيل التشبيه أى ذهبت عقولهم من الفزع والهول والخوف، ونفاه عنهم على سبيل الحقيقة وليس هو السكر المعهود إليكم أيها النّاس، وأكد النفى بزيادة حرف الباء «بسكارى» فهى مزيدة للخبر.

س٣: قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (الحج: ٥). فى الآية ما يوهم التناقض فى قوله «من تراب» وفى غيرها «من طين»؟ وما الفرق بين الأجل المسمى فى هذه الآية وغيرها من الآيات؟

الجواب: ليس فى الآية تناقض، بل هى مراحل خلق الإنسان والمراد به آدم، فأصل الطين التراب قبل اختلاطه بالماء فأتت هذه الآية بذكر الأصل، وأتت سورة السجدة وغيرها بقوله: «من طين» بذكر التراب بعد اختلاطه بالماء، ولما صار طينًا وتغيرت رائحته وصار حمأً أى ذا رائحة كريهة انفردت سورة الحجر بذكره، فهذه مراحل خلق آدم، وخلقت حواء من ضلعه، أمّا ذريته فذكرت الآية التى نحن بصددها والآيات الأخرى مراحل خلقهم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاماً ثم إنساناً كاملاً، فليس فى هذه الآيات تناقض.

وبالنسبة للأجل المسمى: فإن معظم الآيات القرآنية تأتى بالأجل المسمى، ومعناه الوقت المعلوم، والمراد منه متباين فتارة كما فى سورة البقرة فى آية الدّيْن يراد به الوقت المعلوم، وفى

---

(١) الفتوحات الإلهية جـ ٣ ص١٥٢.

كثير من السور المراد به يوم القيامة، وفى هذه الآية فى سورة الحج المراد به وقت الولادة.

س٤: قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ (الحج: ١٠).

و قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ (الأنفال: ٥١).

ما سر إفراد اليد فى الأولى وجمعها فى الثانية؟

الجواب: أن الآية الأولى نزلت فى النضر بن الحرث، وقيل: فى أبى جهل، فأفرد اليد مراعاة للسياق، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وتشمل كل من اتصف بهذا الوصف، ويدخل النضر أو أبو جهل دخولاً أوليًا. أمَّا الآية الثانية فنزلت فى القوم الذين تحدثت عنهم الآية.

س٥: قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ (الحج: ١١).

هل فى العبادة عبادة على حرف؟

الجواب: أى أنه يعبد الله على طرف من الدين لا فى وسطه وقلبه، وهذا مثل للذى يعبد الله وهو قلق مضطرب لم يغمر الإيمان قلبه ولم تملأه الطمأنينة والسكينة فإن أصابته السراء والترف والظفر اطمأن وقرّ، وإن عصفت به الضراء طار على وجه وفر ولم يرض بالقضاء وخرج عن عقيدته.

س٦: قال تعالى: ﴿يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُ وَمَا لا يَنفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ، يَدْعُو لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾ (الحج: ١٢، ١٣).

الضر والنفع منفيان فى الآية الأولى ﴿مَا لا يَضُرُّهُ وَمَا لا يَنفَعُهُ﴾ ومثبتان فى الآية الثانية: ﴿يَدْعُو لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ﴾ ؟

الجواب: نفى النفع والضر لأنه الأصل، لكون الأصنام لا تنفع ولا تضر لأنها جمادات من صنع أيديهم، هذا فى الآية الأولى وأثبتهما فى الآية الثانية لأمرين:

١- لأنها كانت سبباً فى إضلال كثير من النَّاس، فأثبت لها الضر والنفع من هذا الوجه.

٢- أثبت لها النفع جريًا على اعتقاد هؤلاء المشركين؛ لأنهم يعتقدون أنها تشفع لهم.

س٧: قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ (الحج: ١٨).

لفظ «مَن» فى الآية يدل على العموم، ويدخل النَّاس فى هذا العموم، فما سر ذكر كثير من

النَّاس بعدها؟ والسجود من صفات العقلاء وهو وضع الجبهة على الأرض، فكيف يسجد الشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب؟

﴿الله﴾ **الجواب:** لو لم يذكر قوله: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾ لأوهم حذفه أن كل النَّاس يسجدون، وليس الأمر كذلك، لأن الكفرة والملاحدة لا يسجدون، فذكر «كثير من الناس» يدفع هذا الوهم ويبين أن هناك من لا يسجد، والدواب أفضل منهم.

وأمَّا الشطر الثانى من السؤال: فإن سجود المخلوقات يختلف باختلاف ذات كل مخلوق، فسجود بنى آدم معلوم، أمَّا سجود هذه المخلوقات فهو انقيادها وانصياعها لما خلقت له، وسمِّيت طاعتها سجوداً تشبيهاً بالعباد المكلفين الذين يسجدون لربهم، وعبر بالسجود دون الطاعة مع هذه المخلوقات، لأنه أدل فى الطاعة والعبادة. أو أننا نقول: إن المراد بالسجود التسبيح، فكل ما فى كون الله يهتف بتسبيحه وتحميده.

س٨: قال تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ (الحج: ١٩).

كيف يأتى بصيغة الجمع مع أن المتقدم مثنى وهو خصمان؟ وما معنى «فى ربهم» ؟

﴿الله﴾ **الجواب: المراد بالخصمين الفريقان ، وكل فريق مكون من أفراد فهما مثنى فى اللفظ ، جمع فى المعنى، فلهذا أتى بصيغة الجمع «اختصموا» مراعاة للمعنى.**

وقيل: إن الآية نزلت فى حمزة وعلىٍّ وعبيدة بن الحارث حين برزوا لعتبة وشيبة والوليد بن عتبة، وقُتِلَ هؤلاء الكفرة فأنزل الله هذه الآية.

ومعنى ﴿فِي رَبِّهِمْ﴾ أى فى شأن ربهم أو فى دينه أو فى ذاته وصفاته.

س٩: قال تعالى: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (الحج: ٢٢)، وقال تعالى: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ (السجدة: ٢٠)

ما سر ذكر الغم فى الآية الأولى وذكر كلمة «قيل لهم» فى الثانية؟

﴿الله﴾ **الجواب: لأن دواعى الغم وأسبابه كثيرة فى الآية الأولى، فلقد قُطِّع للكفرة ثياب من نار، ويصب من فوق رءوسهم الحميم، فتصهر أحشاؤهم وجلودهم، ومع الملائكة مطارق وسياط يضربونهم بها، فلا يجد الكفار متنفسًا لهم، فدواعى الغم كثيرة فلهذا ذكر الغم فى الآية الأولى بخلاف الثانية، وكلمة «ذوقوا» فى الآية الأولى أضمر فيها القول، وأظهر فى الآية الثانية، وخصت الأولى بالإضمار لطول الكلام فى وصف العذاب، وخصت الثانية بالإظهار موافقة لقوله**

قبلها: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾، وقوله: ﴿أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ﴾.

س١٠: قال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لاَّ تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (الحج: ٢٦)، **وقال تعالى:** ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (البقرة: ١٢٥)، **ذكر (القائمين) في الآية الأولى مكان (العاكفين)، وحقه أن يذكر (العاكفين) لأنه سبق الحديث عن العاكف في قوله** ﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاء الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ **فما سر ذلك؟**

الجواب: أن القائمين في الآية الأولى مراد بهم العاكفون، وذكرهم بلفظ القائمين دون العاكفين، لأنه لما تقدم ذكرهم عبّر عنهم بعبارة أخرى.

س١١: قال تعالى: ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ (الحج: ٤٠)، **كيف تهدم الصلوات؟**

الجواب: المراد هدم أماكن الصلوات.

س١٢: قال تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ، وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ، وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ﴾ (الحج: ٤٢ - ٤٤).

لماذا لم يأت موسى على النسق فجميع الأنبياء كذبهم أقوامهم ما عدا موسى؟

الجواب: لم يأت موسى على النسق لأن موسى لم يكذبه قومه بل كذّبه فرعون وقومه.

س١٣: قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ (الحج: ٦٢).

وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ﴾ (لقمان: ٣٠).

ذكر في الآية الأولى ضمير الفصل «هو الباطل» دون الثانية، فما سر ذلك؟

الجواب: أن ضمير الفصل ذكر للتوكيد، ولقد وقع بين عشر آيات كل آية مؤكدة مرة أو مرتين بأدوات التوكيد المختلفة فورد الضمير للتوكيد، ولم تكن سورة لقمان التي فيها الآية الثانية كذلك.

س١٤: قال تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (الحج: ٦٤)، **و قال تعالى:** ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (لقمان: ٢٦).

ما سر زيادة اللام على الضمير «هو» في الآية الأولى وحذفه من الثانية؟

الجواب: زاد اللام للتوكيد في الآية الأولى لأنه كثر التوكيد بها في الآيات السابقة عليها

وهى ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾، ﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلاً يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾، ﴿لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾. فـأتى بها مراعاة للسياق وليس فى لقمان كذلك.

س١٥: قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ (الحج:٦٣).
كان السياق يقتضى التعبير بالماضى فى قوله: «فتصبح» فيقال: فأصبحت لمراعاة السياق «أنزل». فما سر التعبير بالمضارع؟

الجواب: أفاد التعبير بالمضارع أن المطر يبقى أثره زماناً طويلاً كما تقول: أسبغ الله علىَّ نعمة فأتقلب فى ظلها آناء الليل وأطراف النهار.

س١٦: قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ (الحج:٧٨).
لم يكن نبى الله إبراهيم أباً للأمة كلها، فما سر جعله أباً لها فى الآية؟

الجواب: إبراهيم جد رسول الله ﷺ، وتطلق كلمة أب على الجد، فهو أبٌ لرسول الله ﷺ لأن أمة الرسول فى حكم أبنائه قال تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ (الأحزاب:٦).

س١٧: قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ (الحج:٧٨). **متى سماهم المسلمين؟**

الجواب: سماهم المسلمين حين دعا مع إسماعيل بقولهما: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ﴾ (البقرة:١٢٨).

(٢٣) سورة المؤمنون

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: يقول البقاعى: (لما ختمت الحج بنداء الذين آمنوا وأمرهم بأمور الدين خاصة وعامة، وختم بالصلاة والزكاة والعصمة به سبحانه موصوفاً بما ذكر، أوجب ذلك توقع المنادين كل خير، فابتدأت هذه – أى سورة المؤمنون – بما يثمر الاعتصام به سبحانه فى الصلاة وغيرها من خلال الدين فى الدارين فقال تعالى مفتتحاً بحرف التوقع: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ »[1].

(١) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور جـ ١٣ ص١٠٥

﷽ س٢: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ، إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ (المؤمنون: ٤، ٥).

لِمَ عبَّر بما فى «ما ملكت» وهى غالباً تستعمل لغير العقلاء والمراد بها الإماء فكان السياق يقتضى «مَنْ» فيقال: «مَن ملكت»؟ فما سر مجىء «ما» ؟

﴿الله﴾ **الجواب:** أتى بـ«ما» وأراد الإماء لنقصهن عن الحرائر، والإماء يتصفن بوصفين:

١- الأنوثة وهى مظنة نقصان العقل كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ فهن يكفرن العشير.

٢- والإماء تباع وتشترى كسائر الأمتعة، فعبر بـ«ما» دون «من» من أجل ذلك.

﷽ س٣: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ (المؤمنون: ٩).

لقد ذكر فى الآيات السابقة ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾، ثم ذكر هذه الآية فقال فيها: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ هل فى هذا تكرار؟

﴿الله﴾ **الجواب: ليس فى هذا تكرار فالآية الأولى حديث عن ورع المؤمنين وخشوعهم فى صلاتهم، والآية الثانية حديث عن محافظتهم على الصلاة، فليس بتكرار.**

﷽ س٤: قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ، ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ (المؤمنون: ١٥، ١٦).

لقد أكد الموت باللام وهو لا يفتقر إلى التأكيد لأنه لا ينكره أحد، وجرد البعث من التأكيد فلم يقل: «لتبعثن» أو «لمبعوثون» ما سر ذلك؟

﴿الله﴾ **الجواب:** «أنهم لما عاملوا الموت معاملة من لم يمت لذهولهم عنه بجمع الأموال وبناء البنيان واشتغالهم عنه بملاذّ الدنيا وشهواتها، حسن تأكيد الموت تنبيهاً لهم من سنة الغفلة، وجرد البعث عن التأكيد لوجهين:

الأول: إمّا لأن العطف ربط بين الجملتين فأفادت الثانية ما أفادته الأولى من التأكيد، أو لأن المخاطبين هم المؤمنون، وهم لا يرتابون فى البعث.

الثانى: أن الأمور الوجودية غنية عن التأكيد، والأمور العدمية مفتقرة إليه ليقرب من الوجود، فتركه فى صدر الآيات ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ صفة إيجادية، وكذا ما بعده إلى قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ جميعها صفات إيجادية، فلما ذكر الموت وهو وصف عدميٌّ حسن تأكيده، فلما ذكر البعث جرده عن التأكيد لأنه وصف وجودى، فاستغنى عن تأكيده، والله أعلم بمراده» [1].

(١) الروض الريان فى أسئلة القرآن جـ ١ ص٢٧٤، ٢٧٥

س٥: قال تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاء تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ﴾ (المؤمنون: ١٩)، **ينشئ الله بالماء جميع أنواع الأشجار والثمار، فلِمَ خص النخيل والأعناب؟**

ولِمَ أفرد كلمة «فاكهة» فى سورة الزخرف فقال: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ، لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (الزخرف: ٧٢، ٧٣) ؟

الجواب: خص النخيل والأعناب لأمرين:

الأول: لأنهما يكثران فى بلاد العرب، فنعمة الله ظاهرة فيهما.

الثانى: لأنهما أكرم الشجر وأفضله، ولأنهما أجمع من غيرهما؛ لأن ثمرهما جامع بين أمرين:

١- أنهما فاكهة يتفكه بهما.

٢- أنهما طعام يؤكل رطبًا ويابسًا أى رطبًا وعنباً. وتمراً وزبيباً.

وأفرد فى سورة الزخرف مراعاة للفظ «جنة» فهى مفرد، وجمع فى الآية الأولى مراعاة للفظ الجمع «جنات» .

س٦: قال تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاء تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ﴾ (المؤمنون: ٢٠)، **المراد بهذه الشجرة شجرة الزيتون وهى تخرج فى أماكن أخرى من المعمورة كشمال إفريقيا وأوربا، فما سر التعبير بخروجها من طور سيناء؟**

الجواب: خصت بخروجها من طور سيناء **لأن أصل إنباتها فى هذا المكان ثم نقلت إلى الأماكن الأخرى**، وهى تعمر فى الأرض كثيراً، **قال بعضهم إنها تعمر ثلاثة آلاف سنة.**

س٧: قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ (المؤمنون: ٢٤). **وقال تعالى: ﴿قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً﴾** (فصلت: ١٤).

فما سر ذكر لفظ الجلالة «الله» فى الآية الأولى وذكر لفظ «رب» فى الثانية؟

الجواب: فى الآية الأولى تقدم عليها لفظ الجلالة «الله» مرتين، **فأتت الآية موافقة السياق**، وفى الآية الثانية ذكر لفظ «رب» فى الآية التاسعة قبلها، قال تعالى: **﴿ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ فأتت الآية بلفظ «ربنا» لموافقة السياق أيضاً.**

س٨: قال تعالى: ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (المؤمنون: ٢٨)، **هلا قال الله لنوح: «فإذا استويتم على الفلك» لأنهم كانوا معه فى الفلك؟**

﴿ﷲ﴾ **الجواب:** لو قال الله: «فإذا استويتم» كان الخطاب لنوح ومن معه فيكون القوم مخاطبين، وهم لا يرقون إلى مرتبة المخاطبة، لأنه لا يرقى إليها إلاّ ملك أو نبى، أمّا الجملة الواردة فى الآية فإنها خطاب لنوح وهو نبى وإمامهم، فكان الخطاب له خطاباً لهم على طريق التبعية.

س٩: قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الآخِرَةِ﴾ (المؤمنون:٣٣).

و قال تعالى: ﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ﴾ (الأعراف:٨٨).

فما سر اقتران الآية الأولى بالواو وحذفها من الثانية؟

﴿ﷲ﴾ **الجواب:** الآية الأولى اقترنت بالواو لأنها للعطف، عطفت ما قاله القوم على ما قاله نوح عليه السلام، أمّا الآية الثانية وغيرها فهى بغير واو على تقدير سؤال سائل قال: فما قال الملأ من قومه؟ فكان الجواب: قال الملأ كذا وكذا.

س١٠: قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ﴾ (المؤمنون:٣٣).

و قال تعالى: ﴿ قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾ (الأعراف:٦٦).

ما سر تقديم الجار والمجرور «من قومه» فى الآية الأولى وتأخيره فى الثانية؟

﴿ﷲ﴾ **الجواب:** أن صلة الموصول «الذين» فى الآية الثانية اقتصرت على الفعل وضمير الفاعل فى «كفروا»، ثم ذكر بعدهما الجار والمجرور، ثم ذكر المفعول به وهو المقول ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾، وليس كذلك فى الآية الأولى، فإن صلة الموصول طالت بذكر الفعل والفاعل والعطف عليه بجملتين: «كذبوا» و«أترفناهم»، فقدّم الجار والمجرور فيها لأن تأخيره يحدث لبسًا وركاكة فى الكلام.

س١١: قال تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاء فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (المؤمنون:٤١)، **و قال تعالى:** ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاء أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ﴾ (المؤمنون:٤٤).

ما سر تعريف القوم فى قوله: «للقوم» فى الآية الأولى، وتنكير القوم فى الثانية: «لقوم» ؟

﴿ﷲ﴾ **الجواب:** عرف القوم فى الآية الأولى لأنهم معرفة، فهم قوم صالح، فالسياق ذكر نعوتهم فالقوم معرفة، أمّا التنكير فى الآية الثانية فإن الحديث عن أقوام لم تعرّفهم بدليل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ، مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ، ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ فجاء التنكير على حسب السياق.

س١٢: قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ (المؤمنون:٥٠)، **سبق اثنان ابن مريم ومريم، فما سر إفراد «آية» ولم يقل آيتين؟**

﴿الله﴾ **الجواب:** من وجهين:

الأول: اللفظ محتمل للتثنية على تقدير: «وجعلنا ابن مريم آية وأمه آية»، ثم حذفت الأولى لدلالة الثانية عليها.

الثاني: أن لفظ «آية» جنس، فهو للتثنية والجمع كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ، يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل: ١٠، ١١).

س١٣: قال تعالى: ﴿وَلا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ (المؤمنون: ٦٢). **المراد بالكتاب كتب الحفظة التي سطرتها الملائكة من خير أو شر لكل فرد من بني آدم، فما سر ظهور هذا الكتاب يوم القيامة مع أن الله عالم بأعمالهم؟**

﴿الله﴾ **الجواب:** جعل الله هذا الكتاب حتى يكون أكمل للحجة على بني آدم وأقطع للمعذرة.

س١٤: قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ (المؤمنون: ٧٠) **المراد بالكارهين الحق هم كفار مكة، وكلهم كانوا كارهين للقرآن، فلماذا قال «أكثرهم»؟**

﴿الله﴾ **الجواب:** الأكثر هم الكارهون، والقلة لم تترك القرآن كرهًا فيه، بل خوفًا من توبيخ قومهم لهم، وقولهم: «تركتم دين آبائكم وأجدادكم» كما فعل مع أبي طالب، وكما فعله أبو جهل مع أميَّة بن خلف عند الخروج إلى بدر وعَيَّرَهُ بأنه من النساء.

س١٥: قال تعالى: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (المؤمنون: ٧٢). **ما سر التكرار في كلمة «خَرْج»؟**

﴿الله﴾ **الجواب:** ليس بتكرار، فالخرْج هو ما تخرجه من المال في وجوه الخير، والخراج المراد به الثواب من الله على هذا الخرج، ولما كان الله ﷻ يضاعف الثواب جاء بكلمة «خراج»، ففيها زيادة في الحروف على كلمة «خرج»، وزيادة المبنى تدل على زيادة المعنى.

س١٦: قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (المؤمنون: ٧٨)، **ما سر تخصيص السمع والأبصار والأفئدة دون بقية أجزاء الجسم الأخرى؟**

﴿الله﴾ **الجواب:** خص هذه الأشياء لأنه يتعلق بها كثير من المنافع الدينية والدنيوية دون غيرها.

س١٧: قال تعالى: ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ رَبِّ، فَلا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (المؤمنون: ٩٣، ٩٤) **ما سر تكرار لفظ «رب»؟ وكيف يجوز أن يجعل رسوله في القوم الظالمين حتى يطلب ألا يكون فيهم؟**

﴿الله﴾ **الجواب:** لقد كرر لفظ «رب» فى الدعاء مبالغة فى التضرع والابتهال،

وجواب الشطر الثانى من السؤال: أن الله أمر بهذا الدعاء وسبق فى علم الله أنه لا يجعله مع القوم الظالمين لأمرين:

١- أن هذا دعاء، والدعاء ذكر لله تعالى، فيعظم أجر الرسول ﷺ وليكون فى جميع الأوقات ذاكرًا لله تعالى.

٢- يقول الزمخشرى (يجوز أن يسأل العبد ربه ما علم أنه يفعله، وأن يستعيذ به مما علم أنه لا يفعله إظهاراً للعبودية وتواضعاً لربه وإخباتاً له)(١).

س١٨: قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ (المؤمنون: ٩٩).

لماذا قال عن طريق الالتماس: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ بصيغة الجمع مع أن المخاطب مفرد هو الرب تعالى؟

﴿الله﴾ **الجواب:** من وجهين:

١- المراد بقوله هذا للملائكة ملك الموت وأعوانه.

٢- إنما جمع لأن الحجب قد انكشفت، وعرف الله فى مقام لا تنفع فيه المعرفة، فقال: «ارجعون» بصيغة الجمع تعظيماً وتفخيماً، قال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ (الحجر: ٢٣).

س١٩: قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ (المؤمنون: ١٠١)، **وقال تعالى:** ﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ (المعارج: ١٠)، **وقال تعالى:** ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (الصافات: ٢٧). **الآية الأولى والثانية تنفيان سؤال الخلق لبعضهم، والثالثة تثبته فكيف ندرأ هذا التناقض؟**

﴿الله﴾ **الجواب:** أنه عند الفزع من النفخة الأولى يشغل كل واحد بنفسه فلا يسأل أحدًا، وكذلك عندَ كل داهية من دواهى يوم القيامة ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ، يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ، وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ، وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ (عبس: ٣٣ - ٣٧).

و قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى

---

(١) الكشاف جـ ٤ ص٢٤٧

النَّاسَ سُكَارَى﴾ (الحج:٢)، فهذه مواطن لا يسأل فيها أحد أحدًا؛ لأنهم لا يفطنون للسؤال لشدة الفزع، ولما كان مقدار يوم القيامة خمسين ألف سنة، ففى أحوال أخرى يفطنون ويتعارفون فى بعضها فيتساءلون، فليس بين الآيات تناقض.

س٢٠: قال تعالى: ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ (المؤمنون:١١٠)، و قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ (الزخرف:٣٢). فى الآية الأولى جاء: «سخريا» بكسر السين، وفى الثانية بضمها. فما الفرق بين الكلمتين؟

الجواب: (السخرى -بالضم والكسر- مصدر سخر كالسخر، إلاَّ أن فى ياء النسب زيادة قوة فى الفعل كما قيل: الخصوصية فى الخصوص، وعن الكسائى والفراء أن المكسور من الهزء -أى الاستهزاء-، والمضموم من السخرية والعبودية أى: سخروهم واستعبدوهم. والأول مذهب الخليل وسيبويه)[1].

س٢١: قال تعالى: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ، قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ﴾ (المؤمنون:١١٢، ١١٣). لقد أجاب الكفرة بأنهم لبثوا فى الدنيا يوماً أو بعض يوم، وهذا كذب ولا يقع كذب يوم القيامة لأنه لايكون فيه إلاَّ الحقائق؟

الجواب: أنهم لم يكذبوا ولم يقع منهم كذب، وقولهم هذا له وجهان:

١- أنهم نسوا مدة لبثهم فى الدنيا لكثرة ما هم فيه من الهول.

٢- أنهم صدقوا لأن مدة الدنيا المحدودة الفانية بالنسبة لأبدية اليوم الآخر كأنها يوم أو بعض يوم.

س٢٢: قال تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ﴾ (المؤمنون:١١٧)، الذى يشرك ويعبد مع الله غيره ليس له دليل أبداً، فكيف يقول الله: ﴿لا بُرْهَانَ لَهُ﴾ ؟

الجواب: الشرك والكفر ليس لهما أدلة ولا براهين، بل هما ثمرة عقول مظلمة وقلوب مغلقة وجحود وعناد، وجاءت جملة ﴿لا بُرْهَانَ لَهُ﴾ صفة لازمة كقوله تعالى: ﴿وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ (الأنعام:٣٨)، وكقوله تعالى: ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ﴾ (النور:١٥)، فأتت الجملة صفة لازمة للتوكيد على أنه لا برهان على الشرك والكفر.

---

(١) الكشاف جـ ٤ ص٢٥٢

(٢٤) سورة النور

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: قال الإمام البقاعى: (لما تقدم فى التى قبلها - سورة المؤمنون - تحريم الزنا والحث على الصيانة، وختم تلك الآية بذكر الجنة المتضمن للبعث، استدل عليه وذكر ما يتبعه من تهديد وعمل إلى أن فرغت السورة، وأخبر فى آخرها بتبكيت المعاندين يوم الندم بقوله: ﴿أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ وبقوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ كل ذلك رحمة منه لخلقه ليرجع منهم من قضى بسعادته، ثم ختم بقوله: ﴿وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾، فابتدأ ﷺ هذه السورة بأنه منَّ على المخاطبين ببيان ما خلقوا له من الأحكام؛ لأنهم لم يخلقوا سُدىً بل لتكاليف تعبدهم بها ترفع التنازع، وتحسم مادة الشر، فتوجب الرحمة والعطف بسلامة الصدر)(١).

س٢: قال تعالى: ﴿ سورة أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ (النور: ١).

ما سر تكرار جملة «أنزلنا»؟

الجواب: كُرِّرت الجملة لكمال العناية بالمنزَّل وهى الآيات.

س٣: قال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ﴾ (النور: ٢).

و قال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ﴾ (المائدة: ٣٨).

ما سر تقديم المرأة الزانية على الرجل فى جريمة الزنا؟ وتقديم الرجل على المرأة فى جريمة السرقة؟

الجواب: قدَّم المرأة فى جريمة الزنا لأنها المكنة لتلك الجريمة، ولولا وضعها فى وضع يسهِّل الجريمة ما تمت، وقدَّم الرجل على المرأة فى جريمة السرقة لأن الرجل أجرأ فى تلك الجريمة من المرأة.

س٤: قال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ﴾.

عقوبة الزانى غير المحصن الجلد، وعقوبة الزانى المحصن الرجم، وهو ثابت بالقرآن المنسوخ تلاوة مع بقاء الحكم: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله إن الله عزيز حكيم»، وثابت بالسنة حيث رجم رسول الله ﷺ، ورجم الصحابة من بعده، والإجماع قائم على ثبوته، فما سر جلد غير المحصن ورجم المحصن الذى تزوج ودخل قبل أن يزنى؟

---

(١) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور جـ ١٣ ص٢٠٠ - ٢٠١

﴿الله﴾ **الجواب :** (عقوبة البكر – غير المحصن– هى الجلد. وعقوبة المحصن – أى المتزوج – هى الرجم. ذلك أن الذى سبق له الوطء فى نكاح صحيح وهو مسلم حر بالغ قد عرف الطريق الصحيح النظيف وجربه، فعدوله عنه إلى الزنا يشى بفساد فطرته وانحرافها. فهو جدير بتشديد العقوبة، بخلاف البكر الغفل الغر الذى قد يندفع تحت ضغط الليل وهو غرير. وهناك فارق آخر فى طبيعة الفعل. فالمحصن ذو تجربة فيه تجعله يتذوقه ويستجيب له بدرجة أعمق مما يتذوقه البكر فهو حرىٌّ بعقوبة كذلك أشد) [(١)]، وشروط الإحصان عند الأحناف هى الإسلام والبلوغ والعقل والحرية والتزويج والدخول بالزوجة وعند الشافعى رضي الله عنه : الإسلام ليس بشرط لأن الرسول رجم يهوديين زنيا.

ومن جهة أخرى: فإن المحصن أصبح بين المجتمع الذى يعيش فيه عفيفاً، فلا يتوجس أى واحد من أفراد المجتمع خيفة منه، بخلاف غير المحصن لذلك يأمن الناس جانب المحصن على أعراضهم، فإن زنا المحصن كان جزاؤه استئصال شأفته لمناسبة جريمته.

س٥: قال تعالى : ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ﴾ .

ما سر اقتران الجملة الطلبية بالفاء مع أنه لم يسبقها شرط؟

﴿الله﴾ **الجواب :** **اقترنت الجملة بالفاء لكون الألف واللام بمعنى «الذى» ومتضمناً معنى الشرط، فالفاء واقعة فى جواب الشرط الذى تضمنته الجملة. مثل قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ﴾، ومثل قوله تعالى: ﴿وَاللَّذَانَ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا﴾** (النساء: ١٦).

س٦: قال تعالى : ﴿الزَّانِي لا يَنكِحُ إلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (النور: ٣)

ظاهر الآية أن الزانى لا يتزوج إلاَّ زانية مثله أو مشركة، والزانية لا يتزوجها إلاَّ زان أو مشرك، أليس فى هذا مشقة على من تاب ورجع إلى الله؟

﴿الله﴾ **الجواب :** **لقد ذهب كثير من العلماء إلى هذا التفسير السابق، وذهب ابن مسعود مذهبًا أشد من هذا فقال: (إذا زنا الرجل بالمرأة ثم نكحها بعد ذلك فهما زانيان أبداً. وبه قال مالك)** [(٢)]، **ولقد اتجه هذا الفريق هذا الاتجاه، ولم يجعلوا للتوبة كبير مقام، فالتوبة من هذا الفعل يبدله الله**

(١) فى ظلال القرآن جـ ٤ ص٢٤٨٧

(٢) فتح القدير جـ ٤ ص٩

حسنة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا، يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا، إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (الفرقان: ٦٨ - ٧٠).

فإن زنا بكر غير محصن بفتاة غير محصنة ثم أقيم عليهما الحد وجُلِدا، أو لم يقم ثم تابا ورجعا إلى الله وأحسنا أعمالهما ثم تزوجا، فكلما يأتيها يكون ذلك زنا، إن هذا مخالف لمعنى التوبة ولنص الآية السابقة فمعنى قوله تعالى: ﴿الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ يكون المعنى: إن الله ساق هذا النص للتشنيع بجريمة الزنا والتخويف من تبعاتها وآثارها، فالمعنى: الزانى لا يطأ ولا يجامع إلاّ زانية مثله أو مشركة هى أعم فى المعاصى من معصية الزنا. والزانية لا يزنى بها إلاّ زان شبيه بها آثم عاص أو مشرك هو موغل فى العصيان. وحُرِّم الزنا على المؤمنين، فمعنى «لاينكح» فى الآية وفى المواطنين «لا يطأ» ولقد وردت كلمة «تنكح» بمعنى تطأ، قال تعالى: ﴿الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلاَّ أَن يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ، فَإِن طَلَّقَهَا فَلاَ تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّى تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ (البقرة: ٢٢٩، ٢٣٠). فالمراد بقوله: «تنكح» تطأ وهو الوطء، فتذوق عسيلة زوجها الجديد ويذوق عسيلتها، فالمراد من الآية التنفير من الزنا وليس الزواج.

س٧: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (النور: ٤).

كيف يعبر عن الشتم بالرمى؟ ولماذا ذكر المحصنات دون المحصنين مع أن الحكم يشملهم؟

الجواب: استعار الرمى للشتم بالزنا لأن الرامى يلقى الشىء جزافاً دون تحقق، والشتم بالزنا جناية كما قال النابغة:

وجرح اللسان كجرح اليد

فكل عضو يرمى بما اختص به، فاليد ترمى بالحجر وغيره، واللسان يرمى بما اختص به من الكلام وغير ذلك.

و ذكر المحصنات والحكم يخص المحصنين أيضاً لوجوه:

١- أنه خص النساء بالذكر لأن قذفهن أشنع وأشد، والعار فيهن أمرُ وأعظمُ. وعليه يلحق الرجال بالنساء فى هذا الحكم.

٢- أو أن الآية تعم النساء والرجال على تقدير: «الأنفس المحصنات». ويؤيد هذا ما جاء فى قوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ (النساء: ٢٤)، فإن البيان بكونهن من النساء يشعر بأن لفظ المحصنات يشمل الرجال أيضاً.

٣- أو أن المراد بالمحصنات أى الفروج المحصنات. وهو يشمل الرجال والنساء كما قال تعالى: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ (الأنبياء: ٩١).

س٨: قال تعالى : ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ (النور: ١٠).

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ كُرِّر أربع مرات، فما سر هذا التكرار؟

الجواب: ليس هذا بتكرار، فكل واحد متصل بالحدث قبله، و«لولا» فى المواطن الأربعة هى حرف امتناع لوجود، فالأول ورد عقب الحديث عن حكم الزنا وحده وعن القذف وحده وعن اللعان وكيفيته، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾، فهى محذوفة الجواب: وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لفضحكم. والثانى: ورد عقب الحديث عن اتهام السيدة عائشة -رضى الله عنها- وخوض بعض النّاس فيه، فقال الله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ (النور: ١٤)، وجواب «لولا»: ﴿لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أى: فيما خضتم واندفعتم فيه من حديث الإفك. والثالث: ورد عقب الحديث عن عقاب الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا فقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (النور: ٢٠)، وجواب «لولا» محذوف دل عليه ما قبله والتقدير «لعاجلكم بالعقوبة». والرابع: جاء عقب الحديث عن النهى عن تتبع خطوات الشيطان فقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾ (النور: ٢١)، وجواب «لولا» قوله: ﴿مَا زَكَى مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ والمعنى: لولا التفضل والرحمة من الله ما طهّر أحد منكم نفسه من دنسها ما دام حياً، فليس هذا من باب التكرار، وأمّا «لولا» التى وردت بين هذه الآيات فهى حرف تحضيض، وهى الواردة فى قوله تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ (النور: ١٢). وقوله تعالى: ﴿لَوْلَا جَاؤُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاء فَأُوْلَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ (النور: ١٣). وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ (النور: ١٦).

﴿﴾ **س٩: قال تعالى :** ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ﴾ (النور: ١٥).
معلوم أن القول يكون بالأفواه فلِمَ ذكرها؟

﴿﴾ **الجواب:** من وجهين:

الأول: أن قولهم بالإفك على السيدة عائشة مختص بالأفواه ولا وجود له فى الواقع فهو مجرد قول.

الثانى: أن ذكر الأفواه للتوكيد على أنه مجرد قول لا يحمل معنى واقعيًا.

﴿﴾ **س١٠: قال تعالى :** ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ، وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ (النور: ٣٠ – ٣١). **ما المراد بالفعل المضارع «يغضوا» و«يحفظوا»؟ ولِمَ أتى بمن مع الفعل «يغضوا» وحذفها مع الفعل الآخر؟ ولِمَ خَصَّ الأمر بالمؤمنين دون غيرهم ؟ ولِمَ استقل النساء بخطاب خاص بهن مع أنهن يندرجن فى الرجال فى الأحكام الشرعية؟ ولِمَ قدم الغض على حفظ الفرج؟**

﴿﴾ **الجواب: المراد بالفعل المضارع الأمر، وأتى بالأسلوب الخبرى مصدَّرًا بفعل الأمر «قل»، وتوجيه الأمر إلى الرسول ﷺ للتوكيد على أنها تكاليف شرعية تتعلق بأمور جزئية كثيرة الوقوع، فيكون الرسول ﷺ هو المأمور به والمتصدى لتدبيرها حافظًا ومهيمناً عليهم، وأتى «بمن» فقال: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾، وأتت «مِنْ» مع يغضوا وهى للتبعيض لما يأتى:**

١– لأن النظر أوسع من الفروج فهناك النظر إلى المحارم مباح، ولا بأس بالنظر إلى شعورهن وصدورهن مما عدا ما بين السرة والركبة، ويجوز النظر إلى وجه الأجنبية على مذهب من يقولون بذلك، فأتت «مِنْ» للتبعيض، ولم تأت «من» مع الفروج لأنه مضيق فيها فيجب ستر الفروج وحفظها ولا سيما الزنا.

٢– قيل: وجه التبعيض أنه يعفى للناظر أول نظرة تقع من غير قصد، وليس بعدها اتباع النظر[1].

٣– وقيل: إنها زائدة ، وهى ليست كذلك.

وخص الأمر بالمؤمنين دون غيرهم مع تحريمه على غيرهم لأنهم أحق بقطع ذرائع الزنا، ومنها النظر إلى غيرهم، ولأنهم أطهر من غيرهم ، واستقل الإناث بخطاب مستقل عن الرجال مع

---

(١) انظر: فتح القدير جـ ٤ ص٢٧

أنهن يدخلن مع الرجال على سبيل التغليب للتوكيد على هذا الأمر الذى لـو انفلـت الزمـام فيـه لدمّر المجتمع فلا يعرف الرجل من أبوه.

وقدم الغض على حفظ الفرج: لأن النظر بريد الزنى ورائد الفجور.

س١١: قال تعالى: ﴿وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ (النور: ٣١).

ما سر عدم ذكر الأعمام والأخوال مع أنهم من المحارم ويجوز للمرأة أن تبدى زينتها لأعمامها وأخوالها؟ ولماذا وصف الطفل بالجمع «الذين»؟

الجواب: (سئل الشعبى عن ذلك فقال: لئلا يصفها العم عند ابنه والخال كذلك، ومعناه أن سائر القرابات يشترك الأب والابن فى المحرمية إلاَّ العم والخال وأبناءهما، فإذا رآها الأب فربما وصفها لابنه، وليس بمحرم فيدانى تصوره لها بالوصف؛ نظره إليها، وهذا أيضاً من الدلالات البليغة على وجوب الاحتياط عليهن فى التستر)[1].

س١٢: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلاً مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (النور: ٣٤). **وقال تعالى:** ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (النور: ٤٦). **ما سر مجيء «الواو» والجار والمجرور «إليكم» فى الأولى وحذفهما فى الثانية؟**

الجواب: فى الآية الأولى اتصال «إليكم» بما قبله أشد. فهو متعلق بمجموعة من الأحكام عطفت كلها بالواو، وأقرب هذه الأحكام ﴿وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنكُمْ﴾ ، وقوله: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ ، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ﴾، وقوله: ﴿وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾، وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلاً مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾، فكل الآيات السابقة مبينات، وأمّا تجريد الآية الثانية من الواو فلأنها كلام مستأنف ليس معطوفاً على ما قبله، وحذف «إليكم» من الثانية لدلالة الأولى عليه، وليعلم أن المخاطبين بالآيات الثانية هم المخاطبون فى الأولى.

---

(١) الكشاف جـ ٤ ص٢٩٣.

ووصف الطفل وهو مفرد بالجمع لما يأتي:

١- أن «أل» في الطفل للجنس وهي من ألفاظ العموم، فالطفل بمعنى الأطفال، فلما قصد فيه الجنس روعي في وصفه الجمع.

٢- أن الطفل: ككلمة «الحاج»، وهي تطلق على المفرد والمثنى والجمع.

س١٣: قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (النور: ٤٥) ما سر الحصر والقسمة الثلاثية في هذه الأنواع؟ ولِمَ سُمِّي الزحف على البطن مشيًا في قوله ﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ﴾ ؟ ولِمَ ترك من يمشي على أكثر من أربع؟

الجواب: أمَّا الجزء الأول من السؤال: فالآية وردت باعتبار غالب الدواب، ولذلك حصرت القسمة فيها.

أمَّا الجزء الثاني من السؤال: فلقد سمى الله زحف من يمشي على بطنه مشيًا على سبيل المجاز كما تقول: مشى الأمر ومشى الحال، وعبر عن الذي يمشي على بطنه بـ«مَنْ» دون «ما» مع أنه من غير العقلاء؛ لأن الآية اشتملت على مَنْ يعقل وغيرهم، وغلّب العقلاء وقدم من يمشي على بطنه على سائر ما ذكر لأنه أعجب من غيره، فقدمه ثم ذكر من يمشي على رجلين ثم على أربع.

أمَّا الجزء الثالث من السؤال وهو سر تركه من يمشي على أكثر من أربع، وعدم يورده في الآية لأمرين:

١- أن الذي يمشي على أكثر من أربع ورد في الآية، ويندرج تحت قوله تعالى: ﴿يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ .

٢- أن الذي يمشي على أكثر من أربع كالعناكب والعقارب وكثير من الحشرات هي بالنسبة إلى بقية الخلق نادرة، فألحقت بالعدم فكأنها ليست موجودة.

س١٤: قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ﴾ (النور: ٥٨). ما سر استئذان هؤلاء في هذه الأوقات؟ وكيف يأمر الله الأطفال بالاستئذان وهم صغار لا يدركون شيئًا؟

الجواب: هذه الأوقات يخلد الإنسان فيها للراحة عادة، **فأما الوقت الأول:** ﴿مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ﴾ فهو وقت القيام من المضاجع لصلاة الفجر، وفيه طرح ثياب النوم وارتداء ثياب اليقظة،

وقد يبيت الإنسان عريانا من الحر. **وأما الوقت الثاني**: ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ﴾ فهو وقت التجرد من الثياب من أجل القيلولة. أو أن الإنسان ينام عريانا من حر الظهيرة.

وأما الوقت الثالث: ﴿وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ﴾ فهو وقت تجرد من الثياب والخلوة بالأهل، وهذه الأوقات لا يحب الإنسان أن يراه أحد وهو على أحواله هذه.

و أمر الآباء والأمهات بأن يستأذنهم الأطفال مع أنهم صغار لا يدركون ليتأدب الأطفال ويتمرنوا على ذلك، ويتحلوا بالآداب الحسنة.

س١٥: قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلا عَلَى أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ (النور: ٦١). **ما سر حذف بيوت الأبناء مع أن الوالد يجوز له أن يأكل من بيت ابنه أو ابنته؟**

الجواب: لم يذكر بيوت الأبناء لأمرين:

الأول: أن بيوت الأبناء تندرج تحت بيوت الآباء، وهذا في قوله تعالى: ﴿أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ﴾، فبيت الرجل فيه زوجته وأولاده وفيه بيوت أولاده.

الثاني: أن بيت الابن ملك لأبيه كما قال ﷺ: «أنت ومالك لأبيك، وهو يندرج تحت لفظ «بيوتكم».

س١٦: قال تعالى: ﴿أَلا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ (النور: ٦٤). **«قد» تفيد التقليل مع الفعل المضارع وهذا يتنافى مع علم الله؟**

الجواب: أن «قد» تفيد التحقيق إذا دخلت على الفعل الماضي كقوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ (المجادلة: ١)، وتفيد التقليل والتكثير إذا دخلت على الفعل المضارع ويفهم ذلك من السياق، أمّا فيما يتعلق بالله ﷻ فهي تفيد أمرين:

الأول: التحقيق مثل قوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾ (الأحزاب: ١٨)، أي: قد علم الله.

الثاني: التكثير والتوكيد كقوله: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ﴾ (الأنعام: ٣٣).

ويمكن أن نقول: إنها تفيد الأمرين في حق الله تعالى.

﴿(٢٥) سورة الفرقان﴾

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: لقد ختم الله سورة النور بقوله ﴿أَلا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ففى هذه الآية وصف نفسه بسعة الملك وشمول العلم ثم شرع بذكر دوام صفاته وثبوتها فقال: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (الفرقان:١)، فكلمة «تبارك» لها معان متعددة، فهى تأتى بمعنى تقدّس أى تنزّه وتطهّر، وتأتى بمعنى كَثُرَ بِرُّهُ وخيره وعطاؤه، وتأتى بمعنى دام وثبت خيره، وهذه الكلمة لا تستعمل إلاّ فى حق الله تعالى وبلفظ الماضى، ووردت فى هذه السورة فى ثلاثة مواضع.

س٢: ما سر اختصاص المواضع الثلاثة فى هذه السورة بلفظ «تبارك» ؟

الجواب: لقد ورد فى مواضع ثلاثة، وسر اختصاص المواضع بهذا اللفظ ما يأتى:

فى الموضع الأول: قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ .

وفى الموضع الثانى: قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا﴾ (الفرقان:١٠).

وفى الموضع الثالث: قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ (الفرقان:٦١).

وذكرت الكلمة فى هذه المواضع على سبيل التعظيم لله ﷻ، **لأن ما بعدها عظائم لا يفعلها إلاّ الله** ﷻ ، ففى الموضع الأول: ذكر الفرقان وهو القرآن الذى اشتمل على ما ينفع الخلق فى حياتهم ومعاشهم ومعادهم . وفى الموضع الثانى: إرساله الرسول ﷺ للعالمين وهذا تعظيم لشأنه. وفى الموضع الثالث: ذكر البروج والكواكب السيّارة والشمس والقمر ولولاها ما وجد على الأرض حياة لا لحيوان ولا لنبات.

س٣: قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (الفرقان:٢).
قوله: «تبارك» يدل على البركة والخير، فكان الأولى فى السياق أن يتبعه بما هو سبب الخير، ولا يتبعه بالإنذار المشعر بالتخويف، فما سر ذلك؟

الجواب: أن الله أتى بالإنذار عقب كلمة «تبارك» على سبيل التأديب للخلق، فكلما كان التأديب أكثر وأبلغ كان الإحسان والبر والبركة أتم.

س٤: قال تعالى : ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ .

في الجملة تكراران، وهما في كلمتي «خلق» وكلمة «فقدره» ؟

الجواب: ليس في الجملة تكرار، لأن كلمة «خلق» بمعنى أوجد من عدم وعلى غير مثال سابق، والتقدير: التسوية والتقويم بدقة.

س٥: قال تعالى: ﴿وَلا يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلا حَيَاةً وَلا نُشُورًا﴾ (الفرقان:٣)، و قال تعالى : ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُهُمْ وَلا يَضُرُّهُمْ﴾ (الفرقان:٥٥).

ما سر تقديم الضر في الآية الأولى وتأخيره في الثانية؟

الجواب: قدم الضر في الآية الأولى موافقة لما قبله وما بعده، فقبله نفي وإثبات في قوله : ﴿لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ ، فقدَّم النفي وجاء بعده الإثبات في هذه الآية. وقدم الضر وهو بمثابة السلب، وجاء بعده: ﴿مَوْتًا وَلا حَيَاةً وَلا نُشُورًا﴾ ، فقدم الموت وهو بمثابة الضر، وأما الآية الثانية فقدم فيها النفع على الضر موافقة للسياق، حيث قال تعالى: ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ ، فالماء نفع فقدم النفع مراعاة لذلك.

س٦: قال تعالى : ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا، إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ (الفرقان: ١١ ، ١٢) التغيظ هو من صفات الأحياء فكيف جعل الله للنار تغيظاً وهو لا يكون مسموعاً فكيف يسمعه الكافرون؟

الجواب: خلق الله للنار حياة وعقلاً، وهي تنطق، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ (ق:٣٠) والمراد بسماع التغيظ أنهم يسمعون صوتها الذي يدل على تغيظها، قال تعالى: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ، إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ، تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ (الملك:٦- ٨).

و قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ، لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠١ ، ١٠٢).

س٧: قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا، لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾ (الفرقان: ٤٨ ، ٤٩).

ما سر وصف البلدة بوصف المذكر «ميتاً» ؟ ولِمَ قدم الأنعام على الأناسيّ وهو جمع إنسان؟

الجواب: أتى بوصف المذكر لأن معنى البلدة هو البلد.

وقدم الأنعام على الإنسان لأمرين:

١- لأن المطر ينبت الزروع والثمار والعشب، وحياة الأنعام تقوم عليها .

٢- أن الأنعام نِعَمٌ على الإنسان، فهو يعيش على ألبانها ولحومها، وينتفع بكل شيء فيها حتى روثها، فقدمها للاهتمام بها.

س٨: قال تعالى : ﴿أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلامًا﴾ (الفرقان: ٧٥). **التحية والسلام بمعنى واحد، فلماذا عطف السلام على التحية؟**

الجواب: من وجهين:

١- التحية هي تحية أهل الجنة بعضهم لبعض، والسلام سلام الله عليهم، كما في قوله تعالى: ﴿سَلامٌ قَوْلاً مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ (يس:٥٨)، أو سلام الملائكة عليهم كما في قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ (الزمر:٧٣).

٢- أن التحية والسلام بمعنى واحد، بيد أنه اختلف اللفظان، وإذا اختلف اللفظان جاز العطف.

(٢٦) سورة الشعراء

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: (قال الإمام أبو جعفر بن الزبير: لما عرِّفت سورة الفرقان بشنيع مُرْتَكَب الكفرة المعاندين، وختمت بما ذكر من الوعيد، كان ذلك مظنة لإشفاقه عليه الصلاة والسلام وتأسفه على فوت إيمانهم لما جبل عليه من الرحمة والإشفاق، فافتتحت السورة الأخرى - أي الشعراء- بتسليته عليه الصلاة والسلام، وأنه ﷺ لو شاء لأنزل عليهم آية تبهرهم وتذل جبابرتهم، فقال سبحانه: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّن السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ (الشعراء: ٣، ٤))[١].

س٢: قال الله تعالى : ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الشعراء:١٦)

و قال تعالى في سورة طه : ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولا إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ﴾ (طه:٤٧)

لقد أفرد كلمة «رسول» في الآية، الأولى وثناها في الآية الثانية، فما سر ذلك؟

الجواب: أنه أفرد في الآية الأولى (لأنه مصدر بمعنى رسالة، والمصدر يوحد، وأما إذا كان بمعنى المرسل - بفتح السين - فإنَّه يثنى مع المثنى ويجمع مع الجمع، قال أبو عبيدة: رسول بمعنى رسالة والتقدير على هذا: إنا ذوا رسالة رب العالمين، ومنه قول الشاعر:

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور جـ ١٤ ص٣، ٤

ألا أبْلِغْ أبا عمرو رسولاً ∴ فإنى عن فُتَاحَتِكم غَنىُّ

أى رسالة، وقال العباس بن مرداس:

ألا مَن مُبلِغٌ عَنّي خِفافا ∴ رسولاً بَيتَ أهلِكَ مُنتَهاها

أى رسالة: قال أبو عبيدة أيضاً: ويجوز أن يكون الرسول بمعنى الاثنين والجمع، تقول العرب: هذا رسولى ووكيلى، وهذان رسولى ووكيلى. وهؤلاء رسولى ووكيلى، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي﴾ (الشعراء:٧٧)، وقيل: معناه: إن كل واحد منا رسول رب العالمين. وقيل: إنهما لما كانا متعاضدين ومتساندين فى الرسالة كانا بمنزلة رسول واحد) (١)، فأفرد «رسولا» فى الآية الأولى لأنه بمعنى: «فأتياه فقولا إنا رسالة رب العالمين إليك»، وثنى فى الثانية باعتبار أنهما رسولان، والمخاطبان هما موسى وهارون.

س٣: قال تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ (الشعراء:٢٣- ٢٤)، **ما سر سؤال فرعون عن الله بـ«ما» وهى لغير العاقل؟ وسأل عن الذات فأجابه موسى بأثر الصفات وهى العلم والقدرة فى خلق السموات والأرض، ما سر ذلك؟ وما سر التعبير بالتثنية «وما بينهما» عن السموات والأرض وهى جمع؟**

الجواب: أمّا سؤال فرعون عن الله بـ«ما» فهو يدل على أنه فى أدنى دركات الانحطاط، فهو منكر لله جاحد لوجوده، لا يعترف إلاّ بربوبية نفسه فسأل عن الله بـ«ما» .

أمّا جواب موسى عن الله بأثر صفاته فهو كما يقول الشيخ شرف الدين الحسين بن سليمان بن ريان: (تعريف الشىء إمّا بنفس حقيقته أو بأجزائه أو بصفاته أو بأمر خارج عنه أو بما يتركب من الداخل والخارج، أمّا تعريفه بنفسه فى حق البارى تبارك وتعالى، فمحال وكذلك بأجزائه لأنه لا يتجزّأ، وإذا استحال تعريفه بذلك لم يبق فيما يوجب التعريف إلاّ تعريفه بلوازمه وصفاته الخارجة عنه وآثاره الظاهرة، وأظهر مخلوقاته وآثاره هو هذا العالم المحسوس المشاهد، فثبت أن جواب موسى عليه السلام فى غاية الحسن)(٢) .

وسر التعبير بالتثنية عن الجمع: مراعاة للجنس، فالسموات جنس واحد والأرض واحدة فقال: «وما بينهما» وهذا مما تكرر فى القرآن كثيراً .

---

(١) فتح القدير جـ ٤ ص١١٩

(٢) الروض الريان فى أسئلة القرآن جـ ١ ص٢٨٧

﴿﴾ **س٤: أتت سورة الشعراء بقصص قرآني متعدد فبدأت بقصة موسى** ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (الشعراء: ١٠)، **ثم أعقبتها قصة إبراهيم** ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ، إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ، قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ﴾ (الشعراء: ٦٩، ٧٠)، **ثم أعقبتها قصة نوح قال تعالى:** ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ، إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ، إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُون، وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ (الشعراء: ١٠٥ – ١٠٩)، **ثم أعقبتها قصة هود** ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ، إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ، إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُون، وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ (الشعراء: ١٢٣ – ١٢٧)، **ثم أعقبتها قصة صالح** ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ، إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ، إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُون، وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ (الشعراء: ١٤١ – ١٤٥)، **ثم ذكرت السورة بقية القصص بذكر الأنبياء وقولهم** ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ **فلماذا لم يذكر موسى ولا إبراهيم تلك العبارة التي قالها جميع الرسل إلى أقوامهم؟ وما سر تأنيث الفعل «كذبت» مع أن الفاعل مذكر هو القوم؟**

﴿﴾ **الجواب:** لم تكن تلك العبارة في قول موسى وإبراهيم لقومهما لما يأتي:

أما موسى فإنه لم يقلها لأن فرعون رباه وقال له: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ فاستحيا موسى أن يقول تلك العبارة، وأمّا إبراهيم فكان أبوه من بين القوم الذين خاطبهم إبراهيم فاستحيا، وموسى وإبراهيم منزهان عن الأجر كبقية الرسل.

وسر تأنيث الفعل تحقيراً لهم وتهويناً لأمرهم لعدم إيمانهم وكفرهم بربهم وإنكارهم لرسلهم.

﴿﴾ **س٥: قال تعالى:** ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ (الشعراء: ٢٩).

قوله ﴿لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ **ما سر عدم اختصار جملة فرعون إلى قوله «لأسجننك»؟**

﴿﴾ **الجواب:** إن قوله تعالى: ﴿لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ أفاد معنى زائدًا على الكلمة إذا اختصرت، وهذا المعنى: لأجعلنك مع الذين عرفت حالهم في سجوني، فكان الطاغية يطرح المسجون في وهدة بعيدة العمق، فتنقطع صلاته بالعالم الخارجي، ولا يرى نور الدنيا أبداً، هذا ما تفيده الجملة التي وردت في الآية، أمّا لو قال: «لأسجننك» فإنه يفيد مجرد السجن دون المعنى السابق.

﴿﴾ **س٦: قال تعالى:** ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾ (الشعراء: ٧٠).

و قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ (الصافات: ٨٥). **فما سر اختلاف التعبيرين؟**

﴿﴾ **الجواب:** لقد تعددت قصة إبراهيم في سور مختلفة، وجاء أسلوب القصة في كل موطن

مراعياً للسياق قبله وبعده، فـ «ما» فى الآية الأولى هى لمجرد الاستفهام. ولذلك بعد أن سألهم أجابوا وقالوا: ﴿نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ﴾، و(ماذا) فى الآية الثانية فيها مبالغة وشدة فى السؤال، فالقوم لم يجيبوا إبراهيم على سؤاله هذا وسكتوا. فلما وبخهم زاد فى توبيخه فقال: ﴿أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ، فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

س٧: قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ، وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ، وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ (الشعراء: ٧٨ - ٨٠)، **ما سر زيادة الضمير «هو» مع الإطعام والشفاء دون الخلق والموت والإحياء؟ ولماذا أسند إبراهيم الفعل «مرضت» لنفسه؟**

الجواب: قال: ﴿هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ، وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ لأنه قد يدعى مُدَّعٍ أنه يطعم الطعام لفلان، وقد يدعى مُدَّعٍ أنه يداوى فلاناً، فأكد ﷺ بالضمير «هو» إعلاماً بأن الإطعام والشفاء منه لا من غيره، فقد يأكل الإنسان الطعام ولا يستفيد منه كالتَّقَيُّء، أو لا يمتصه الجسم، فثباته فى جوف الإنسان واستفادة الجسم منه من الله، وقد يعطى الطبيب الدواء ولا يؤثر فى المرض، فتأثير الدواء بأمر الله، والشفاء منه، لهذا أتى بالضمير «هو» للتوكيد وللإعلام بهذا. أمَّا الخلق والموت والإحياء فأطلقت ولم يأت الضمير؛ لأنه لا يدعى أحد أنه يخلق أو أنه يميت أو أنه يحيى، وأسند المرض لنفسه تأدباً مع الله تعالى، وقد يحدث المرض بتفريط من الإنسان فى صحته أو تفريط فى مطاعمه ومشاربه كأن يرد أماكن موبوءة أو يأكل طعاماً ضارًا به.

س٨: قال تعالى: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ (الشعراء: ٨٢).
ما سر إثبات إبراهيم الخطيئة لنفسه وتعليق غفرانها بيوم القيامة مع أن الاستغفار منها ومغفرتها يكون فى الدنيا؟

الجواب: الأنبياء معصومون من الكبائر، ويجوز أن يندر وقوع بعض الصغائر منهم، أمَّا إثبات إبراهيم الخطيئة لنفسه فهو على سبيل الاستغفار، وهو ذكر لله تعالى، أو أنه تواضع منه وهضم لنفسه، يدل عليه قوله: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ﴾ أو أنه يعلِّم أمَّته الاستغفار لأنه لم تقع منه خطيئة، وتعليق الغفران بيوم الدين وهى تغفر فى الدنيا لأن غفرانها فى الدنيا خفى، ويظهر أثر غفرانها يوم القيامة.

س٩: قال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (الشعراء: ٩٠) **الجنة ثابتة فى موطنها، والمؤمنون يساقون إليها سوق إعزاز وتكريم قال تعالى:** ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ (الزمر: ٧٣).

الآية الأولى تثبت أن الجنة هى التى تقرب إلى المتقين، والثانية تثبت أنهم يساقون إليها، فكيف نجمع بينهما؟

الجواب: أن أهل الجنة يزفون إليها فى إعزاز وتكريم كما أخبرت بذلك الآية الثانية، والآية الثانية من باب القلب المعلوم معناه، والمعنى: أزلف المتقون للجنة، كما تقول وأنت فى طريقك إلى القاهرة: قربت القاهرة منا، والمعنى أنهم قُرِّبوا منها.

س١٠: قال تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ، وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ (الشعراء: ١٠٠، ١٠١).

ما سر جمع الشافعين وإفراد الصديق؟

الجواب: القائلون ذلك هم إبليس وجنوده يوم القيامة فالقول فى مقام واحد. وجمع شافعين لكثرة الشفعاء فبعضهم أنبياء وبعضهم علماء وبعضهم أقرباء إلى غير ذلك، وأفردوا فى صديق لأحد أمرين:

١- أنه فى معنى الجمع لأنه نكرة وقعت فى سياق النفى: «لا» فأفادت العموم.

٢- لما كان الصديق عزيزاً ونادرًا أفرده.

س١١: قال تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾ (الشعراء: ١٥٧).

الندم توبة، فما سر عدم قبولها وإهلاكهم؟

الجواب: من وجهين:

١- الندم فى أمة سيد الخلق محمد ﷺ توبة، وقد لا يكون توبة فى رسالة صالح عليه السلام.

٢- أنهم ندموا عندما حل بهم العذاب وعاينوه وهو وقت لا تنفع معه توبة.

قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ (النساء: ١٨).

س١٢: قال تعالى: ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ (الشعراء: ١٦٩).

هذا دعاء لوط عليه السلام، وعمل قوم لوط هو اللواط، والأنبياء معصومون، فدعاؤه تحصيل حاصل؟

الجواب: دعاؤه أن ينقذه الله من جزاء جريمتهم؛ لأنه عرف من طريق الوحى بنزول العذاب، فطلب النجاة فنجاه الله قال تعالى بعد آية دعائه: ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ، إِلاَّ عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾ (الشعراء: ١٧٠، ١٧١).

س١٣: قال تعالى: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ، إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ (الشعراء: ٢٢٤ - ٢٢٧).

وردت أحاديث تدعو إلى التنفير من الشعر منها: (عن ابن عمر — رضى الله عنهما — عن النبى ﷺ قال: لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحًا خير له من أن يمتلئ شعراً)[(١)] .

ووردت أحاديث تمدح الشعر وأن الرسول ﷺ كان يسمع الشعر، منها: (عن أبى بن كعب أن رسول الله ﷺ قال: «إن من الشعر لحكمة»)[(٢)]. وقال النبى ﷺ : (أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد: ألا كل شىء ما خلا الله باطل)[(٣)]، (وعن البراء رضى الله عنه أن النبى ﷺ: قال لحسان : اهجهم، أو قال : هاجهم وجبريل معك)[(٤)]. وعن سلمة بن الأكوع قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر فسرنا ليلاً فقال رجل من القوم لعامر بن الأكوع: ألا تسمعنا من هنيهاتك قال: وكان عامر رجلاً شاعرًا فنزل يحدو بالقوم يقول:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا
فاغفرْ فداء لك ما اقتفينا
وثبِّت الأقدامَ إن لاقيْنا
وألقِيَنْ سكينةً علينا
إنَّا إذا صيح بنا أتينا
وبالصِّياح عَوَّلوا علينا

فكيف التوفيق بين الآيات والأحاديث التى تُنفِّر من الشعر والأحاديث التى تمدحه؟

الجواب: الشعر إذا كان تعبيراً عن أمانىِّ النفس الأمَّارة بالسوء، وتلبية للغرائز غير المحكومة بشرع الله، وانتهاكاً لحرماته، وهتكاً لأستار النَّاس، وولوغاً فى أعراضهم، وأنساهم ذكر ربهم، وآثروه على قرآن ربهم فهو المراد من صدر الآية وحديث ابن عمر — رضى الله عنهما —.

أمَّا إذا كان الشعر دفاعاً عن حق، ودرءاً لظلم، ولفتاً لآيات الله الكونية فى الأرض وفى السماء، ودعوة لفضيلة وهَجْراً لرذيلة، فهو المراد بَعَجُز الآية فى الاستثناء والأحاديث المادحة له: ﴿إلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾ .

(١) صحيح البخارى جـ ٨ ص٤٥ كتاب الأدب باب : "ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر"

(٢) صحيح البخارى جـ ٨ ص٤٢ كتاب: (الأدب) باب (ما يجوز من الشعر والرجز والحُداء).

(٣) المرجع السابق ص٤٣.

(٤) المرجع السابق.

(٢٧) سورة النمل

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: (لما ختم التى قبلها – وهى الشعراء– بتحقيق أمر القرآن: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ، وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾، وأنه من عند الله ونفى الشبه عنه، وتزييف ما كانوا يتكلفونه من تفريق القول فيه بالنسبة إلى السحر والأضغاث والافتراء والشعر الناشئ، كل ذلك عن أحوال الشياطين، وابتدأ هذه – سورة النمل – بالإشارة إلى أنه من الكلام القديم المسموع المطهر عن وصمة تلحقه من شيء من ذلك تلاه بوصفه بأنه كما أنه منظوم مجموع لفظاً ومعنىً، لا فَصْمَ فيه ولا خلل ولا وصم ولا زلل، فهو جامع لأصول الدين، ناشر لفروعه بما أشار إليه من الكون للمسلمين فقال: ﴿تِلْكَ﴾ أى الآيات العالية المقام البعيدة المرام البديعة النظام ﴿آيَاتُ الْقُرْآنِ﴾ أى الكامل فى قرآنيته الجامع للأصول الناشر للفروع) [(١)].

س٢: قال تعالى: ﴿طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (النمل :١).

العطف يقتضى المغايرة والقرآن هو الكتاب؟ ولماذا نُكِر الكتاب وهو معرفة؟

الجواب: أمَّا الشطر الأول من السؤال: فالمغايرة وقعت فى اللفظ فسمى قرآناً وسمّى كتاباً، فكانت المغايرة فى اللفظ، فكان هناك مسوغ للعطف، **أمَّا الشطر الثانى من السؤال** فالمراد بالتنكير التفخيم والتعظيم؛ لأن الشيء إذا أُبهم بالتنكير يكون أفخم له، وتذهب النفس فيه كل مذهب.

س٣: قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ (النمل :٤)

ما سر إسناد تزيين أعمال الكفرة إلى ذاته فى هذه الآية وإسناده إلى الشيطان فى قوله تعالى: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام :٤٣) ؟

الجواب: إسناد تزيين أعمال الكفرة إلى الشيطان على سبيل الحقيقة، وإسناده إلى الله على طريق المجاز، وهذا المجاز له طريقان:

(**أحدهما:** أن يكون من المجاز الذى يسمى الاستعارة . **والثانى:** أن يكون من المجاز الحكمى.

فالطريق الأول: أنه لما متعهم بطول العمر وسعة الرزق، وجعلوا إنعام الله بذلك عليهم وإحسانه إليهم ذريعة إلى اتباع شهواتهم وبطرهم وإيثارهم الرَّوْحَ والترف، ونفارهم عما يلزمهم فيه

---

(١) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور جـ ١٤ ص١٢٣.

التكاليف الصعبة والمشاق المتعبة فكأنه زين لهم بذلك أعمالهم، وإليه أشارت الملائكة صلوات الله عليهم في قولهم: ﴿وَلَكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ﴾ (الفرقان :١٨) .

والطريق الثانى: أن إمهاله الشيطان وتخليته حتى يزين لهم ملابسة ظاهرة للتزيين، فأسند إليه لأن المجاز الحكمي يصححه بعض الملابسات) [١].

وقد يكون الإسناد إلى الله حقيقياً، بيد أن المراد بالأعمال هى أعمال الخير التى أوجبها الله عليهم، وكلفهم بها، فالله زينها لهم، فعموا عنها وضلوا وأضلوا.

س٤: قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ (النمل :٧).

و قال تعالى : ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ (القصص :٢٩).

ما سر مجيء القطع فى الآية الأولى«سآتيكم» ومجيء الترجي فى الثانية «لعلى آتيكم» ؟

الجواب : الآية الثانية أحداثها قبل الآية الأولى، فإنه ترجّى أولاً فقال: «لعلّى»، ولما اشتد رجاؤه وأدرك أنه سيتحقق ما رجاه قال مرة ثانية على سبيل القطع: «سآتيكم» .

س٥: قال تعالى : ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ (النمل :٨ - ١٠).

وقال تعالى : ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ (القصص :٣٠ - ٣١) **لماذا قال فى الآية الأولى: «جاءها» وفى الثانية: «أتاها» وقال فى الأولى «وألق» وفى الثانية: «وأن ألق» وقال فى الأولى: «لا تخف» وفى الثانية «أقبل ولا تخف»؟**

الجواب : (المجيء كالإتيان لكن المجيء أعم، لأن الإتيان مجيء بسهولة، والإتيان قد يقال باعتبار القصد وإن لم يكن منه الحصول. والمجيء يقال اعتباراً بالحصول، ويقال: «جاء» فى الأعيان والمعانى ولما يكون مجيئه بذاته وبأمره ولمن قد قصد مكاناً أو عملاً أو زماناً) [٢].

و لقد سبق الآية الأولى قوله : ﴿سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ وقال ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا﴾ منعاً لاستثقال الكلمة لأنها كرّرت مرتين بخلاف الثانية. وفى سورة طه، «وجاءها»

---

(١) الكشاف جـ ٤ ص٤٣١.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن ص٢١٢.

و«أتاها» بمعنى واحد. وقال فى الأولى «وألق» وفى الثانية «وأن ألق» لأن الآية الأولى سبقها ﴿نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ ، فلقد فصل بين الجملتين بقوله : ﴿يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فاستغنى عن إعادة «أن»، وفى الآية الثانية سبقها: ﴿أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ فلم تكن بينهما جملة أخرى فحسن إدخال «أن».

و قال فى الأولى: «لا تخف» لأنه أُسِّسَ على النهى عن الخوف حقيقة تليق به وهو: ﴿إِنِّي لا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ وفى الآية الثانية لم يُؤَسَّسْ على النهى عن الخوف شيءٌ فزيد قبله كلمة «أقبل» ليكون فى مقابلة «مدبراً».

س٦: قال تعالى : ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ، فَلَمَّا جَاءتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (النمل :١٢- ١٣). **و قال تعالى : ﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾** (القصص :٣٢).
ما سر تخصيص الآية الأولى بقوله: «أدخل» والثانية بقوله: «اسلك»؟ ولِمَ خص الأولى بكلمة «قوم» فى قوله: ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ﴾ والثانية بكلمة «ملأ» فى قوله: ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ ؟

الجواب : (خصَّت الآية الأولى – فى هذه السورة بـ «أَدْخِلْ» لأنه أبلغ من قوله «اسلك يدك»؛ لأن «اسلك» يأتى لازمًا ومتعديًا، و«أدخل» مُتَعَدٍّ لا غير، وكان فى هذه السورة «فى تسع آيات» أى: مع تسع آيات مرسلاً إلى فرعون .

وخصت الآية الثانية فى القصص بقوله «اسلك» موافقة لقوله : «اضمم» ثم قال: ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ﴾ وكان دون الأول فخص بالأدون من اللفظين) [(١)].

وخص الآية الأولى بكلمة «قوم» والثانية بكلمة «ملأ»، فالأولى للتحقير، والثانية معناها: أشراف القوم لأنهم يملأون العيون، واقتضى السياق فى الآية الأولى التحقير لأنه أتاهم بتسع آيات واضحة﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾.

أمَّا الثانية فكانت آيتين: العصا واليد، فلم يكن فى الثانية تحقير كالأولى.

(١) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز جـ ١ ص٣٥٠ بتصريف.

س٧: قال تعالى : ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ﴾ (النمل :١٢). **إذا عددنا الآيات وجدناها إحدى عشرة : اليد والعصا وفلق البحر والطوفان والجراد والقمَّل والضفادع والدم والطمسة والجدب بأوديتهم والنقصان فى مزارعهم، فكيف نوفق بين الآية واستقصاء آيات موسى؟**

الجواب : اليد والعصا خارجتان عن الآيات التسع، فلقد سبق هذه الآية حديث عن العصا واليد، وأنهى الحديث بقوله : ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ﴾ فمعنى «فى»: «مع»، فتكون العصا واليد مع جملة تسع آيات أخرى ورد ذكرها فى مواطن أخرى.

س٨: قال تعالى : ﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ (النمل :١٨).

ما سر تعدية «أتوا» بحرف الاستعلاء «على»؟ وما الأسرار البلاغية فى قول النملة؟

الجواب : عدَّى الفعل «أتوا» بحرف الاستعلاء «على» **لأن إتيانهم كان من فوق، فنزلوا من أعلى الوادى على الوادى، وهو وادٍ بالشام كان كثير النمل، والنملة تطلق على الذكر والأنثى كالحمامة، ويفرِّق** بين الذكر والأنثى بذكر الذكر والأنثى، **تقول: حمامة ذكر وحمامة أنثى، وهذه النملة أنثى لأنه قال:** «قالت»، ولو كانت ذكراً لقال: «قال نملة».

أمَّا الأسرار البلاغية فى قول النملة فلقد **(جمع فى هذه اللفظة – أى فى قول النملة – أحد عشر جنسًا** من الكلام: نادت وكَنَت ونَبَّهَت وسَمَّت وأمرت وقصَّت وحذَّرت وخصَّت وعمَّت وأشارت وعذَّرت . فالنداء «يا» والكناية «أى» والتنبيه «ها» والتسمية «النمل» والأمر «ادخلوا» والقصص «مساكنكم» والتحذير «لا يحطمنكم» والتخصيص «سليمان» والتعميم «جنوده» والإشارة «وهم» والعذر «لا يشعرون»، فأدت خمس حقوق: حق الله وحق رسوله وحقها وحق رعيتها وحق جنود سليمان)[١].

لطيفة :

كان العالم ديكنسون [٢] عالماً فى علم الحشرات، فأخذ يدرس سلوك النمل، فذهب إلى مكان فيه نمل، يقول فوضعت قطعة خبز على فلِّينة، فمرت بها نملة، فعالجت قطعة الخبز، ثم

(١) الإتقان فى علوم القرآن جـ ٣ ص١٦٥.

(٢) عن مجلة الإخاء الإيرانية.

ذهبت إلى جحرها فأتت بجماعات من النمل فحملوها، يقول: كيف أخبرت النملة قومها؟ وكيف عرفوا خبرها؟ لابد أن تكون هناك لغة بين النمل، ويتحدث عن عالم النمل بأنه يعيش فى مستعمرات، ولكل مستعمرة ملكة، ويعيش كعالم النحل فى العمل والتقسيم: ملكة - شغالات - ذكور، ومن عادات النمل أنه يأخذ بعض الحشرات ويدخلها مستعمراته، وتعيش فى الظلام، ويطعمها ويقوم بحلبها كما يحلب البشر البقر والجاموس والشاء، ولو أسلم ديكنسون لأراح نفسه وكان قد عرف الكثير عن الكون من القرآن.

س٩: قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ (النمل:١٩).

كيف يطلب سليمان أن يدخله فى عباده الصالحين ولا يطلب أن يدخله فى سلك المرسلين وهم أعلى منزلة من الصالحين؟

الجواب: (إذا أدخله بينهم - أى بين الصالحين - وهو أعظم منزلة منهم ظهر فضله عليهم وعلموا علو مرتبته ويأنس بهم)[١].

لطيفتان:

قال تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ، لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ، فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ، إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ، وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ، أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ، اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (النمل:٢٠ - ٢٦).

اللطيفة الأولى:

أن الهدهد كان جندياً من جنود سليمان، ومن عادة سليمان أن يتفقد جنوده، وكل جندى له مهمة منوطة به: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ (النمل:١٧).

(فكان الهدهد مهندساً يدل سليمان عليه السلام على الماء، فإذا كان بأرض فلاةٍ طلبه فنظر له الماء فى تخوم الأرض كما يرى الإنسان الشئ الظاهر على وجه الأرض، ويعرف كم مساحة بعده من

(١) الروض الريان فى أسئلة القرآن جـ ١ ص٢٩٤.

وجه الأرض، فإذا دلهم عليه أمَرَ سليمان عليه السلام الجانَّ فحفروا له ذلك المكان حتى يستنبط الماء من قراره، فنزل سليمان بفلاة من الأرض فتفقد الطير ليرى الهدهد فلم يره فقال: ﴿مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾) [(١)].

ولقد سأل سليمان عن الهدهد بصيغة مترفعة مرنة جامعة تدل على أنه غائب بغير إذن وهذا يدل على سمة من سمات شخصية النبى الملك، وهى سمة اليقظة والدقة والحزم، فهو لا يغفل عن جندى من هذا الحشد من الجن والإنس والطير.

لقد حدَّث يوماً عبدُ الله بن عباس عن بعض مهام هدهد سليمان عليه السلام (وفى القوم رجل من الخوارج يقال له نافع بن الأزرق، وكان كثير الاعتراض على ابن عباس فقال له: قف يا ابن عباس غُلِبتَ اليوم، قال: ولِمَ؟ قال: إنك تخبر عن الهدهد أنه يرى الماء فى تخوم الأرض، وأن الصبى ليضع له الحبة فى الفخ ويحثو على الفخ تراباً، فيجىء الهدهد ليأخذها فيقع فى الفخ فيصيده الصبى، فقال ابن عباس: لولا أن يذهب هذا فيقول: رددت على ابن عباس لما أجبته، فقال له: ويحك إنه إذا نزل القدرُ عَمِى البصرُ وذهب الحذر، فقال له نافع: لا أجادلك فى شىء من القرآن أبداً) [(٢)].

وروى ابن أبى حاتم عن الحسن قال: اسم هدهد سليمان عليه السلام : عنبر [(٣)].

اللطيفة الثانية :

قال الهدهد لسليمان: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ الهدهد يدرك حزم سليمان فساق كلامه بإبراز أمرين:

الأول: أن سليمان مهما أوتى من كل شىء فهو عبد به مناحى عجز، وهذا هو المفهوم من قوله لسليمان عليه السلام: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ ، وفى قوله هذا لقائده قرع لسمع سليمان حتى ينصت لحديثه.

الثانى: وفى نهاية حديثه لفت انتباهه إلى قوله: ﴿أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ، اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ فذكره بالله كى لا يتخطى مقام عبوديته فلا يعذبه ولا يذبحه.

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٦ ص١٩٥.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق

﷽ **س١٠:** قال تعالى : ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ﴾ (النمل :٣٠).

كيف يقدِّم سليمان عليه السلام اسمه على البسملة؟

﷽ **الجواب:** من وجهين:

الأول : أن ملكة سبأ كانت كافرة تعبد الشمس من دون الله ويحتمل أن يكون سليمان عليه السلام خشى أن تستخف باسم الله فقدم اسمه ليكون وقاية للبسملة.

الثاني: يحتمل أن يكون اسم سليمان على العنوان والبسملة فى أول الكتاب.

﷽ **س١١:** قال تعالى : ﴿إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ (النمل :٢٣). **ما سر تذكير الضمير فى «تملكهم» مع أنه يعود على «سبأ»؟ ولماذا قال الهدهد: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ وهو يعلم أن سليمان قال: ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ ؟ وكيف استعظم عرشها وهو يدرك عظم ملك سليمان؟**

﷽ **الجواب:** سر تذكير الضمير من وجوه:

الأول: أنه ذكَّر الضمير لأن ملك المرأة للرجال أغرب، فذكَّر لغرابة ملكها لهم.

الثاني: أنه ذكَّر الضمير وأراد به القوم.

الثالث: أن المراد أهل المدينة، فهى تملك أهلها.

وسر قول الهدهد: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ مع أنه يعلم أن سليمان قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ فيكون قد سوَّى بينهما؟

لم يسوِّ بين إيتاء سليمان وإيتاء بلقيس، فبينهما فرق كبير لأن سليمان عليه السلام عطف على ما هو معجزة له من الله، وهو تعليم الله له منطق الطير، فـ"أوتينا من كل شىء" معطوف على ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ﴾ ، وهو معجزة، وعلَّمه الله الحكمة وآتاه النبوة وأسباب الدنيا، ولقد عطف الهدهد على ما هو أسباب الدنيا فقط، وهو كونها ملكة عليهم ﴿تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ فهى أوتيت أسباب الدنيا فقط، أمَّا سليمان فأعطى أسباب الدنيا والآخرة وهى الحكمة والنبوة.

وسر استعظام الهدهد لعرشها من وجهين:

الأول: يجوز أن لا يكون لسليمان مثله وإن عظمت مملكته.

الثاني: يجوز أن يكون استعظم العرش بالنسبة لمثلها من الملوك، ولا تعارض بين هذا الوصف ووصف عرش الله العظيم، لأن عظم عرشها بالنسبة لسائر جنسها، وتعظيم عرش الله يكون بالنسبة لسائر الخلق وما سواه.

س١٢: قال تعالى: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ﴾ (النمل: ٢٤).

من أين استقى الهدهد هذه المعارف؟

الجواب: أن الله ألهمه بذلك، وهو يدرك ذلك بفطرته التى فطره الله عليها.

س١٣: قال تعالى: ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (النمل: ٢٧).

ما سر العدول عن الإيجاز «أصدقت أم كذبت» إلى قوله: ﴿مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ؟

الجواب: القول الذى ورد فى الآية أبلغ من أن يقول: «أصدقت أم كذبت»؛ لأنه إذا ضمه إلى سمط الكاذبين وصفوفهم يكون معروفاً بالانخراط فى سلكهم وليس له عمل سوى الكذب.

لطيفة:

قال تعالى: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ (النمل: ٤٣).

هذه الآية ترشد وتشير إلى حقيقة علمية وهى أن الصفات الوراثية تتوارثها الأجيال المتعاقبة، فالصفات الوراثية الرديئة أو الحسنة تنتقل من الآباء إلى الأبناء، فالقوم ورَّثوا الصفات الوراثية وهى الكفر وعبادة الشمس لأبنائهم، قال تعالى عن نوح وقومه: ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ (نوح: ٢٧).

س١٤: قال تعالى: ﴿وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (النمل: ٥٣).

و قال تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُون﴾ (فصلت: ١٨).

ما سر تخصيص هذه الآية فى هذه السورة بقوله: «أنجينا» والآية الثانية بقوله: «نجينا»؟

الجواب: خصت الآية الأولى بقوله: «وأنجينا» مراعاة للآيات بعدها، وهى قوله تعالى: **﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾** (النمل: ٥٧)، وخص الثانية بقوله: **«ونجينا»** مراعاة لما قبله **﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا﴾** (فصلت: ١٢)، ومراعاة لما بعده وهو قوله: **﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ﴾** (فصلت: ٢٥).

لطائف:

قال تعالى: **﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾** (النمل: ٦٢).

(ذكر الحافظ ابن عساكر فى ترجمة رجل حكى عنه أبو بكر محمد بن داود الدِّينورى المعروف

بالدقى قال هذا الرجل : كنت أكارى على بغل لى من دمشق إلى بلد الزَّبدانى [١]، فركب معي ذات مرة رجل فمررنا على بعض الطريق على طريق غير مسلوكة، فقال لي: خذ في هذه فإنها أقرب، فقلت: لا خبرة لي فيها، فقال: بل هي أقرب، فسلكناها فانتهينا إلى مكان وعر وواد عميق وفيه قتلى كثيرة، فقال لي: أمسك رأس البغل حتى أنزل، فنزل وتشمر وجمع عليه ثيابه وسل سكيناً معه وقصدني، ففررت من بين يديه وتبعني، فناشدته الله وقلت: خذ البغل بما عليه، فقال هو لي: وإنما أريد قتلك، فخوفته الله والعقوبة فلم يقبل، فاستسلمت بين يديه وقلت: إن رأيت أن تتركني حتى أصلي ركعتين فقال: عجل، فقمت أصلي فأرتجَ عليَّ [٢] القرآن فلم يحضرني منه حرف واحد، فبقيت واقفاً متحيراً وهو يقول: هيه افرغ، فأجرى الله على لساني قوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ فإذا أنا بفارس قد أقبل من فم الوادي وبيده حربة فرمى بها الرجل فما أخطأت فؤاده فخر صريعاً، فتعلقت بالفارس وقلت: بالله من أنت ؟ فقال: أنا رسول الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء. قال: فأخذت البغل والحمل ورجعت سالماً.

وذكر في ترجمة فاطمة بنت الحسن أم أحمد العجلية قالت: هزم الكفار يوماً المسلمين في غزوة، فوقف جواد جيد بصاحبه، وكان من ذوي اليسار ومن الصلحاء، فقال للجواد: ما لك ؟ ويلك إنما كنت أعدُّك لمثل هذا اليوم، فقال له الجواد: وما لي لا أقصر وأنت تكل العلوفة إلى السواس فيظلمونني ولا يطعمونني إلا القليل؟ فقال: لك علي عهد الله أن لا أعلفك بعد هذا اليوم إلا في حجري، فجرى الجواد عند ذلك ونجى صاحبه وكان لا يعلفه بعد ذلك إلا في حجره، واشتهر أمره بين الناس وجعلوا يقصدونه ليسمعوا منه ذلك، وبلغ ملك الروم أمره، فقال: ما تضام بلدة يكون هذا الرجل فيها، واحتال ليحصله في بلده فبعث إليه رجلاً من المرتدين عنده، فلما انتهى إليه أظهر له أنه قد حسنت نيته في الإسلام وقومه حتى استوثق، ثم خرجا يوماً يمشيان على جنب الساحل، وقد واعد شخصاً آخر من جهة ملك الروم ليتساعدا على أسره، فلما اكتنفاه ليأخذاه رفع طرفه إلى السماء وقال: اللهم إنه إنما خدعني بك فاكفنيهما بما شئت، قال: فخرج سبعان فأخذاهما، ورجع الرجل سالماً) [٣].

---

(١) كورة مشهورة بين دمشق وبعلبك يخرج منها نهر دمشق.

(٢) أغلقت عليَّ القراءة.

(٣) تفسير ابن كثير جـ ٦ ص٢١٣ ، ٢١٤.

﷽ **س١٥: قال تعالى: ﴿أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ (النمل: ٦٤).**

كيف يقول الله ذلك للمشركين وهم منكرون للبعث كما فى قوله تعالى: ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ (الصافات:١٦)، **وقوله تعالى:** ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ (ق:٣)؟

﷽ **الجواب:** قال الله لهم هذا السؤال بعد أن أزيحت علتهم بالأدلة القرآنية وهى أدلةٌ قاطعة وحجج ساطعة، وهى تدعو إلى الإقرار بالبعث؛ لأنه لم يبق بعد تلك الأدلة شبهة لمنكر.

﷽ **س١٦: قال تعالى:** ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاء اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ (النمل: ٨٧). **و قال تعالى:** ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاء اللَّهُ﴾ (الزمر: ٦٨).

ما سر مجىء الأولى بالفعل المضارع «ينفخ» والثانية بالفعل الماضى «نفخ»؟

وما سر مجىء الفعل «فزع» ماضياً مع أنه جاء بعد مضارع؟ وما سر اختصاص الآية الأولى بالفزع والثانية بالصعق؟ ويقول الله: ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ أى أذلاء ومن بين الكل الأنبياء والصديقون وهم يأتون الحشر أعزاء مكرمين فكيف ندرأ ذلك؟

﷽ **الجواب: أمّا** سر مجىء الآية الأولى بالفعل المضارع فهو مراعاة لما قبله: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ﴾ (النمل: ٨٦)، ومراعاة لما بعده: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ (النمل: ٨٨).

وأما مجىء الآية الثانية بالفعل الماضى «نفخ» فهو مراعاة لما قبله: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾، وقوله ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾، ومراعاة لما بعده ﴿وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ وقوله ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ وقوله «وسيق» فى موضعين.

وأتى بالفعل «فزع» ماضياً للدلالة على تحقق الوقوع؛ لأن الفعل الماضى يدل على وجود الفعل وأنه مقطوع به.

وسر مجىء (الفزع) فى الأولى: مراعاة لما بعده ﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾، وسر مجىء (الصعق) فى الآية الثانية: مراعاة لما قبله ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾؛ لأن الصعق معناه الموت.

والمراد بقوله: ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ المراد ذل العبودية لله ولعظمته لا ذل الذنوب والمعاصى، وذلك يعم الخلق جميعاً كما فى قوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ (مريم: ٩٣).

﴿ (٢٨) سورة القصص ﴾

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجـواب : (لما ختم تلك – أى سورة النمل – بالوعد المؤكد بأنه يظهر آياته فتعرف، وأنه ليس بغافل عن شىء – ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ تهديداً للظالم وتثبيتاً للعالم، وكان من الأول ما يوحيه فى هذه – أى سورة القصص – من الأساليب المعجزة من خفايا علوم أهل الكتاب فلا يقدرون على رده، ومن الثانى ما صنع بفرعون وآله قال أول هذه: «طسم» مشيراً بالطاء المليحة بالطهر والطيب إلى خلاص بنى إسرائيل بعد طول ابتلائهم المطهِّر لهم، وبالسين الرامزة إلى السمو والسنا والسيادة إلى أن ذلك يكون بمسموع من الوحى فى ذوى طوى من طور سيناء قديم، وبالميم المهيئة للملك والنعمة إلى قضاء من الملك الأعلى بذلك) [1].

س٢: قال تعالى : ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (القصص :٧).

ما السر فى أمر الأم بإرضاع ابنها مع أنها ترضعه دون أمر؟ وما وجه الفصاحة فى هذه الآية؟ وما الفرق بين الخوف والحزن؟

الجواب: **أمّا السر فى أمر الأم بإرضاع موسى فلقد أمرها بذلك لتعطيه جرعة كبيرة من لبئها[2]، وتكثر من إرضاعه ولا يخيفها الفعل الوحشى لفرعون بالأطفال، فإذا أكثرت من إرضاعه ولو فى فترة قصيرة فإنّه يألف لبنها وطعمه، ويعرف نبض قلب أمه ورائحتها، ويرتبط بها، فإذا وقع بعد ذلك فى بيت فرعون فلا يقبل ثدى غيرها.**

أمّا عن وجه الفصاحة فى هذه الآية فيقول ابن العربى: (هى من أعظم آىٍ فى القرآن فصاحة؛ إذ فيها أمران ونهيان وخبران وبشارتان) [3].

والأمران : ﴿أَرْضِعِيهِ﴾ و﴿فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾، والنهيان ﴿وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي﴾، والخبران ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى﴾ و﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾ . والفرق بين الحزن والخوف: أن الحزن: ألَمُ النفس من مكروه نزل بها، والخوف ألمٌ يصيب النفس من مكروه متوقَّعٍ مستقبلاً.

---

(١) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور جـ ١٤ ص٢٣٣.

(٢) اللِّبأ: بوزن عنب هو أول لبن الأم. وهو المسمى بالسرسوب ، وهو مهم للطفل.

(٣) الإتقان فى علوم القرآن جـ ٣ ص١٦٦.

﴾ س٣: قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (القصص :١٤). و قال تعالى : ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (يوسف :٢٢). ما سر مجيء جملة «استوى» فى الآية الأولى دون الثانية؟

الجواب: معنى ﴿بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ اعتدل وتم استحكامه، وزاد فى الأولى وهى خاصة بموسى عليه السلام ﴿واسْتَوَى﴾ أى كمل وبلغ المبلغ الذى يوحى إليه فيه وهو سن الأربعين، أمَّا فى الثانية وهى خاصة بيوسف عليه السلام فإنَّه نُبِّئ قبل أن يبلغ سن الأربعين، ونبئ وهو فى البئر، وكان فى صباه، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِ وَأَجْمَعُواْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَـذَا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ (يوسف :١٥).

س٤: قال تعالى : ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ (القصص :١٥). **ما سر استغفار موسى من هذا القتل وجعله ظلماً مع أن القتيل كان كافراً والغلام الذى قتله الخضر كان كافراً ولم يستغفر الخضر بعد قتله؟**

الجواب: أن لكل إنسان حرمته ولو كان كافراً وهناك بون بين قتل موسى للرجل الكافر وبين قتل الخضر للغلام الكافر.

نعم: موسى قتل كافراً، ولكنه لم يؤمر من الله بقتله فهذه حرمة، من أجل هذا استغفر وندم أمَّا الخضر فكان مأمورًا من قبل الله بقتله، فبعد أن بيَّن الخضر لموسى أسرار الرحلة من خرق السفينة وسبب قتل الغلام، وأظهر سر بناء الجدار، قال لموسى: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ (الكهف :٨٢).

س٥: قال تعالى: ﴿وَجَاء رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ (القصص :٢٠). **وقال تعالى:** ﴿وَجَاء مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ (يس :٢٠). **ما سر تقديم الجار والمجرور على الفاعل فى الآية الثانية؟**

الجواب: فى الآية الأولى أتى الجار والمجرور «من أقصى» صفة لرجل، وفى الثانية يحتمل الجار والمجرور ثلاثة أوجه:

١- أن يكون صفة، بيد أنها تقدمت على الموصوف.

٢- أن يكون صلة للفعل «جاء».

٣- أن يكون صلة للفعل «يسعى» .

وأتى الفاعل «رجل» في الآية الأولى جرياً على القاعدة؛ لأنه أتى بعد الفعل، وتقدم الجار المجرور في الآية الثانية؛ لأن الرجل كان يعبد الله في جبل، فلما سمع خبر الرسل سعى مستعجلاً، فالاهتمام بكونه جاء من أقصى المدينة.

س٦ : قال تعالى : ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (القصص :٢٥)، **لقد فعل موسى معروفاً بسقيه الغنم للمرأتين، فلماذا يأخذ على المعروف أجرًا ويجيب الدعوة التي حملتها المرأة من أبيها؟**

الجواب : من وجهين :

الأول: أنه أجابها للضرورة، فهو محتاج وليس معه مال، وهذا لا يمنعه الشرع، فمع أنه مجهود مكدود ورأى المرأتين تنزويان بعيدًا عن الرعاء بأغنامهما، ثم يأتي بأغنامهما ويسقيها، فقد عمل وهو محتاج، فله أن يأخذ الأجر.

الثاني: أنه أجاب الدعوة لا طمعاً في الأجر بل ليتبرك برؤية الشيخ الذي ربما سمع عنه من الرعاء، وروى (أنه لما جاءه قدم - الشيخ - إليه طعاماً فامتنع عنه -موسى-، وقال: إنا أهل بيت لا نبيع ديننا بالدنيا حتى قال له شعيب عليه الصلاة والسلام: هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا) [(١)].

لطيفة : قال تعالى: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ . سبحان الله جاءته البنت الكبرى على ما قيل، وهي صفوراء أو صفراء، كلها حياء كأنها اعتلت الحياء وتمكنت منه. أتته في غير تبذُّل ولا تبرج، وفي حال لا تترك فرصة لطامع أو ناظر. يهتف حالها بالطهر والعفة حين تلقى الرجال مستترة بكُمّ درعها، وما أعظم ما تفوهت به، إنها دعوة في أقصر لفظ وأخصر عبارة، ولا يحتاج قولها إلى تفسير أو تأويل من سامع، بل من سمع قولها يلبي دون أن يسأل أو يتكلم ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾، فمع الحياء الإبانة والدقة والوضوح، لا التلجلج ولا التلعثم، ولا غرو فهي من بيت نظيف فهي تستحيي ولكنها لثقتها بطهارتها واستقامتها لا تضطرب، فلقد تحدثت بالقدر

---

(١) حاشية الشهاب جـ ٧ ص٧١ بتصريف.

المطلوب فالسامع لكلامها لا تسوّل له نفسه بالنيل منها. بل يخاف حماها. وهذه المرأة هى التى انبرت لأبيها وقالت: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾ إنها وأختها تعانيان من رعى الغنم ومن مزاحمة الرجال عند الورود إلى الماء وعند الصدور عنه. فالعمل الذى يقومان به عمل الرجال وهى تتأذى وأختها من الاحتكاك بالرجال، فهى تريد أن تأوى إلى خِدرها فى بيتها فلا تحتك بالغرباء فى المرعى والمسقى، ولقد رأت فى موسى الشاب القوى الذى يهابه الرعاء، ورأت فيه الأمانة على العِرْض حين دعته لدعوة أبيها فتبعها موسى. فألزقت الريح ثوبها بجسدها فقال لها: امشى خلفى وانعتى لى الطريق. فعرفت أمانته على العرض، فمن باب أولى يكون أميناً على المال. ولما كان عنيفاً فإنّه سيكون عفّ اللسان. فطلبت من أبيها أن يستأجره (عن عبد الله بن مسعود أنه قال: أفرس النّاس ثلاثة: عزيز مصر حين قال لامرأته: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾ والمرأة التى قالت لأبيها ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾ وأبو بكر الصديق حين استخلف عمر بن الخطاب) [1].

ﷺ س٧: قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ﴾ (القصص :٢٧). كيف يصح لهذا الشيخ أن يزوِّج موسى إحدى ابنتيه من غير تعيين ولا يصح هذا الزواج شرعاً؟ وكيف يكون المهر خدمة ورعياً للغنم ولا بد أن يكون مالاً؟

الجواب: لم يكن قول الشيخ عقداً ولكن مواعدة وعرْضاً، بدليل قوله: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ﴾ فقال: أريد، ولم يقل: إنى أنكحتك. وأمّا عن المهر فالجواب من وجوه :

الأول: يحتمل أن تكون الخدمة مهراً فى شريعة الشيخ وأهل مدين.

الثانى: اختلف العلماء: فالإمام أبو حنيفة لا يجوّز ذلك. فمنع أن يتزوج رجل امرأة على الخدمة بنفسه سنة، وأجاز أن يتزوجها إذا قام عبده بالخدمة سنة أو أنه أسكنها داره سنة، لأن الصورة الأولى : أنه يسلّم نفسه ولا يسلّم مالا، وفى الصورة الثانية يسلّم مالا فالعبد مال، وإسكان الدار نظير مال. أمّا الإمام الشافعى فقد أجاز ذلك الزواج بالخدمة أو القيام بعمل إذا كان له أو المخدوم فيه أمراً معلوماً.

ﷺ س٨: قال تعالى: ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (القصص :٢٧).

و قال تعالى عن إسماعيل عليه السلام: ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (الصافات :١٠٢).

(١) تفسير ابن كثير جـ ٤ ص٣٠٦.

ما سر القول في الأولى: ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ وفي الثانية: ﴿مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ ؟

﴿الله﴾ **الجواب:** المقامان مختلفان، فالمقام الأول كان في حديث شيخ مدين لموسى بعد أن عرض عليه الزواج من إحدى ابنتيه، فطمأنه بقوله: ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ من حسن المعاشرة وحسن المعاملة ولين الجانب، وذلك مشروط بمشيئة الله وتوفيقه والتوكل عليه.

أمّا المقام الآخر فكان في مقام عرض إبراهيم الذبح على ابنه إسماعيل، فقال له إسماعيل: ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ على هذا البلاء، ولكل مقام مقاله.

﴿الله﴾ **س٩:** قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِندِهِ﴾ (القصص :٣٧)،

وقال تعالى: ﴿قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاءَ بِالْهُدَى﴾ (القصص :٨٥)،

ما سر مجيء حرف الجر في الأولى وحذفه في الثانية؟

﴿الله﴾ **الجواب:** أن «أعلم» بمعنى الفعل «يعلم»، ففيه معنى الفعل ومعنى الفعل لا يعمل في المفعول به إلاّ بما يقويه على العمل، فزيدت الباء لتقويته للعمل في المفعول به، وحذف حرف الجر في الآية الثانية اكتفاء بالأول ودلالة على هذا المحذوف.

﴿الله﴾ **س١٠: قال تعالى:** ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (القصص :٣٨).

و قال تعالى في سورة غافر: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾ (غافر :٣٧).

ما سر اختلاف التعبير مع أن المقام واحد؟

﴿الله﴾ **الجواب:** أتى الأسلوب في الآية الأولى لتسجيل الكذب على موسى وأنه منخرط في سمط الكاذبين، فكل أحواله كذب لأمرين:

الأول: أن فرعون بالغ في ألوهيته فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ (القصص :٣٨)، فكان سياق كلامه المبالغة في تكذيب موسى.

الثاني: مراعاة رءوس الآيات، فكل الآيات انتهت في سورة القصص بالنون.

أمّا الآية الثانية: فجاءت على الأصل «كاذباً» لأنه لم يكن فيها داع للتغيير.

﴿الله﴾ **س١١: قال تعالى:** ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا﴾ (القصص :٦٠).

و قال تعالى: ﴿فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (الشورى :٣٦). **ما سر ذكر الزينة في الآية الأولى؟**

﴿الله﴾ **الجواب:** ذكر الزينة في الآية الأولى لأنه ذكر جميع ما بسط من الرزق وأعراض الدنيا في الآيات السابقة عليها، فأتى بكلمتي «متاع» و«زينة» لتستوعبا جميع ما بسط الله لهم من الرزق.

بخلاف الآية الثانية فلم يسبقها حديث عن نعم الله الكثيرة. فاكتفى بكلمة «متاع».

س١٢: قال تعالى : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلا تَسْمَعُونَ، قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ (القصص :١ ، ٧٢).

ما سر تقديم الليل على النهار فى هذه الآيات؟ وما سر ختم آية الليل بقوله : ﴿أَفَلا تَسْمَعُونَ﴾ ؟

الجواب : قدم الليل على النهار لأمرين :

١- لأن الليل عدم والنهار وجود. والعدم يسبق الوجود.

٢- قدم الليل على النهار لأن ذهاب الليل بطلوع النهار أكثر نفعاً من ذهاب النهار بدخول الليل، وختم الآية بقوله : ﴿أَفَلا تَسْمَعُونَ﴾ لأن الإدراك فى الليل لا يكون إلاَّ بالسمع، وليس بالبصر.

س١٣: قال تعالى : ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ (القصص :٨٢).

ما سر تكرار قوله «ويكأنه»؟

الجواب : كلمة «وىْ» قيل : إنها اسم فعل بمعنى «أعجب» وهو مضارع، والمعنى : أعجب لأن الله يبسط الرزق، وتستعمل للندم والتحسر بخلاف كلمة «وَيْح» فهى للترحم، وليس فى الكلمة تكرار لأن كل واحدة منهما متصلة بغير ما اتصلت به الأخرى، فالأولى قالها الذين تمنوا لأنفسهم ما لقارون فقالوا : ﴿يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ﴾ ، فلما أدركوا ندموا وتحسروا على تمنيهم هذا. والثانية متصلة بقوله : ﴿لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ فلا تكرار.

(٢٩) سورة العنكبوت

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب : (لما ختم الله السورة الماضية – سورة القصص– **بالحث على العمل للدار الآخرة، وأن كل أحد من محسن ومسيء مجزى بعمله، وبالإخبار بأنه سبحانه عالم بالسر والعلن، وبالأمر بالاجتهاد فى الدعاء إليه وقصر الهمم عليه، إن أدى ذلك إلى الملال وذهاب النفس والأموال معللاً بأن له الحكم سبحانه لأنه الباقى بلا زوال، وكل ما عداه تلاش واضمحلال، وأنه لا يفوته شيء** فى حال ولا مآل قال أول هذه – سورة العنكبوت –: «ألم» إشارة بالألف الدال على القائم الأعلى المحيط ولام الوصل وميم التمام بطريق الرمز إلى أنه سبحانه أرسل جبريل إلى محمد عليهما الصلاة

والسلام، ليدعو النَّاس بالقرآن الذى فرض عليه إلى الله، لتعرف بالدعوة سرائرهم، ويتميز بالتكاليف محقهم وماكرهم: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾)[1]

س٢: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ (العنكبوت :٣)، **إن الله عالم بما وقع وما يقع، فكيف يقول هذا القول؟**

الجواب: معنى الآية : وليتميز الصادق من الكاذب، وأيضاً ما علمه أزلاً يتحقق وجوده فى عالم الواقع.

س٣: قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (العنكبوت :٧)، **صرحت الآية بأن الله يجازيهم على الأحسن من أعمالهم. فلماذا لا يجازيهم على الحسن من أعمالهم؟**

الجواب: من وجهين:

الأول: أن أفعل التفضيل ليس على بابه أى ليس للتفضيل، بل المراد أنه يجازيهم على أعمالهم الحسنة، وعبر بأفعل التفضيل لشرف الأحسن.

الثانى: أنه إذا جازاهم على الأحسن من أعمالهم، فمن باب أولى أنه يجازيهم على الحسن منها.

س٤: قال تعالى : ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا﴾ (العنكبوت :٨). **وقال تعالى : ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ، وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا﴾** (لقمان :١٤ ، ١٥). **وقال تعالى : ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا﴾** (الأحقاف :١٥).

ما سر اختلاف الأسلوب مع اختصار وإطناب مع أن الحدث واحد، وهو نزول الآية فى سعد بن مالك أى ابن أبى وقاص؟

الجواب: الآيات الثانية وهى فى سورة لقمان لم يذكر حسناً، لأن قوله ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ قام مقام كلمة «حسنا» لأن فى هذا القول حسنا.

وقال فى الآية الأولى: «حسنا» لأن الموصى به هو القول كما فى قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (البقرة :٨٣)، وقال فى الآية الثالثة: «إحساناً» لأن الموصى به الإحسان فى القول وفى

---

(١) نظم الدرر فى تناسب الآيات و السور جـ ١٤ ص٣٨٤ ، ٣٨٥.

الفعل، ولذلك ذكر السر فى الحمل والوضع والرضاع. ولم يذكر فى الآية الأولى الحمل والوضع لأن الآيات السابقة تميزت بالاختصار. فأتت الآية موافقة لها فى الاختصار. فلقد سبقها قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فلقد ذكرت هذه الآية ما يقع بالمؤمنين بأوجز كلام وأحسن نظم.

و قال فى الأولى: ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي﴾، وفى الثانية: ﴿عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي﴾، لأن معنى «جاهداك» فى الأولى: وإن أفرغا ما فى وسعهما من الطاقة لكى تشرك بى. ومعنى «جاهداك» فى الثانية: وإن حملاك على أن تشرك بى.

س٥: قال تعالى: ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا﴾ (العنكبوت: ٨)

أليس مفهوم المخالفة أن يطيعهما فى الشرك فيما له علم به أمَّا ما ليس له به علم فلا؟

الجواب: يقول أبو السعود (أى: ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ بإلهيته، عبَّر عن نفيها بنفى العلم بها للإيذان بأن ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه، وإن لم يعلم بطلانه فكيف بما علم بطلانه) [١].

وأقول:

إن النهى عن الطاعة فى الشرك فيما ليس له به علم، فمن باب أولى يشمل النهى عن الطاعة فى الشرك فيما له علم بعدم ألوهيته، ولا يصح أن يكون شريكاً لله.

س٦: قال تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَامًا﴾ (العنكبوت: ١٤).

هلاَّ قال: «فلبث فيهم تسعمائة وخمسين سنة»؟ وهلاَّ قال: «إلاَّ خمسين سنة» كما سبق أن قال «ألف سنة» فيكون المستثنى سنة؟

الجواب: **وردت العبارة «ألف سنة إلاَّ خمسين عاماً» أحكم مما لو قال: «تسعمائة وخمسين عاماً»؛ لأن هذا القول يتوهم معه الأكثر، أو أنه على سبيل التقريب، أمَّا قول الله فهو أحكم ويدرأ هذا التوهم.**

وأما مجىء ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَامًا﴾ فهو أبلغ من القول «فلبث فيهم ألف سنة إلاَّ خمسين سنة»؛ لأنه عدل عن سنة مراعاة للبلاغة وهى عدم التكرار.

س٧: قال تعالى: ﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ﴾ (العنكبوت: ٢٢).

---

(١) تفسير أبى السعود جـ ٧ ص٣١

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾ (الشورى:٣١)

ما سر ذكر السماء فى الآية الأولى دون الثانية؟

الجـواب: أن السياق فى هذه السورة خطاب للنمروذ بن كنعان حين صعد فى الجـو متوهمـاً أنه يحاول السماء فقال الله له ولقومه: وما أنتم بمعجزين فى الأرض من الجن والإنس ولا من فى السماء من الملائكة فكيف تعجزون الله؟

أمَّا الآية الثانية: فالخطاب فيها للمؤمنين، يدل عليه قوله: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ فهم متعلقون بالأرض.

س٨: قال تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (العنكبوت :٢٣).

أضاف الرحمة إلى نفسه فقال: «من رحمتى» ولم يضف العذاب إلى نفسه مع أن السياق يقتضى ذلك ولا سيما أنه قال فى موطن آخر: ﴿وَ أَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمَ﴾ فما فائدة عدم إضافة العذاب إلى نفسه؟

الجواب: أن فيه إشارة إلى فضل من الله لجميع خلقه، وهو أن جانب الرحمة مقدم على جانب العذاب، وهو إعلام بعموم رحمة الله ولزومها له، حيث أضافها إلى نفسه.

س٩: قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا﴾ (العنكبوت :٦٣)، **و قال تعالى: ﴿وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاء مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾** (الجاثية :٥)، **ما سر اقتران «بعد» بـ«من» فى الآية الأولى وحذفها فى الثانية؟**

الجـواب: فى الآية الأولى اقترنت «بعد» بـ«من» مراعاة لاقتران كلمة «قبل» بمن قبلها فى قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾.

س١٠: قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (العنكبوت :٦٤).

هلاَّ قال: وإن الدار الآخرة لهى الحياة؟

الجواب: ما أتت به الآية من أسلوب ورد على أبلغ وجه وأعظم عبارة وأفصح لفظ، ففى كلمة «الحيوان» مبالغة بزيادة الألف والنون، وزيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، وأصل الحيوان «حيَيَان فقلبت الياء الثانية واوًا لما فى بناء «فَعَلان» من معنى الحركة والاضطراب اللازم للحيوان، ولذلك اختير على الحياة فى هذا المقام المقتضى للمبالغة)[1].

---

(١) تفسير أبى السعود جـ ٧ ص٤٧.

(٣٠) سورة الروم

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: (لما ختم سبحانه التى قبلها – سورة العنكبوت – بأنه مع المحسنين – ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ قال: ﴿الم﴾ مشيراً بألف القيام والعلو ولام الوصلة وميم التمام، إلى أن الملك الأعلى القيوم أرسل جبريل عليه الصلاة والسلام الذى هو وصلة بينه وبين أنبيائه عليهم الصلاة والسلام. إلى أشرف خلقه سيدنا محمد ﷺ المبعوث لإتمام مكارم الأخلاق. يوحى إليه وحياً معلماً بالشاهد والغائب، فيأتى الأمر على ما أخبر به دليلاً على صحة رسالته. وكمال علم مرسله. وشمول قدرته، ووجوب وحدانيته، ولما أشير فى آخر تلك – أى العنكبوت – بأمر الحرم ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا﴾ إلى أنه سبحانه يعز من يشاء. ويذل من يشاء، وختم بمدح المجاهدين فيه. وأنه سبحانه لا يزال مع المحسنين، وكانت قد افتتحت بأمر المفتونين، فكأن كأنه قيل: «لنفتننكم ولنعمّين المفتنين ولنهدين المجاهدين»، وكان أهل فارس قد انتصروا على الروم، ففرح المشركون وقالوا للمسلمين: قد انتصر إخواننا الأميون على إخوانكم أهل الكتاب فلننصرن عليكم، فأخبر الله تعالى بأن الأمر يكون على خلاف ما زعموا، فصدّق مصدقٌ وكذّب مكذّب، فكان فى كل من ذلك من نصر أهل فارس، وإخبار الله تعالى بإدالة الروم فتنة يعرف بها الثابت من المزلزل، وكان من له كتاب أحسن حالاً فى الجملة ممن لا كتاب له، افتتحت هذه – أى: الروم – بتفصيل ذلك تصريحاً بعد أن أشار إليه بأحرف المقطعة تلويحاً وشهادة، دلالة على وحدانيته وإبطال الشرك، فأثبت سبحانه أن له جميع الأمر، وأنه بشر المؤمنين بنصرة من له دين صحيح الأصل، وخذلان أهل العراقة فى الباطل والجهل، وجعل ذلك على وجه يفيد نصر المؤمنين على المشركين فقال مبتدئاً بما أفهمه كونه مع المحسنين من أنه ليس مع المسيئين: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ﴾)[1].

س٢: قال تعالى: ﴿الم، غُلِبَتِ الرُّومُ، فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ، فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (الروم ١ – ٤).

لقد انتصر الفرس وهم أهل وثنية على الروم وهم أهل كتاب، فكيف راهن أبو بكر أُبَىَّ بن خلف على أن الروم ستنتصر فى بضع سنين والمراهنة حرام؟

---

(١) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور جـ ١٥ ص١ ، ٢ بتصريف.

﴿الله﴾ **الجـواب:** لقد تقاتل الفرس والروم وانتصر الفرس، ففرح بذلك أهل مكة لأن الفرس إخـوانهم في الوثنية والروم أهل كتاب، (وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: لما أنزلت ﴿الم. غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ قال المشركون لأبى بكر رضي الله عنه: ألا ترى ما يقول صاحبك؟ يزعم أن الروم تغلب فـارس، قـال: صدق صاحبى، قالوا: هل لك أن نخاطرك[1]، فجعل بينه وبينهم أجلاً، فحلَّ الأجـل قبـل أن يبلغ الروم فارس، فبلغ ذلك النبى ﷺ فساءه وكرهه وقال لأبى بكر: ما دعـاك إلى هـذا؟ قـال: تصديقاً لله ورسوله، فقال تعرض لهم وأعظم الخطر واجعلـه إلى بضـع سـنين. فأتـاهم أبـو بكـر رضي الله عنه فقال: هل فى العود فإن العود أحمد؟ قالوا: نعم، ثم لم تمض تلك السنون حتـى غلبـت الروم فارس وربطوا خيولهم بالمدائن وبنوا الرومية، فقمر أبو بكر فجاء به أبو بكر يحمله إلى رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «هذا السحت تصدَّق به»)[2].

والذى راهن أبا بكر هو أُبَىُّ بن خلف، ولقد وضح الرسـول ﷺ البضـع لأبـى بكـر، فلقـد فهمـه أبو بكر بأنه ثلاث سنين، أمَّا الرسول ﷺ فقد بَيَّنَ له معناه بأنه من الثلاث إلى التسع.

والسؤال: كيف صحَّت المراهنة وهى قمار؟ والجواب على ذلك بما يأتى:-

١- أن ذلك كان قبل تحريم القمار، فهذا الحديث كان فى مكة، وتحريم القمار كان بالمدينة.

٢- ذهب أبو حنيفة رضي الله عنه إلى أن العقود الفاسدة من عقود الربا وغيرها جائزة فى دار الحـرب بين المسلمين والكفار، واحتج أبو حنيفة على ذلك بما عقده أبو بكر مع أبى بـن خلـف عنـد انتصار الفرس على الروم.

س٣: قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْـفَ كَـانَ عَاقِبَـةُ الَّـذِينَ مِـن قَـبْلِهِمْ﴾ (الروم :٩)، **وقال فى سورة فاطر[3] وفى سورة غافر[4]: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا﴾ وقال فى غير هذه السور بالفاء، وعلى سبيل المثال ما فى سورة «محمد» ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ﴾** (محمد :١٠)، **فما سر مجيئها بالواو فى السور المذكورة وبالفاء فى غيرها؟**

﴿الله﴾ **الجواب:** هذه الآيات تأتى بالواو أو بالفاء مراعاة للسباق واللحاق، ففى سورة الروم جاء قبلها ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾، وجاء بعدها: ﴿وَأَثَارُوا الأَرْضَ﴾، فأتت: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا﴾ مراعاة للسباق واللحاق،

---

(١) المخاطرة و المناحبة والمراهنة : معان واحدة.

(٢) تفسير ابن أبى حاتم جـ ٩ ص٣٠٨٦.

(٣) سورة فاطر الآية:٤٤

(٤) سورة غافر الآية:٢١

وكذلك فى سورة فاطر سبقها قوله: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً﴾، وأتى بعدها: ﴿وَمَا كَانَ اللَّه﴾ وكذلك فى سورة غافر سبقها: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ﴾ .

وأما ما جاء بالفاء ﴿أَفَلَمْ﴾ فأتت مراعاة لما قبلها وما بعدها كما فى آية غافر: «أفلم». وهى الثانية فسبقها ﴿فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ، أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ﴾ وفى سورة محمد سبقها: ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ، أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ وهكذا فى كل الآيات.

لطيفة:

(قال تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ، وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ، يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ (الروم: ١٧ - ١٩). قال جار الله الزمخشرى عند تفسيره لهذه الآيات: (روى عن رسول الله ﷺ: «من سره أن يكال له بالقفيز الأوفى فليقل: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ وعنه عليه السلام: «من قال حين يصبح: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ أدرك ما فاته فى يومه، ومن قالها حين يمسى أدرك ما فاته فى ليلته»)[1].

س٤: قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ (الروم: ٢٧). ما معنى أفعل التفضيل «أهون» مع أن فعل الله لا يوصف بالهيِّن ولا الأهون فكل المخلوقات أمام القدرة سواء؟

الجواب: أفعل التفضيل ليس على بابه، والمعنى: وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو هيِّن عليه، ومعنى ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ أى: الوصف الأعلى الذى ليس لغيره مثله، ووصف فى السموات والأرض على ألسنة الخلائق وألسنة حال الدلائل.

س٥: قال تعالى: ﴿وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾ (الروم: ٤٦).

و قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ﴾ (الجاثية: ١٢).

ما سر مجىء «فيه» فى الآية الثانية وتجريد الأولى منها؟

الجواب: الآية الأولى تقدمها قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ﴾ فالرياح مبشرات بالمطر فتكون معها الرحمة، ثم قال: ﴿وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ﴾ أى: تجرى

(١) الكشاف جـ ٤ ص٥٧٠.

الفلك بالرياح بأمر الله تعالى، ولم يتقدم ذكر للبحر فلم يقل: «فيه»، أمّا الآية الثانية فقد تقدم عليها ذكر البحر وهو قوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي سخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ ﴾ فكنّى عنه فقال: ﴿لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ﴾

(٣١) سورة لقمان

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: يقول الإمام البقاعي: (لما ختمت الروم بالحث على العلم، وهو ما تضمنه هذا الكتاب العظيم والأمر بالصبر والتمسك بما فيه من وعد، والنهى عن الإطماع لأهل الاستخفاف فى المقاربة لهم فى شىء من الأوصاف وكان ذلك هو الحكمة، قال أول هذه: ﴿ألم﴾ مشيراً بها إلى أن الله الملك الأعلى القيوم أرسل لأنه الظاهر مع أنه الباطن جبريل عليه السلام إلى محمد عليه الصلاة والسلام بوحى ناطق من الحكم والأحكام بما لا ينطق من قبله إمام، ولا يلحقه فى ذلك شىء مدى الأيام، فهو المبدأ وهو الختام)(١).

وأقول:

لقد انتهت سورة الروم بالحديث عن القرآن وعن سلوك الذين كفروا قبل هذا القرآن، وتسلية الرسول ﷺ بأن كفرهم هذا مصدره أن الله طبع على قلوبهم، وأمره بالصبر على تبليغه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُبْطِلُونَ، كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ، فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ﴾ (الروم :٥٨ – ٦٠).

ثم شرعت سورة لقمان فى الحديث عن القرآن أيضاً: ﴿الم، تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ .

س٢: قال تعالى : ﴿الم، تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ (لقمان ١ ، ٢).

كيف يوصف الكتاب بالحكمة وهو لا يعقل والحكمة من صفات العقلاء؟

الجواب: وصف الكتاب بالحكمة لأمور:

١– أنه بمعنى: ذو حكمة فهو مشتمل على جميع الحكم، قال تعالى : ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ، وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ (الزخرف :٣ ، ٤).

٢– أن المراد بالحكيم أى المحكم وهو المتقن الذى يميز بين الصدق والكذب والرشد والغى والهدى والضلال، كما أخبر عن ذلك الله ﷻ ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾ (هود :١).

(١) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور جـ ١٥ ص١٤١.

٣- أن المراد بالحكيم أى: الحكيم قائله قال تعالى: ﴿تنزيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت :٤٢).

س٣: قال تعالى : ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ (لقمان :٣). **وقال تعالى فى سورة البقرة:** ﴿لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة :٢). **ما سر الاختلاف فى الأسلوب؟**

الجواب: فى الآية الأولى زيادة فى الوصف وجعله هدى ورحمة للمحسنين، وفى الثانية قال: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أى الذين اتقوا الشرك.

س٤: قال تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (لقمان :٦).

لقد أفرد فاعل «يشترى» و«ليضل» و«يتخذها». فلماذا أخبر بالجمع ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ﴾ ؟

الجواب: أفرد فى الأفعال الثلاثة باعتبار لفظ «مَنْ» وهو اسم موصول. وجمع باعتبار معنى «مَنْ»، فهو لفظ يفيد العموم فقال: «أولئك لهم».

س٥: قال تعالى : ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (لقمان :٧).

و قال تعالى : ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ، يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (الجاثية :٧ ، ٨).

هاتان الآيتان نزلتا فى النضر بن الحارث فما سر زيادة ﴿كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ فى الآية الأولى؟

الجواب: أتت الآية الأولى فى معرض المبالغة فى عدم استماعه لآيات الله وأنه ﴿يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾ فزاد ﴿وَقْرًا﴾ فى معرض المبالغة، أمَّا فى الآية الثانية فهو لم يبالغ فيها.

س٦: قال تعالى : ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (لقمان :١٢)

ما سر التعبير فى الجملة الأولى، بالفعل المضارع وهو للاستقبال والحال والجملة الثانية بالفعل الماضى «كفر»؟

الجواب: أتى بالجملة الأولى بالفعل المضارع فيها «يشكر»، وفى الثانية بالفعل الماضى «كفر»: لأن نعم الله على عباده تترى ولا تنقطع، والشكر يجب أن يكون عقب كل نعمة والنعم تتكرر، فعبر بالمضارع للشكر للدلالة على التجدد والحدوث، والكفر نقمة على صاحبه، فمن كفر ينبغى عليه أن ينقطع عنه، وصيغة الماضى هى أحق بالتعبير.

س٧: قال تعالى : ﴿إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ﴾ (لقمان :١٦).

الفعلان «تك» و«فتكن» إعرابهما واحد وهما مجزومان، فلماذا حذفت النون من الفعل الأول؟

﴿الله﴾ **الجواب:** حذفت النون من الفعل الأول للتخفيف؛ لأن الفعل دخلت عليه «إنّ» وبه النون الساكنة فيكون أكثر من نون وإعرابه أنه مجزوم لأنه فعل الشرط وعلامة جزمه السكون على النون المحذوفة، والفعل «فتكن» معطوف عليه، وجواب الشرط في نهاية الآية «يأت»، فهو مجزوم وعلامة جزمه حذف حرف العلة.

س٨: قال تعالى: ﴿إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (لقمان :١٩). **ما سر إفراد «صوت» مع أنه مضاف إلى جمع فكان السياق يقتضى أن يقول: «إن أنكر الأصوات لأصوات الحمير؟**

﴿الله﴾ **الجواب:** من وجهين:

الأول: ليس المراد بيان حال صوت كل فرد من أفراد الحمير حتى يجمعه، بل المراد بيان حال صوت هذا الجنس من بين أصوات سائر الأجناس.

الثاني: أن الصوت مصدر يستوى فيه المفرد والمثنى والجمع.

س٩: **قال تعالى:** ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ (لقمان :٢٢).

لماذا عدى «يسلم» بـ«إلى» وهو يتعدى باللام كما في قوله تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ ؟

﴿الله﴾ **الجواب:** أراد المبالغة في قوله: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾ بمعنى أنه سلّم إليه نفسه كما يسلم المتاع إلى الرجل إذا دفع إليه، والمراد التوكل عليه والتفويض إليه.

س١٠: **قال تعالى:** ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (لقمان :٢٧).

ما سر إفراد شجرة مع أن معناها الجمع فكان يقتضى أن يقول من شجر أو من أشجار؟

﴿الله﴾ **الجواب:** أفرد شجرة، وأتى بتاء الوحدة لأنها تدل على معنى لا يدل عليه الجمع وهذا المعنى هو تفصيل الآحاد واستقصاء كل شجرة: شجرةً شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجر واحدة إلاّ وقد بريت أقلاماً، ولو لم يفرد شجرة لم يفد هذا المعنى إذ الجمع يتحقق بأقل الجمع وهو الاثنان والثلاثة.

س١١: **قال تعالى:** ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (لقمان :٢٩).

وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ﴾ (فاطر :١٣)

وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ (الزمر :٥)

ما سر مجيء الآية الأولى بـ«إلى» دون اللام فقال: «إلى أجل» ولم يقل: «لأجل» كغيرها؟

ﷻ **الجـواب:** جاءت الآية الأولى بـ«إلى أجل» مغايرة لبقية الآيات لأنه سبقها حديث عن البعث ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ (لقمان :٢٨)، وأتى بعدها حديث عن يوم القيامة في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا﴾ (لقمان :٣٣)، وهما يدلان على انتهاء الدنيا فأتى بقوله «إلى أجل» للدلالة على الانتهاء ومناسبة السباق واللحاق.

س١٢: قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ (لقمان :٣٤).

ما سر إضافة الله الأمور الثلاثة الغيبية لنفسه وهى علم الساعة وإنزال الغيث وعلم ما فى الأرحام ونفى العلم عن العباد فى الأمرين الأخيرين وهما: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ **وقوله:** ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ **مع أن الأمور الخمسة سواء فى اختصاص الله بعلمها؟**

ﷻ **الجواب:** أضاف الله الأمور الثلاثة لنفسه لأنها أعظم وأفخم فخصت بالإضافة إليه. والأمران الأخيران هما مما يتعلق بأمور العباد، فخصتا بالإضافة إليهم، مع أنه إذا انتفى علمهما عن العباد ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ و﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ كان انتفاء ما عداهما من الأمور الغيبية أولى.

(٣٢) سورة السجدة

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

ﷻ **الجـواب:** يقول الإمام البقاعي: (لما كان المقصود فى التى قبلها – سورة لقمان– إثبات الحكمة لمنزل هذا الكتاب الذى هو بيان كل شىء، الملزوم لتمام العلم وكمال الخبرة، الذى ختمت به بعد أن أخبر أنه سبحانه مختص بعلم المفاتيح بعد أن أنذر بأمر الساعة، فثبت بذلك وما قبله أنه ما أثبت شيئاً فقدر غيره من أهل الكتاب ولا غيرهم على نفيه، ولا نفى شيئاً فقدر غيره على إثباته، ولا إثبات شىء منه كانت نتيجة ذلك أنه لا يكون شىء من الأشياء دقيقها وجليلها إلا بعلمه سبحانه وتعالى، وأجل ذلك إنزال هذا الذكر الحكيم الذى فيه إثبات هذه العلوم مع شهادة العجز عن معارضته له بأنه من عند الله فلذلك قال فى أول سورة السجدة: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ﴾ أى: الجامع لكل هدى)[1].

---

(١) نظم الدرر فى تناسب الآيات و السور جـ ١٥ ص٢٢٣.

و قال أبو حيان: (ولما ذكر الله تعالى فيما قبلها – أى سورة لقمان – دلائل التوحيد من بدء الخلق وهو الأصل الأول، ثم ذكر المعاد والحشر وهو الأصل الثانى، وختم به السورة ذكر فى بدء هذه السورة الأصل الثالث وهو تبيين الرسالة فقال: ﴿الم، تَنزِيلُ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾) [(١)].

س٢: قال تعالى: ﴿لا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (السجدة :٢). **كيف نفى الريب عن القرآن وقد أثبت ما هو أكبر منه وهو قولهم: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾** (السجدة :٣).

الجواب: يقول جار الله الزمخشرى (معنى ﴿لا رَيْبَ فِيهِ﴾ أن لا مدخل للريب فى أنه تنزيل الله لأن نافى الريب ومميطه معه لا ينفك عنه وهو كونه معجزا للبشر، ومثله أبعد شىء من الريب. وأما قولهم: «افتراه» فإما قول متعنت مع علمه أنه من الله لظهور الإعجاز له، أو جاهل يقوله قبل التأمل والنظر لأنه سمع النّاس يقولونه) [(٢)].

س٣: قال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ (السجدة :٥) **وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾** (الحج :٤٧) **وقال تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾** (المعارج :٤).
هذه الآيات يوهم ظاهرها التناقض ولِمَ خُصَّت آية المعارج بخمسين ألف سنة؟

الجواب: يقول الجمل: (وهذا اليوم عبارة عن زمان يتقدر بألف سنة من سنى العالم، وليس بيوم محدود الطرفين بين ليلتين، والعرب تعبر عن مدة العصر باليوم، وقوله هنا: «كان مقداره ألف سنة» مشكل مع قوله تعالى فى سورة «سأل»: «خمسين ألف سنة» وقد تكلم العلماء فقيل: إن يوم القيامة فيه أيام، فمنه ما مقداره ألف سنة، ومنه ما مقداره خمسون ألف سنة، وقيل: هو أوقات مختلفة، فيعذب الكافر بجنس من العذاب ألف سنة، ثم ينقل إلى جنس آخر مدته خمسون ألف سنة، وقيل: مواقف القيامة خمسون موقفاً، كل موقف ألف سنة، فمعنى: ﴿يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ أى مقدار وقت أو موقف من يوم القيامة، وقال النحاس: اليوم فى اللغة بمعنى الوقت، فالمعنى: «تعرج الملائكة والروح إليه فى وقت كان مقداره ألف سنة، وفى وقت آخر كان مقداره خمسين ألف سنة) [(٣)].

---

(١) تفسير البحر المحيط جـ ٧ ص١٩١.

(٢) الكشاف جـ ٣ ص٢١٨.

(٣) الفتوحات الإلهية جـ ٣ ص٤١٣.

فليس بين الآيات الثلاث تناقض؛ لأنه إن كان المراد باليوم يوم القيامة، فكل واحد من الخلائق يراه بحسب عمله، فالكافر يشعر بأنه خمسون ألف وكذلك المنافق. والعاصى يشعر بأنه ألف سنة، والمؤمن التقى يشعر به أنه مقدار صلاة يؤديها.

وإن كان المراد به مسير الملائكة إلى السماء صعوداً فالملائكة تقطعه بسرعة فائقة لو قطعها البشر لكان هناك منازل ألف سنة إلى خمسين ألف سنة.

أمّا ما اختصت به سورة المعارج بخمسين ألف سنة فلأن فيها كثيراً من مشاهد يوم القيامة وأهوالها، فكان اللائق ذكر خمسين ألف سنة.

س٤: قال تعالى: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ (السجدة: ٢٠).

وقال تعالى: ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ (سبأ: ٤٢).

لماذا كنى عن النار بضمير المذكر «به» فى الآية الأولى وكنى عنها فى الثانية بضمير المؤنث «بها»؟

الجواب: كنى فى الآية الأولى بضمير المذكر لأن النار وقعت فى الآية الأولى موقع الكناية لتقدم ذكرها، والكنايات لا توصف، فوصف العذاب، فأتى بضمير المذكر، وفى الثانية لم يتقدم للنار ذكر فحسن وصف النار، فأتى بضمير المؤنث.

س٥: قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ (السجدة: ٢٦)، **المراد بالآيات آية واحدة آفاقية وهى منظورة وليست بالآية التنزيلية فلماذا الجمع؟ وما سر ختم الآية بقوله: ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ ؟**

الجواب: لقد جمع الآية لأنه ذكر القرون والمساكن بالجمع، فحسن جمع الآيات، ولما سبق ذكر الكتاب: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾، وكان موسى يسمع ما آتاه الله إليه من الكتاب حسن لفظ السماع، فختم به الآية.

س٦: قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ (السجدة: ٢٧)، **ما سر تقديم الأنعام على الآدميين: ﴿تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ﴾ ؟**

الجواب: قدم الأنعام لأن انتفاعها مقصور على النبات، ولأنها تأكله فى جميع مراحل نموه وجفافه، أمّا الإنسان فيأكل منه فى مرحلة واحدة حين يثمر وحين ينضج.

س٧: قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ، قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ (السجدة: ٢٨، ٢٩).

ما المراد بالفتح؟ ولماذا جاء الجواب غير مطابق للسؤال لأن السؤال عن وقته؟

ﷻ **الجواب:** المراد بالفتح قيل: هو يوم القيامة، ودليله: ﴿لا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ﴾ . وهذا اليوم إذا جاءت بعض أماراته لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل، وقيل: هو يوم فتح مكة، وقيل: هو يوم بدر.

ولقد أتى الجواب موافقاً لأن الغرض من السؤال: ﴿مَتَى هَذَا الْفَتْحُ﴾ كان الاستعجال على وجه التكذيب والاستهزاء فهم لا يؤمنون به، وسؤالهم عن ميقاته إنكار لما فيه، فأجيبوا على حسب ما عرف من غرضهم.

ومن قال: إنه يوم الفتح أو يوم بدر، فالمقتولون فى هذين اليومين لا ينفعهم إيمانهم فى حال القتل، كما لم ينفع فرعون إيمانه.

(٣٣) سورة الأحزاب

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

ﷻ **الجواب:** لما ختم الله ﷻ سورة السجدة بالإعراض عن الكافرين وانتظار حكم رب العالمين، افتتح سورة الأحزاب بالنهى عن طاعة الكافرين والمنافقين، لبيان أن الإعراض عنهم طاعة لله ﷻ.

س٢: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ (الأحزاب:١)، وقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح:٢٩)، لقد نادى الله رسوله بوصفه فى أكثر من موضع ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ و﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ و﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ و﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ وأخبر عنه باسمه كما فى سورة الفتح وغيرها، فما سر ذلك؟

ﷻ **الجواب:** لقد ناداه الله بوصفه بالنبى والرسول والمزمل والمدثر إجلالاً له وتعظيماً لشأنه، ولم يكن هذا لبقية الأنبياء، بل ناداهم الله بأسمائهم كما يأتى:

«يا نوح» «يا إبراهيم» «يا موسى» «يا داود» «يا لوط» «يا عيسى» وغيرهم ناداهم بأسمائهم، ولقد أخبر الله عن سيدنا محمد باسمه فى آية الفتح ومحمد وغيرهما، ليعلم النّاس بأنه الرسول ويلقبوه بذلك ويدعوه النّاس باسمه.

س٣: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ .

هل كان النبى على غير تقوى حتى يأمره الله بالتقوى؟

ﷻ **الجواب:** معنى الأمر: استمر ودُمْ على تقوى الله وكذلك الأفعال بعده.

ﷺ س٤: قال تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (الأحزاب:٢)، المأمور مفرد وهو الرسول ﷺ فما سر الجمع فى قوله: «تعملون» ؟

﴿الله﴾ الجواب: الأمر للرسول ﷺ، والجمع يحتمل أحد أمرين:

١- التعظيم للرسول ﷺ .

٢- الأمر للرسول ﷺ وللمؤمنين تبعاً له. فجمع «تعملون» من أجل ذلك.

ﷺ س٥: قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءكُمْ أَبْنَاءكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ (الأحزاب:٤) الابن بالتبنى ليس له فى الدنيا إلاَّ الذى تبناه فإذا تركه ضاع هذا الابن فى دنياه وهو حياته فأين الرحمة؟

﴿الله﴾ الجواب: الإسلام أبطل عادة التبنى. وأقرب مثال فى هذه العادة هو زيد بن حارثة الكلبى، وهو من قبيلة عربية سُبى صغيراً فى غارة أيام الجاهلية، فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة رضى الله عنها، فلما تزوجت رسول الله ﷺ وهبته له، ثم طلبه أبوه وعمه فخيَّره رسول الله ﷺ فاختار الرسول ﷺ فأعتقه وتبناه، وكانوا يدعونه «زيد بن محمد»، وكان أول من آمن من الموالى.

ولقد أبطل الإسلام عادة التبنى عندما شرع ينظم الأسرة المسلمة على الأسس الطبيعية لها، ويحكم روابطها ويجعلها صريحة لا خلط فيها ولا تشويه، فردَّ علاقة النسب إلى أسبابها الحقيقية، وهى علاقات الدم والأبوة الحقيقية والبنوة الواقعية، فالولد الحقيقى هو الذى يدعى لأبيه، فهو بضعة منه يحمل خصائص آبائه وأجداده، ويرث أحدهما الآخر، وإبطال عادة التبنى رحمة بالمتبنِّى بكسر النون ؛ لأن الابن المتبنى يعيش فى هذه الأسرة التى تبنته فيطلع على عورات نسائها من الزوجة والأبناء، ويصل سن البلوغ وهو وسطهم وليس من دمهم ولا من لحمتهم، وحرام أن ينظر إلى عورات نسائها.

والتبنى رحمة بالولد نفسه؛ لأن الإسلام يريد أن تكون له شخصيته المستقلة وذاته المميزة فينسب لوالده، فإن لم يعرف له والد ﴿فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾ ، وهذه علاقة أدبية شعورية لا تترتب عليها التزامات محددة كالتزام التوارث، فتصان الحرمات، ولا تعصف به الفوضى الجنسية، وبذلك تقوم الأسرة على أساس سليم من حفظ الحقوق لأسرة المتبنِّى واستقلال شخصية المتبنَّى.

ﷺ س٦: قال تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ (الأحزاب:٦). ما سر جعل نساء الرسول ﷺ أمهات للمؤمنين؟

﴿الجواب﴾ **الجواب:** لقد حرَّم الله الزواج من نساء الرسول ﷺ من بعده، وجعلهم أمهات للمؤمنين لما يأتي:

أولاً: تعظيم شأنه ﷺ وتعظيم شأن الرسل بين أتباعهم، ولزوم الأدب مع الرسول ﷺ، فإن النفس البشرية تأبى داخلها نكاح الأزواج من بعده، فجعل ذلك تعظيماً لشأنه، وهذه خصوصية من خصوصياته.

ثانياً: إغلاق باب التداخل في أمر خلافة الرسول ﷺ، فلو أبيح الزواج منهن لقال كل واحد من الأزواج إن معي زوجة رسولكم ولي الحق في الخلافة، وهو غير مستحق لذلك.

ثالثاً: لو أبيح الزواج من نسائه لانفتحت أبواب الفتن بين أتباعه من بعده لأن كل واحد منهم يرغب أن تكون زوجة الرسول زوجة له يتبرك بقربها ويتيمن بذريتها. ويحوز أسنى الشرف ويفاخر بذلك.

رابعاً: حفظ مقام الرسول ﷺ، فمما لا مراء فيه أنه لو أبيح نكاح زوجاته للحقهن ما يزرى بمقامهن، حيث يكون انحطاطاً لرتبتهن وقدرهن فتسقط عظمتهن من قلوب الأمة، ولو كان المتزوج لها من أعاظم الرجال فتكون كالمنحطة من القمة إلى الحضيض، ولا غرو فلقد كن تحت من وجبت له العصمة وكلمه الله، وغير ذلك من صفات الأنبياء، وأصبحن مع من لم تجب له العصمة.

خامساً: لو تزوجن لفقدت الأمة ثمرات كثيرة من علومهن اللاتي نقلنها عن الرسول ﷺ، ولحرمت الأمة من كثير من الأحكام الشرعية الجليلة، وخصوصاً ما كان داخل الأسرة النبوية، وهذا الحكم خاص بزوجاته فقط، دون بناتهن فلسن أخوات للمؤمنين، ودون أخواتهن فلسن خالات للمؤمنين، ويشمل هذا الحكم من مات عنها وهي تحت يده، والتي عقد عليها ولم يدخل بها، والتي طلقها إن وقع ذلك.

س٧: قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (الأحزاب:٧). ما سر تقديم الضمير «منك» على بقية الأنبياء المذكورين مع أنه متأخر عنهم في الزمان؟ ولماذا ذكر هؤلاء الأنبياء دون غيرهم؟

الجواب: قدم الضمير العائد على الرسول ﷺ مع أنه متأخر في الزمن والبعث تعظيماً لشأنه ودلالة على أنه سيدهم.

و ذكر هؤلاء الأنبياء لأنهم أولو العزم من الرسل وأصحاب الشرائع والكتب.

س٨ : قال تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ (الأحزاب:٧).
و قال تعالى : ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ (الشورى:١٣).
ما سر تقديم نوح على الرسول ﷺ فى الآية الثانية؟

الجواب : لقد وردت الآية الأولى فى مقام يبين أن الله أخذ من النبيين كافة العهود على تبليغ رسالاتهم، والدعاء إلى الحق، وقدم الضمير الخاص بالنبى ﷺ تعظيماً لشأنه ورفعاً لمنزلته.
ووردت الآية الثانية فى مقام مخالف لهذا المقام، وهو بيان أن الدين الإسلامى دين أصالة واستقامة، له أصوله وجذوره التى بعث بها نوحاً فى العهد القديم، وبعث بها سيدنا محمداً ﷺ فى العهد الحديث.

س٩ : قال تعالى: ﴿وَإِذْ زَاغَتْ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ (الأحزاب:١٠)، **إذا بلغت القلوب الحناجر ماتوا ولم يرد أنهم ماتوا وقت ذلك؟**

الجواب : من وجهين :

الأول: جاء هذا الأسلوب على طريقة المبالغة المعهودة فى كلام العرب، فهو مثل يضرب لاضطراب القلوب وجبنها وهلعها وخوفها.

الثانى: (قال الفراء: والمعنى أنهم جبنوا وجزع أكثرهم، وسبيل الجبان إذا اشتد خوفه أن تنفتح رئته فإذا انتفخت الرئة ارتفع القلب إلى الحنجرة، ولهذا يقال للجبان انتفخ سُحْرُه)[1] .

س١٠ : قال تعالى : ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ (الأحزاب:١٨). **ما معنى «قد» فى هذه الآية؟ وما سر إفراد «هلم» مع أنه فى مقام الجمع؟**

الجواب : «قد» حرف تحقيق، والفعل المضارع بمعنى الماضى أى: علم الله، وأتى بالفعل المضارع «يعلم» للدلالة على أنه يعلم الحال والاستقبال بخلاف الإتيان بصيغة الماضى.

أمَّا «هلم» فهو اسم فعل أمر عند الحجازيين، ويلزم صيغة واحدة فى خطاب المفرد والمثنى والجمع والتذكير والتأنيث، وعند بنى تميم فعل أمر تلحقه علامات التثنية والجمع والتأنيث.

س١١ : قال تعالى : ﴿وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلاَّ قَلِيلاً، أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ (الأحزاب:١٨، ١٩).
ما معنى: «أشحة»؟ وعلام انتصبت؟

(١) فتح القدير جـ ٤ ص٣٣١، ٣٣٢

﴿ﷲ﴾ **الجواب :** «أشحة» جمع شحيح وهو البخيل وهو منصوب على الحال أو منصوب على الذم وهى من صفات المنافقين الذين حضروا قتال الخندق.

س١٢: قال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى: الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب:٢٢).

ما سر إعادة لفظ الجلالة والرسول فى قوله: «الله ورسوله» ؟

﴿ﷲ﴾ **الجواب :** من وجهين:

الأول: أنه كرر لأن جمع ضمير الخالق والمخلوق (لا يليق بالله تعالى، روى أن النبى ﷺ سمع شخصاً يقول: من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى. فقال له: «بئس خطيب القوم أنت هلاً قلت ومن يعص الله ورسوله فقد غوى»[1])[2].

الثانى: كرر لقصد التعظيم كما يقول الشاعر:

أرَى المَوْتَ لا يَسْبقُ الموتَ شَيْءٌ

س١٣: قال تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ (الأحزاب:٣٠)، **وقال تعالى:** ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ (الأنعام:١٦٠)، **ما السر فى مضاعفة العذاب لزوجة النبى والسيئة يجزى بمثلها؟**

﴿ﷲ﴾ **الجواب : الفاحشة الصادرة من إحدى زوجات النبى ﷺ فيها أذىً لرسول الله ﷺ، فهى فى الحقيقة ذنبان: ذنب الفاحشة وذنب إيذاء الرسول ﷺ، ولا شك أن السيئة يتضاعف عذابها بحرمة المكان والزمان، فليس من يزنى فى نهار رمضان وفى حليلة جاره كمن يزنى فى غير رمضان وفى امرأة بعيدة عنه، وليس من يزنى فى حرم الله فى مكة أو المدينة كمن يزنى فى غيرهما، وليس من يؤذى رسول الله ﷺ كمن يؤذى رجلاً عادياً.**

س١٤: قال تعالى : ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ

(١) صحيح مسلم جـ ٢ ص٥٩٤ كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة

(٢) الروض الريان جـ ٢ ص٣٢٨، ٣٢٩

مَفْعُولاً﴾ (الأحزاب:٣٧). **لقد وردت روايات فى هذا الحادث تشبث بها أعداء الإسلام قديماً وحديثاً، وصاغوا حولها الافتراءات على سيد الخلق، وهو أنه أخفى فى نفسه حبه لزينب بنت جحش، والتى كانت زوجاً لزيد بن حارثة والذى كان ابناً له بالتبنى، فكيف ندحض تلك الافتراءات؟**

﴿الله﴾ **الجواب:** أعداء الإسلام يظهرون فى كل جيل وعصر، والحقيقة أن الله أراد أن يكون بيت النبوة قدوة فى معظم الأحكام، فإبطال عادة التبنى كانت فى البيت النبوى، وهناك حكم متعلق بهذه العادة، وهو: هل يجوز أن يتزوج المتبنِّى – بكسر النون وتشديدها – زوجة الابن المتبنَّى – بفتح النون وتشديدها – ، فالقرآن يأمر بالزواج منها لأن صلة القرابة ليست أصلية، وليست صلة دم، فأتى القرآن ليجرى الحكم على النبى ﷺ وعلى زوجة زيد بن حارثة الابن بالتبنى، وكانت **قد دبت الخلافات الأسرية بين زيد والسيدة زينب بنت جحش ثم هَدَّأ الرسول ﷺ من نيران الخلافات، ويقول للذى أنعم عليه الله بالإسلام وأنعم الرسول عليه بالإحسان ومن جملته تحريره من العبودية: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ فى أمرها فلا تطلقها إضراراً وتعللاً بتكبرها عليك، ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ أى: وتخفى ما ألهمك الله به من حكم شرعى سيطبق عليك، وهو أنه سيطلقها زيد وأنت ستتزوجها ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ﴾ فى تعييرهم إياك ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾ لأنه الآمر بذلك ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾ ، فنهاية الآية تبين سر الحدث فى بيت رسول الله ﷺ، فالله هو الذى زوجها له لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً.**

ولا يلتفت إلى ما قاله أبو السعود وغيره، وتمسك به أعداء الإسلام، فلقد أخطأ حين قال: (وذلك أنه ﷺ أبصرها – أى: زينب – بعد ما أنكحها إياه – أى: زيد –، فوقعت فى نفسه حالة جبلِّية لا يكاد يسلم منها البشر، فقال: سبحان مقلب القلوب، وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد ففطن لذلك، ووقع فى نفسه كراهة صحبتها، فأتى النبى ﷺ وقال: أريد أن أفارق صاحبتى، فقال: مالك؟ أرابك منها شىء؟ قال: لا والله ما رأيت منها إلاَّ خيراً، ولكنها لشرفها تتعظم علىَّ، فقال له: أمسك عليك زوجك) [(١)].

(١) تفسير أبى السعود جـ ٧ ص١٠٥

وهذا الكلام واهٍ ولا وجود له فى الواقع وقت الأحداث لما يأتى:

١- أن زينب يعرفها الرسول ﷺ وهى ابنة عمته، فلقد أبصرها مراراً فلماذا نقول ذلك؟ والذى زوجها لزيد رسولُ الله ﷺ .

٢- إن الآية بينت العلة من هذا الزواج ﴿لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ﴾ .

٣- قال الله تعالى ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ فالله هو الذى زوجها له. ولو كان هناك وجود لما قاله الخائضون لأخبر الله عما فى قلبه من «الحالة الجبلية» التى قذف بها بعض المفسرين.

٤- لقد أخبر الله عن ذلك فقال: ﴿ مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ .

س١٥: قال تعالى : ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ (الأحزاب: ٤٠).

كيف يقول خاتم النبيين والأحاديث أخبرت بنزول عيسى فى آخر الزمان؟

الجواب: لقد جاء عيسى فى الترتيب فى الحلقة التى قبل الأخيرة من سلسلة الرسل، ونُبِّئ قبله، ونزوله علامة من علامات الساعة، ولن ينزل بشريعة جديدة بل ينزل عاملاً برسالة وشريعة الرسول محمد ﷺ مصلياً بصلاته مولّياً وجهه إلى قبلته كأنه فرد من الأمة.

س١٦: قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً﴾ (الأحزاب:٤٩).

هذا أمر بنكاح المؤمنات، ولقد وردت الإباحة بنكاح الكتابيات فى قوله: تعالى ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلُّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلاَ مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ (المائدة:٥). **فما سر تخصيص الآية الأولى بالمؤمنات؟**

الجواب: نكاح الكتابيات حلال إذا أخذن أجورهن وكن عفيفات غير زانيات ولا متخذات أخدان، أى: رفقاء فى السر، والآية الأولى خصت المؤمنات بالذكر للتنبيه على أن المؤمن يتخير لنطفته المؤمنة العفيفة وأن الكتابيات مظنة الفسق.

س١٧: قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب:٥٦).

ما سر صلاة الله والملائكة على رسوله؟ وما سر صلاتنا وتسليمنا عليه؟

﴿الله﴾ **الجواب :** صلاة الله على رسوله رحمة عليه تتجدد آناء الليل وأطراف النهار، فالصلة بين الله وبين رسولنا لم تنقطع بانتقاله إلى حياة البرزخ والتى يحيا فيها ويرزق من الله، فالشهداء أحياء عند ربهم يرزقون، كما قال تعالى: ﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبيلِ اللّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ﴾ (البقرة:١٥٤) وقال تعالى: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (آل عمران:١٦٩) وصلاة الملائكة عليه صلة له ودعاء.

فهو حى عند ربه، وصلاتنا وتسليمنا عليه صلة بيننا وبينه، فلم تنقطع الصلة بين الرسول ﷺ وبين أمته. فبوصلها وهى الصلاة والتسليم عليه يجازى الواصل بأن يصلى الله عليه عشراً. ولقد بدأ الله بأمر الصلاة على نبيه بنفسه ليبين للخلق منزلة هذا الرسول عند الله، وثنَّى بالملائكة ليبين منزلته فى الملأ الأعلى.

س١٨: قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ **. كيف جمع الضمير العائد على لفظ الجلالة مع ضمير الملائكة «يصلون» وجعله والملائكة فى ضمير واحد وهو واو الجماعة مع أنه سبق فى نفس السورة أن الرسول سمع شخصاً يقول «من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى» فقال له : «بئس الخطيب أنت هلا قلت : ومن يعص الله ورسوله فقد غوى» ما سر ذلك؟**

﴿الله﴾ **الجواب :** أن المعنى «إن الله يصلى على النبى وملائكته يصلون عليه»، فحذف الأول «يصلى على النبى» على سبيل الإيجاز لدلالة الثانى عليه وهو يصلون عليه» .

س١٩: قال الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ (الأحزاب:٥٧). **الله أعز وأمنع أن يناله إيذاء من خلقه، فما سر قوله : «يؤذون الله» ؟**

﴿الله﴾ **الجواب :** من وجهين:

الأول : عبر عن مجاوزة العبيد حدودهم كقولهم العُزَيْر بن الله، وقولهم المسيح بن الله، وما يقع منهم فى كل وقت ويكرهه الله ﷻ فعبر عنه بالإيذاء، وعبر بالفعل المضارع لأن ذلك يتجدد من العبيد.

الثانى: أن فى الجملة محذوفاً والتقدير: يؤذون خلق الله من أنبيائه ورسله.

س٢٠: قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾ (الأحزاب:٧٢) وقال تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى

السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ (فصلت:١١).

كيف تطيع السموات والأرض فى الآية الثانية وتأبى فى الآية الأولى؟

الجواب: لقد عرض الله الأمانة وهى الطاعات والفرائض التى فرضها الله على عباده، عرضها على السموات والأرض والجبال على أنهم إن أدوها أثابهم، وإن ضيَّعوها عذبهم، فأبت السموات والأرض والجبال ذلك، وليس فى ذلك عصيان لله لما يأتى:

١- أن المقام كان مقام عرض ولم يكن تكليفاً وأمراً، ولو كان أمراً لأطاعت السموات والأرض والجبال، وشتان بين المقامين فى الآيتين، ففى الآية الأولى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ﴾، وفى الثانية ﴿ائْتِيَا﴾، ففى الأولى عرض وفى الثانية أمر.

٢- كان العرض على سبيل التخيير لا على سبيل الإلزام، ولو ألزمهن ما امتنعن من حملها.

٣- الإباء وهو شدة الامتناع كان خوفاً وخشية وتعظيماً لدين الله حتى لا يعصى الله، قال تعالى: **﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ أى: خفن منها، والله ﷻ خلق فيها العقل والنطق والأحاسيس قبل العرض، ومعنى ﴿وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾ حيث حمل الأمانة ثم لم يَفِ بها، ولم يُؤَدِّها.**

﴿(٣٤) سورة سبأ﴾

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: قال الإمام البقاعى: (لما ختمت سورة الأحزاب بأنه سبحانه عرض أداء الأمانة وحمْلَهَا، وهى جميع ما فى الوجود من المنافع على السموات والأرض والجبال، فأشفقن منها وحملها الإنسان الذى هو الإنس والجان، وأن نتيجة العرض والأداء والحمل العذاب والثواب، فعُلم أن الكل ملكه، وفى ملكه خائفون من عظمته مشفقون من قهر سطوته وقهر جبروته، وأنه الملِكُ التام الملك والمَلِك المطاع المتصرف فى كل شىء من غير دفاع، وختم ذلك بصفتى المغفرة والرحمة، دَلَّ ذلك كله بأن ابتدأ هذه – سبأ – بقوله: «الحمد لله» أى: الإحاطة بأوصاف الكمال من الخلق والأمر كله مطلقاً فى الأولى والأخرى وغيرهما مما يمكن ويحيط به علمه سبحانه؛ «لله» ذى الجلال والكمال)[1].

---

(١) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور جـ ١٥ ص٤٢٨، ٤٢٩

س٢: قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ (سبأ:٢) **كل الآيات تأتى بالمغفرة أولاً ثم تأتى بالرحمة ثانياً، فما سر تقديم «الرحيم» على «الغفور» فى هذه الآية؟**

الجواب: صدّرت السورة بقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وقوله: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الآخِرَةِ﴾ وقوله: ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء﴾، وهذا ينبئ عن نعم الله الجليلة ومصدر النعمة الرحمة فلذلك قدم الرحيم على الغفور بخلاف بقية الآيات الأخرى، فإن فيها زلاّت أو تقصيراً فيقدم فيها الغفور على الرحيم.

س٣: قال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ (سبأ:٢٢) **وقال تعالى:** ﴿قُلِ ادْعُواْ الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ﴾ (الإسراء:٥٦). **ما سر مجيء لفظ الجلالة فى الآية الأولى والضمير فى الثانية؟**

الجواب: إن الآية الأولى اتصلت بآية ليس فيها لفظ الجلالة، فكان التصريح بلفظ الجلالة أولى، والآية الثانية اتصلت بآيتين فيهما ذكر الرب ﷻ مصرحاً به، فلذلك أتى بالضمير دون الاسم.

س٤: قال تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ (سبأ:٢٤).

ما سر مجيء حرف الجر «على» مع الهدى والحرف «فى» مع الضلال وكان السياق يقتضى «لعلى هدى أو على ضلال»؟

الجواب: لأن المؤمن صاحب حق، فكأنه مستعل فى المنزلة يقلب بصره حيث شاء، والكافر ضال فكأنه منغمس فى ظلام متحير فيه لا يدرى أين يتوجه.

س٥: قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾ (سبأ:٣٤).

و قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ﴾ (الأنبياء:٢٥).

و قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ (الحج:٥٢). **ما سر حذف «من قبلك» فى الآية الأولى وإثباتها فى الآيات الأخرى؟**

الجواب: أن الآية الأولى كانت إخباراً مجرداً، أمّا فى الآية الثانية والثالثة وغيرهما فهى إخبار للنبى ﷺ وتسلية له، فقال: «من قبلك».

س٦: قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ (سبأ:٣٦)، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء وَيَقْدِرُ﴾ (سبأ:٣٩).

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ (الزمر:٥٢).

ما سر تخصيص الآيتين الأولى والثانية بذكر الرب والثالثة بذكر لفظ الجلالة «الله»؟

الجواب: خصت الآيتان فى سورة سبأ بذكر الرب لأنه تكرر فيها كثيراً كقوله: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ

وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾، وقوله: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾ وقوله: ﴿مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾، وخصت الآية الثالثة بذكر لفظ الجلالة «الله» لأنه تكرر قبلها فى قوله: ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ وقوله: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ﴾ وقوله: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ وقوله: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ وتكرر بعدها فى قوله: ﴿لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾

س٧: قال تعالى: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (سبأ:٣٩).

كيف يقع التفضيل ولا رازق سوى لله؟

الجواب: المعنى: أتى السياق بهذا الأسلوب جرياً على اعتقادهم أى: الذين تظنون أنهم رازقون لكم.

(٣٥) سورة فاطر

س١: ما مناسبة السورة بما قبلها؟

الجواب: يقول الإمام البقاعى: (ولما أثبت سبحانه فى التى قبلها - سبأ- الحشر الذى هو الإيجاد الثانى ودل عليه بجزئيات من القدرة على أشياء فى الكون، إلى أن ختم بأخذ الكفار أخذاً اضطرهم إلى الإيمان بظهور الحمد لهم أتم ظهور، وبالحيلولة بينهم وبين ما يشتهون كما كانوا متعوا فى الدنيا بأغلب ما يشتهون من كثرة الأموال والأولاد، وما مع ذلك من الراحة من أكثر الأنكاد، وكان الحمد يكون بالمنع والإعدام، كما يكون بالإعطاء والإنعام، قال تعالى ما هو نتيجة ذلك «الحمد» أى: الإحاطة بأوصاف الكمال إعداماً وإيجاداً «لله» أى: وحده، ولما كان الإيجاد من العدم أدل دليل على ذلك قال دالاً على استحقاقه للمحامد: «فاطر» أى: مبتدئ ومبتدع «السموات والأرض» أى: المتقدم أن له ما فيهما بأن شق العدم بإخراجهما منه ابتداء على غير مثال سبق)[1].

لطيفة: قوله: «فاطر» اسم فاعل من الفعل الثلاثى «فطر» بمعنى «أنشأ» من عدم وعلى غير مثال سابق. (وقد أخرج أبو عبيدة فى فضائله وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم والبيهقى عن ابن عباس قال: كنت لا أدرى ما فاطر السموات والأرض حتى أتانى أعرابيان يختصمان فى بئر فقال أحدهما: أنا فطرته،ا يقول: ابتدأتها)[2].

(١) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور جـ ١٦ ص٢، ٣

(٢) فتح القدير جـ ٤ ص٤٢٤

و «فطر» الثلاثي يخالف الفعل «أفطر» الرباعي، فالرباعي بمعنى تناول طعام الإفطار، فتقول: أنا «مفطر»، وليست بفاطر.

س٢: قال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ﴾ (فاطر:٢)، ما سر تأنيث الضمير «لها» وتذكير «له»؟

الجواب: يقول الزمخشري: (هما لغتان: الحمل على المعنى وعلى اللفظ، والمتكلم على الخيرة فيهما، فأنّث على معنى الرحمة، وذكّر على أن لفظ المرجوع إليه لا تأنيث فيه، ولأن الأول فسر بالرحمة فحسن اتباع الضمير التفسير، ولم يفسر الثاني فترك على أصل التذكير)[١].

س٣: قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ (فاطر:١٠).

لماذا أكد المفرد «العزة» بقوله: «جميعاً» وهو يؤكد به الجمع؟

الجواب: العزة مصدر، وأكده بالجمع لأنه يستوى فيه المفرد والمثنى والجمع.

س٤: قال تعالى: ﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ (فاطر:١٨). وقال تعالى: ﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ﴾ (الزمر:٧). و قال تعالى: ﴿أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ (النجم:٣٨). وقال تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (النحل:٢٥). وقال تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (العنكبوت:١٣). الآيات الثلاث الأولى تنفي أنه: لا تحمل نفسٌ آثمةٌ ذنبَ نفسٍ أخرى، والآيتان الأخيرتان تنفيان ذلك، فكيف التوفيق بينهما؟

الجواب: الآيات الثلاث الأولى هى الأصل، فلا تحمل نفس ذنب نفس أخرى، والآيتان الأخيرتان فى الذين ضلوا وأضلوا غيرهم كرجل فاسق دعا رجلاً غافلاً عن الذنب إلى ذنب كشرب الخمر فإنّه يحمل إثم نفسه وإثم من أضله، مع أن الفاعل يحمل إثم نفسه، وهذا يفسّره قوله ﷺ: «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة».

س٥: قال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ، وَلا الظُّلُمَاتُ وَلا النُّورُ، وَلا الظِّلُّ وَلا الْحَرُورُ، وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاء وَلا الأَمْوَاتُ﴾ (فاطر:١٩ - ٢٢)، ما سر تقديم الأعمى على البصير

---

(١) الكشاف جـ ٣ ص٢٦٧

والظلمات على النور فلقد تقدم الأخس على الأشرف؟ وما سر تقديم الظل على الحرور والأحياء على الأموات وفيه تقديم الأشرف على الأخس؟ وما سر جمع الظلمات وإفراد النور؟ وما الأسلوب البلاغى فى «الحرور»؟

﴿ﷲ﴾ **الجواب:** (الكفار قبل النبى ﷺ كانوا فى ضلالة، فكانوا كالعُمْى، وطريقهم كالظلمة، فلما بعث النبى ﷺ وبيَّن الحق اهتدى منهم قوم فصاروا بصيرين وطريقهم كالنور. فقال: وما يستوى من كان قبل البعث على الكفر ومن اهتدى بعده إلى الإيمان، فلما كان الكافر قبل المؤمن والكفر قبل الإيمان قدم الأعمى على البصير والظلمات على النور)[1].

وسر تقديم الظل على الحرور والأحياء على الأموات: أنه قدم الظل على الحرور مراعياً جانب الرحمة، وقدم الأحياء على الأموات تقديم شرف.

وسر جمع الظلمات: أن المراد بالظلمات ظلمات الكفر، وجمعها لأنها متعددة، فمن أهل الكفر من يعبد صنماً، ومنهم من يعبد وثناً، ومنهم من يعبد كوكباً إلى غير ذلك .

وأفرد النور لأن المراد به الإيمان وهو واحد.

والأسلوب البلاغى فى الحرور أن المراد به الحَر وهو النار .

وزيد فى الكلمة حرفان؛ وزيادة المبنى تدل على زيادة المعنى.

س٦: قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خلا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (فاطر:٢٤)، **وقال تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾** (السجدة:٣)، **وقال تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾** (يس:٦)، **كيف نوفق بين الآية الأولى والآيتين الثانية والثالثة؟ ولماذا لم يذكر بشيراً فى الآية الأولى واقتصر على النذير؟**

﴿ﷲ﴾ **الجواب:** قبل أن أدلى بدلوى أسوق ما قاله الشيخ الجمل صاحب الفتوحات الإلهية – رحمه الله وجزاه عن العلماء خيراً – فقد قال: (الأمة: الجماعة الكثيرة، وتقال لأهل كل عصر، والمراد بها هنا: أهل العصر، فإن قيل كم من أمة فى الفترة ما بين عيسى ومحمد لم يُرسَل إليها رسول ينذرها؟

أجيب: بأن آثار النذارة إذا كانت باقية لم تخل من نذير إلى أن تندرس، وحين اندرست آثار نذارة عيسى بعث محمد ﷺ، وهذا يقتضى أن أهل الفترة مكلفون لبقاء آثار الرسل المتقدمة

---

(١) الروض الريان فى أسئلة القرآن جـ ٢ ص٣٤٣

فيهم، وهو خلاف ما فى ابن حجر على الهمزية ونصه: ومن المقرر أن العرب لم يرسل إليهم رسول بعد إسماعيل، ومحمد من العرب من أهل الفترة، وهم ناجون فى الآخرة من الخلود فى النار، وكذا كل من بين كل رسولين بنص الآية ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾، فما بين إسماعيل ومحمد من العرب أهل فترة، فهذا الزمن فى حق خصوص العرب إذ لم يرسل إليهم قبل محمد غير إسماعيل، وأمّا ما بين عيسى ومحمد فهو فترة فى حق العرب وغيرهم كبنى إسرائيل، إذ لم يرسل بعد عيسى رسولاً أصلاً. والحاصل أن أهل الفترة من أهل الجنة وإن غيروا وبدلوا وعبدوا غير الله؛ لأنه لم يرسل إليهم رسولاً لأن من قبلهم من الرسل انتهت رسالته بموته، إذ لم يعلم لأحد من الرسل استمرار رسالته بعد الموت إلاّ نبينا، فهم غير مكلفين بما يفعلونه ولو كان صورة معصية، لكن ورد النص بتعذيب بعض أهل الفترة كعمرو بن لُحَىٍّ فيتلقى ويعتقد فيمن ورد فيهم بخصوصهم، لا لأن ما فعلوه كفر بل لحكمة يعلمها الله تعالى لم نطلع عليها. ملخصاً. وحينئذٍ فالظاهر أنه لا يحصل الانفصال بين الآية وبين ما تقرر إلاّ بأن يلتزم أن جملة العرب ويَصْدُق سَبْقُ وتَقَدُّمُ النذير فيها بتقدم إسماعيل، وأن بنى إسرائيل أمة ويصدق تقدم النذير فيهم بتقدم عيسى ومن قبله)[1].

وأقول: إن أمة العرب أرسل الله فيهم رسولاً قبل سيدنا محمد ﷺ، وهذا الرسول هو إسماعيل عليه السلام، وهذا موافق للآية الأولى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خلا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ وانتهت رسالة إسماعيل بموته، ثم أرسل الله رسوله محمداً ﷺ ولم يرسل قبله إلى آباء أهل مكة رسولاً، وهذا ما دلت عليه الآية الثانية والثالثة فى قوله: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾، وقوله: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ﴾ فالأقوام من بعد إسماعيل إلى سيدنا محمد هم أهل فترة، أمّا عيسى فهو نبى لبنى إسرائيل، ودعوته محلية وليست عالمية.

واقتصر على النذير دون البشير لأنهما قرينان، وسبق الحديث عنهما فى الجملة السابقة على تلك الجملة: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خلا فِيهَا نَذِيرٌ﴾، واقتصر على النذير فى الجملة الثانية لأنه ألصق بالمقام.

س٧: قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ، وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ

(١) الفتوحات الإلهية جـ ٣ ص٤٩٢، ٤٩٣

مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ﴾ (فاطر:٢٧، ٢٨)، لماذا أنَّث الضمير الأول والثانى «ألوانها» وذكَّر الضمير الثالث «ألوانه» والغرابيب تأكيد للسود كما تقول: أصفر فاقع وتقول: أسود غربيب فما سر تقدمه؟

الجواب: أنث الضمير الأول لأنه يعود على ثمرات وهى مؤنث وأنث، الضمير الثانى لأنه يعود على الجبال أو على الجدد وهى جمع ويجوز تأنيث ضمير الجمع، وذكَّر الثالث لأن الضمير يعود على كلمة «بعض» المستفادة من كلمة «ومن الناس» أى: بعض النَّاس، والمعنى: وبعض النَّاس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك، وسر تقدم غرابيب مع أنها توكيد لسود، والمؤكِّد بكسر الكاف وتشديدها يأتى بعد المؤكَّد بفتح الكاف وتشديدها، أنه أراد إضمار سود قبل غرابيب، وهو وسودٌ غرابيبُ سود، فأضمر «سود» وأتبعه بالتوكيد، وأتى بكلمة «سود» مفسرة لما سبق إضماره، ويقصد من هذا التركيب زيادة التوكيد حيث دل على المعنى الواحد بطريقين: الإظهار والإضمار[1].

س٨: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر:٢٨). فى هذه الآية قراءتان: الأولى بنصب لفظ الجلالة لأنه مفعول به، والعلماء فاعل فهو مرفوع وعلامة رفعه الضمة، والمعنى: إنما يخشى العلماءُ اللهَ من عباده، وقرئ قراءة شاذة برفع لفظ الجلالة على أنه فاعل ونصب العلماء على أنه مفعول به، فما وجه هذه القراءة؟

الجواب: هذه القراءة الشاذة التى تسند الخشية إلى الله وأنه يخشى العلماء فسَّر أهلها الخشية بمعنى الاختبار كما فى قول الشاعر[2]:

خشيت بنى عمى فلم أر مثلهم ∴ أبر وأوفى ذمَّةً آخر الدهر

فالمراد: اختبرت بنى عمى. أو المراد أنه يجلهم ويعظمهم.

والأولى الإعراض عن القراءة الشاذة.

س٩: قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (فاطر:٣٢).

ما سر تقديم الكتاب على الذين؟ وكيف يصطفى الله الظالم لنفسه؟

---

(١) انظر الكشاف جـ ٣ ص٣٠٧ والتفسير الكبير جـ ٢٦ ص٢١

(٢) البيت من شعر الأخطل

ﷺ **الجواب:** لقد قدم المفعول الثانى «الكتاب» على المفعول الأول وهو اسم الموصول، وأصل المعنى: «ثم أورثنا الذين اصطفيناهم من عبادنا الكتاب»، فقدَّم المفعول الثانى «الكتاب» على المفعول الأول «الذين» لقصد التشريف والتعظيم للكتاب، فبالسير عليه يكون السائرون عباداً للرحمن .

أمَّا الظالم لنفسه كيف يصطفيه الله، فهو الذى عمل الصغائر فكان ظالماً لنفسه، ولا يتناقض مع الاصطفاء، (وقيل الظالم لنفسه هو الذى عمل الصغائر، وقد روى هذا القول عن عمر وعثمان وابن مسعود وأبى الدرداء وعائشة، وهذا هو الراجح لأن عمل الصغائر لا ينافى الاصطفاء. ولا يمنع من دخول صاحبه مع الذين يدخلون الجنة يحلون فيها من أساور من ذهب إلى آخر ما سيأتى) [1].

ومن قال: إنه الكافر على أن التقسيم راجع إلى العباد، ويكون المعنى «فمن عبادنا ظالم لنفسه وهو الكافر»، فهذا بعيد ويتنافى مع الاصطفاء.

لطيفة: قال تعالى : ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ (فاطر:٣١)، وقال تعالى : ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاء إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ (الشورى:٢٨).

لقد أتى لفظ الجلالة مع لام التوكيد فى الآية الأولى، وأضمر فى الثانية وحذفت اللام منها. وسر ذلك أن الآية الأولى لم يسبقها ذكر للفظ الجلالة، فصرَّح به، وفى الآية الثانية الضمير فى «إنه» متصل بلفظ الجلالة فى قوله: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ﴾ وأتت لام التوكيد فى الأولى موافقة لما بعدها ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ .

ﷺ **س١٠: قال تعالى :** ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ (فاطر:٣٣)، **لماذا جمع الأساور وأفرد اللباس؟**

ﷺ **الجواب:** جمع الأساور لأنها متعددة ومختلفة، فالواحد منهم يُحلَّى بسوار من ذهب وبسوار من فضة وبسوار من لؤلؤ، وأفرد اللباس لأنه مصدر يستوى فيه المفرد والمثنى والجمع.

أو أننا نقول: تعدد الأساور يدل على الغنى والترف، وأفرد اللباس لأنه ليس هناك فى الجنة حاجة لدفع برد أو حر، والجنة جوها لا حر ولا برد .

---

(١) فتح القدير جـ ٤ ص٤٣٦

لطيفة : قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (فاطر:٤١).

يقول العلماء: إن الذى يمسك المجموعات الشمسية وهى النجم وما معه من كواكب تابعة له هما قوتان: **الأولى : القوة الجاذبة**، وهى القوة التى تجذب الكواكب حتى لا تند عن النجم الأم كالشمس ومجموعتها، فإن فى الشمس قوة جاذبة تجذب كواكب مجموعتها حتى لا ترحل عنها، **والثانية : القوة الطاردة المركزية**، وهى قوة تطرد الكواكب حتى لا تقع على النجم الشمس، وهاتان القوتان متعادلتان.

ونقول : الذى يحافظ على نظام المجموعة الشمسية ونظام الكون ومجراته هو الله؛ لأنه يقع انفجار داخل كل نجم فيقع خلل واضطراب، أمَّا الله فهو الذى يمسك السموات والأرض بقدرته، والكون كله فى قبضته.

وانتهت الآية بقوله : ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ ، وهذا يدل على أنه يفعل ذلك بالعباد لحلمه عليهم، فمع هذا التسخير ونعمه التى تترى على العباد، يعصونه فلا يؤاخذهم لأنه حليم بهم ويفتح لهم باب الرحمة.

(٣٦) سورة يس

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب : قال الإمام البقاعى: (ولما تقدم فى الملائكة – أى: فى سورة فاطر – إثبات رسالة النبى ﷺ وتهديد قومه على النفرة عنه، وأن مرسله تعالى بصير بعباده عالم بما يصلحهم ومن يصل منهم للرسالة وغيرها، وكان مدار مادة قرأ كما مضى فى سورة الحجر – الجمع مع الفرق، وكان ذلك أعلى مقامات السائرين إلى الله، وهو وظيفة القلب عبر فى القسم بقوله: «والقرآن»، ووصفه بصفة القلب العارف فقال: «الحكيم» أى: الجامع من الدلالة على العلم المزيّن بالعمل والإرشاد إلى العمل المحكم بالعلم، ولما كان قد ثبت فى سورة الملائكة أنه سبحانه الملك الأعلى لما ثبت له من تمام القدرة وشمول العلم، وكان من أجل ثمرات الملك إرسال الرسل إلى الرعايا بأوامر الملك، وردهم عما هم عليه مما دعتهم إليه النفوس وقادتهم، وكانت الرسالة أحد الأصول الثلاثة التى تنقل الإنسان من الكفر إلى الإيمان، وكانت هى المنظور إليها أولاً لأنها السبب فى الأصلين الآخرين، وكانوا قد رددوا رسالته نفوراً واستكباراً، قال مقدِّماً لها تقديم السبب على مسببه على

وجه التأكيد البليغ مع ضمير الخطاب الذى لا يحتمل لبساً ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾. ولما كان الأنبياء عليهم السلام من نوره ﷺ، لأنه أولهم خلقاً وآخرهم بعثاً فكانوا فى الحقيقة إنما هم ممهدون لشرعه، وكان سبحانه إنما أرسله ليتمم مكارم الأخلاق، وكان قد جعل سبحانه من المكارم أن لا يكلم النّاس إلاّ بما تسع عقولهم، وكانت عدة المرسلين كما فى حديث أبى أمامة الباهلى عن أبى ذر – رضى الله عنهما – عند أحمد فى المسند ثلاثمائة وخمسة عشر، وفيه أن الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، وهو فى الطبرانى الكبير عن أبى أمامة رضى الله عنه أن رجلاً سأل النبى ﷺ فقط، وكانت عقول العرب لا تسع بوجه قبل الإيمان أنه منهم، أقسم سبحانه ظاهراً أنه منهم ورمزاً للأصفياء باطناً إلى أنهم منه بجعلهم عدد أسماء حروف اسمه محمد ﷺ الذى رمز إليه بالحرفين أو السورة، فكأنه قال: «إنك ياسين الذى تأويله محمد الذى عدد أسماء حروفه بعددهم لأصلهم، فصار رمزاً فى رمز وكنزاً نفسياً داخل كنز وسرّاً من سر وهو أحلى فى منامة الأحباب من صريح الخطاب)[1].

س٢: قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ (يس:١٢) ما سر تأخير الكتابة بعد الإحياء مع أنها مقدمة على الإحياء فالأول كتابة ما قدموا ثم يموتون ثم يحييهم الله تعالى؟

الجواب: تقديم الإحياء على الكتابة لتعظيم أمر الإحياء لأن الله وحده هو القادر عليه دون سواه وكتابة ما قدمه العباد لا يكون له وزن ولا أثر إلاّ بالإحياء الذى يكون فيه حساب وعقاب فالإحياء هو المعتبر والكتابة مؤكدة معظمة لأمره فلهذا قدم الإحياء على الكتابة.

س٣: قال تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ، قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ، قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ (يس:١٤ – ١٦). الذى أرسل الاثنين هو عيسى عليه السلام فلماذا أسند الله الإرسال لنفسه؟ وما سر حذف اللام فى قوله: «مرسلون» فى نهاية الآية الثالثة؟

الجواب: أمّا الشطر الأول من السؤال، فإن الله أسند الإرسال لنفسه لأنه الآمر بذلك حقيقة، وأمّا عيسى فكان واسطة.

وأما الشطر الثانى من السؤال فلقد حذفت اللام من الأولى لأنه ابتداء ومجرد إخبار، واقترنت

---

(١) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور جـ ١٦ ص ٨٩ – ٩١

الثانية باللام وهى للتوكيد لأنها جواب عن إنكار، وهذا الإنكار قولهم: ﴿قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمن مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ﴾ فقولهم: ﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ جار مجرى القسم فى التوكيد ووجود اللام للتوكيد.

س٤: قال تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ، اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ (يس:٢٠ – ٢١). **وقال تعالى فى سورة غافر:** ﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ (غافر:٣٨).

ما سر قول مؤمن «يس»: ﴿اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ ؟ وسر قول مؤمن آل فرعون: ﴿اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ ؟

الجواب: أن مؤمن «يس» لم يكن معروفاً لقومه، ولم يعلموا سيرته، وكانت هذه أول مواجهة بينه وبين قومه والتى قال الله عنها: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾، أمّا مؤمن آل فرعون فكان معروفاً لهم، ودعاهم كثيراً وأسدى النصح لهم مراراً، وكان داعية لدين موسى مدافعاً عنه ناصحاً لهم.

س٥: قال تعالى : ﴿وَمَا لِيَ لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (يس:٢٢).

ما سر العدول إلى المخاطبين فى قوله: «ترجعون» وكان السياق يقتضى «وإليه أرجع»؟

الجواب: من وجهين:

الأول: قال ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ على سبيل تهديدهم، ولفت انتباههم إلى أنهم يبعثون ويرجعون إلى الله ويعرضون عليه.

والثانى: يجوز أن تكون الآية من باب الاحتباك، والأصل «وما لى لا أعبد الذى فطرنى وإليه أرجع؟ وما لكم لا تعبدون الذى فطركم وإليه ترجعون»؟ فحذف من الأول نظير ما ذكر فى الثانى وبالعكس.

لطيفة : قال تعالى : ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ، وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ، لا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (يس:٣٨ – ٤٠).

(كان الإنسان فى العصر الغابر يشاهد أن النجوم تتحرك وتبتعد عن أمكنتها بعد وقت معين، ولذلك لم يكن التعبير القرآنى موضع دهشتهم واستغرابهم، ولكن البحوث الحديثة قد خلعت على هذه التعبيرات ثوباً جديداً، فليس هنالك تعبير أروع ولا أدق من السباحة لدوران الأجرام السماوية

فى الفضاء البسيط اللطيف)[1].

س٦: قال تعالى : ﴿وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ (يس:٤١).

و قال تعالى فى سورة الحاقة: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاء حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ (الحاقة:١١).

ما سر تخصيص سورة يس بالفلك المشحون وسورة الحاقة بالفلك الجارية؟

الجواب: المقامان مختلفان، ففى الآية الأولى فى سورة يس عدّد آيات الله الدّالة على وحدانيته وقدرته وعلمه، فمن تلك الآيات حمله ذرية أهل مكة فى الفلك الممتلئة بالناس والأموال والكنوز، أو أن المراد بالذرية الأجداد والآباء، وحملهم الله فى سفينة نوح، وعلى هذا تكون الآيتان فى حديث واحد عن سفينة نوح، وهى الجارية فى الآية الثانية، والآية الثانية تتحدث عن مقام السلامة لقوم نوح وقت الطوفان.

س٧: قال تعالى : ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ، وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ (يس:٦٠، ٦١) كيف قدم النهى عن عبادة الشيطان على الأمر بعبادته سبحانه وتعالى؟

الجواب: هذا من باب «درء المفاسد مقدم على جلب المنافع»، فنهاهم أولاً عن دفع الضرر، ثم أمرهم ثانياً بما فيه جلب لمنفعتهم.

(٣٧) سورة الصافات

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: أنه تعالى ذكر فى آخر سورة «يس» البعث وقدرته على إحياء الخلائق بعد موتهم وفنائهم، وقاس عبادتهم على خلقهم وإنشائهم أول مرة، وقاس ذلك على جعل النار من الشجر الأخضر، وهذا البعث هو للقادر الذى أراده، ولا يكون ذلك إلاّ من الواحد الذى لا شريك له، ثم أقسم فى أول سورة الصافات على تأكيد حقيقة أنه إله واحد فقال: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا، فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا، فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا، إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ .

س٢: قال تعالى : ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾ (الصافات:٥).

و قال تعالى فى سورة الرحمن: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ، فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (الرحمن:١٧، ١٨).

(١) الإسلام يتحدى ص١٤٤

و قال تعالى في سورة المعارج: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ﴾ (المعارج:٤٠).
و قال تعالى في سورة المزمل: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً﴾ (المزمل:٩).
ما سر جمع مشرق ومغرب في الآية الأولى والثالثة والتثنية في الثانية والإفراد في الرابعة؟
الجواب: من وجهين:
الأول: للشمس ثلاثمائة وستون مشرقاً وثلاثمائة وستون مغربا، ففي كل يوم من أيام السنة مشرق ومغرب يخالف الآخر على مدار السنة، وهذا ما أشارت إليه الأولى والثانية.
وثنى في الآية الثالثة، وأراد مشرقي الشمس في الصيف والشتاء ومغربيهما.
أمّا الإفراد فالمراد به المشرق والمغرب في اليوم الواحد.
س٣: قال تعالى: ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ (الصافات:١٦).
و قال تعالى في نفس السورة: ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ (الصافات:٥٣).
ما سر اختلاف الآيتين؟
الجواب: الآية الأولى حكاية كلام الكافرين المنكرين للبعث واستبعادهم وقوعه، وهذا كلامهم في الدنيا، والآية الثانية مقامها في الآخرة، وهي حكاية قول أحد القرينين وهو الكافر الذي قال لقرينه المؤمن هذا القول، فتذكره المؤمن يوم القيامة وقال مقالته، قال تعالى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ، يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ، أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ، قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ، فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ، قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدتَّ لَتُرْدِينِ﴾ (الصافات:٥١ - ٥٦).
س٤: قال تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (الصافات:٢٧).
و قال تعالى في نفس السورة: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (الصافات:٥٠).
و قال تعالى في سورة القلم: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ﴾ (القلم:٣٠).
ما سر مجيء الآية الأولى بالواو والثانية والثالثة بالفاء؟
الجواب: الآية الأولى تحكي أحوال الكفرة يوم القيامة، والثانية تحكي أحوال المؤمنين في الجنة يوم القيامة، والآية الثالثة في مقام معاتبة أصحاب البستان، وهو الذي سمي بالجنة بعد أن طاف عليها طائف من الله. فالآية الأولى كان العطف فيها بالواو، وهو عطف جملة على جملة أخرى فقط، أمّا الثانية والثالثة فكان العطف فيهما على جملة، وبينهما مناسبة والتئام ومقام.
س٥: قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (الصافات:٣٥).
و قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ (محمد:١٩).

ما سبب تجرد الآية الأولى من حرف التوكيد واقتران الثانية به؟

﴿الله﴾ **الجواب:** كلمة «لا إله إلاّ الله» فى الآية الأولى وقعت بعد «قيل» فحكى فلم يحتج إلى توكيد، وفى الثانية وقعت بعد العلم. فأتى حرف التوكيد لمناسبة العلم، وأنّ وما دخلت عليه سدت مسد مفعولى «اعلم».

س٦: قال تعالى: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ، فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ (الصافات:٦٥، ٦٦).

المشبَّه به يكون أوضح من المشبه وهذا هو الأصل فى التشبيه، ونحن لم نر رءوس الشياطين؟

﴿الله﴾ **الجواب:** شبه ما طلع من شجرة الزقوم من حملها وهى فى النار برءوس الشياطين، دلالة على تناهيه فى الكراهة وقبح المنظر؛ لأن الشيطان مكروه مستقبح وشر محض ليس فيه مثقال ذرة من خير، ورءوس الشياطين لم يرها النّاس. فشبه ما يطلع من شجرة الزقوم بها لتذهب النفس فيه كل مذهب من التهويل.

س٧: قال تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ، سَلامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (الصافات:٧٨ – ٨٠). **وقال تعالى فى شأن إبراهيم:** ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ، وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ، قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ، إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ، وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ، وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ، سَلامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (الصافات:١٠٣ – ١١٠).

ما سر مجيء ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ بدون «إنَّا» فى الآيات الخاصة بإبراهيم؟

﴿الله﴾ **الجواب:** لقد وردت «إنا كذلك» فى هذا الجزء من قصة إبراهيم بعد قوله: ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾ وأتت «كذلك» بدون «إنَّا» اكتفاء بذكرها السابق وللتخفيف فى الكلام؛ لأنها وردت مرتين دون بقية القصص فى هذه السورة.

لطيفة: لم يذكر الله فى قصة لوط ولا فى قصة يونس ما ذكره فى القصص السابقة، وهو «سلام على لوط» و«سلام على يونس»، ولم يذكر ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ اكتفاء بذكرهما فى قصص الأنبياء السابقين، وفى نهاية السورة سلّم على جميع المرسلين فشملهما السلام، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ. وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الصافات:١٨٠ – ١٨٢).

س٨: قال تعالى: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ، فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ (الصافات:٨٨، ٨٩).

كيف أقدم إبراهيم عليه السلام على النظر فى علم النجوم وهو غير جائز؟

وكيف يقول إبراهيم: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ وهذا كذب والكذب على الأنبياء غير جائز؟

الجواب: أنه نظر فى النجوم لاستدراجهم والوصول إلى حدوث الكوكب والقمر والشمس، وأنها لا تصح أن تكون آلهة كما مرّ فى سورة الأنعام: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا﴾ (الأنعام:٧٦)، وإبراهيم لم يكذب لأنه أراد بقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ أى: سقيم النفس لكفركم، أو ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ لأن الموت فى عنقى، وعلى فرض كذبه فإن الكذب جائز فى المكيدة فى الحرب والتقية، وفى إرضاء الزوج أو الزوجة حتى لا تهدم الأسرة، والصلح بين المتخاصمين. ولقد سبق الحديث عن إبراهيم عليه السلام فى سورة البقرة وأنه لم يكذب.

س٩: قال تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلا تَأْكُلُونَ﴾ (الصافات:٩١).

و قال تعالى فى سورة الذاريات: ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ﴾ (الذاريات:٢٧).

ما سر اقتران الفعل «قال» بالفاء فى الآية الأولى وتجريده منها فى الثانية؟

الجواب: جملة ﴿فَقَالَ أَلا تَأْكُلُونَ﴾ أتت بالفاء لأنها اتصلت بخمس جمل كلها اقترنت بالفاء وهى على التوالى: ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ و﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾ و﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ و﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾ و﴿فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ﴾ و﴿فَقَالَ أَلا تَأْكُلُونَ﴾ . وما فى سورة الذاريات فى الآية الثانية فقد أتت كلمة «قال» قبلها بغير فاء فلم تقترن بالفاء لمراعاة ذلك.

س١٠: قال تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ، رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (الصافات:٩٩ - ١٠٠)، **و قال تعالى فى شأن موسى: ﴿عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاء السَّبِيلِ﴾** (القصص:٢٢)، **ما سر جزم إبراهيم بالهداية وترجِّى موسى لها فى الآية الثانية؟**

الجواب: لقد جزم إبراهيم بالهداية لأنه كان قد نُبِّئ وصار يوحى إليه.

أمّا موسى فلم يُنَبَّأ بَعْدُ عند قوله هذا ؛ لأنه خرج بعد تحذير الرجل الساعى من أقصى المدينة، وتوجه إلى مدين قال تعالى: ﴿وَجَاء رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ، فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ، وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاء مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاء السَّبِيلِ﴾ (القصص:٢٠ - ٢٢).

فلما لم ينبأ موسى رجا وأتى بعسى.

لطيفة:

فى طلب إبراهيم ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أن يكون الولد ذكرا لأنه قال: ﴿مِنَ

الصَّالِحِين﴾ جمع مذكر سالم، ويبلغ مبلغ الرجال ويكون صالحاً، ولا يظهر الصلاح إلاّ بعد التكليف والبلوغ.

س١١: قال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ﴾ (الصافات:١٠١). وقال تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ، فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ (الذاريات:٢٨ - ٢٩). و قال تعالى: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ، إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ، قَالُواْ لاَ تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ﴾ (الحجر:٥١ - ٥٣).

ما سر اختلاف الآيات الثلاث فقال مرة: «حليم» ومرتين: «عليم» ؟ ولماذا خصت هذه السورة بـ «حليم» والسورتين الأخريين بـ «عليم» ؟

الجواب: أن المراد بالغلام الحليم هو إسماعيل عليه السلام، والمراد بالغلام العليم هو إسحاق، وخصت سورة الصافات بالغلام الحليم لأنه ورد فيها حديث عن الذبح، وظهر حلم إسماعيل، أمّا السورتان الأخريان فكانتا فى وجود ضيف إبراهيم، وبشروه بالغلام العليم فى وجود زوجته سارة وهى عجوز عقيم.

س١٢: قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (الصافات:١٠١ - ١٠٢).

ما سر عدم تسمية الغلام؟ وما سر مجيء الوحي عن طريق المنام؟ وما سر التعبير بالفعل المضارع مع أنه للماضي؟ ولماذا قال لولده: «فانظر» فالوحي ليس فيه مشاورة؟

الجواب: السر فى عدم تسمية الغلام: أن القرآن لا يهتم بذكر الأسماء إلاّ فى حدود ضيقة وللضرورة، ولكن يهتم بالعظات والعبر والمواقف أكثر، ولو كان هناك اهتمام بالأسماء لكان أولى أن يسوق اسم أبى بكر أو عمر أو عثمان أو على أو خديجة أو عائشة وغيرهم.

والسر فى مجيء الأمر بالذبح عن طريق المنام المراعاة لعاطفة الأبوة عند إبراهيم.

وسر التعبير بالفعل المضارع ﴿أَرَى فِي الْمَنَامِ﴾ أمران:

الأول: أنه حكاية حال ماضيه.

الثاني: أنه استحضار الصورة فى الذهن.

وسر قوله: ﴿فَانظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ أن إبراهيم لم يكن يريد المشاورة، ولكن قال لابنه ذلك لما يأتي:

١- أراد إخباره بنزول البلاء ليثبت ويصبر ولا يجزع فيأمن عليه من الزلل.

٢- قال له هذا القول ليراجع نفسه فيوطنها على اجتياز البلاء.

ويلقى البلاء وهو كالمستأنس به ويكتسب الثواب الجزيل بالانقياد لوحى الله قبل أن ينفذه.

س١٣: من الذبيح وما الأدلة عليه؟

الجواب: هو إسماعيل عليه السلام وليس إسحاق عليه السلام، ولقد ذهب شيخ المفسرين الإمام الطبرى إلى أنه إسحاق، وذهب بعض العلماء إلى أنه إسحاق، ولقد ساق الطبرى روايات متعددة على أنه إسحاق[1] ، ولكن الأدلة الواضحة والبراهين الساطعة تدل على أنه إسماعيل، وهذه الأدلة :

أولاً: أن الله ساق قصة الذبح فى هذه السورة وفى نهايتها: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ، وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ، سَلامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ، إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ، وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ (الصافات:١٠٧ - ١١٢)، فلو كان الذبيح إسحاق لكان الذبح جرى عليه ثم بشره به أيعقل هذا؟ أين عقل من قال إنه إسحاق.

ثانياً: أن الله فرّق بين إسماعيل وإسحاق فوصف الله الغلام الأول إسماعيل بأنه حليم، قال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ، فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ (الصافات:١٠١ -١٠٢) ، لقد سبق فى علم الله أن إسماعيل سيجرى عليه الذبح، ففطره على الحلم حتى لا يثور ولا يتزعزع، ووصف إسحاق بالعلم، قال الله عن إبراهيم وضيفه: ﴿فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاء بِعِجْلٍ سَمِينٍ، فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ، فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ، فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ (الصافات:٢٦ - ٢٩)، فالغلام العليم هو إسحاق، والعجوز العقيم هى سارة.

ثالثاً: أن مراسم الذبح كانت فى جزيرة العرب وبالقرب من بيت الله الحرام الذى بناه إبراهيم وولده إسماعيل؛ لأنه كان فى هذه المنطقة منذ طفولته، قال الله تعالى عن إبراهيم: ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ، رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللّهِ مِن شَيْءٍ فَي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء، الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاء﴾ (إبراهيم:٣٧ - ٣٩)، وكبر إسماعيل

(١) جامع البيان جـ ٢٣ ص٤٨، ٤٩

في جزيرة العرب عند بيت الله الحرام، وبنى البيت مع والده قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ (البقرة:١٢٧).

فالذى كان موجوداً عند البيت الحرام هو إسماعيل، وجرت عليه مقادير الذبح، وبنى البيت مع والده، وليس إسحاق، ولم يكن لإسحاق وجود عند الحرم، فيكون الذبيح هو إسماعيل.

ولقد تكلم المحدثون: فى الحديث الذى ورد فى هذا الشأن وهو «أنا ابن الذبيحين» وضعفوه، وضعفوا الحديث الذى يقول: «الذبيح إسحاق»، ولكن الأدلة التى سقناها هى التى تدل على أن الذبيح إسماعيل.

س١٤: قال تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ، إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ (الصافات:١٣٩، ١٤٠)، **و قال تعالى:** ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ (الصافات:١٤٢). **وقال تعالى:** ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ، لَوْلا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ (القلم:٤٨، ٤٩). **وقال تعالى:** ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنبياء:٨٧).

هذه الآيات يقدح ظاهرها فى نبى الله يونس عليه السلام فكيف نفهمها؟

الجـواب: الآية الأولى: وردت بها كلمة «أبق» بمعنى هرب، أَبَقَ يأبق إباقاً، وأطلقها القرآن على يونس على سبيل الاستعارة التصريحية، حيث شبه خروج يونس بغير إذن ربه بإباق العبد من سيده، أو أنه مجاز مرسل حيث استعمل اللفظ المقيد وهو «أبق» فى المطلق وهو خروج يونس وتركه قومه، وهذا لا يقدح فى نبى الله يونس عليه السلام، فلقد أبى قومه دعوته ورسالته فاجتهد وترك قومه وخرج إلى قوم آخرين يسوق إليهم رسالته، فعاقبه الله على ذلك لخروجه من غير إذن سيده بسجنه فى بطن الحوت، وفعل ذلك اجتهاداً منه فعاقبه، ولو فعله داعية غير نبى كان حسنة له، فأمر يونس من باب «حسنات الأبرار سيئات المقربين»، وهذا لا يقدح فى يونس عليه السلام

والآية الثانية: وردت فيها كلمة «وهو مليم»، ومعناها أنه التقمه الحوت وكان مليماً نفسه على خروجه بغير إذن ربه، وهذا لا يقدح فى يونس عليه السلام، ولا ننظر إلى ما قاله الخطيب الشربينى ولا الفخر الرازى، فلقد قال الشربينى: «ملوم» على الذنب، وقال جماعة: «مليم» مبعد من كل خير، فهذا وأضرابه خروج على النص.

والآية الثالثة: ورد قوله: ﴿إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾، ومعنى هذا القول: أنه مملوء غمًّا وهو فى بطن الحوت، وقول الله عز وجل عقب هذا القول: ﴿لَوْلا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ

مَذْمُومٌ﴾ فمعنى «لولا» حرف امتناع لوجود، فامتنع الذم لوجود رحمة الله بيونس، فالذم لم يحصل أو لعل المذموميّة ترك الأفضل، فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين كما مر، أو أن هذه الواقعة كانت قبل النبوة، ثم اجتباه الله، وهذا بعيد، وعلى كل حال فهذا لا يقدح في يونس عليه السلام.

والآية الرابعة : ورد قوله: تعالى: ﴿إذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ﴾ ومعنى هذا القول المغاضبة مفاعلة بين يونس وقومه، فيكون المعنى: فغاضب قومه وغاضبوه حين لم يؤمنوا، فلم يكن مغاضباً لربه ﴿فَظَنَّ أن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾، لقد ظن أنه مخير بين الإقامة وسط قومه وبين الخروج إلى غيرهم فخرج، ومعنى ﴿فَظَنَّ أن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ أى: أننا لن نضيق عليه، أو ظن أننا لن نقضى عليه بالسجن فى بطن الحوت إثر خروجه بغير إذن مولاه **﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ﴾ أى: ظلمة الليل وظلمة قاع البحر وظلمة بطن الحوت قائلاً: ﴿أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ فى الذهاب بغير إذن ربه، فكأنه فى الأمور السابقة ترك الأفضل الذى هو المكث بين القوم، وهذا لا يقدح فى يونس.**

لطيفة : **لقد مر يونس ببلاء وتجربة لم يخضهما أحد من البشر، وليس هناك كرب أشد من كرب يونس عليه السلام، ولقد عَلَّمَنا هذا النبىُّ دعاءً يبدد الكرب ويخرج المبتلى من دائرة البلاء حين قال وهو فى جوف الحوت وفى قاع البحر وفى دياجير حالكة قال: ﴿لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾** (الأنبياء:٨٧، ٨٨).

(وأخرج أحمد والترمذى والنسائى والحكيم الترمذى فى نوادر الأصول والبزار وابن جرير وابن أبى حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقى فى الشعب عن سعد بن أبى وقاص سمعت رسول الله ﷺ قال: «دعوة ذى النون إذ هو فى بطن الحوت: لا إله إلاَّ أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين، لم يدع بها مسلم ربه فى شىء قط إلاَّ استجاب له»، وأخرج ابن جرير عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اسم الله الذى إذا دعى به أجاب، وإذا سئل به أعطى، دعوة يونس بن متى، قلت يا رسول الله: هل ليونس خاصة أم لجماعة المسلمين؟ قال: هى ليونس خاصة وللمسلمين عامة إذا دعوا به، ألم تسمع قول الله: ﴿وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ فهو شرط من الله لمن دعاه) [1].

(١) فتح القدير جـ ٣ ص٥٢٣ – ٥٢٤

س١٥: قال تعالى : ﴿وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ (الصافات:١٧٥).
و قال تعالى بعد هذه الآية: ﴿وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ (الصافات:١٧٩).
ما سر التكرار فى جملة «أبصر» ؟ ولماذا حذف ضمير المفعول «هم» من الثانى؟

الجواب: كرر جملة «وأبصر» للتوكيد ويحتمل أن المراد بالأمر فى الجملة الأولى هو الأمر بإبصار حالهم إذا حل العذاب بهم، والأمر فى الجملة الثانية بإبصار العذاب إذا نزل بساحتهم، وحذف الضمير من الثانى لدلالة الأول عليه.

(٣٨) سورة ص

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: (مناسبتها لآخر ما قبلها أنه لما ذكر عن الكفار أنهم كانوا يقولون: ﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ لأخلصوا العبادة لله، وأخبر أنهم أتاهم الذكر فكفروا به، بدأ فى هذه السورة بالقسم بالقرآن؛ لأنه الذكر الذى جاءهم وأخبر عنهم أنهم كافرون فى تعزز ومشاقة للرسول الذى جاء به، ثم ذكر من أهلك من القرون التى شاقت الرسول ليتعظوا)[١].

س٢: قال تعالى : ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ (ص:٣).
ما معنى «لات» ؟

الجواب: «لات» مكونة من «لا» النافية وتاء التأنيث، وأتت هذه التاء لتوكيد النفى.
والمعنى: أهلكنا كثيراً من الأمم الكافرة، فنادوا نداء استغاثة حين عاينوا العذاب: ﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾، أى: وليس الوقت وقت فرار وخلاص.

س٣: قال تعالى : ﴿وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ (ص:٤).
و قال تعالى فى سورة ق: ﴿بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ﴾ (ق:٢).
ما سر العطف بالواو فى الآية الأولى وسر العطف بالفاء فى الثانية؟

الجواب: أتى بالواو لأن اتصال الجملة بما قبلها معنوى، وهو أنهم عجبوا من مجىء المنذر، وقالوا: هذا المنذر ساحر كذاب، أمّا اتصال الجملة بما قبلها فى الآية الثانية فهو لفظى ومعنوى، وهو أنهم عجبوا فقالوا: هذا شىء عجيب .

س٤: قال تعالى : ﴿أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا﴾ (ص:٨).

---

(١) البحر المحيط جـ ٧ ص٣٦٦

و قال تعالى في سورة القمر عن قوم عاد: ﴿أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا﴾.

ما سر «أنزل» في الآية الأولى و«ألقى» في الثانية؟

ﷺ **الجواب:** في الآية الأولى حكاية كلام كفار قريش رداً على ما قرأه عليهم: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ (القمر:٢٥)، فردوا عليه بقولهم: ﴿أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا﴾. وما في الآية الثانية حكاية عن قول صالح، وكان يأتي الأنبياء السابقين صحفٌ مكتوبة وألواح مسطورة، فلهذا أتى التعبير بألقى.

س٥: قال تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ، إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ، إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ، قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ (النحل:٤٤)، **الخصم مفرد، فكيف أضمر عنه مرة بالجمع بواو الجماعة «تسوروا» و«دخلوا» و«منهم» وقال عنه: «خصمان» بالتثنية؟ وما القضية؟ وما الذنب الذى استغفر منه داود؟**

ﷺ **الجواب:** إن لفظ «الخصم» يحتمل عدة معان: يحتمل المفرد والمثنى والجمع، فالكل جائز، فجمع باعتبار معنى الجمع، وثنى باعتبار قول الخصمين: ﴿قَالُوا لا تَخَفْ خَصْمَانِ﴾ أو أنه عبَّر عن المثنى بالجمع لأنه أول الجمع بعد الإفراد، وقيل: كانا ملكين.

القضية وسبب الاستغفار:

لقد وردت أقوال كثيرة تطعن في نبى الله داود في سبب الفتنة، وأسوق بعضاً منها، وهو ما أورده الطبرى يروى بسنده عن (وهب بن منبّه أن داود حين دخل محرابه ذلك اليوم، قال: لا يدخلن علي محرابي اليوم أحد حتى الليل، ولا يشغلني شيء عما خلوت له حتى أمسي؛ ودخل محرابه، ونشر زبوره يقرؤه، وفي المحراب كوة تطلعه على تلك الجنينة، فبينا هو جالس يقرأ زبوره، إذ أقبلت حمامة من ذهب حتى وقعت في الكوة، فرفع رأسه فرآها فأعجبته، ثم ذكر ما كان قال: لا يشغله شيء عما دخل له، فنكس رأسه وأقبل على زبوره، فتصوبت الحمامة للبلاء والاختبار من الكوة، فوقعت بين يديه، فتناولها بيده، فاستأخرت غير بعيد، فاتبعها، فنهضت إلى الكوة، فتناولها في الكوة، فتصوبت إلى الجنينة، فأتبعها بصره أين تقع، فإذا المرأة

جالسة تغتسل بهيئة الله أعلم بها في الجمال والحسن والخلق؛ فيزعمون أنها لما رأته نقضت رأسها فوارت به جسدها منه، واختطفت قلبه، ورجع إلى زبوره ومجلسه، وهي من شأنه لا يفارق قلبه ذكرها. وتمادى به البلاء حتى أغزى زوجها، ثم أمر صاحب جيشه فيما يزعم أهل الكتاب أن يقدم زوجها للمهالك حتى أصابه بعض ما أراد به من الهلاك، ولداود تسع وتسعون امرأة؛ فلما أصيب زوجها خطبها داود، فنكحها، فبعث الله إليه وهو في محرابه ملكين يختصمان إليه، مثلا يضربه له ولصاحبه، فلم يرع داود إلا بهما واقفين على رأسه في محرابه. فقال: ما أدخلكما علي؟ قالا: لا تخف لم ندخل لبأس ولا لريبة ﴿خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ﴾ فجئناك لتقضي بيننا ﴿فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ أي احملنا على الحق، ولا تخالف بنا إلى غيره؛ قال الملك الذي يتكلم عن أوريا بن حنانيا زوج المرأة: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي﴾ أي على ديني ﴿لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾ أي احملني عليها، ثم عزني في الخطاب: أي: قهرني في الخطاب، وكان أقوى مني هو وأعز، فحاز نعجتي إلى نعاجه وتركني لا شيء لي؛ فغضب داود، فنظر إلى خصمه الذي لم يتكلم، فقال: لئن كان صدقني ما يقول، لأضربن بين عينيك بالفأس! ثم ارعوى داود، فعرف أنه هو الذي يراد بما صنع في امرأة أوريا، فوقع ساجدا تائبا منيبا باكيا، فسجد أربعين صباحا صائما لا يأكل فيها ولا يشرب، حتى أنبت دمعه الخضر تحت وجهه، وحتى أندب السجود في لحم وجهه، فتاب الله عليه وقبل منه.

ويزعمون أنه قال: أي رب هذا غفرت ما جنيت في شأن المرأة، فكيف بدم القتيل المظلوم؟ قيل له: يا داود، فيما زعم أهل الكتاب، أما إن ربك لم يظلمه بدمه، ولكنه سيسأله إياك فيعطيه، فيضعه عنك؛ فلما فرج عن داود ما كان فيه، رسم خطيئته في كفه اليمنى بطن راحته، فما رفع إلى فيه طعاما ولا شرابا قط إلا بكى إذا رآها)[1].

ولقد وردت روايات أسوأ من هذه في كتب التفسير، والسؤال المطروح: هل يقبل هذا الفعل من هو على أدنى درجة من الأخلاق الفاضلة؟

الجواب: لا، لا يقبل هذا الفعل رجل عنده أدنى درجة من الخلق، فهل يعقل أن يفعل هذا رسول من الرسل من أصول عقيدته الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة؟ إن الله عصم رسله من هذه

---

(١) جامع البيان عن تأويل أي: القرآن جـ ٢٤ ص١٤٩، ١٥٠

الموبقات فلماذا نلصقها بهم؟

لقد اعتمد المفسرون فى تفاسيرهم على كثير من الإسرائيليات عند تفسيرهم للقصص القرآنى، وفيها خزعبلات وأباطيل من نسج اليهود الذين لم يراعوا لنبى حرمة، وهم الذين قتلوا أنبياءهم وسفكوا دماءهم، وقوم بهذا السلوك لا يستحيون أن يتحدثوا عن رسلهم بمثل ما تحدثوا به عن داود وسليمان وغيرهما، ونقله علماء التفسير فى أحشاء كتبهم، وما نقله هؤلاء العلماء فيه تطاول على هؤلاء الرسل، فلا نلتفت إلى هذا الطعون الموجهة إلى الرسل، والتفسير الصحيح للنص هو:

أن داود كان قد أغلق على نفسه المحراب، وآثر العبادة على الحكم بين النّاس، وهذا عند الله ذنب فحسنات الأبرار سيئات المقربين، فكان الأولى أن يجلس بينهم فى ذلك الوقت، وأن يحكم بينهم، فالخصمان تسوروا المحراب حتى يحكم بينهما داود، وقص كل واحد قضيته.

أو نقول: إن الخصمين من البشر، وقد يكونان من الملائكة، وأتيا ليرشدا داود إلى الخروج للناس، وأيقن داود أن هذا ابتلاء من الله وامتحان ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ .

فاتقوا الله أيها العلماء عند الحديث عن الأنبياء، فلقد بلغنى (أن مدرسة تقوم بالتدريس فى المرحلة الثانوية للبنات وهى مسلمة قالت: إن الذنب الذى ارتكبه داود هو أنه زنا، وتقصد أنه زنا بامرأة «أوريا»)، والله إنه قذف لنبى من الأنبياء، ولا يرضاه الله لرسله، ويوم القيامة يقيم الله عليها وعلى أمثالها حد القذف لداود.

لقد أعقب الله الحديث عن تلك القضية قوله: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ، يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (ص:٢٥، ٢٦).

ولو كان داود فعل ما قاله خنازير البشرية من اليهود لقال الله له: «يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاقنع بزوجاتك ولا تنظر إلى زوجات غيرك»، فالقضية كانت تتعلق بإيثاره العبادة على الحكم.

و من جهة أخرى: لو كان ما قال اليهود قد وقع فعلاً، ما امتدح الله داود بقوله: فى صدر الآية: ﴿وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ والله أعلم .

س٦: كيف يفزع داود وهو رسول مرسل يثق فى الله وقدره أكثر من أمته والأنبياء لا يخافون؟

الجواب: من وجوه:

الأول : الفزع انفعال فطرى غريزى غرسه الله فى نفوس البشر عند رؤية مكروه، ويظهر أثره على سلوك الإنسان، ثم يحل محله الثبات والشجاعة، والنفوس متفاوتة فى دوامه وانقشاعه، فالأنبياء يظهر عليهم لأنهم بشر، ثم تحل الشجاعة محله بسرعة، ولا يقدح هذا فى داود لأنه بشر.

الثانى: أن الفزع الذى حصل لداود ليس فيه خوف، بل هو اضطراب يحصل للإنسان من الإحساس بشىء شأنه أن يتخلص منه، وهذا وقع لرسول الله حين كان يعترى الشمس خسوف أو عند الريح العاتية، فكان يفزع إلى الصلاة، فهذا لا يقدح فى الأنبياء.

الثالث: أن الأنبياء مأمورون بالمحافظة على حياتهم لأن الواحد إمام لأمته، فبانتهاء حياة النبى دون أن يؤدى رسالته تكون أمته قد حرمت الخير والانتفاع، فالفزع ليس قدحاً، أمّا نبينا سيدنا محمد ﷺ فقد عصمه الله من النّاس.

س٧: قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ، إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ، فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ، رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ (ص:٣٠ – ٣٣). كيف يضرب نبى الله سليمان عليه السلام سوق الخيل وأعناقها ويميتها ويكون قد بدد مالاً وأفسده؟

الجواب: لقد ذهب علماء التفسير مذاهب متعددة، فقالوا: إن سليمان شغل بسباق الخيل عن صلاة العصر حتى غربت الشمس، فقال: رُدُّوا علىَّ الخيل، فجعل يضرب سوقها وأعناقها، وهذا تفسير لا يليق بنبى الله سليمان عليه السلام لما يأتى:

١– نسبوا إليه إهماله لصلاة العصر، وهذا لا يليق بمؤمن قوى الإيمان فكيف ينسب إلى رسول مرسل هو قدوة لأمته؟

٢– لقد اتهموا سليمان باتهام باطل، وهو أنه شغل بحب الدنيا وما فيها حتى نسى فرض ربه، أيعقل هذا أيها المفسرون؟

٣– أنه بعد أن فعل ما فعل لم يرد فى النص أنه تاب وأناب، وإن كان هذا وقع من سليمان لكان حرياً به أن يتوب، ولكنه لم يتب، وهذا يقدح فى هذا النبى.

٤– ذهب بعض المفسرين إلى أن سليمان عليه السلام قال: «ردوها علىَّ» وقالوا: يريد الشمس أن تعود بعد غروبها حتى يؤدى صلاة العصر، وذهب بعضهم إلى أن الأمر للملائكة، وذهب بعضهم إلى أن الأمر لله وأراد تعظيم الله بصيغة الجمع، وكلاهما لا يصح لما يأتى:

أ- إن كان الأمر للملائكة فهذا باطل؛ لأن تسيير الكواكب والنجوم بيد الله لا بيد الملائكة.

ب- وإن كان الأمر لله فهذا لا يليق برسول أن يلتمس من الله بهذا الأسلوب: «ردوها عليَّ»، فيكون سليمان غير عالم بمقام الألوهية حتى يقول هذا القول لله تعالى، فهذا الأسلوب لا يستخدم إلاَّ على لسان رجل لخدمه.

٥- لقد اتبع سليمان كل ذلك فى زعم المفسرين بعقر سوق الخيل وأعناقها وهذا عبث وفيه حرمة لأنه إزهاق أرواح لغير حاجة فلقد ورد النهى عن ذبح الحيوان إلاَّ إذا كان للأكل أو لمنفعة:

أيها السادة المفسرون:

لقد مدح الله سليمان قبل أن يتحدث عن تلك القضية فقال: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ ، **فهذا مدح لسليمان يتنافى مع ما ذهب إليه العلماء من نسيانه لصلاة العصر، وأيضاً لو وقع ذلك من سليمان لأرشده الله إلى التوبة ولكنه لم يرد، فيكون للآية معنى يتماشى مع أخلاق سليمان ﷺ، وهو: أن رباط الخيل فى سبيل الله مشروع لكثير من الأنبياء كما فى ديننا الحنيف، وعند سليمان ﷺ، ثم إنه أراد الغزو فى سبيل الله، أو أنه أراد إعداد الخيل وتدريبها للجهاد، فجلس وأمر بتدريبها، وذكر أنه ﷺ لا يحب الخيل من أجل زينة الدنيا، ولكنه يحبها لله لأنها وسيلة لنشر دعوته وتثبيتها وهو المراد ﴿عَن ذِكْرِ رَبِّي﴾، ثم إن الخيل شرعت فى التدريب أو الغزو فسارت حتى توارت عن بصره بالحجاب، فقال سليمان للرائضين المدربين لها: «ردوها عليَّ»، فلما عادت شرع يمسح على سوقها وأعناقها عَرَقَها الظاهر، ولم يمسحها بالسيف كما قالوا؛ لأنه لو ذكر السيف لكان قتلاً لها، أما إذا لم يذكر فهو مسح باليد.**

و غرض سليمان من مسحه الخيل ما يأتى:

أولاً: تشريفاً للخيل وبياناً لعزتها، وكونها من أعظم الوسائل فى دفع العدو أو نشر الدعوة.

ثانياً: من المحتمل أن يكون سليمان عالماً بأمراض الخيل وعيوبها، فكان يبين الخيل التى ستدخل الغزو والخيل التى تستبعد بسبب المرض، وهذا ما يقال فى الآية.

س٨: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ (ص:٣٤). ما المراد بالجسد؟

الجواب: لقد ذهب كثير من العلماء مذاهب متعددة فى المراد بالجسد وفى سر الفتنة، وكثير منهم غاص فى أعماق كتب بنى إسرائيل فقالوا: (عن وهب بن منبه قال: سمع سليمان عليه السلام بمدينة في جزيرة من جزائر البحر يقال لها: صيدون، بها ملك عظيم الشأن، لم يكن

للناس إليه سبيلاً لمكانه في البحر، وكان الله قد آتى سليمان في ملكه سلطاناً لا يمتنع عليه شيء في بر ولا بحر، إنما يركب إليه الريح، فخرج إلى تلك المدينة تحمله الريح على ظهر الماء، حتى نزل بها بجنوده من الجن والإنس، فقتل ملكها واستولى واستفاء وسبى ما فيها، وأصاب فيما أصاب بنتاً لذلك الملك، يقال لها: جرادة، لم ير مثلها حسناً وجمالاً، فاصطفاها لنفسه، ودعاها إلى الإسلام فأسلمت على جفاء منها وقلة فقه، وأحبها حباً لم يحبه شيئاً من نسائه، وكانت على منزلتها عنده لا يذهب حزنها ولا يرقأ دمعها، فشق ذلك على سليمان فقال لها: ويحك ما هذا الحزن الذي لا يذهب، والدمع الذي لا يرقأ؟ قالت: إن أبي أذكره وأذكر ملكه وما كان فيه وما أصابه فيحزنني ذلك، قال سليمان: فقد أبدلك الله به ملكاً هو أعظم من ملكه، وسلطاناً هو أعظم من سلطانه، وهداك للإسلام وهو خير من ذلك كله، قالت: إن ذلك كذلك، ولكني إذا ذكرته أصابني ما ترى من الحزن، فلو أنك أمرت الشياطين، فصوروا صورته في داري التي أنا فيها أراها بكرة وعشياً لرجوت أن يذهب ذلك حزني، وان يسلي عني بعض ما أجد في نفسي، فأمر سليمان الشياطين، فقال: مثلوا لها صورة أبيها في دارها حتى لا تنكر منه شيئاً، فمثلوه لها حتى نظرت إلى أبيها بعينه إلا أنه لا روح فيه، فعمدت إليه حين صنعوه فأزرته وقمصته وعممته وردته بمثل ثيابه التي كان يلبس، ثم كانت إذا خرج سليمان من دارها تغدو عليه في ولائدها – أى جواريها– حتى تسجد له، ويسجدن له كما كانت تصنع به في ملكه، وتروح كل عشية بمثل ذلك وسليمان لا يعلم بشيء من ذلك أربعين صباحاً، وبلغ ذلك آصف بن برخيا، وكان صديقاً، وكان لا يرد عن أبواب سليمان، أي ساعة أراد دخول شيء من بيوته دخل، حاضراً كان سليمان أو غائباً، فأتاه فقال: يا نبى الله إن غير الله ليعبد في دارك منذ أربعين صباحاً في هوى امرأة، فقال سليمان: في داري؟ فقال: في دارك، قال: فإنا لله وإنا إليه راجعون، ثم رجع سليمان إلى داره وكسر ذلك الصنم، وعاقب تلك المرأة وولائدها، ثم أقبل تائباً إلى الله عز وجل، يبكي ويستغفر مما كان في داره، فلم يزل كذلك، وكانت له أم ولد يقال لها الأمينة، كان إذا دخل الخلاء أو أراد إصابة امرأة من نسائه وضع خاتمه عندها حتى يتطهر، وكان لا يمس خاتمه إلا وهو طاهر، وكان ملكه في خاتمه فوضعه يوماً عندها، ثم دخل مذهبه فأتاها شيطان اسمه صخر المارد بن عمير، على صورة سليمان لا تنكر منه شيئاً، فقال: هات خاتمي يا أمينة! فناولته إياه، فجعله في يده ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان، وعكفت عليه الطير والجن والإنس، وخرج سليمان فأتى الأمينة وقد تغيرت حاله، وهيئته عند كل من رآه، فقال: يا أمينة خاتمي، قالت: من أنت؟

قال: أنا سليمان بن داود، فقالت: كذبت فقد جاء سليمان وأخذ خاتمه وهو جالس على سرير ملكه، فعرف سليمان أن خطيئته قد أدركته، فخرج وجعل يقف على الدار من دور بني إسرائيل فيقول: أنا سليمان بن داود، فيحثون عليه التراب، ويقولون انظروا إلى هذا المجنون أي شيء يقول، فلما رأى سليمان ذلك عمد إلى البحر، يعمل ليأكل فكان ينقل الحيتان لأصحاب البحر إلى السوق فيعطونه كل يوم سمكتين، فإذا أمسى باع إحدى سمكتيه بأرغفة وشوى الأخرى فأكلها، فمكث على ذلك أربعين صباحاً عدة ما كان يُعبد الوثن في داره، ثم إن آصف وعظماء بني إسرائيل أنكروا حكم عدو الله الشيطان في تلك المدة، فقال آصف: يا معشر بني إسرائيل هل رأيتم اختلاف حكم ابن داود ما رأيت؟ فقالوا: نعم، فلما مضى أربعون صباحاً طار الشيطان عن مجلسه، ثم مر بالبحر فقذف الخاتم فيه، فبلعته سمكة فأخذها بعض الصيادين، وقد عمل له سليمان صدر يومه ذلك، فلما أمسى أعطاه سمكتيه وأعطاه السمكة التي أخذت الخاتم، وخرج سليمان بسمكتيه، فباع التي ليس في بطنها الخاتم بالأرغفة، ثم عمد إلى السمكة الأخرى فبقرها ليشويها فاستقبله خاتمه في جوفها، فأخذه فجعله في يده، ووقع ساجداً، وعكفت عليه الطير والجن، وأقبل عليه الناس، وعرف أن الذي كان دخل عليه لما كان أحدث في داره، فرجع إلى ملكه، وأظهر التوبة من ذنبه)[(١)].

وهذه إسرائيليات لا يقبلها العقل، بل كانت من وحى خيالهم ودونت فى كتبهم، فهى من نسجهم القصصى وهذه أدلة بطلانها:

١- كيف ينهى الله البشرية عن عبادة الشيطان وعن اتباعه ويبين لهم عداوته ويمكنه من حكم النّاس بدل سليمان؟ أليس هذا عبثاً؟ والعبث على الله محال.

٢- كيف يُعبد صنمٌ فى بيت من بيوت سليمان والوحى ينزل عليه؟ فلو كان الأمر كذلك لأخبره الله ﷻ .

٣- كيف يعاقب الله سليمان على أمر لا علم له به وتفعله امرأة بعيدة عنه؟ فهل يؤاخذ الإنسان بجريرة امرأته وهو لا يعرف شيئاً عن ذنبها؟

٤- لم يؤاخذ الله رسولَيْه نوحاً ولوطاً بفعل زوجيهما وهما يعلمان أنهما مع القوم الكافرين ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا

(١) الفتوحات الإلهية جـ ٣ ص٥٧٤، ٥٧٥.

﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ (التحريم:١٠).

فلقد عاقب الله المرأتين بدخول النار دون أن يكون لنوح ولوط عقاب سواء كانا يعلمان بكفرهما أم لا.

والقضية حسمها الرسول ﷺ (قال سليمان بن داود : لأطوفن الليلة على سبعين امرأة تحمل كل امرأة فارساً يجاهد فى سبيل الله، فقال له صاحبه: إن شاء الله، فلم يقل، ولم تحمل شيئاً إلاّ واحداً ساقطاً إحدى شقيه، فقال النبى ﷺ: لو قالها لجاهدوا فى سبيل الله)[1].

س٩: قال تعالى : ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ (ص:٣٥). **ظاهر دعوة سليمان أنه لا يحب الخير لغيره فكيف هذا وهو نبى؟**

الجواب: لقد علم الله أزلاً أنه لا يقوم غير سليمان هذا المقام، ويجمع الملك والنبوة ويقوم بمصالح العباد، فألهم الله سليمان هذا الدعاء.

س١٠: قال تعالى : ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (ص:٤٤).

و قال تعالى : ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ (ص:٤١).

الآية الأولى مدح لأيوب حيث وجده الله صابراً والثانية تدل على شكواه والصبر ترك الشكوى؟

الجواب: شكوى أيوب دعاء لله برفع البلاء، والدعاء لرفع البلاء لا يتنافى مع الصبر . ولقد وقع هذا ليعقوب حين فقد يوسف قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾، وقال: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ فالصبر ودعاء الله لا يتنافيان .

س١١: قال تعالى: ﴿وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾ (ص:٥٢).

وقال تعالى: ﴿قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ﴾ (الصافات:٤٨). **ما سر الاختلاف بين الآيتين؟**

الجواب: لا اختلاف بين الآيتين لأن الأولى فى بيان أعمار الحور العين وأنهن على ميلاد واحد وفى سن واحدة. والثانية فى إبراز جمال عيون الحور العين، فلا اختلاف.

س١٢: قال الله تعالى : ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ (ص:٧٨).

هذه الآية تثبت أن لعنة إبليس غايتها يوم الدين ثم تنقطع؟

الجواب: أن هذه اللعنة الواردة فى الآية هى لعنته فى الدنيا، فإذا كان يوم القيامة حلّت عليه لعنة الآخرة وهو يوم الدين، فكأن اللعنة الأولى انقطعت وحلت محلها لعنة أخرى، أو

---

(١) صحيح البخارى جـ ٤ كتاب بدء الخلق، باب: (ووهبنا لداود سليمان) ص١٩٧.

نقول: إن لعنة يوم الدين أكبر وأعظم؛ لأن في لعنة الدنيا إمهالاً فكأن اللعنة الصغيرة صارت لا وجود لها.

(٣٩) سورة الزمر

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: لقد تحدث الله في آخر سورة ص عن القرآن الكريم فقال: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ، إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ، وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ (ص:٨٦ - ٨٨)، فهذا حديث عن القرآن ولما قال: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ شرع في الحديث عن هذا النبأ فقال ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ .

س٢: قال تعالى : ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (الزمر:١).

و قال تعالى : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ (القدر:١). فما الفرق بين «نزَّل» و «أنزل»؟

الجواب: المصدر «تنزيل» فعله «نَزَّل» وهو يفيد نزول القرآن منجماً غالباً، والفعل «أنزلنا» في الآية الثانية مصدره «إنزال» وهو يفيد إنزال القرآن جملة واحدة، وهو نزول القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا في بيت العزة كما أخبرت بذلك الأحاديث الشريفة.

و أمّا الفعل «نزّل» ومصدره «تنزيل» فهما يفيدان التنزيل مفرقاً نجماً نجماً، والقرآن نزل من سماء الدنيا على قلب الرسول ﷺ بواسطة جبريل على ثلاثة وعشرين عاماً.

س٣: قال الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ (الزمر:٣).

هذه الآية تفيد العموم وأنه لا يهدى من هو كاذب كفار، وهناك من هداه الله ودخل الإسلام ومات مؤمناً، فكيف التوفيق بين الآية والواقع؟

الجواب: من وجوه:

١- **إن الله لا يهدى من تعلقت إرادة الله بعدم هدايته، وهذا على الإطلاق، أمّا من لم تتعلق إرادة الله بعدم هدايته فإنّه يهديه.**

٢- إن الله لا يهدى من كان مصراً على كذبه وكفره.

٣- إن الله لا يهدى الكاذب الكفار إلى حجة يدحض بها المؤمنين ويلزمهم بها.

٤- معنى الآية: إن الله لا يرشد لدينه من هو كاذب في زعمه أن الآلهة تقربه إلى الله زلفى، وهو مصر على ذلك.

﴿ س٤: قال تعالى : ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لاَّصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ (الزمر: ٤).

ما مفهوم هذه الآية؟

الجواب: هذه الآية ترد على طوائف من البشر تنسب الولد لله، فالنصارى قالوا: المسيح ابن الله واليهود قالوا: عزير بن الله، ومشركوا مكة قالوا: الملائكة بنات الله، فردّت الآية عليهم ردًّا عقلياً. وهو أنه: كل موجود سوى الله مخلوق لله ويستحيل أن يكون المخلوق ولداً للخالق لعدم المجانسة بين الخالق والمخلوق، فلم يبق إلاَّ أنه يصطفى من خلقه عباداً له.

س٥: قال الله تعالى : ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى أَلا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ (الزمر: ٥).

لقد قرر العلماء حقيقة علمية هى أن الأرض تدور حول محورها أمام الشمس، وتستغرق هذه الدورة أربعاً وعشرين ساعة ينشأ عنها الليل والنهار، فهل هذه الآية تشير إلى ذلك؟

الجواب: نعم لقد عبر الله عن حركة الأرض ودورانها بقوله: **﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾**، ثم قال: **﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى﴾** فكلمة **﴿كُلٌّ يَجْرِي﴾** تعود إلى الليل والنهار والشمس والقمر، فهذه إشارة إلى دوران الأرض، ولم يصرح القرآن بحركة الأرض ودورانها لأن العربى الذى عاصر نزول القرآن لا يستوعب ذلك، بل استوعب جريان الشمس فى قوله: **﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾**؛ لأنه يراها تتحرك فى الأفق من الشرق إلى الغرب، فأشار إلى دوران الأرض ولم يصرح بهذا حتى تدرك البشرية تلك الحقيقة.

س٦: قال تعالى : ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ (الزمر: ٦).

ما سر التعبير بـ«جعل»؟ ولماذا لم يقل: «خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ خَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا» ؟

الجواب: المراد بالنفس الواحدة «آدم» والمراد بقوله «زوجها» حواء، وعبر عنها بـ«جعل» ولم يقل «وخلق» لأنها خلقت من جزء من جسد آدم وهو الضلع.

س٧: قال تعالى : ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنْ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ (الزمر: ٦).

هل أنزل الله الأنعام من السماء؟

الجواب: من وجوه :

١- أن الله خلقها فى الجنة ثم أنزلها إلى الأرض بعد أن أنزل آدم عليه السلام.

٢- هناك معنى مجازى وهو أن الأنعام تعيش على النبات، والنبات يحيا بالماء، والماء ينزل من

السماء، فالأنعام كأنها منزلة لأن سبب سببها منزل كما أطلق على السبب فى قول الشاعر:

إذا نزل السماء بأرض قوم ∴ رعيناه وإن كان غضـــابا

٣- يحتمل أن تكون كلمة «أنزل» بمعنى خلق، وعبر عن الخلق بالإنزال لأنه يكون بأمر ينزل من السماء، ويحتمل أن تكون بمعنى «أنشأ» أى «جعل».

لطيفة: قال تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ﴾ (الزمر:٦). يقول الله تعالى: يخلقكم فى بطون أمهاتكم طوراً من بعد طور نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظماً ثم لحماً، ولقد فسر علماء التفسير الظلمات الثلاث بأنها «ظلمة» بطن المرأة، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة.

أمّا علماء التشريح فقالوا: إن الجنين فى جوف أمه يكون فى كيس هو المشيمة، وهو مكون من ثلاث طبقات متلاصقة بعضها فوق بعض.

س٨: قال تعالى: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ﴾ (الزمر:١٦). الظلل تكون من أعلى فكيف يقول: ﴿وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ ؟

الجواب: سمى ما تحتهم ظلالاً لأنها تظلل ما تحتها من أهل النار؛ لأن النار دركات وطبقات، فى كل طبقة طائفة من طوائف الكفار.

س٩: قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً﴾ (الزمر:٢٩). المثل لرجلين فكان السياق يقتضى أن يقول: «هل يستوى مثلهما»، فلماذا أفرد «مثلاً» ؟

الجواب: أفرد «مثلاً» ولم يثنه لأنه تمييز، والأصل فى التمييز الإفراد لكونه مبيناً للجنس، وهو تمييز محوّل عن الفاعل كما فى قوله تعالى: ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ (مريم:٤).

س١٠: قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ (الزمر:٤٤).

قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ الآية صرحت بأن الشفاعة لله مع أن هناك نصوصاً تثبت الشفاعة للشهداء والعلماء وهؤلاء بعد الأنبياء، ولماذا أكد الشفاعة وهى مفرد بما يؤكد به الجمع وهو «جميعاً»؟

الجواب: الكلام على حذف مضاف تقديره: «قبول الشفاعة لله»، أو أن المعنى: الشفاعة مملوكة لله ليس لأحد منها شىء إلاّ أن يكون بإذنه.

وأكد الشفاعة بما يؤكّد به الجمع لأن الشفاعة مصدر يستوى فيه الواحد والاثنان والجمع.

س١١: قال الله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ (الزمر: ٧١).
و قال تعالى: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ (الزمر: ٧٣).
لقد صرحت الآيتان بأن الكافرين والمتقين يساقون، فما سر تقديم الكافرين فى السوق على المتقين؟

الجواب: سوق الكافرين سوق إذلال وتعذيب، وسوق المتقين سوق إعزاز وتكريم وقدم الكافرين على المؤمنين لأمرين:

الأول: قدم الله الكافرين لأنه قدم الكفر على الإيمان فى قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (التغابن: ٢).

الثانى: إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة، وفصل بينهم ميز بين الكافرين والمؤمنين. قال تعالى: ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ (يس: ٥٩)، فيأمر الله أولاً بسوق الكافرين فى إذلال وإهانة ليشاهدهم المتقون فيدركون مقدار ما أنعم الله به عليهم من النجاة من العذاب والفوز بدار الجزاء، فلهذا قدم الكافرين على المتقين.

(٤٠) سورة غافر

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: قال الإمام البقاعى: (لما كان ختام التى قبلها – سورة الزمر– إثبات الكمال لله بصدقه فى وعده ووعيده بإنزال كل فريق – أهل النار وأهل الجنة – فى داره التى أعدها له، ثبت أن الكتاب الذى فيه ذلك منه، وأنه تام العزة كامل العلم جامع لجميع صفات الكمال، فقال ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [(١)].

س٢: قال تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ﴾ (غافر: ٣).
ما سر مجيء «غافر» و«قابل» و«شديد» نكرات مع أن الموصوف وهو الله معرفة؟
وما سر تجريد «شديد العقاب» من الواو؟

الجواب: (أمَّا ﴿غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ فمعرفتان لأنه لم يُرَدْ بهما حدوث الفعلين؛ فإنّه يغفر الذنب ويقبل التوب الآن أو غدا، وإنما أريد بذلك الثبوت والدوام، فكان حكمهما حكم إله الخلق ورب العرش، وأمَّا الوصف الثالث الذى هو ﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ فأمره مشكل لأن تقديره شديد عقابه لا ينفك من هذا التقدير، فلذلك أعربه الزجاج بدلاً بمجيء البدل نكرة من معرفة وبالعكس.

(١) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور جـ ١٧ ص٢

والوجه: أن تجعل كلها أبدالاً غير أوصاف كورود النكرة بين المعارف، وقيل: معناه الشديد العقاب وحذف الألف واللام ليناسب ما قبله، وقال الإمام فخر الدين الرازى - رحمه الله - إنه لا نزاع فى كون ﴿غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ يحسن جعلهما صفة لإفادتهما معنى الدوام والاستمرار، فكذلك قوله: ﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ يفيد الدوام والاستمرار أيضاً؛ لأن صفات الله منزهة عن التجدد والحدوث فكونه ﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ صفته كونه يشتد عقابه، وهذا المعنى حاصل له أبداً غير منتقل عنه)[١].

وأما اقتران ﴿وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ بالواو وتجريد ﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ منها ليفيد هذا الأسلوب أمراً حسناً وهو الجمع بين رحمتين: مغفرة الذنب وقبول التوب، فالتائب يجمع بينهما، وجرد ﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ من واو العطف لأنه لو عطف ﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ على ما قبله لأفاد هذا العطف أمراً هو أن الغفران وقبول التوب يشوبهما شيء من العقاب، فلهذا لم يعطف ﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ على ما قبله.

س٣: قال تعالى: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلاَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَلا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلادِ﴾ (غافر:٤).

كثير من المؤمنين والعلماء يجادلون فى القرآن لإظهار إعجازه واستنباط أحكامه؟

الجواب: المراد بجدال الذين كفروا هو الطعن فيه والجدال بالباطل كما أخبر بذلك الله ﷻ ﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ (الكهف:٥٦).

س٤: قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ (غافر:٧). لا يخفى على أحد أن حملة العرش ومن حوله مؤمنون، فلماذا قال «ويؤمنون به» ؟ وما سر طلبهم المغفرة للذين تابوا واتبعوا سبيل الله، والله وعدهم ذلك ووعد الله لا يتخلف؟

الجواب: ذكر حملة العرش وأنهم يؤمنون به لإظهار شرف الإيمان ومنزلته وفضله والترغيب فيه وحتى يلج الإنس والجن باب الإيمان.

وسر استغفارهم للمؤمنين مع أن الله وعد المؤمنين بالمغفرة والجنة، تنبيه على أن المؤمنين المشتركين فى أسمى شيء وهو الإيمان بالله يجب عليهم النصيحة لبعضهم البعض، وتنبيه

(١) الروض الريان فى أسئلة القرآن جـ ٢ ص٣٨٠، ٣٨١ بتصريف.

لجماعة المؤمنين من جميع الأجناس أن يطلبوا المغفرة لإخوانهم وإن تفاوتت الأجناس من مَلَكٍ وإنس وجن، لأنه إذا جمعتهم حومة الإيمان جاء معه التجانس الكلي والتناسب الحقيقي.

س٥: قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾ (غافر:٧)، الله ﷻ منزه عن المكان، فكيف يقول ﴿وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ ؟ وما سر تقديم الرحمة على العلم مع أن صفة العلم تقدم على الرحمة ؟ والذين تابوا وعدهم الله بالمغفرة، فلماذا يطلب حملة العرش المغفرة لهم؟

الجواب: الرحمة والعلم هما اللذان وسعا كل شيء وليس الله ﷻ، وأصل الكلام «وسع كل شيء رحمتُك وعلمك» بيد أن الكلام أسند إلى الله تعالى باعتباره صاحب الرحمة والعلم، وأخرجت الرحمة والعلم منصوبين على التمييز المحوَّل عن الفاعل للاستغراق فكأن ذاته رحمة وعلم.

وقُدّمت الرحمة على العلم للاهتمام بها؛ لأنها نتيجة استغفار الملائكة للذين تابوا، فيتجاوز الله بها عما علمه الله من ذنوبهم فقدموها في طلبهم، ولقد استغفر حملة العرش للذين تابوا واتبعوا سبيل الله مع أن الله وعدهم بالمغفرة مزيداً لكرامتهم وثوابهم، فكأن حملة العرش شفعوا لهم دون أن يطلب الذين تابوا تلك الشفاعة؛ لأنهم مؤمنون بربهم.

س٦: قال تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ (غافرة:١١). ذكرت الآية موتتين وإحياءتين فما هما ؟

الجواب: الموتة الأولى هي الحالة التي يكون فيها الجنين نطفة ثم علقة ثم مضغة، ولم تدب فيه الحياة، فهو خلق في سكون وموت، وهذه هي الإماتة الأولى، وإطلاق الموت على هذه الحالة على سبيل المجاز، والموتة الثانية عند انقضاء آجالهم في الدنيا .

والإحياءتان : الأولى: بعد بث الروح فيهم في بطون أمهاتهم. والثانية: عند بعثهم يوم القيامة.

س٧: قال تعالى : ﴿يَوْمَ التَّلاقِ﴾ و ﴿ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ (غافر:٢٨). ما سر حذف الياء؟

الجواب: المعنى: يوم التلاقي ويوم التنادى ، وحذفت الياء مراعاة للفواصل.

س٨: قال تعالى : ﴿وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ (غافر:١٥ و ٣٢).

ما سر تقديم الكذب على الصدق ؟ وموسى رسول وكل ما يعد به يقع، فكيف قال مؤمن آل فرعون: ﴿يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ ؟

الجواب:

أولاً: قدّم الكذب على الصدق حتى يهضمه بعض حقه، حتى لا يكون متعصباً له فى نظر القوم.

ثانياً: قال المؤمن: ﴿يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ وموسى نبى وهو صادق فى أن ما وعد به يقع كله، والجواب على هذا من وجوه:

١- قال الزمخشرى : قال: (﴿بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ لأنه - أى مؤمن آل فرعون - احتاج فى مقاولة خصوم موسى ومناكريه إلى أن يلاوصهم ويداريهم، ويسلك معهم طريق الإنصاف فى القول، ويأتيهم من جهة المناصحة، فجاء بما علم أنه أقرب إلى تسليمهم لقوله)[١].

٢- أن موسى وعدهم العذاب فى الدنيا والآخرة، فأراد المؤمن بالبعض عذاب الدنيا العاجل وهو بعض الذى وعدهم.

س ٩: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ﴾ (غافر:٣٤)، **كيف قال: ﴿جَاءَكُمْ يُوسُفُ﴾ والذى جاء المخاطبين هو موسى عليه السلام ؟**

الجواب: من وجهين:

الأول: (هو يوسف بن يعقوب عليهما السلام، وقيل: هو يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب، أقام فيهم نبياً عشرين سنة، وقيل: إن فرعون موسى هو فرعون يوسف، عمّر إلى زمنه، وقيل: هو فرعون آخر، وبخهم بأن يوسف أتاكم بالمعجزات فشككتم فيها، ولم تزالوا شاكين كافرين)[٢].

الثانى: أن المراد به يوسف بن يعقوب وقال: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أى جاء آباءكم الأولين، فكأنه جاءهم أيضاً.

س ١٠: قال تعالى : ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ، أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ (غافر:٣٦، ٣٧).

ما سر التكرار فى كلمة «أسباب» مع أن السياق إذا أفرد لم يكن به خلل كقوله: «يا هامان ابن لي صرحاً لعلى أبلغ أسباب السموات» ؟

الجواب: أن كلمة الأسباب أفادت العموم، ففيها إبهام، ثم أوضحها بقوله: ﴿أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ﴾ فإذا أبهم الشىء ثم أوضح كان تفخيماً لشأنه، فأراد الطاغية تفخيم ما أراد بلوغه.

---

(١) الكشاف جـ ٣ ص٣٦٨

(٢) الكشاف جـ ٣ ص٣٧٠

لطيفة: قال تعالى: ﴿يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الأَرْضِ﴾ (غافر:٢٩). وقال تعالى: ﴿ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الأَحْزَابِ﴾ (غافر:٣٠)، وقال تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ (غافر:٣٢)، وقال تعالى: ﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ (غافر:٣٨)، وقال تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾ (غافر:٤١). بالنظر إلى هذه الآيات نجدها قد تكرر فيها حرف النداء لزيادة تنبيه قومه وإيقاظهم من سنة الغفلة؛ لأنهم قومه وعشيرته، فهو يعلم وجه خلاصهم وأساليب إقناعهم، فهو يحزن لهم ويتلطف بهم.

س ١١: قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾ (غافر:٤٩). لماذا أتى بالاسم الظاهر بدل الضمير فكان السياق يقتضى أن يقول: «وقال الذين فى النار لخزنتها» ؟

الجواب: أنه عدل عن الضمير، وأتى باسم ظاهر آخر للنار تهويلاً وترهيباً منها.

س ١٢: قال تعالى: ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ (غافر:٨٠).

و قال تعالى فى سور يونس: ﴿حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ (يونس:٢٢).

ما سر مجيء حرف الاستعلاء «على» فى الآية الأولى، والحرف «فى» فى الآية الثانية؟

الجواب: المعنيان صحيحان ، ومعنى «على الفلك» فى الآية الأولى الاستعلاء، والفلك إذا كان فيها ركّاب أو حمولة فإنها تكون مستعلية على الفلك فعبر فى الآية الأولى بـ«على».

والفلك أيضاً وعاء لمن يكون فيها، وعبر عن ذلك فى الآية الثانية بـ«فى» التى تدل على الظرفية، واختصت الآية الأولى بـ«على» لمناسبة ما قبلها؛ لأنها ذكرت كلمة «على» ﴿وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ واختصت الآية الثانية بـ«فى» لمراعاة ما قبلها، فلقد ذكرت كلمة «فى»، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ﴾ .

(٤١) سورة فصلت

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: (لما ختمت سورة «غافر» بأن الكفرة جادلوا فى آيات الله بالباطل، وفرحوا بما عندهم من علم ظاهر الحياة الدنيا، وأنهم عند البأس انسلخوا عنه، وتبرءوا منه، ورجعوا إلى ما جاءت به الرسل، فلم يقبل منهم، فعلم أن كل علم لم ينفع عند الشدة والبأس فليس بعلم، بل الجهل خير منه، وكان ذلك شاقاً على النبى ﷺ خوفاً من أن يكون آخر أمر أمته الهلاك مع

الإصرار على الكفر إلى مجيء البأس، وأن يكون أغلب أحواله ﷺ النذارة افتتح سبحانه هذه السورة بأن القرآن رحمة لمن كان له علم وله قوة توجب له القيام فيما ينفعه)[1].

س٢: قال تعالى: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ، بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ﴾ (فصلت:٣، ٤). **إن للكافرين آذاناً يسمعون بها، فلماذا نفى عنهم السمع؟**

الجواب: أنهم لايسمعون سماع تقبل وطاعة فينتفعون به، كما تقول: نصحت التلميذ فلم يسمع.

س٣: قال تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾ (فصلت:٥)، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا، وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ (الإسراء: ٤٥، ٤٦) **ما سر التعبير فى الآية الأولى: ﴿قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ﴾ والثانية: ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾؟**

الجواب: قال الزمخشري: (لا فرق فى المعنى بين قولك: ﴿قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ﴾ و«على قلوبنا أكنة»)[2].

و **أقول**: قول الكافرين: ﴿قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ﴾ فيه مبالغة فى الإعراض عن القرآن والبعد عن سماعه وتعقله، لأن الأغطية ظرف للقلوب، أما الآية الثانية فالله ﷻ هو الذى يقول: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾، فالأغطية التى جعلها الله على قلوبهم ليست فيها مبالغة لأن الله رحيم بجميع عباده.

س٤: قال تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاء لِّلسَّائِلِينَ، ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ، فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ (فصلت:٩، ١٢).

لو عددنا الأيام التى خلقت فيها الأرض وما فيها، والأيام التى خلقت فيها السموات كانت ثمانية أيام: ﴿خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾، ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾، ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾، ولقد ثبت بالآيات القرآنية أن خلق السموات والأرض فى ستة أيام كما

(١) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور جـ ١٧ ص١٣٥

(٢) الكشاف جـ ٣ ص٣٨٣

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ (الأعراف:٥٤) ، وقوله تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ (يونس:٣) ، فكيف نوفق بين الآية الأولى والآيتين الأخريين؟

الجواب: أن خلق السموات والأرض فى ستة أيام كما صرحت الآيات، وتفسير الآية الأولى: أن الله خلق الأرض فى يومين، وقدر فيها أقواتها فى تتمّة أربعة أيام، فيكون خلق الأرض فى يومين وتقدير الأقوات فى يومين، فيكون المجموع أربعة أيام، وليس تقدير الأقوات فى أربعة أيام، وهذا القول كما تقول: خرجت من الإسكندرية إلى القاهرة فى يومين وإلى أسوان فى أربعة أيام، أى: فى تتمة أربعة أيام، يومان من الإسكندرية إلى القاهرة ويومان من القاهرة إلى أسوان.

س٥: قال تعالى : ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ (فصلت:١١)، هل للسماء وللأرض قول؟ ولماذا عبر عن الحال بجمع العقلاء «طائعين» ؟

الجواب: عن الشطر الأول من السؤال من وجهين:

الأول: أن الله خلق فيهما النطق فنطقتا فقالتا: ﴿أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ .

الثانى: أن هذا من قبيل التمثيل لظهور الطاعة منهما وتأثير القوة الربانية فيهما، والوجه الأول هو الصحيح؛ لأن للسماء وللأرض موقفاً يدل على النطق قال تعالى : ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ (الأحزاب:٧٢)، والتعبير بقوله: ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ صريح فى القول، فلا داعى لحمل الآية على الحال، ولقد صرحت الآيات القرآنية بأن الجبال كانت تُسَبِّح مع داود.

وعن الشطر الثانى من السؤال: أنه وصفهما بالحال، وهو جمع العقلاء لأن الله خاطبهما بما يخاطب به العقلاء بقوله: ﴿ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ .

س٦: قال تعالى : ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ، إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ (فصلت:١٣، ١٤)، لقد أرسل الله إلى قوم عاد نبيهم هوداً، وأرسل إلى ثمود صالحاً، فلكل قوم رسول، فلماذا قال: ﴿جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ﴾ وجمع الرسل ؟ وقال: ﴿مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ أى: قبلهم، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ أى بعدهم؟

الجواب: أن كل رسول أتى بالأصول التى أتى بها جميع الرسل، فكأن الرسل جميعاً أتوا لكل قوم، والرسل قبل قوم عاد وثمود أتوا بهذه الأصول، وكذلك الرسل بعدهم أتوا بها، فنُزِّل

مجيء ما أتى به الرسول إلى قومه منزلة مجيء الرسل أنفسهم؛ لأنه أتى بما أتى به الرسل، فكأن الرسل السابقين جاءوهم وخاطبوهم، وسيأتى الرسل بعدهم إلى أقوامهم بالأصول التى أتى بها الرسل السابقون، فكأن الرسل الذين أتوا إلى الأقوام قبلهم والذين يأتون بعدهم إلى أقوامهم قد أتوهم؛ لأن الأصول واحدة وهى:

١- التوحيد . ٢- إثبات الرسالة. ٣- الدعوة إلى البعث.

٤- الدعوة إلى عبادة الله . ٥- الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة.

س٧: قال تعالى : ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ، حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (فصلت:٢٠) **وقال فى سورة الزمر:** ﴿حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ (الزمر:٧١).

فما سر مجيء «ما» فى الآية الأولى وعدم مجيئها فى الثانية ؟

الجواب: زيدت «ما» فى الآية الأولى للتوكيد لمناسبة التعبير بقوله ﴿أَعْدَاءُ اللَّهِ﴾ **أمّا فى الآية الثانية فلما لم يكن هناك توكيد جردها من الزيادة، واكتفى بقوله:** ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ .

س٨: قال تعالى : ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ (فصلت:٢٥)، **وقال تعالى :** ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ (مريم:٨٣)، **إن الله يرسل الرسل لهداية النَّاس، وينهاهم عن اتباع خطوات الشيطان، فكيف يهيِّء لهم قرناء من الشياطين تزين لهم وتغويهم؟ وكيف يرسل الله الشياطين على الكافرين تستأصل شأفتهم؟**

الجواب: لقد أرسل الله الرسل لجميع الأقوام، فلما أبوا وظلوا سادرين على كفرهم، مستمرين على باطلهم، مؤثرين الضلال على الهدى، مصرين على السير فى طريق الغواية، منعهم التوفيق والهداية بعد اختيارهم الضلالة، فلم يبق لهم إلاَّ قرناؤهم الشياطين يزينون لهم الكفر والضلال، والذى جزاؤه استئصالهم بالعذاب.

س٩: قال تعالى : ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ، وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (فصلت:٣٥، ٣٦).

وقال تعالى فى سورة الأعراف: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ، وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الأعراف:١٩٩، ٢٠٠).

ما سر ختم الآية الأولى بقوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ بزيادة ضمير الفصل «هـو» وزيـادة «أل» في «سميع» و«عليم» دون الآية الثانية؟

الجواب: قوله: في الآية الأولى: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ متصل بما قبله ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾، وهذا القول يشتمل على مؤكدين:

١- التكرار في قوله: «وما يلقاها». ٢- النفي بما والاستثناء بإلا وفي هذا القصر توكيد.

فلما أنهى الآية أنهاها بالتوكيد المناسب للتوكيد قبلها. وهو ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ بضمير الفصل وتعريف الطرفين: المبتدأ والخبر.

أمَّا الآية الثانية فليس فيها ما في الآية الأولى، فكانت المؤكدات أقل من الأولى.

س١٠: قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ (فصلت:٣٩)، **كيف تخشع الأرض والخشوع من صفات العقلاء؟**

الجواب: الخشوع: التذلل والتقاصر، واستعير لحال الأرض التي أصابها القحط، ونسفت الرياح نباتها بعد جفافه وحطامه، وأصبحت هامدة، فإذا نزل عليها الماء اهتزت عند تخلل الماء إليها وربت أي: انتفخت.

س١١: قال تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ (فصلت:٤٦).

«ظلاَّم» صيغة مبالغة، فنفى كثرة الظلم عن نفسه، وعلى حسب النص قد يقع من الله بعض الظلم -وحاشا لله- ذلك فإن الله حرمه على نفسه؟

الجواب: لقد جاء نفي الظلم على أبلغ وجه في هذا الموطن لما يأتي:-

١- الباء في قوله: «بظلام» مزيدة للتوكيد، وهي تؤكد نفي أيِّ ظُلْم عن الله ﷻ.

٢- التنكير في «ظلام» للتقليل، فلا يقع منه أدنى ظلم.

٣- وقوع النكرة «ظلام» في سياق النفي يفيد العموم.

بيد أن صيغة المبالغة أتت لأحد أمرين:

الأول: مراعاة للفظ العبيد فهو جمع.

الثاني: أنها ليست للمبالغة، بل هي للنسب كما تقول: «بقَّال» نسبة إلى البقالة، فنفى نسبة الظلم إليه ﷻ.

لطيفة: لو انتزعت هذه الجملة من موطنها، وانتزعت جملة ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾ (غافر:٣١)، بعيداً عن موطنها لأن كل جملة في موطنها هي أبلغ من غيرها إن حلت محلها، فلو

نزعناهما وقارنا بينهما لوجدنا آية سورة غافر أبلغ؛ لأن النفي فيها على الإرادة، فهو ينفي مجرد إرادة الظلم، فالنفي على مجرد إرادة الفعل قبل أن يكون له وجود.

س١٢: قال تعالى: ﴿لا يَسْأَمُ الإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾ (فصلت:٤٩)، **وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾** (فصلت:٥١).

كيف يقول في الأولى: ﴿فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾ وفي الثانية: ﴿فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ ؟

الجواب: لا منافاة بين الآيتين لما يأتي:-

١- معنى قوله: ﴿فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾ من الصنم الذي يعبده؛ لأنه لم يدفع عنه الضر، ولم يجلب له النفع، ويدعو الله عند اضطراره لأنه يتجه إلى خالقه بفطرته.

٢- قد يكون المعنى ﴿فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾ بقلبه كثير الدعاء بلسانه.

(٤٢) سورة الشورى

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: لقد انتهت سورة «فصلت» بقوله تعالى: **﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ، أَلا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾** (فصلت:٥٣ ، ٥٤).

ومعنى هذه النهاية أن القرآن حق، ويكفي أن الله شهيد على ذلك وعلى كل شيء، ومثل هذا الحق؛ الحق الوارد في هذه السورة أعني سورة الشورى وغيرها من سور القرآن يوحيه الله إليك وأوحاه إلى الذين من قبلك من الأنبياء.

س٢: قال تعالى: ﴿وَالْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الأَرْضِ﴾ (الشورى:٥)، **قوله: ﴿لِمَن فِي الأَرْضِ﴾ يعم الاستغفار المؤمن والكافر بل إن الكافر عليه لعنة الله والملائكة والنَّاس أجمعين، فكيف نفسر هذا العموم؟**

الجواب: الاستغفار يحتمل أمرين:

١- أن المراد بالاستغفار الاستغفار للمؤمنين، وهذا يفهم من قوله تعالى في سورة غافر: **﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾** فهذه الآية خصصت آية سورة الشورى.

٢- أن المراد بالاستغفار الاستغفار للمؤمنين والكافرين، فاستغفارهم للمؤمنين بطلب المغفرة لهم والرحمة بهم، واستغفارهم للكافرين بطلب الحلم عليهم، وأن لا يعاجلهم بالانتقام كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾ .

س٣: قال تعالى : ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ (الشورى:١٣).

أتى بما فيما وصى به نوحاً وأتى بها أيضاً فيما وصى به إبراهيم وموسى وعيسى. وأتى باسم الموصول مع وحي الله للرسول سيدنا محمد ﷺ، فما سر ذلك؟

و قال عما شرعه لنوح «وصى» وعما شرعه لإبراهيم وموسى وعيسى «وصينا» وعما شرعه لنبينا قال عنه ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ ؟

الجواب: أتى باسم الموصول بدل «ما» لتفخيم شأن القرآن وتعظيم أمره. وخص ما شرعه للرسول ﷺ بالإيحاء مع كونه ما قبله وما بعده ورد بالتوصية للتصريح برسالته ﷺ، وبأنها حق وأنها تتميز عن غيرها بأنها عامة وخاتمة. ومعنى ذلك أن أصول الشرائع واحدة وهي:

١- الدعوة إلى التوحيد. ٢- إثبات الرسالة. ٣- إثبات البعث.

٤- الدعوة إلى عبادة الله. ٥- الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة.

س٤: قال تعالى : ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (الشورى:٤٣).

وقال تعالى: في سورة لقمان: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (لقمان:١٧).

ما سر دخول اللام في الآية الأولى: ﴿لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ تعالى: وما سر عدم دخولها في الآية الثانية حيث قال: ﴿مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ ؟

الجواب: المكروه قد يكون شديداً وقد يكون أشد فموت الأخ ميتة طبيعية شديد وقتله على يد ظالم أشد.

فالمكروه في الآية الأولى كان أشد من الآية الثانية، ولهذا دخلت لام التوكيد، وهذا المكروه هو قوله: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ، أُوْلَئِكَ لَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ، وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ فالمكروه ظلم وبغي وقتل بغير حق. فأتت لام التوكيد.

وفي الآية الثانية المكروه هو صدود النَّاس عند أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وهذا شديد غير أنه لم يكن كالأول، فلهذا لم تأت «لا» للتوكيد.

س٥: قال تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ (الشورى:١٧).

وقال تعالى: في سورة الأحزاب: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ (الأحزاب:٦٣).

ما سر زيادة «تكون» في الآية الثانية؟

الجواب: زيدت «تكون» حتى تقع كلمة «قريباً» خبراً لها لتوافق فواصل الآيات، فكل الآيات قبلها وبعدها انتهت بالألف.

والآية الأولى أتت موافقة للفواصل، فلم تفتقر لزيادة «تكون»

س٦: قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاء قَدِيرٌ﴾ (الشورى:٢٩)، لِمَ قال: ﴿وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ﴾ فتكون في السموات والأرض مع أن الدواب في الأرض فقط؟

الجواب: يجوز أن ينسب الشيء في اللغة إلى جميع المذكورين وإن كان هذا الشيء خاصاً بالبعض كما في قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ (الرحمن:٢٢)، فإنّه يخرج من البحر دون النهر.

س٧: قال تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاء إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاء الذُّكُورَ ، أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاء عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ (الشورى:٥٠). ما سر تقديم «الإناث» على الذكور وتنكيرها؟ وما سر تأخير الذكور وتعريفها؟

الجواب: الإناث والذكور هبات من الله للناس، وقدم الإناث جبراً لهن وتكريماً، وليكون من كرههن فقد كره هبة الله فيكون جاحداً لتلك الهبة، ونكر الإناث لإفادة تفخيمهن وتعظيمهن، وهذا أعظم من التعريف في الذكور، وعرف الذكور لأنهم المشهورون المعروفون في مجتمعهم.

(٤٣) سورة الزخرف

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: لقد انتهت سورة الشورى بقوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ، صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾ (الشورى:٥٢ ، ٥٣).

فلقد جعل الله الوحى نوراً يهدى به من يشاء فقال: ﴿وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ﴾ ثم افتتح سورة الزخرف بالحديث عن هذا الوحى الذى جعله نوراً فقال: ﴿حم، وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ فأقسم به تعظيماً له وحثاً على التدبر فى آياته.

س٢: قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا﴾ (الزخرف:٤).

أم الكتاب هو اللوح المحفوظ، فما الحكمة فى هذا اللوح الذى سطر فيه ما كان وما هو كائن وما سيكون مع أن الله علاّم الغيوب لا يضل ولا ينسى؟

الجواب: هذا اللوح سطر الله فيه كل شيء عن مخلوقاته والملائكة تشاهد جميع الحوادث تقع على وفق ما سطر الله فيه وفى هذا آية على كمال علمه تعالى.

س٣: قال تعالى: ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ، لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ (الزخرف:١٢ - ١٤)، **جمع الظهور، وأتى بضمير المفرد المذكر ﴿عَلَى ظُهُورِهِ﴾، وقد تقدم الفلك والأنعام وكان السياق يقتضى أن يقول «على ظهورها» فما سر ذلك؟ وما سر اقتران «لمنقلبون» فى هذه الآية باللام وتجريدها منها فى قوله تعالى: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ، قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ (الشعراء:٤٩، ٥٠).**

الجواب: الضمير المفرد عائد إلى «ما» فى: «ما تركبون» و«ما» **لها اعتباران اعتبار باعتبار اللفظ، فاللفظ مفرد ولهذا أفرد الضمير فى ظهوره لاعتبار اللفظ وجمع ظهور باعتبار معنى «ما» فهو من ألفاظ العموم وهذا هو الاعتبار الثانى.**

واقترنت كلمة «لمنقلبون» باللام فى الآية الأولى وهى من سورة الزخرف لأن ما فى الآية الأولى عام لمن ركب سفينة أو دابة أو غير ذلك، فأتت اللام للعموم، وما فى الآية الثانية من سورة الشعراء ليس الأمر فيه للعموم، بل هو خاص بسحرة فرعون الذين آمنوا فقالوا: «إلى ربنا منقلبون» على مركب آخر هو الجنازة فهذا ليس فيه عموم.

س٤: قال تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ (الزخرف:٣٢). **هذه الآية تثبت أن الله قسم معيشة العباد وبعضهم يعيش من حلال وبعضهم يعيش من حرام، ينطق بذلك الواقع الدنيوى، فهل قسم الله**

الحرام؟ و لقد وردت «سُخْرياً» بضم السين ووردت فى سورتى (المؤمنون)[1] و(ص)[2] بكسر السين، فما سر ذلك؟

﴿الله﴾ **الجـواب:** يقول الزمخشرى: (الله تعالى: قسم لكل عبد معيشته، وهى مطاعمه ومشاربه وما يصلحه من المنافع، وأذن له فى تناوله ولكن شرط عليه وكلفه أن يسلك فى تناولها الطريق التى شرعها، فإذا سلكها فقد تناول قسمته من المعيشة حلالاً، وسماها رزق الله، وإذا لم يسلكها تناولها حراماً، وليس له أن يسميها رزق الله، فالله تعالى: قاسم المعايش والمنافع، ولكن العباد هم الذين يُكسبونها صفة الحرمة بسوء تناولهم، وهو عدولهم فيه عما شرعه الله إلى ما لم يشرعه)[3].

ووردت كلمة «سُخريا» بالضم فى الزخرف، وبالكسر فى المؤمنون وص، وهى قراءات ولغات، بيد أنها بمعنى واحد وهو الاستهزاء، أو أن «سخريا» بالضم بمعنى أن يستخدم بعضهم بعضاً، فالغنى يستخدم الفقير، والقوى يستخدم الضعيف، والحر يستخدم العبد، وبهذا تتم مصالح أهل الدنيا[4].

س٥: قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ، وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ (الزخرف:٣٦ ، ٣٧)

لماذا أفرد فاعل الفعل «يعش» وهو «هو» وأفرد فى «له» وجمعه وأتى بضمير «شيطاناً» مجموعاً مع أنهما مفردان وهذا الجمع فى قوله: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ﴾ ؟

﴿الله﴾ **الجـواب:** أفرد فاعل «يعش» وجعله مفرداً وأفرده فى «له» مراعاة للفظ «مَنْ» فاللفظ مفرد وجمعه فى قوله: «إنهم» مراعاة لمعنى «مَنْ» فهى تفيد العموم . وجمع الضمير العائد على المفرد وهو الشيطان، لأنه جنس ومبهم فيفيد العموم فقال «يصدونهم».

س٦: قال تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ (الزخرف:٥٧).

وردت «يصِدُّون» بكسر الصاد، وفى السؤال السابق وردت «يصُدُّون» بضم الصاد، فما الفرق؟

﴿الله﴾ **الجواب:** («يصِدون» بكسر الصاد، وقرأ نافع وابن عامر والكسائى بضمها، قال الكسائى والفراء والزجاج والأخفش : هما لغتان ومعناهما: يضجون، قال الجوهرى: صد يصد صديداً، أى

---

(١) سورة المؤمنون: ١١٠

(٢) سورة ص: ٦٣

(٣) الكشاف جـ ٣ ص٤١٨.

(٤) انظر: "فتح القدير" جـ ٤ ص٦٩١

ضج، وقيل: إنها بالضم: الإعراض، وبالكسر من الضجيج، قاله قطرب)[1].

س٧: قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ﴾ (الزخرف:٦٣). **لماذا لم يبين لهم كل ما اختلفوا فيه بل بين البعض فقط؟**

الجواب: أن ما اختلفوا فيه أمران: أمر الدين وأمر الدنيا، فبعث عيسى لبيان أمر الدين وليس لبيان أمر الدنيا وهو المراد بالبعض، أمّا القرآن فأتى لبيان الأمرين: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾.

س٨: قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ، لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ، وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ، وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾ (الزخرف:٧٤ - ٧٧) ، **كيف يقول عنهم: ﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ أي: يائسون واليائس لا ينادى أحداً حتى ينقذه أو يخفف عنه وهم نادوا مالكاً؟**

الجواب: **الأزمنة مختلفة والأحقاب ممتدة فتختلف أحوالهم، فيسكتون أوقاتاً لغلبة اليأس عليهم لعلمهم أنه لا فرج لهم، وأوقاتاً يستغيثون لشدة ما بهم من الآلام.**

(٤٤) سورة الدخان

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: **يقول البقاعي: (لما ختمت الزخرف ببشارة باطنة ونذارة ظاهرة، وكان ما بشر به سبحانه من علم العرب وسلامتهم من غوائل ما كانوا فيه مستبعداً، افتتح هذه بمثل ذلك مقسماً عليه فقال: ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾)[2].**

و قال أبو حيان (إنه ذكر فى أواخر ما قبلها ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ فذكر يوماً غير معين ولا موصوفاً فبين فى أوائل هذه السورة – أى الدخان – ذلك اليوم بوصف وصفه فقال: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾)[3].

(١) فتح القدير جـ ٤ ص٧٠٠

(٢) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور جـ ١٨ ص١

(٣) البحر المحيط جـ ٨ ص٣٢

س٢ : قال تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ، وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ، وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾ (الدخان: ٢٥ – ٢٧)، و قال تعالى: في سورة الشعراء: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ، وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ، كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (الشعراء: ٥٧ – ٥٩)، **ما سر اختلاف الأسلوب في الآيات الأولى والثانية؟**

الجواب: لقد بينت الآيات الأولى أن قوم فرعون تركوا جنات كثيرة ومنازل حسنة ومجالس جميلة، وكانوا يتنعمون بهذه النعم ويتفكهون بها، فالنعمة بفتح النون من التنعم، وبكسرها بمعنى الإنعام، والآيات الأخرى بينت أنهم لم يتركوا تلك الجنات عن طيب خاطر، بل إن الله هو الذى أخرجهم منها، وبينت أن التنعم بالجنان والزروع والثمار كان معه أموال كثيرة وهي الكنوز.

س٣ : قال تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ (الدخان: ٢٩).

كيف تبكى السماء والأرض؟

الجواب: من وجوه:

الأول: أنه من قبيل التهكم بهم وبحالهم المنافى لحال من يُعَظَّم فقده، فيقال فيه «بكت عليه السماء والأرض».

الثاني: أن الكلام على تقدير فما بكى عليهم أهل السماء وأهل الأرض.

الثالث: أن السماء والأرض تبكيان حقيقة ولم تبكيا على آل فرعون (عن عباد بن عبد الله قال: سأل رجل علياً رضي الله عنه: هل تبكى السماء والأرض على أحد؟ فقال له: لقد سألتنى عن شيء ما سألنى عنه أحد قبلك، إنه ليس من عبد إلاّ له مصلىً فى الأرض ومصعد عمله من السماء، وإن آل فرعون لم يكن لهم عمل صالح فى الأرض ولا عمل يصعد فى السماء، ثم قرأ عليٌّ رضي الله عنه: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾.
وقال ابن جرير: حدثنا أبو كريب حدثنا طلق بسنده عن سعيد بن جبير قال: أتى ابن عباس رجل فقال: يا أبا عباس: أرأيت قول الله: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ فهل تبكى السماء والأرض على أحد؟ قال: نعم، إنه ليس أحد من الخلائق إلاّ وله باب فى السماء منه ينزل رزقه، وفيه يصعد عمله، فإذا مات المؤمن فأغلق بابه من السماء الذى كان يصعد فيه عمله وينزل منه رزقه بكى عليه، وإذا فقد مصلاه من الأرض التى كان يصلى فيها ويذكر الله فيها بكت عليه، وإن قوم فرعون لم

تكن لهم فى الأرض آثار صالحة، ولم يكن يصعد إلى الله منهم خير فلم تبك عليهم السماء والأرض)[1].

و لقد ذكر العلماء أن بكاء السماء احمرارها وتصير وردة كالدهان.

س٤: قال تعالى: ﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (الدخان:٣٢). هذه الآية تبين أن الله اختار بنى إسرائيل وفضّلهم على العالمين، مع أن أمة سيدنا محمد ﷺ هى خير الأمم؟

الجواب: أن المراد: اختارهم على عالمى زمانهم وذلك لكثرة أنبيائهم، أمّا أمة الرسول ﷺ فقال الله عنها: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ﴾ (آل عمران:١١٠)، وقال فى شأن بنى إسرائيل ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ. كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ (المائدة:٧٨ ، ٧٩).

س٥: قال تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ مَوْتَتُنَا الأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾ (الدخان:٣٥).

و قال تعالى: فى سورة الصافات: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ، إِلاَّ مَوْتَتَنَا الأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ (الصافات:٥٨ ، ٥٩)، ما سر رفع كلمة «موتتنا» فى الآية الأولى ونصبها فى الثانية؟

الجواب: أتى الاستثناء فى الآية الأولى مفرّغاً أى: أتى منفياً بـ «إنْ»، فهى بمعنى «ما» وغير تام أى ناقصاً لم يذكر فيه المستثنى منه، فيعرب المستثنى بحسب موقعه من الكلام، فقد يقع خبراً لمبتدأ كما فى الآية الأولى، فموتتنا خبر الضمير «هى»، وقد يقع فاعلاً وقد يقع مفعولاً به، وقد يقع حالاً إلى غير ذلك، وفى الآية الثانية الكلمة منصوبة على الاستثناء.

س٦: قال تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ مَوْتَتُنَا الأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾.

هذه الآية تبين أن هؤلاء القوم وعدوا موتة ثانية حتى نفوها وجحدوها، فكانت هناك موتة أولى وثانية، فهلا كان السياق أن يقال: «إن هى إلاّ حياتنا الأولى وما نحن بمنشرين» على غرار قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ (الأنعام:٢٩) ؟

الجواب: يقول العلامة الزمخشرى – رحمه الله –: (قلت: معناه والله الموفق للصواب أنه قيل لهم – لهؤلاء الكفرة –: إنكم تموتون ميتة تتعقبها حياة كما تقدمكم موتة أعقبتها حياة، وذلك قوله: ﷻ ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ فقالوا «إن هى إلاّ موتتنا الأولى»

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٧ ص٢٥٤ بتصريف

دون الموتة الثانية، وما هذه الصفة التى تصفون بها الموتة من تعقب الحياة إلاّ للموتة الأولى خاصة، فلا فرق إذاً بين هذا وبين قوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا ﴾ فى المعنى)[1].

ولقد ذهب الشوكانى إلى أن الموت موتة واحدة، وليس هناك موتة أخرى، والمعنى: (ما هى إلاّ موتتنا الأولى التى نموتها فى الدنيا، ولا حياة بعدها ولا بعث وهو معنى قوله: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾ أى: بمبعوثين، وليس فى الكلام قصد إلى إثبات موتة أخرى، بل المراد: «ما العاقبة ونهاية الأمر إلاّ الموتة الأولى المزيلة للحياة الدنيوية، قال الرازى: المعنى: إنه لا يأتينا من الأحوال الشديدة إلاّ الموتة الأولى)[2].

س٧: قال تعالى: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ (الدخان:٣٧). **الضمير فى «أهم» يعود على قوم فرعون وهم كفار، وقوم تبع كفار وليس فى أحدهما خير فكيف يقول ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ ؟ والكفر أكبر الكبائر فلم وصف الكفرة بالمجرمين ولم يصفهم بالكافرين؟**

الجواب: أما الشطر الأول من السؤال: فالمراد بالخيرية القوة والشوكة والمنعة، والمعنى: أَهُمْ أقوى وأشد منعة أم قوم تبع؟ والاستفهام مراد به الإنكار.

أمَّا الشطر الثانى فنقول: نعم الكفر أكبر الكبائر، والكفار ليسوا فى مقام واحد، فقد يكون الكافر معتدلاً فى سلوكه، وقد يكون الكافر مبالغاً فى ارتكاب جميع المعاصى مع الكفر، وهذا يضيف إلى وصفه بالكفر وصفاً آخر هو الإجرام، فالتعبير بالمجرمين زاد وصفاً آخر مع الكفر.

س٨: قال تعالى: ﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ، ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾ (الدخان:٤٧، ٤٨). **وقال الله تعالى: ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾** (الحج:١٩).

الصب وهو الإفراغ يكون للحميم، وهو الماء الحار الذى وصل إلى أعلى درجات الغليان، فكيف يصب العذاب فى الآية الأولى؟

الجواب: لقد جعل الصب للعذاب بدل الحميم فى هذه الآية ليكون أهول وأهيب، وجاء العذاب متعلقاً بالصب على سبيل الاستعارة.

س٩: قال تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ (الدخان:٤٩). **كيف يكون عزيزاً كريماً وهو فى جهنم ذليل معذب؟**

(١) الكشاف جـ ٣ ص٥٠٥ بتصريف

(٢) فتح القدير جـ ٤ ص٧١٨ ، ٧١٩

ﷺ الجواب: هذا الكلام على جهة الاستهزاء والتهكم.

س١٠: قال تعالى: ﴿لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ (الدخان:٥٦) ، **إنها موتة واحدة فلماذا قال الموتة الأولى وهو لفظ يشعر بأن هناك أخرى؟**

الجواب: (فيه أوجه: **أحدها:** أنه استثناء منقطع، ومعنى «إلا» أي: لكن الموتة الأولى قد ذاقوها. **ثانيها:** أنه متصل، وتأولوه بأن المؤمن عند موته فى الدنيا يصير بلطف الله كأنه فى الجنة لاتصاله بأسبابه ومشاهدته إياها وما يعطاه من نعيمها، فكأنه مات فيها. **ثالثها:** أن «إلا» بمعنى سوى، أى سوى الموتة التى ذاقوها فى الدنيا كما فى قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاء إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ أى: سوى ما قد سلف . **رابعها:** أن «إلا» بمعنى «بعد». أى لا يذوقون فيها الموت بعد الموتة الأولى فى الدنيا واختاره الطبرى لكن نوزع بأن «إلا» بمعنى بعد لم يثبت، وقد يجاب بأن من حفظ حجة على من لم يحفظ. **خامسها:** قال الزمخشرى: أريد أن يقال: لا يذوقون فيها الموتة البتة، فوضع قوله: «الموتة الأولى» موضع ذلك، لأن الموتة الماضية محال ذوقها فى المستقبل، فهو من باب التعليق بالمحال. **سادسها:** المراد بالمتقين أعم من الراسخين وغيرهم، وأن الضمير «فيها» يرجع للآخرة، فالعاصى إذا أراد تعذيبه بالنار فإنه يذيقه فيها موتة أخرى كما جاء فى الأحاديث الصحيحة، فيكون على المجموع . **سابعها** : أن الموتة الأولى فى الجنة المجازية، فلا يكون ذلك بالمحال، وذلك أن المتقى لم يزل فيها فى الدنيا، قال بعض العلماء: الدنيا إذا تحققت فى حق المؤمن التقى، فإنها جنة صغرى لتوليه سبحانه إياه فيها وقربه منه ونظره إليه وذكره له وعبادته إياه وشغله به، وهو معه أينما كان)[1].

﴿(٤٥) سورة الجاثية﴾

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: لقد سبق أن تحدث الله فى آخر سورة الدخان عن القرآن وأنه يسره بلسان رسوله الذى أنزل عليه فقال: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ، فَارْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾ ثم شرع فى أول سورة الجاثية فى الحديث عن القرآن وأنه تنزيل من الله العزيز الحكيم. فغيره يعجزه أن ينزل مثل هذا الكتاب المعجز.

س٢: قال تعالى: ﴿وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاء مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾

(١) السراج المنير جـ ٣ ص٥٩٠ – ٥٩١.

(الجاثية:٥) **الذى ينزل من السماء ويحيى الأرض بعد موتها هو المطر، فلماذا عبَّر عنه بالرزق؟**

الجواب: لقد سمى الله المطر رزقاً على سبيل المجاز؛ لأن المطر سبب الرزق للدلالة على أنه بقدر.

س٣: قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ، يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ، وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ، مِن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْئًا وَلا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (الجاثية:٧ – ١٠) **وصف العذاب فى الآية بأوصاف ثلاثة: «أليم» و«مهين» و«عظيم» وهذا تكرار؟**

الجواب: ليس فى الآية ولا فى وصف العذاب تكرار، وإنما وصفه بالوصف الأول بصيغة المبالغة «أليم» أى كثير الألم الذى ليس بعده غاية فى الألم، ووصفه بقوله «مهين» أى: ذو إهانة شديدة، ووصفه بقوله: «عظيم» أى بالغاً أقصى غايات الضرر، فلا يدع هذا العذاب جهة من جهاتهم، ولا زماناً من أزمانهم، ولا عضواً من أعضائهم، إلاَّ غمره وتغلغل فيه، وليس فى ذلك تكرار لوصف العذاب، فكل وصف أتى ليعطى معنى غير ما يعطيه الوصف الآخر.

س٤: قال تعالى: ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ﴾ (الجاثية:١٧).

العلم يرفع الخلاف، فكيف يصير مجيئه سبباً للاختلاف؟

الجواب: قبل هذه الجملة قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الأَمْرِ﴾، وهذه البينات هى الشرائع الموضحات الحلال والحرام، أو أنها البينات الدَّالاَّت على مبعث النبى محمد ﷺ، فما وقع الاختلاف بين بنى إسرائيل إلاَّ بعد مجىء هذه الآيات البينات بين آخذ لها ومعرض عنها، أو بين محرِّفٍ لها ومحتفظ بصحتها، أو أن (المراد بالعلم هو نبيهم يوشع بن نون، فإنَّه آمن به بعضهم وكفر بعضهم)[١].

س٥: قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ﴾ (الجاثية:٢٣)، **و قال تعالى: فى سورة البقرة:** ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ (البقرة:٧)،

ما سر تقديم السمع على القلب فى الآية الأولى وتقديم القلوب على الأسماع فى الثانية؟

الجواب: (الإنسان يسمع كلاماً فيقع فى قلبه فالسمع مقدم فى الرتبة لأنه من الحواس التى

(١) فتح القدير جـ ٥ ص٨ بتصريف

هى بريدية القلب، والمذكورون هنا من الكفار غير أولئك المذكورين فى البقرة، فكفار مكة كانوا قد أشربوا بغض رسول الله ﷺ وتمكنت الكراهية من قلوبهم، فقدم القلوب فى البقرة على السمع. ثم إنهم شرعوا يلقون إلى النّاس أن النبى ﷺ شاعر أو كاهن أو مجنون، ممن كان لا يعرفه فكان قولهم يصل أولاً إلى السمع، ثم ينتقل إلى القلب فيؤثر فيه النفرة عنه ﷺ، ففى سورة البقرة كان الأثر يصعد من القلب أولا، فإذا وعظوا اتصل بالسمع، وأمّا هنا فالأثر يصل إلى السمع أولا ثم ينتقل إلى القلب، فلا جرم حسن الترتيبان فيهما)[1].

س٦: قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ، قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ﴾ (الجاثية:٢٥ ، ٢٦)، **هؤلاء منكرون للبعث وقولهم: ﴿ائْتُوا بِآبَائِنَا﴾ لا صحة له، فلماذا سماه الله حجة وهو ليس بحجة؟ ولماذا أتى الجواب مخالفاً لما سألوه؟**

الجواب: والجواب عن الشطر الأول من وجوه:

١- سمى كلامهم حجة على سبيل التهكم بهم.

٢- أو سماه حجة جرياً على اعتقادهم بأنه حجة.

٣- المراد نفى أن تكون لهم حجة أصلاً كأنه قيل ما كان حجتهم إلاّ ما ليس بحجة.

وأما عن الشطر الثانى من السؤال فجوابه:

لما كان هؤلاء منكرين للبعث، وظنوا أن ما قالوه حجة ألزموا بما هو مقرون به من أن الله ﷻ يحييهم ثم يميتهم، وضم إلى إلزام ذلك إلزام ما هو واجب الإقرار به إن أنصفوا وقالوا الحق، وهو جمعهم يوم القيامة.

س٧: قال تعالى: ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ، هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ﴾ (الجاثية:٢٨ ، ٢٩)، **هذا مشهد من مشاهد القيامة، والجثو على الركب من سمة الخائف الوجل الذليل، ومما لا شك فيه أن المؤمنين كذلك كما صرحت الآية، والله يقول عن المؤمنين فى هذا اليوم:** ﴿يَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ (الزخرف:٦٨)؟

الجواب: وصفت الآية كل أمة بالجثو يوم القيامة والمؤمنون كذلك وهذا وصف تشترك فيه

---

(١) الروض الريان فى أسئلة القرآن جـ ٢ ص٤٠٩

كل الأمم، وهذا هول من أهوال يوم القيامة، إلى أن يظهر المحق من المبطل، فيقوم المؤمنون ويظل المبطلون على جثوهم، وبعدها لا خوف على المؤمنين.

س٨: قال تعالى: ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ، هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ . **ما سر إضافة الكتاب إلى ضمير «أمة» ثم أضافه الله إلى نفسه فقال: «كتابها» و«كتابنا» ؟**

الجواب: أضاف الكتاب وهو صحائف الأعمال للأمة أى لكل فرد فيها، لأنه يشتمل على كل الأعمال فحسنت الإضافة وأضافه الله إلى نفسه لأنه الآمر ملائكته بكتابته واستنساخه.

س٩: قال تعالى: ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ (الجاثية:٣٤).

وقال تعالى: ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ (السجدة:١٤). **وقال تعالى:** ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى، قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى﴾ (طه:٥١، ٥٢)، **ما السر فى إسناد الله النسيان إلى نفسه فى الآيتين الأولى و الثانية ونفيه فى الآية الثالثة؟**

الجواب: الله منزه عن النسيان، وهو محال عليه عقلاً ونقلاً، فالنقل ما صرحت به الآية الثالثة، وقد أسند الله النسيان إلى نفسه لأمور:

الأول: أنه من باب المشاكلة كما فى قوله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ﴾ (الأنفال:٣٠). وأتت المشاكلة ليكون جزاؤهم من جنس عملهم، وهو إهمالهم كما أهملوا وحى الله.

الثانى: أن النسيان بمعنى الترك، ومعنى الآية: إنا نترككم ونهملكم وهو عذاب، كما تركتم الإيمان بهذا اليوم.

الثالث: أننا لا نبالى بكم لهوانكم كما لم تبالوا بلقاء يومكم هذا ولم تلتفتوا إليه.

(٤٦) سورة الأحقاف

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: يقول أبو حيان: (ومناسبة أولها لما قبلها أن فى آخر ما قبلها: ﴿ذَلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾ ، وقلتم: إنه عليه الصلاة والسلام اختلقها، فقال فى أول هذه السورة: ﴿حم، تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ ، وهاتان الصفتان هما آخر تلك - أى: سورة الجاثية -، وهما أول هذه - أى الأحقاف-)[1].

(١) البحر المحيط جـ ٨ ص٥٤ بتصريف

﷽ **س٢: قال تعالى:** ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ (الأحقاف:٥)، **ما معنى:** ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ﴾ ؟

﴿الله﴾ **الجواب:** هذا استفهام إنكارى، ومعناه: لا أبلغ فى الضلال من عبدة الأوثان والأصنام، فهم يتركون خالقهم السميع العليم الذى بيده ملكوت كل شىء، ويدعون جمادات لا قدرة لها ولا تملك ضراً ولا نفعاً، بل صنعوها بأيديهم.

﷽ **س٣: قال تعالى على لسان النبى ﷺ:** ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ﴾ (الأحقاف:٩). **ما معنى هذه الآية وهل يشك الرسول وهو مرسل من قبل الله؟**

﴿الله﴾ **الجواب:** المعنى: ما أدرى ما يفعل بى فيما يستقبل من الزمان، هل سأبقى بمكة أم سأهاجر؟ وظل الأمر بالنسبة للهجرة غيبياً حتى أذن الله له، ومن قال بغير هذا المعنى فإن الآية منسوخة، بقوله: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ (الفتح:٢).

﷽ **س٤: قال تعالى:** ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾ (الأحقاف:١٠). **الضمير فى «مثله» يعود على القرآن ، فهل للقرآن مثل؟**

﴿الله﴾ **الجواب: الذى شهد شهادة حق على أن القرآن من عند الله، وأن الرسول ﷺ مرسل من قبل الله، هو عبد الله بن سلام. والمراد بالمثل المعانى المطابقة لمعانى القرآن من التوحيد والوعد والوعيد والحجج الدالة على صدق الرسول ﷺ .**

﷽ **س٥: قال تعالى:** ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ﴾ (الأحقاف:١٦)، **أفعل التفضيل يدل على أن المتقبل هو الأحسن أمَّا الحسن فلا، والله يقبل من العدل الحسنة ولو كانت بعدل تمرة؟**

﴿الله﴾ **الجواب:** أفعل التفضيل ليس على بابه من التفضيل فمعناه: «نتقبل عنهم الحسن من أعمالهم» .

﷽ **س٦: قال تعالى:** ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ (الأحقاف:١٩) **التنوين فى «لكل» عوض عن محذوف، والتقدير: لكل الفريقين أهل الجنة وأهل النار درجات، والنار ليست درجات بل هى دركات؟**

﴿الله﴾ **الجواب:** أتى الأسلوب على سبيل التغليب لشرف درجات الجنة وتفهم دركات النار من السياق.

﷽ **س٧: قال تعالى:** ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ

﴿وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا﴾ (الأحقاف:١٥)، ما سر ذكر حمل الأم ووضعها وإرضاعها مع أنه ذكرها مع الوالد؟ والمراد من الآية بيان مدة الرضاع فلِمَ عبَّر عنه بالفصال؟ وهل بينت الآية مدة الحمل؟

﴿الله﴾ **الجواب: أمَّا الجزء الأول من السؤال**: فإنَّه فسر ذكر حمل الأم ووضعها وإرضاعها لبيان أن حق الأم أعظم، فلقد ذكر الوالدين معاً ثم خص الأم بالذكر للدلالة على عظم حقها.

أمَّا الجزء الثانى من السؤال : فإنه عبر عن مدة الرضاع بالفصال لتكون العبارة على أبلغ وجه من ذكر مدة الرضاع، فذكر الفصال ومعناه الفطام من الرضاع للدلالة على إتمام مدة الرضاعة؛ لأن إتمامها يليه الفصال ويلابسه .

أمَّا الجزء الثالث من السؤال: فقد أشارت الآية إلى أقل مدة للحمل وهى ستة أشهر؛ لأن الله قال: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ (البقرة:٢٣٣)، والحولان أربعة وعشرون شهراً تحسم من ثلاثين شهراً هى حمله وفصاله، فتبقى ستة أشهر هى مدة الحمل، وأكثر مدة للحمل هى أربع سنوات، وهذا مذهب الشافعى، ولقد اطلعت على صحيفة الأخبار المصرية فيها خبر عن امرأة ألمانية استمر حملها أربع سنوات.

لطيفة:

(قال محمد بن إسحاق بن يسار عن يزيد بن عبد الله بن قسيط: عن بعجة بن عبد الله الجهني قال: تزوج رجل منا امرأة من جهينة، فولدت له لتمام ستة أشهر، فانطلق زوجها إلى عثمان رضي الله عنه، فذكر ذلك له، فبعث إليها فلما قامت لتلبس ثيابها بكت أختها، فقالت: ما يبكيك، فوالله ما التبس بي أحد من خلق الله تعالى: غيره قط، فيقضي الله ﷻ فيَّ ما شاء، فلما أتى بها عثمان رضي الله عنه أمر برجمها، فبلغ ذلك علياً رضي الله عنه، فأتاه فقال له: ما تصنع؟ قال: ولدت تماماً لستة أشهر وهل يكون ذلك؟ فقال له علي رضي الله عنه: أما تقرأ القرآن؟ قال: بلى، قال أما سمعت الله ﷻ يقول: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا﴾ وقال: ﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ فلم نجده بقي إلاَّ ستة أشهر، قال: فقال عثمان رضي الله عنه: والله ما فطنت بهذا، عليَّ بالمرأة، فوجدوها قد فرغ منها، قال، فقال معمر: فوالله ما الغراب بالغراب، ولا البيضة بالبيضة بأشبه منه بأبيه، فلما رآه أبوه قال: ابني والله لا أشك فيه، قال: وابتلاه الله تعالى بهذه القرحة بوجهه الآكلة، فما زالت تأكله حتى مات)[1].

---

(١) تفسير ابن كثير جـ٧ ص٢٨٠ بتصريف ورواه ابن المنذر وابن أبى حاتم

ﷺ **س٨: قال تعالى:** ﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (الأحقاف:٣٠).

القرآن أنزل من بعد عيسى، فكيف قال الجن: ﴿أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى﴾ ؟

﴿الله﴾ **الجواب:** من وجهين:

الأول: أن هؤلاء الجن كانوا على اليهودية.

الثاني: ذهب بعض العلماء إلى أن هؤلاء الجن لم يسمعوا بأمر عسى.

ﷺ **س٩: قال تعالى:** ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (الأحقاف:٣١). **ما سر التبعيض فى قوله: ﴿مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ ولماذا لم يقل: «يغفر لكم ذنوبكم»؟**

﴿الله﴾ **الجواب:** من وجهين:

الأول: أن «مِنْ» ليست للتبعيض، ويمكن حملها على أنها مزيدة للتوكيد؛ لأنهم إذا دخلوا فى الإسلام فإن الإسلام يَجُبُّ ما قبله.

الثانى: أنها للتبعيض، والمراد بالذنوب التى يغفرها الله الذنوب المتعلقة بالخالق، أمَّا الذنوب المتعلقة بالآدميين فإن الله لا يغفرها، ويجوز أن تكون زائدة للتوكيد.

لطيفة: **ذهب الإمام أبو حنيفة إلى أنه لا ثواب للجن إلاَّ النجاة من النار، ومع احترامنا لإمامنا فإنا نقول: إن لهم جناناً ونعيماً لما يأتى:**

١- أنه إذا كان هناك عذاب للعاصى، فإنَّه يقابله ثواب ونعيم للطائع.

٢- لقد قال الجن ﴿وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ولم يذكروا الثواب والجنة لأن درء المفاسد مقدم على جلب المنافع.

٣- قال تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَـذَا قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ، ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ، وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾ (الأنعام:١٣٠ – ١٣٢).

وبيان دليل هذه الآية: أن التنوين فى قوله: «ولكلٍّ» عوض عن مضاف محذوف للعلم به، وتقديره: ولكل فريق من الجن والإنس درجات . ولو قيل إن المراد بالفريقين المؤمنون والكافرون فهذا ليس بقوى؛ لأن الله قال: «درجات»، فالمؤمنون لهم درجات أمَّا الكافرون

فلهم دركات.

٤- قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ (الرحمن:٤٦).

أى: لكل خائفين من الفريقين جنتان: جنة للخائف الإنسى وجنة للخائف الجنى.

(٤٧) سورة محمد

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: لقد سبق أن تحدث الله فى سورة الأحقاف عن الأدلة الدالة على وحدانيته وعلى صدق رسالة رسوله، وصارت تلك الأدلة كالشمس فى سطوعها ووضوحها، وأنه لا يزيغ عنها إلاً هالك، وختمها بأنه لا يهلك بعد هذه الأدلة إلاً القوم الفاسقون. افتتح سورة محمد بالتعريف بهؤلاء الفاسقين فقال ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ .

س٢: قال تعالى: ﴿فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ (محمد:٤).

علام انتصب المصدر «ضرب»؟ ولِمَ خص الرقاب دون بقية الأعضاء الأخرى؟

الجواب: أمَّا الشطر الأول من السؤال: فإن هذا إيجاز بالحذف، وأصل الكلام: «فاضربوا الرقاب ضرباً»، فحذف الفعل وقُدِّم المصدر، فأنيب منابه مضافاً إلى المفعول «الرقاب»، ومع الإيجاز جاء الكلام مؤكداً لأن ذكر المصدر الذى يدل على الفعل المحذوف يدل على التوكيد، فهو مفعول مطلق.

وأما الشطر الثانى: فإن المقصود من الضرب هو القتل وإزالتهم من وجه الأرض، وهذا لا يتأتى إلاً بضرب الرقاب، وهذا القتل أشنع لأن فيه حز العنق وتطيير الرأس عن البدن وهذا هو المقصود، وليس المقصود دفعهم كما فى الصيال، فإن ما يدفع الصائل المعتدى لا ينبغى أولاً أن يقصد قتله بل يتدرج من الأخف إلى الخفيف إلى الثقيل، فإن اندفع سكن الدافع ولا يرقى إلى درجة الإهلاك، أمَّا إذا وجد الصائل سيقتله فإنَّه لا مناص من قتله.

س٣: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ (محمد:٨).

علام انتصبت كلمة «تعسا» ؟

الجواب: هذا مصدر مفعول مطلق لفعل محذوف أتى على سبيل التوكيد، والفعل محذوف تقديره: فتعسوا، وهذا الفعل المحذوف خبر الاسم الموصول السابق، واقترن الفعل المحذوف والذى دل عليه المصدر «تعساً» بالفاء تشبيهاً للمبتدأ بالشرط، والتعس هو الانحطاط والعثار، وهو

أن يجر على وجهه، وهو ضد النكس وهو أن يجر على رأسه.

س٤: قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَى لَهُمْ﴾ (محمد:١١).

و قال تعالى: ﴿رُدُّواْ إِلَى اللَّهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ أَلاَ لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ (الأنعام:٦٢).

الآية الأولى تنفي أن الكافرين لا مولى لهم، والآية الثانية تثبت أن الخلق جميعاً مولاهم الله الحق لأن الضمير في «ردوا» عائد إلى الخلق، فكيف ندرأ هذا التناقض؟

الجواب: أن الكافرين لا مولى لهم والمراد بالمولى في الآية الثانية المالك أو المعبود أو الناصر، والمعنى: «ردوا إلى مالكهم الحق»، ولا تناقض.

س٥: قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ (محمد:١٣).

ما سر الإفراد والتأنيث في قوله: «أخرجتك» وسر الجمع المذكر ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ فَلا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ ؟

الجواب: أفرد وأنّث الفاعل الضمير المستتر «هي» في «أخرجتك» مراعاة للفظ قرية. وجمع وذكّر ضمير الغائبين في «أهلكناهم» و«لهم» مراعاة للمحذوف، فالمراد أهل القرية والتقدير: «وكم من أهل قرية أهلكناهم».

س٦: قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ (محمد:١٥). **هذه الآية أطلقت الخمر دون أن تجعلها مغايرة لخمر الدنيا؟**

الجواب: من وجهين:

١- لقد ميز الله ماء الجنة عن ماء الدنيا بأنه غير آسن غير متغير الطعم والرائحة، فكلمة «آسن» من الفعل «أسن الماء»: إذا تغير طعمه ورائحته، فيكون معنى «غير آسن»: غير متغير الطعم والرائحة ولقد وصفه الله في آية أخرى فقال: ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً﴾، والسلسبيل اسم لماء في الجنة في غاية السلاسة حديد الجرية يسوغ في حلوقهم، قال حسان بن ثابت:

يسقون من ورد البريص عليهم ∴ كأساً يصفق بالرحيق السلسل

فمعناه في الآية: ماء طيب لذيذ لا طعم له ولا رائحة.

و ميز لبنها عن لبن الدنيا بأنه لم يتغير طعمه لا بحموضة ولا غيرها، وميز عسلها عن عسل الدنيا بأنه مصفى رغم أنه يجرى في نهر إلاّ أنه لا يخالطه شمع ولا غبار ولا ورق شجر فهو مصفى، ولما تحدث عن تلك الأنهار، وذكر أنها مغايرة لأشباهها في الدنيا. ذكر الخمر مغايرة

لخمر الدنيا اعتماداً على السابق واللاحق بأنه مغاير، فهى من باب أولى مغايرة، فلا يصيبهم من الخمر شىء من آفات خمر الدنيا كالثمالة والدوار وذهاب العقل والقىء وغير ذلك.

٢- لم يذكر الله أن الخمر مغايرة لخمر الدنيا اعتماداً على ذكر ذلك فى مواطن أخرى، منها: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِن مَّعِينٍ، بَيْضَاء لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ، لا فِيهَا غَوْلٌ وَلا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ (الصافات: ٤٥ - ٤٧)، ومنها: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ، بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ، لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنزِفُونَ﴾ (الواقعة: ١٧ - ١٩).

لطيفة: لقد ذكر الله الخمر وقال فيها: ﴿لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ﴾، ولم يقل فى اللبن: لم يتغير طعمه للطاعمين، ولم يقل فى العسل: «مصفى للناظرين» لما يأتى:

(إن اللذة تختلف باختلاف الأشخاص فرب طعام يلتذ به شخص ويعافه الآخر فقال: ﴿لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ﴾ بأسرهم، ولأن الخمر كريهة الطعم فى الدنيا فقال «لذة» أى: لا يكون فى خمر الآخرة كراهة الطعم. وأمّا الطعم واللون فلا يختلف باختلاف النّاس، فإن الحلو والحامض وغيرهما يدركه كل أحد، لكن قد يعافه بعض النّاس ويلتذ به البعض مع اتفاقهم على أن له طعماً واحداً، وكذا اللبن فلم يكن التصريح بالتعميم)[1].

س٧: قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاء أَشْرَاطُهَا﴾ (محمد: ١٨). ما المراد بالأشراط؟

الجواب: الأشراط: جمع شرط بتحريك الراء وتسكينها وهى العلامة، وهذه الأشراط هى مبعثه ﷺ، وانشقاق القمر، وهذه الأشراط وقعت، وهناك أحاديث بينت علامات أخرى وهى:

١- أن تلد الأمَة ربّتها.
٢- أن ترى الحفاة العراة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان.
٣- إذا وسِّد الأمر إلى غير أهله.
٤- أن يكثر الزنا.
٥- أن تملأ النساء الأسواق.
٦- أن تكثر الفتن وتصير كقطع الليل المظلم.
٧- إذا ضيعت الأمانة.

وهناك أمارات كبرى لم تأت بعد يقول الحافظ ابن كثير (قال الإمام أحمد: حدثنا سفيان عن فرات عن أبى الطفيل عن حذيفة بن أسيد الغفارى قال: أشرف علينا رسول الله ﷺ من غرفة ونحن نتذاكر أمر الساعة فقال: لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها،

(١) تفسير السراج المنير جـ ٤ ص٢٧

والدخان، والدابة، وخروج يأجوج ومأجوج، ونزول عيسى بن مريم، والدجال، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، ونار تخرج من قعر عدن تسوق – أو تحشر – الناس، تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا"، وذكر ابن جرير عن الزبير أنه – أي: ابن الزبير – وصف الدابة فقال: رأسها رأس ثور، وعينها عين خنزير، وأذنها أذن فيل، وقرنها قرن أيّل[1] ، وعنقها عنق نعامة، وصدرها صدر أسد، ولونها لون نمر، وخاصرتها خاصرة هرّ، وذنبها ذنب كبش، وقوائمها قوائم بعير، بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعاً[2].

س٨: قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ (محمد:٩)، هل الرسول ﷺ لم يعلم بأنه لا إله إلاّ الله حتى يأمره الله بذلك؟ وما الذنب الذى أمره بالاستغفار منه؟

الجواب: أمّا الشطر الأول من السؤال: فالمراد به الدوام والاستمرار والثبوت على العلم بأنه لا إله إلاّ الله، فذلك مدار سعادة الدنيا والآخرة، ومناط الشقاوة هو الإشراك والعصيان.

وأما الشطر الثانى من السؤال: فالرسول ﷺ لم يذنب وهو مُبَرَّأٌ من كل ذنب ومُطَهَّرٌ من كل عيب، والجواب عن الآية من وجوه:

الأول: ما يصدر عنه من فعل شيء فيه أمران صحيحان فيأخذ واحداً ويترك الأولى، وعبر عنه فى الآية بالذنب نظراً لقربه من الله، فهذا من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين.

الثانى: إرشاد له عليه الصلاة والسلام بالتواضع وهضم النفس واستصغار العمل، والاستغفار فى حد ذاته ليس شرطه الذنب، بل هو ذكر وشكر وإحساس بالتقصير فى حق الله.

الثالث: أن هذا الأمر ورد لتعليم أمته الاستغفار، فوجه الأمر إليه للاعتناء به والانقياد للأمر.

س٩: قال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ (محمد:٢١). كيف أسند العزم إلى الأمر؟

الجواب: العزم هو الجد إلى الأمر، وإسناده إلى الأمر على سبيل المجاز، والمعنى: فإذا عزم أصحاب الأمر، وجد الجد وواجهوا الجهاد فى سبيل الله، فلو صدقوا عزيمة وشعوراً لكان خيراً لهم، والله يربط على قلوبهم، ويشد من عزائمهم، ويثبت أقدامهم.

س١٠: قال تعالى: ﴿هَاأَنتُمْ هَؤُلَاء تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ

---

(١) الأيّل: بضم الهمزة وكسرها والياء المشددة هو ذكر الأوعال

(٢) تفسير ابن كثير جـ ٦ ص٢٢٠، ٢٢٣، باختصار وتصريف

﴿فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاء﴾ (محمد:٣٨). **ما سر مجيء الفعل «يبخل» الأول مرفوعاً ومجيء الثاني مجزوماً؟ ولماذا عدى الفعل الثالث بـ«عن» ؟**

الجواب: أتى الفعل في قوله: ﴿فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ﴾ مرفوعاً لأن «مَنْ» اسم موصول، والجملة بعده صلة الموصول، وأتى الفعل الثاني في قوله: ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا﴾ مجزوماً لأن «من» اسم شرط، و«يبخل» فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه السكون، والفاء في «فإنما» واقعة في جواب الشرط، وعدّى الفعل الثالث في قوله: ﴿فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ﴾ بـ«عن» لتضمنه معنى الإمساك.

(٤٨) سورة الفتح

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: تحدثت سورة محمد ﷺ عن الجهاد، فهي سورة الجهاد، ثم أتت بعدها سورة الفتح بشارة للمجاهدين من أهل هذا الدين بالفوز والنصر والظفر على كل من كفر، وختم سورة محمد بالتحريض على مجاهدة أهل الكفر بعد أن ضمن لمن نصره منهم النصر وتثبيت الأقدام، وهدد من أعرض باستبدال غيره به، وأن ذلك البدل لا يتولى عن العدو، ولا ينكل عنه، فكان ذلك محتماً لدحض الكفر واستيلاء الإيمان، وهذا بعينه هو الفتح المبين، فافتتح هذه بقوله على طريق النتيجة لذلك بقوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ .

س٢: قال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ (الفتح:١)، ما المراد بالفتح ؟

الجواب: قبل الإجابة على السؤال لابد من ذكر سبب نزول الآية الأولى.

(أنه ﷺ في السنة السادسة خرج بألف وأربعمائة من أصحابه قاصدين مكة للاعتمار، فأحرموا بالعمرة من ذي الحليفة، وساق ﷺ سبعين بدنة هدياً للحرم، وساق القوم سبعمائة فلما وصلوا الحديبية وهي قرية بينها وبين مكة مرحلة، منعه المشركون من دخول مكة، وصالحوه على أنه يأتي في العام القابل ويدخلها ويقيم فيها ثلاثة أيام، فتحلّل هو وأصحابه هناك بالحلق، وذبح ما ساقوه من الهدى، ثم رجعوا يعلوهم ويخالطهم الحزن والكآبة، فأراد الله تسليتهم وإذهاب الحزن عنهم، فأنزل الله عليه وهو سائر ليلاً في رجوعه وهو بكُراع الغميم وهو واد أمام عُسفان بين مكة والمدينة: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾)[١].

واختلف العلماء في المراد بالفتح إلى اتجاهات متعددة: -

(١) الفتوحات الإلهية جـ ٤ ص١٥٦

١- المراد بالفتح فتح مكة بشر الله رسوله به عند انصرافه من الحديبية، ولقد جاء التبشير بصيغة الماضي جرياً على سنن سائر الأخبار الإلهية كما في قوله: تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ (النحل:١).

وقوله تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ (الأعراف:٤٨).

وقوله: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ﴾ (الأعراف:٥٠).

وسر التعبير بالماضي هو الدلالة على تحقق الوقوع، وما وعد الله به لا يتخلف.

٢- المراد بالفتح صلح الحديبية فإنّه لم يكن حرباً، بل وقع تراشق بين الفريقين بالسهام والحجارة، لكن كان الظهور للمسلمين لأن المشركين سألوهم الصلح، وهذا يعد اعترافاً من قريش بوجود قوة إيمانية تناطحها، فسألوا المسلمين الصلح والتوقيع على وثائقه فكان فتحاً بلا ريب، وقد روى أنه ﷺ حين (بلغه أن رجلاً قال: ما هذا بفتح، لقد صُدِدْنا عن البيت وصد هدينا، قال: بل هو أعظم الفتوح، وقد رضى المشركون أن يرفعوكم بالراح، ويسألوكم القضية، ويرغبوا إليكم في الأمان، وقد رأوا منكم ما يكرهون. وعن الشعبي: نزلت بالحديبية، وأصاب رسول الله في تلك الغزوة ما لم يصب في غزوة، حيث أصاب أن بويع بيعة الرضوان، وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وبلغ الهدى محله، وأطعموا – في تلك السنة – نخل خيبر، وظهرت الروم على فارس ففرح به المسلمون، وكان في فتح الحديبية آية عظيمة هي أنه نزح ماؤها حتى لم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله ﷺ ثم مجه فيها فدرّت بالماء حتى شرب جميع من كان معه وشبع)[1].

٣- وقيل: هو جميع ما فتح له عليه الصلاة والسلام من الفتوح.

٤- وقيل: هو ما فتح الله له عليه الصلاة والسلام من الإسلام والنبوة والدعوة بالحجة والسيف، ولا فتح أبين منه وهو رأس الفتوح كافة.

٥- وقيل: الفتح بمعنى القضاء، والمعنى: قضينا لك على أهل مكة أن تدخلها من قابل، ومرد هذا الرأى إلى الرأى الأول.

و الذى أراه: أن المراد بالفتح هو صلح الحديبية والبشارة بفتح مكة مستقبلاً. وأسند الله الفتح إليه عن طريق «نا» للمعظم نفسه لاستناد أفعال العباد إلى الله خلقاً وإيجاداً، وللدلالة على عظم الفتح.

---

(١) تفسير أبى السعود جـ ص١٠٣، ١٠٤

ﷺ **س٣ : قال تعالى:** ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا، وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ (الفتح:١، ٢).

ما الذنب المتقدم والمتأخر؟ وهل الفتح علّة للمغفرة؟

ﷻ **الجواب :** لقد خاض قلة من العلماء فى هذه الآية دون أن يدركوا أن الرسول معصوم من الذنوب فقالوا: (ما تقدم فى الجاهلية وما تأخر فى الإسلام، وقيل: ما تقدم من حديث مارية وما تأخر من امرأة زيد)[1].

و لقد علّق الآلوسى على هذا بقوله: (وليس بشىء مع أن العكس أولى، لأن حديث امرأة زيد متقدم)[2].

و الذى أراه: أنه ليس هناك ذنب متقدم ولا ذنب متأخر، والتعبير بقوله: ﴿مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ للإحاطة، وهو كناية عن الكل، والمراد بالذنب: ما فرط منه بأخذه خلاف الأولى، فهو من قبيل «حسنات الأبرار سيئات المقربين»، أو أن المراد ما هو ذنب فى نظره وليس بذنب، وهذا كما قال البقاعى.

يقول الخطيب الشربينى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ﴾ (أى: الذى تقدم فى القتال، أمرك بالاستغفار له وهو ما تنتقل عنه من مقام كامل إلى مقام فوقه أكمل منه، فتراه بالنسبة إلى أكملية المقام الثانى ذنباً)[3].

وعن الشطر الثانى من السؤال: قال العلماء فى اللام فى «ليغفر» (قال البيضاوى: «اللام» علّة للفتح من حيث إنه مسبب عن جهاد الكفار، والسعى فى إعلاء الدين، وإزاحة الشرك وتكميل النفوس الناقصة. وقال البغوى: قيل: اللام لام كى ومعناه: «إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً لكى يجتمع لك مع المغفرة تمام النعمة فى الفتح. وقال الجلال المحلى: اللام للعلة الغائية فدخولها مسبب لا سبب، وقال بعضهم : إنها لام القسم، والأصل: «ليغفرن» فكسرت اللام تشبيهاً بلام كى وحذفت النون، ورد هذا بأن اللام لا تكسر، وبأنها لا تنصب المضارع، قال ابن عادل: وقد يقال: إن هذا ليس بنصب، وإنما هو بقاء الفتح الذى كان قبل التوكيد ليدل عليها، ولكنه قول مردود، وقال الزمخشرى: فإن قلت: كيف جعل فتح مكة علّة للمغفرة؟ قلت: لم يجعل علّة للمغفرة،

(١) روح المعانى جـ ٢٦ ص٩١

(٢) المرجع السابق

(٣) تفسير السراج المنير جـ ٤ ص٣٨

ولكن لاجتماع ما عدد من الأمور الأربعة وهى: فتح مكة من حيث إنها جهاد للعدو وسبب للمغفرة والثواب، قال ابن عادل: وهذا الذى قاله – أى الزمخشرى – مخالف لظاهر الآية، فإن اللام داخلة على المغفرة، فتكون المغفرة علّة للفتح، والفتح معلل بها، فكان ينبغى أن يقول: كيف جعل فتح مكة معللاً بالمغفرة؟ ثم يقول: لم يجعل معللاً، وقيل: غير ذلك، والأسلم ما اقتصر عليه الجلال المحلى)[1].

س٤: قال تعالى: ﴿وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ (الفتح:٣).

النصر لا يوصف بكونه عزيزاً، وإنما العزيز صاحب النصر. فلماذا وصف النصر بالعزة؟

الجواب: من وجوه:

١– **المعنى** «نصراً ذا عزة» كقولك: عيشة راضية أى: ذات رضا.

٢– **وصف النصر بما يوصف به المنصور على سبيل الإسناد المجازى كما تقول:** هذا كلام صادق كما يقال: متكلم صادق.

٣– **المراد:** نصراً عزيزاً صاحبه.

س٥: قال تعالى: ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ (الفتح:٥)، **وقال تعالى:** ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ (المؤمنون:١، ٢)، **ما السر فى أن يذكر الله فى بعض المواضع «المؤمنين والمؤمنات» كما فى الآية الأولى، وفى بعضها يكتفى بذكر المؤمنين كما فى الآية الثانية؟**

الجواب: المواطن التى يتوهم فيها اختصاص المؤمنين بالخير الموعود به مع مشاركة المؤمنات لهم ذكرهن الله تعالى صريحاً، وفى المواطن التى لا يتوهم ذلك يكتفى بدخولهن فى المؤمنين دخولاً ضمنياً.

س٦: قال تعالى: ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾. **تكفير الذنوب يكون قبل دخول الجنة، فما سر تقديم دخول الجنة على التكفير؟**

الجواب: من وجهين:

١– أن الله قدم دخول الجنة لكون دخول الجنة أمنية المؤمن، وهى المرتبة الأولى، وتكفير الذنوب

(١) المرجع السابق ص٣٧

يأتى فى المرتبة الثانية فى أمانيه، لهذا قدم الله دخول الجنة.

٢- أن الواو فى قوله: ﴿وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ لا تقتضى الترتيب، لأن تكفير السيئات والمغفرة من توابع المكلف.

لطيفة:

قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ (الفتح:١٧).

لقد قدم الأعمى على الأعرج لأن عذر الأعمى دائم ومستمر، ولا يمكن الانتفاع به فى حراسة أو قتال، بخلاف الأعرج فيمكن الانتفاع به فى مراقبة العدو أو الاتصال بسرايا الجيش، وقدم الأعرج على المريض لأن عذر الأعرج أشد من المريض، وبه عاهة مستديمة أمّا المريض فقابل للشفاء.

س٧: قال تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ﴾ (الفتح:٢٧). **حين يدخلون المسجد الحرام على تلك الحالة يكونون محرمين مرتدين ملابس الإحرام، ولا يكونون محلقين الرءوس، فلماذا قال: «محلقين»؟ ولماذا قال: «آمنين» والآمن غير خائف، فكيف قال «لا تخافون» ؟**

الجواب: أمّا الشطر الأول من السؤال فقوله: ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ **أى: متمكنين من إتمام الحج، ويحلق البعض ويقصر البعض عند الإتمام وهذا بعد الدخول لا معه.**

وأما الشطر الثانى: فالمراد بقوله: «لا تخافون» أى: **إذا أحرمتم، لأنه يحرم القتل فى الحرم، وكان هذا السلوك سلوك المشركين مع من أحرم، وكذلك «لا تخافون» بعد الإحرام وبعد خروجكم عن الحرم، وهو وعد من الله ووعد الله لا يتخلف.**

(٤٩) سورة الحجرات

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: يقول الإمام البقاعى: (لما نوّه سبحانه فى القتال - أى سورة محمد - وصرح فى ابتدائها باسمه الشريف، وسمى السورة به، وملأ سورة الفتح بتعظيمه، وختم باسمه، ومدح أتباعه لأجله، افتتح هذه - أى سورة الحجرات - باشتراط الأدب معه فى القول والفعل من مَدّ حزبه والفوز بقربه، ومدار ذلك معالى الأخلاق، وهى إمّا مع الله ﷻ أو مع رسوله ﷺ أو مع

غيرهما، وإن كان كل قسم لا يخلو عن لحظ الآخر، وغيرهما إمَّا أن يكون داخلاً مع المؤمنين فى رتبة الطاعة أو خارجاً عنها وهو الفاسق، والداخل فى طاعة المؤمنين السالك لطريقتهم إمَّا أن يكون حاضراً عندهم أو غائباً عنهم)[1].

س٢: ما المراد بالحجرات؟

الجواب: الحجرات: بضم الحاء والجيم، ويجوز ضم الحاء وفتح الجيم، ويجوز ضم الحاء وتسكين الجيم، وهى جمع حجرة، والحجرة هى الرقعة المحجورة بحائط يحوط عليها. والمراد بالحجرات: حجرات نساء النبى ﷺ، وكانت لكل واحدة منهن حجرة.

س٣: لقد تكرر النداء فى هذه السورة كثيراً قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (الحجرات:١)، و قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ (الحجرات:٢)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ (الحجرات:٦)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ﴾ (الحجرات:١١)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾ (الحجرات:١٢)، ما سر تكرار النداء؟

الجواب: لقد تكرر النداء فى هذه السورة لإثارة الاهتمام واستدعاء مزيد الاستبصار والمبالغة فى الاتعاظ والدلالة على استقلال كل أدب من الآداب الواردة فى السورة وزيادة الاهتمام به.

س٤: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ (الحجرات:١)، ما سر ندائهم بالمؤمنين مع أن هناك أموراً مخالفة فنهاهم عنها؟

وما المراد بقوله: ﴿لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ ؟

الجواب: أمَّا عن الشطر الأول من السؤال فلقد وصفهم الله بالإيمان لتنشيطهم وعدم تثبيطهم، والإيذان بأن هذه الآداب داعية إلى المحافظة على هذا الإيمان والبعد عن الإخلال، وأما عن الشطر الثانى من السؤال فالمعنى: لا تقدموا قولاً أو فعلاً سواء كان فى الأضحى أو عند تقديم الهدى، فلا يتقدم أحد عليه لأنه الأسوة والقدوة، والتعبير بقوله تعالى: ﴿بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ هذا الوصف مستعار؛ لأن حقيقة ما بين اليدين هو ما بين العضوين المعروفين، فعبر بهما عن الجهتين المقابلتين لليمين والشمال قريباً منه بإطلاق اليدين على ما يجاورهما، ويحازيهما فهو من المجاز المرسل، ثم استعيرت الجملة وهى التقدم بين اليدين على سبيل الاستعارة التمثيلية للقطع

---

(١) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور جـ ١٨ ص٣٥٠

بالحكم بلا اقتداء ومتابعة لمن يلزم متابعته، وهو تصوير لقبح وشناعة من لا يقتدى برسول الله ﷺ بصورة المحسوس وهذا الأمر كتقدم الخادم بين يدى سيده فى سيره، ويجوز أن يكون المعنى: لا تقدموا بين رسوله، وذكر الله تعالى لتعظيم رسوله، والإيذان بجلالة مقامه عنده ﷻ .

س٥: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾ (الحجرات:٢).

ما سر عدم رفع الصوت بحضرته ﷺ وعدم الجهر بالقول وهذا فى حياته؟ وهل يكون ذلك بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى؟ وما جزاء رفع الصوت أو الجهر بالقول فى حضرته ﷺ ؟

الجواب: النبى ﷺ مرسل من ربه ﷻ، ولا يخفى على أحد تعظيمه. فهو المهاب المعظَّم، وللمحافظة على تلك الهيبة وأُبهة النبوة وجلالة مقدارها، أمرنا الله ﷻ بالتزام الأدب بحضرته، فلا يرفع صوت فى مقامه بل تكون أصوات من فى حضرته أخفض من صوته، ولا يخاطبونه باسمه ولا كنيته كما يخاطبونه بالرسول والنبى، فالله ﷻ لم يناده باسمه بل ناداه بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ و﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ و﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ و﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ ، ونادى كل نبى باسمه فنادى على آدم فقال: ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ (البقرة:٣٣)، ونادى على نوح فقال: ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ (هود:٤٦)، ونادت الملائكة على إبراهيم باسمه: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ (هود:٧٦)، ونادى الله على موسى فقال: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ (طه:١٧)، ونادى على داود فقال: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ﴾ (ص:٢٦)، وقال عن سليمان ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا﴾ (ص:٣٤)، ونادى على عيسى فقال: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ﴾ (المائدة:١١٠).

وهذا الأدب مع رسول الله ﷺ مستمر إلى يوم القيامة، فعند مقامه فى حجرته فى مسجده لا يرفع صوت ولا يجهر بقول.

جزاء من يرفع صوته أو يجهر بقول جزاؤه بطلان عمله الصالح.

لطيفة:

لقد ورد فى حديث جبريل الذى رواه مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: (بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبى ﷺ. فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه – أى: فخذى نفسه، وجلس كهيئة المتعلم – وقال: يا محمد

أخبرني عن الإسلام) [1].

فهذا الرجل هو جبريل عليه السلام، وناداه باسمه لأحد أمرين:

١- لأنه أراد بندائه هذا إثارة انتباه الحاضرين ولفت انتباههم لما سيلقى عليهم.

٢- قد يكون هذا الموقف قبل النهى عن نداء الرسول باسمه.

س٦: قال تعالى: ﴿فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ، وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ (الحجرات:٨، ٩). ما سر انتصاب «فضلاً»؟ وما سر ضمير الجمع فى قوله: «اقتتلوا» مع أن الضمير يعود على مثنى وهو «طائفتان»؟ وما سر التثنية بعد الجمع بقوله: «بينهما» ؟

الجواب: انتصاب «فضلاً» على أنه مفعول لأجله، والمعنى: وحبب إليكم الإيمان وزينه فى قلوبكم فضلاً منه، أو يكون المعنى: كرّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان فضلاً منه.

و أتى بضمير الجمع مع أنه يعود على مثنى لأن كل طائفة تتكون من مجموعة من الرجال، فجمعهم على هذا الاعتبار، وثنى بقوله: «بينهما» مراعاة للتثنية فى «طائفتين» .

س٧: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ (الحجرات:١٠).

و ما سر وضع الاسم الظاهر موضع الضمير فكان السياق يقتضى أن يقول: "فأصلحوا بينهم" فوضع «أخويكم» موضعه ما سر ذلك؟ وما سر التثنية فى قوله: «أخويكم» مع أن السياق يقتضى: «فأصلحوا بين إخوتكم» ؟

الجواب: وضع الاسم الظاهر موضع المضمر مضافاً إلى المأمورين بالإصلاح للمبالغة فى الإصلاح، وأن هذا الإصلاح بين الإخوة، فيتغاضى كل واحد عما له من حق، فإن الجميع إخوة حتى تهدأ النفوس، فلو تمسك كل واحد بكل ماله ما وقع إصلاح، وثنى فى «أخويكم» لأن الاثنين أقل من يقع بينهما الشقاق، فإذا لزمت المصالحة بين الأقل وهما الاثنان كانت بين الأكثر ألزم؛ لأن الفساد فى شقاق الجمع أكثر منه فى شقاق الاثنين.

س٨: قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ (الحجرات:١٢)، ورد النهى عن الغيبة بأبلغ وجه، فما أوجه البلاغة فى هذا النهى؟

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان باب الإيمان والإسلام والإحسان جـ ١ ص٣٦

﴿الله﴾ **الجواب:**

١- أعقب النهى بالاستفهام للمبالغة فى النهى. ٢- أسند الفعل «يحب» إلى أحد للتعميم.

٣- تعليق المحبة على شيء مكروه هو فى غاية الكراهة.

٤- تمثيل الصورة بأكل لحم ميت. ٥- كون المأكول أخاً للإنسان.

وهذا يدل على أن عرض الإنسان كدمه ولحمه؛ لأن الإنسان يتألم قلبه من الطعن فى عرضه كما يتألم من قطع اللحم منه.

س٩: قال تعالى: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ (الحجرات:١٤).

حين ادَّعى الأعراب الإيمان جاء الرد مخالفاً لادعائهم، فكان السياق يقتضى أن يقول: «قل لا تقولوا آمنا ولكن قولوا أسلمنا» أو يقال: قل لم تؤمنوا ولكن أسلمتم ، فلماذا أتى السياق على هذا الوجه؟

﴿الله﴾ **الجواب:** القرآن يعلم النّاس الأدب فى كل شيء، فأراد أن يكذبهم فى ادعائهم الإيمان، فلم يصرح بكذبهم، فأفاد السياق على هذا النمط تكذيب ادعائهم ودرء ما انتحلوه، فلم يقل: كذبتم، بل وضع «لم تؤمنوا» الذى هو نفى ادعائهم موضع «كذبتم»، ثم نبه على هذا الأدب وأنه فعل هذا حين تحدث عن الصنف المقابل لهؤلاء بعد هذه الآية فقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾، فذكر الصادقين يبين أنه استخدم الأدب معهم ولم يصرح بكذبهم ما أرق هذا.

(٥٠) سورة ق

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

﴿الله﴾ **الجواب:** يقول الإمام البقاعى: (لما ختم الله سبحانه الحجرات بإحاطة العلم – إن الله يعلم غيب السموات والأرض – قال أول هذه – أى سورة ق – ﴿ق﴾ إشارة إلى أنه ﷻ وحده المحيط علماً وقدرة بما له من العلو والشدة والقوة والقيومية والقهر ونافذ القضاء والفتح لما أراد من المغلقات بما أشارت إليه «القاف» بصفاتها وأظهرته بمخرجها المحيط بما جمعه مسماها من المخارج الثلاثة: الحلق واللسان والشفاه)(١).

س٢: قال تعالى: ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ، قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ

(١) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور جـ ١٨ ص٣٩٨

وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ﴾ (ق:٣، ٤).

حينما حملت على النصرانى «سمير» إبان مناظراته، وسقت له سيلاً من الأدلة التى تدحض زعمهم أن عيسى ابن الله – حاشا لله أن يتخذ ولدا –، قال سمير: ما قلته ببطلان النصرانية وأنها ليست بديانة صحيحة، فإن هذا ينطبق على الإسلام. وما يجرى على النصرانية يجرى عليه.

ومرت الأيام ومات والد صديق لنا، وذهبنا لتشييع جنازته. وطفنا بالمقابر فرأينا مقبرة جُدُرُهَا قد انقضت على الأرض، وظهرت بعض عظام الموتى التى أتت عليها أملاح من الأرض، ورطوبة قد غمرتها، فتآكلت ورأيناها جميعاً. وفى الطريق قال سمير: الذى كان يسير معنا، فهم يشاركون المسلمين فى تلك البلدة فى أفراحهم وأتراحهم، قال مهتبلاً فرصة حديثنا عن أصحاب المقبرة، قال: يا شيخ شحات:

هل هناك بعث بعد أن أكلت الأرض أشلاء هؤلاء وبعض المقابر كانت فى أماكن متعددة من البلد أقيمت مكانها مزارع وتغذى النبات على عظام الموتى فهل من بعث بعد هذا؟

﴿الله﴾ الجواب: لقد استبعد كفار مكة والملحدون البعث والنشور، ولكن هذه الآية دحضت كل شك يساور أحداً من البشر، وجاءت بسلطان مبين قال تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾، أى: قد علمنا ما أكلته الأرض من أجسادهم ومن لحومهم وعظامهم وشعورهم، وعندنا كتاب حفيظ بعدد ذرات كل جسد من أجسادهم ومعالمه ومقدار أجزائه وذراته، وهذا الكتاب هو علم الله، فالله عالم بكل ما فى كونه، قال تعالى: ﴿لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (سبأ:٣).

فإنه ﷻ يأتى بكل جسد لأنه خالقه، وهو الذى أماته ويعلم مستقره ومستودعه، وهو الذى يحييه، وكل ما فى كونه وملكه يخضع لقانونه: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (النحل:٤٠).

وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَلَّن نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ (القيامة:٣، ٤)، فالله قادر على إعادة كل جسد وتسوية بصماته فليس هناك أى جسد بصمته كبصمة الآخر. نسأل الله الثبات.

س٣: قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ، وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ، رِزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ (ق:٩ – ١١).

وقال تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ الأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا﴾ (يس:٣٣).

ما سر قوله: «ميتا» بغير «هاء» فى الآية الأولى، وفى الثانية «الميتة» بالهاء؟

﴿الله﴾ **الجواب:** (الأصل فى الأرض الوصف فقال: «الميتة» لأن معنى الفاعلية ظاهر هناك – أى: فى الآية الثانية –، والبلدة الأصل فيها الحياة لأن الأرض إذا صارت حية صارت آهلة، وأقام بها القوم وعمروها فصارت بلدة، فأسقط التاء لأن معنى الفاعلية غير ظاهر)[1].

س٤: قال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ (ق:١٩).

لم عبَّر بالفعل الماضى «جاءت» ؟ وما سر التعبير عن شدة الموت بالسكرة؟ وما معنى الباء؟

﴿الله﴾ **الجواب:** عبر بالفعل الماضى للدلالة على تحقق الوقوع.

و عبر عن شدائد الموت وغمرته بالسكرة لأنها تغلب على العقل ويعقبها الموت، والمعنى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ أى: جاءت بحقيقة الموت، أو أنها بمعنى «مع»، أو جاءت بالحق من أمر الآخرة فأبانت للإنسان ما لم يكن بيِّناً، ومعنى الباء للتعدية، والمعنى: وجاءت شدائد الموت وغمرته بالحق ذلك ما كنت منه تهرب وتنفر.

س٥: قال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ (ق:٢١)، **من السائق والشهيد ؟**

﴿الله﴾ **الجواب: إمَّا أنه ملك يسوقها إلى محشرها، والشهيد من أنفسهم يعنى الأيدى والأرجل، أو السائق يسوقها والشهيد على عملها، وقيل: السائق والشهيد ملكان، وقيل: السائق: ملك والشهيد هو العمل، وقيل: السائق: كاتب السيئات والشهيد كاتب الحسنات، وقيل: السائق قرينها من الشياطين**[2].

س٦: قال تعالى: ﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ (ق:٢٢)، **ما معنى «حديد» ؟**

﴿الله﴾ **الجواب:** أى: بصرك يوم القيامة نافذ لا يحول بينه وبين المرئى شىء.

س٧: قال تعالى: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ، أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ، مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ، الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ، قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ (ق:٢٣ – ٢٧).

ما سر اقتران الآية الأولى من الآيات السابقة بالواو وتجريد الآية الأخيرة منها ؟

ومن المخاطب فى قوله: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾ **و**﴿فَأَلْقِيَاهُ﴾ **؟**

---

(١) السراج المنير جـ ٤ ص٨٢

(٢) انظر: فتح القدير جـ ٥ ص٩٣

﴿الجواب﴾ الجـواب: الآية الأولى الكلام فيها متصل بما قبلها، ولهذا عطفت على الكلام السابق بالواو، والآية الثانية كلام مستأنف خاطب القرينُ الله ﷻ بأنه لم يجره إلى الطغيان، ولما كان هذا الكلام مستأنفاً جرد من الواو.

والخطاب فى «ألقيا» و«فألقياه» للملكين، وهما السابقان فى السياق، والمراد بهما السائق والشهيد، وقيل: هو خطاب لواحد من الملائكة أقيمت تثنية الفاعل فيه مقام تثنية الفعل، فكأنه قال على سبيل التوكيد اللفظى: «ألْق ألْق» أقيمت ألف الاثنين مقام الفعلين [(١)].

وقيل: المراد ألْقِيَنْ مؤكداً بالنون الخفيفة، ثم وقف عليها بالألف. وأجرى الوصل مجرى الوقف، (وقيل: إن العرب جرت عوايدهم بمخاطبة الواحد مخاطبة الاثنين. فقالوا خَلِيلَىَّ. وصَاحِبَىَّ. وقِفَا. وأَسْعِدَا. وساعِدَا. وقال امرؤ القيس:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ ومَنْزِلِ ∴ ....

و قال غيره : وقلت لصاحبى لا تحبسانا ∴ ....) [(٢)]

س٨: قال تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ (ق:٣٩)، و قال تعالى: فى سورة طه: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ (طه:١٣٠)، فى الآية الأولى قال: ﴿وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾، وفى الثانية قال: ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ ما سر اختلاف الأسلوب؟

﴿الجواب﴾ الجـواب: قال فى الآية الأولى: «الغروب» مراعاة للفواصل، فقبلها: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾. وفى الآية الثانية أتت «قبل غروبها» مراعاة للقياس؛ لأن الطلوع للشمس والغروب لها، فأتى بالضمير العائد عليها.

س٩: قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ (ق:٤٨)، ما سر جمع العين؟

﴿الجواب﴾ الجـواب: أن العين أضيف لها ضمير جمع، وهو «نا» وهو ضمير المتكلم المعظم نفسه، فجمعت لإضافة ضمير الجمع إليها.

---

(١) انظر فتح القدير جـ ٥ ص٩٤

(٢) الروض الريان فى أسئلة القرآن جـ ٢ ص٤٣٠، ٤٣١

﴿ (٥١) سورة الذاريات ﴾

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: لما ختم سورة ق بالحديث عن القيامة وأهوالها، وعن الوعيد الشديد للكافرين، وقال: ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ، يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ، إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ، يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ، نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ (ق:٤١ – ٤٥).

ثم شرع فى أول سورة الذاريات بالقسم على أن ما يوعدون به صدق ولن يتخلف، قال تعالى: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا، فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا، فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا، فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا. إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ، وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ (الذاريات:١ – ٦).

والذاريات: هى الرياح تذروا التراب، والحاملات هى السحب الحاملة للمطر، والجاريات هى السفن الجارية فى البحر أو الرياح الجارية فى مهبها أو السحب الجارية فى الجو، والمقسمات : هى الملائكة التى تقسم الأمور من الأمطار والأرزاق، ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾ أى: ما وعدوا من البعث والوعيد والجزاء لصادق وواقع، ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ، إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ أى: الطرائق المحسوسة وهى مسير الكواكب، أو ذات الزينة، أو ذات الخلق المستوى، والقول المختلف: هو قولهم فى القرآن بأنه شعر، والرسول شاعر، وقولهم كهانة وكاهن. وقولهم سحر وساحر.

س٢: قال تعالى: ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾ (الذاريات:١٠)

هذا دعاء على الكفرة من أهل مكة، فكيف يدعو الله عليهم وهو القادر على إهلاكهم؟

الجواب: لقد وردت هذه الأساليب فى القرآن كقوله تعالى: ﴿قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ (عبس:١٧)، فأصل هذه الأساليب أنها جرت مجرى اللعن، والمعنى: لُعن الخراصون أى: الكذَّابون ، ولعن الإنسان ما أكفره.

س٣: قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ، آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ (الذاريات:١٥، ١٦)، و قال تعالى: فى سورة الطور: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ، فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ (الطور:١٧، ١٨)، ما سر اختلاف الآيتين قال فى الأولى ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ، آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾، وقال فى الثانية ﴿فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ، فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ ؟

ﷻ **الجواب:** كل آية تناولت جانباً من جوانب ما أعده الله لعباده المتقين، فالآية الأولى تحدثت عن الجنان، ووصفت العيون بأنها محيطة بهم، ولا يخفى ما في تنكير ﴿جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ ، فالتنكير أفاد التفخيم، والتعظيم والعيون الكثيرة تجرى فى الجنان، والثانية تحدثت عن جانب آخر هو الترف والتلذذ وطيب النفس وراحة البال، وقال فى الأولى: ﴿آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ لأنه متصل بذكر ما به يصل الإنسان من الإحسان ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ ، فقال: ﴿آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ على إحسانهم، وفى الثانية وهى آية سورة الطور الكلام فيها متصل بما ينال الإنسان فيها إذا وصل إليها وهو قوله: ﴿وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ .

لطيفة : قال تعالى: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ (الذاريات:٢١).

وجود الإنسان من نطفة مذرة، وانتقاله من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى عظام إلى أن يكتسى لحماً، وما رُكِّبَ فيه من العقل والقلب والأحاسيس والمشاعر وعجائب الفطر وبدائع الخلق، وما خصه الله به من أصناف المعانى من التفكير والنطق، وليس فى العالم شىء إلاّ وله نظير فى الإنسان يدل على الله ﷻ، فلو نظر الإنسان إلى نفسه لكفاه دليلاً على وجود صانعه.

لطيفة: قال تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ (الذاريات:٢٢ ، ٢٣)، فى السماء أسباب رزقكم أو تقدير رزقكم وما توعدون مكتوب فى السماء بمقاديره، أو المعنى: أن المراد بالسماء السحاب، والرزق هو المطر الذى ينزل منه، فإنّه سبب الأقوات، ولقد أقسم الله تعالى: على أن ذلك حق مثل نطقكم، (عن الأصمعى قال: أقبلت من جامع البصرة، فطلع أعرابى على قعود له فقال: من الرجل؟ قلت: من بنى أصمع، قال: من أين أقبلت؟ قلت: من موضع يتلى فيه كلام الرحمن، فقال: أتلُ عليّ. فتلوت الذاريات، فلما بلغت قوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ قال: حسبك، فقام إلى ناقته فنحرها ووزعها على من أقبل وأدبر، وعمد إلى سيفه وقوسه فكسرهما وولّى، فلما حججت مع الرشيد طفقت أطوف، فإذا أنا بمن يهتف بى بصوت دقيق، فالتفت فإذا أنا بالأعرابى قد نحل واصفر، فسلّم عليّ واستقرأ السورة، فلما بلغت الآية صاح وقال: قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً ثم قال: وهل غير هذا؟ فقرأت ﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ فصاح وقال: سبحان الله، من الذى أغضب الجليل حتى حلف لم يصدقوه بقوله حتى ألجأوه إلى اليمين. قالها : ثلاثاً وخرجت معها نفسه)[1].

---

(١) الكشاف جـ ٤ ص٢٩

س٤: قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ، إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ (الذاريات:٢٤ ، ٢٥)، **ما سر تصدير الكلام بالاستفهام ؟ وما سر نصب «سلاماً» الأولى ورفع «سلامٌ» الثانية؟**

الجواب: صدر الكلام بالاستفهام تفخيماً لشأن الحديث وتنبيهاً على أنه ليس مما علمه رسول الله ﷺ بغير الوحى.

وانتصب «سلاماً» على أنه مصدر ساد مسد الفعل، واستغنى به عن فعله، وأمَّا «سلام» فهو مرفوع على الابتداء، وخبره محذوف تقديره: «عليكم سلام»، ولقد حياهم إبراهيم بأحسن مما حيوه لأن الجملة الاسمية تفيد الثبوت والدوام والاستمرار.

س٥: قال تعالى: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ، فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ، فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ، فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ، فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ، قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ (الذاريات:٢٥ – ٣٢). **وقال تعالى:** ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُواْ سَلامًا قَالَ سَلامٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ، فَلَمَّا رَأَى: أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ، وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ، قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَاْ عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ، قَالُواْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ (هود:٦٩ – ٧٣). **ما سر اختلاف الأسلوب مع أن الآيات الأولى والثانية تتحدث عن مشهد واحد من قصة إبراهيم عليه السلام ؟**

الجواب: الآيات الأولى تتحدث عن جوانب من المشهد، والآيات الثانية تتحدث كذلك عن هذه الجوانب، فحديث الآيات مجتمعة يعطى الصورة متكاملة، فالآيات تبين أنه بمجرد أن سلموا عليه ورد عليهم السلام ذهب دون تردد فى خفية إلى أهله، فجاء بعجل سمين خال من العيوب كثير اللحم، فذهابه فى سرِّية وخفية يدل على آداب المضيف، وإتيانه بعجل سمين يدل على كرم إبراهيم، والآيات الثانية بينت أنه أسرع بإيجاد الطعام: ﴿قَالَ سَلامٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ فالفاء فى الآيات الأولى والثانية ﴿قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ، فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ﴾ و﴿قَالَ سَلامٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ ، وأضافت الآيات الثانية أنه جاء بعجل مشوى على الحجارة كما يفعله أهل البادية ، وبينت الآيات الأولى أن إبراهيم هو الذى قام عليهم لخدمتهم ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ﴾ ومن كرمه أنه حثهم على الطعام ، وبينت الآيات الأولى سلوك امرأة إبراهيم ، فقد

تعجبت من البشارة بولد لأن زوجها شيخ هرم وهى عجوز عقيم ، فضربت جبينها متعجبة، فليس بين الآيات اختلاف.

س٦: قال تعالى: ﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ، فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ، فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ (الذاريات:٣٨ – ٤٠).

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ، إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ، فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنْ الْمُدْحَضِينَ، فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ (الصافات:١٣٩ – ١٤٢).

كيف يصف الله يونس بقوله: ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ ؟

الجواب: تختلف موجبات اللوم من شخص إلى شخص. ومن مقام إلى مقام، وتختلف مقاديرها، ففرعون زعم الألوهية وكذب رسول الله موسى، فمقامه غير مقام يونس، وأمَّا يونس فلم يأت بسيئة، بل إنه خرج لدعوة قوم غير قومه دون إذن من الله فكان هذا من قبيل حسنات الأبرار سيئات المقربين، فمقامه يختلف عن فرعون، فوصف يونس لا ينقص منه، فمرتكب الكبيرة ملوم على مقدارها، ومقترف الصغيرة ملوم على مقدارها، بيد أن المقام مختلف، ولا يستوى عصيان آدم بعد أن أكل من الشجرة بعصيان فرعون.

س٧: قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات:٥٦).

ما معنى اللام فى قوله: «ليعبدون» وكثير من الجن والإنس لم يعبد الله؟ ولماذا يذكر الملائكة؟

الجواب: اللام لام العاقبة وليست لام التعليل والشطر الثانى من السؤال يمكن الجواب عليه بوجوه:

١– أنه خلقهم مختارين للعبادة ممكنين منها لا مضطرين إليها، فتركها بعضهم وعبده بعضهم، ولو أرادها منهم جميعاً لعبدوه جميعاً بل لم يردها من الجميع.
فكان منهم غير العابدين فى كونه، ولا يقع فى كونه إلاَّ ما يريد.

٢– ذهب بعضهم إلى أن المراد بالجن والإنس المؤمنون منهما.

٣– ذهب بعضهم إلى أن المراد بقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ أى: إلاَّ لآمرهم بالعبادة.

٤– ذهب بعضهم إلى معنى «ليعبدون» أى: ليوحدون[1].

(١) انظر الفتوحات الإلهية جـ ٤ ص٢١٠

٥- ذهب بعضهم إلى معنى «ليعبدون» أى: ليعرفونى، وقد ذكره أبو السعود فقال: (ومداره قوله: ﷺ فيما يحكيه عن رب العزة: «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف»، ولعل السر فى التعبير عن المعرفة بالعبادة على طريق إطلاق السبب على المسبب، والتنبيه على أن المعتبر هى المعرفة الحاصلة بعبادته)(١).

و لم يذكر الملائكة لوجوه:

(أحدها: أن الآية سيقت لبيان قبح ما يفعله الكفرة من ترك ما خلقوا له، وهذا مختص بالجن والإنس، لأن الكفر موجود فيهما دون الملائكة.

ثانيها: أن النبى ﷺ كان مبعوثاً إلى الجن والإنس، فلما قال تعالى: وذكر بيِّن ما يذكر به وهو كون الخلق للعبادة، وخص أمته بالذكر أى ذكر الجن والإنس.

ثالثها: إنَّ عُبَّاد الأصنام كانوا يقولون: إن الله تعالى عظيم الشأن، خلق الملائكة وجعلهم مقربين، فهم يعبدون الله وخلقهم لعبادته، ونحن لنزول درجتنا لا نصلح لعبادة الله تعالى فنعبد الملائكة وهم يعبدون الله كما قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾، فقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾، ولم يذكر الملائكة لأن الأمر فيهم كان مسلماً من القوم فذكر المنازع فيه.

رابعها: فعل الجن يتناول الملائكة، لأن أصل الجن من الاستتار، وهم مستترون عن الخلق، فذكر الجن لدخول الملائكة فيهم)(٢).

س٨: قال تعالى: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ (الذاريات:٥٧).

ما سر تكرار الإرادتين مع أن من لا يريد من أحد رزقاً لا يريد أن يطعمه؟

ولماذا قدم الرزق على الإطعام؟

الجواب: (إن السيد قد يطلب من العبد المكتسب له الرزق، وقد يكون للسيد مال وافر يستغنى به عن التكسب، لكنه يطلب من العبد قضاء حوائجه وإحضار الطعام بين يديه، فقال: لا أريد ذلك ولا هذا وقدم طلب الرزق على طلب الإطعام من باب الارتقاء من الأدنى إلى الأعلى)(٣).

(١) تفسير أبى السعود جـ ٨ ص١٤٥

(٢) السراج المنير جـ ٤ ص١٠٨

(٣) المرجع السابق ص١٠٩

﴿ (٥٢) سورة الطور ﴾

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: لقد انتهت سورة الذاريات ببيان أن للذين ظلموا الرسول محمداً بالتكذيب وهم أهل مكة نصيباً من العذاب مثل نصيب أصحابهم الكفرة من القرون السابقة، و فى أول سورة الطور أقسم بالطور والكتاب المسطور فى رق منشور، وبالبيت المعمور، وبالسقف المرفوع، والبحر المسجور بأن عذاب الله واقع بهؤلاء المشركين.

س٢: قال تعالى: ﴿اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الطور:١٦)، **كيف يستوى الصبر وعدمه؟**

الجواب: أن المخاطبين فى نار جهنم، و (الصبر يكون له مزية على الجزع لنفعه فى العاقبة بأنْ يجازى عليه الصابر جزاء الخير، فأما الصبر على العذاب الذى هو الجزاء ولا عاقبة له لا منفعة، فلا مزية له على الجزع)[1]. فالصبر والجزع فى النار سواء.

س٣: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ (الطور:٢٢)، ما سر تنكير «إيمان» ؟

الجواب: المراد بالإيمان هو إيمان الذرية، وهو قليل بالنسبة لإيمان آبائهم، فالله يلحقهم بآبائهم مع أن إيمانهم لا يؤهلهم إلى درجات الآباء تفضلاً منه وإكراماً للآباء.

س٤: قال تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ (الطور:٢٤).

و قال تعالى: فى الواقعة: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ (الواقعة:١٧).

و قال تعالى: فى الإنسان: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ (الإنسان:١٩).

ما سر اقتران الآية الأولى والثالثة بالواو وتجريد الثانية منها؟ وما سر ذكر «غلمان» فى الأولى؟

الجواب: قال فى الآية الأولى «ويطوف» بالواو لأن الجملة معطوفة على جملة قبلها وهى «أمددناهم»، وقال فى الثالثة: «ويطوف» بالواو أيضاً لأن الجملة معطوفة على جملة قبلها، وهى ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم﴾، وجردت الثانية من الواو لأن الجملة قد تكون خبراً بعد خبر، وقد تكون حالاً بعد الأحوال السابقة عليها.

وأوضحت الآية الثانية والثالثة أن الذى يطوف هم الولدان لا يزيدون ولا يكبرون، فحالهم

---

(١) الكشاف جـ ٤ ص٣٤

يظل هكذا أبداً، والآية الأولى بينت أن لكل أسرة ولداناً مخصوصين بهم كغلمان الدنيا، وهذا تكريم لهم، وذكر الغلمان فى الأولى والولدان فى الآيات الأخرى تنويعاً فى الأسلوب.

لطيفة: قال تعالى: ﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لاَّ لَغْوٌ فِيهَا وَلا تَأْثِيمٌ﴾ (الطور:٢٣).

الجنة ليس فيها تنازع بل نزع الله من قلوبهم الغل فصاروا إخواناً متحابين وليس تنازعهم فى الآية مخاصمة ولكنهم يتجاذبون الكئوس، الأزواج وزوجاتهم، والزوجات مع الأزواج، والأولاد معهم، وقد تكون المنازعة الواردة فى الآية ممازحة ومداعبة وضحكاً ومرحاً، ففى ذلك لذة وليست خصومة.

س٥: قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾ (الطور:٣٠). **ما سر تكرار «أم»؟**

الجواب: تكررت «أم» ست عشرة مرة فى هذه السورة وكلها إلزامات لقريش وللمخاطبين فألقمهم الحجر ست عشرة مرة وعجزوا عن الإجابات.

(٥٣) سورة النجم

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: يقول الإمام البقاعى: (ولما ختمت سورة الطور بأمره ﷺ بالتسبيح والتحميد، وكان أمره تكويناً لا تكليفاً فكان فاعلاً لا محالة، وذاك بعد تقسيمهم القول فى النبى ﷺ بأنه كاهن وساحر ومجنون وكان لذلك تعلق بالشياطين، وكانت الشياطين مباينة للقرآن بختلها وبمنعها بالرجوم من النجوم كما بَيَّن آخر الشعراء، افتتحت هذه – أى سورة النجم – بالحث على الاهتداء بهديه والاستدلال بدله واتباع أثره، ولما كان من ذلك تسبيحه بالحمد فى إدبار النجوم، أقسم أول هذه بالنجم على وجه أعم مما فى آخر تلك – أى الطور –، فعبر بعبارة تفهم عروجه وصعوده؛ لأنه لا يغيب فى الأفق الغربى واحد من السيارة إلاَّ وطلع من الأفق الشرقى فى نظير له منها لما يكون عند ذلك من تلك العبارة العالية والأذكار الزاكية، مع ما فيه من عجيب الصنع الدال على وحدانية مبدعه)[1].

س٢: قال تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ، مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴾ (النجم:١ ، ٢).

ما المراد بالنجم؟ وما معنى «هوى»؟ وما سر القسم به إذا هوى؟

الجواب: ذهب العلماء إلى أن المراد بالنجم هو الثريا، فالعرب يطلقون عليه نجماً، وقيل :

(١) نظم الدرر فى تناسب الآيات و السور جـ ١٩ ص٤٠ ، ٤١

الزهرة لأنها كانت تعبد من دون الله، وقيل: المراد به الجزء من القرآن، فلقد كان ينزل نجماً نجماً أى مفرقاً[1].

و أقول: المراد بالنجم جنس النجوم، ومعنى «هوى»: إذا غرب وهو المناسب. وقيل: «هوى»: انتثر يوم القيامة، وقيل: النجم ترجم به الشياطين[2].

والسر فى القسم به إذا هوى: لأنه إذا غرب فإن السارى لا يراه، فلا يهتدى إلى جهة المشرق ولا المغرب، ولا الجنوب ولا الشمال.

لطيفة: (عن عروة بن الزبير أن عتبة بن أبى لهب، وكانت تحته بنت رسول الله ﷺ، أراد الخروج إلى الشام، فقال: لآتينَّ محمداً فلأوذينه، فأتاه فقال: يا محمد، هو كافر بالنجم إذا هوى، وبالذى دنى فتدلى، ثم تفل فى وجه رسول الله ﷺ ورد عليه ابنته وطلقها، فقال رسول الله ﷺ: اللهم سلّط عليه كلباً من كلابك، وكان أبو طالب حاضراً فوجم لها، وقال: ما كان أغناك يا ابن أخى عن هذه الدعوة، فرجع عتبة إلى أبيه فأخبره، ثم خرجوا إلى الشام فنزلوا منزلاً، فأشرف عليهم راهب من الدير، فقال لهم: إن هذه أرض مسبعة، فقال أبو لهب لأصحابه: أغيثونا يا معشر قريش هذه الليلة، فإنى أخاف على ابنى دعوة محمد، فجمعوا جمالهم وأناخوها لهم، وأحدقوا بعتبة، فجاء الأسد يتشمم وجوههم حتى ضرب عتبة فقتله)[3].

فرية «الغرانيق» ودحضها:

ذكر الواحدى فى أسباب النزول: (أخبرنا أبو بكر الحارثى قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن حيان قال: حدثنا أبو يحيى الرازى قال: حدثنا سهل العسكرى قال: أخبرنا يحيى عن عثمان بن الأسود عن سعيد بن جبير قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى﴾ (النجم:١٩ ، ٢٠)، فألقى الشيطان على لسانه: «تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن ترتجى» ففرح المشركون بذلك وقالوا: قد ذكر آلهتنا. فجاء جبريل عليه السلام إلى رسول الله ﷺ وقال: اعرض علىَّ كلام الله، فلما عرض عليه قال: أمَّا هذا فلم آتك به، هذا من الشيطان. فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ (الحج:٥٢))[4].

(١) انظر الفتوحات الإلهية جـ ٤ ص٢٢٣
(٢) انظر المرجع السابق
(٣) الكشاف جـ ٤ ص٣٧
(٤) أسباب النزول للواحدى ص٣٢١

لقد ساق ابن عطية والزمخشرى هذه القصة في تفسيريهما لسورة الحج عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ...﴾ الآية، وعلق عليها كثير من المفسرين والمحققين.

والإمام الرازى كان فارساً فى دحضها، فلقد رد عليها بالأدلة النقلية والعقلية، يقول – رحمه الله–: (أمّا القرآن: فوجوه:

أحدها: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ، لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ (الحاقة: ٤٤ – ٤٦).

ثانيها: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ (يونس: ١٥).

ثالثها: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ (النجم: ٣، ٤)، فلو أنه قرأ عقيب هذه الآية: «تلك الغرانيق العلى»، فكان قد ظهر التناقض فى الحال، وذلك لا يقوله مسلم.

رابعها: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً﴾ (الإسراء: ٧٣)، وكلمة «كاد» عند بعضهم: قرب أن يكون الأمر كذلك مع أنه لم يحصل.

خامسها: ﴿وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً﴾ (الإسراء: ٧٤).

وكلمة «لولا» تفيد انتفاء الشيء لانتفاء غيره. فدل على أن ذلك الركون القليل لم يحصل.

سادسها: قوله: ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ (الفرقان: ٣٢).

سابعها: قوله: ﴿سَنُقْرِؤُكَ فَلا تَنسَى﴾ (الأعلى: ٦).

وأما السنة:

فهى ما ورد عن محمد بن إسحاق بن خزيمة أنه سئل عن هذه القصة فقال: هذا وضع من الزنادقة وصنف فيه كتاباً. وقال الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقى: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل، ثم أخذ يتكلم فى أن رواة القصة مطعون فيهم، وأيضاً فقد روى البخارى فى صحيحه: أن النبى ﷺ قرأ سورة النجم وسجد فيها المسلمون والمشركون والإنس والجن، وليس فيه حديث الغرانيق.

وأما المعقول: «أى: الأدلة العقلية»: فمن وجوه:

أحدها: أن من جوّز على الرسول ﷺ تعظيم الأوثان فقد كفر؛ لأن من المعلوم بالضرورة أن أعظم سعيه كان فى نفى الأوثان.

ثانيها: أنه ﷺ ما كان يمكنه في أول الأمر أن يصلى ويقرأ القرآن عند الكعبة آمناً أذى المشركين له، حتى كانوا ربما مدوا أيديهم إليه، وإنما كان يصلى إذا لم يحضروها ليلاً في أوقات خلوة، وذلك يبطل قولهم.

ثالثها: أن معاداتهم للرسول كانت أعظم من أن يقروا بهذا القدر من القراءة دون أن يقفوا على حقيقة الأمر، فكيف أجمعوا على أنه أَعْظَمَ آلهتَهُمْ حتى خروا سجَّداً مع أنه لم يظهر عندهم موافقته لهم؟

رابعها: وهو أقوى الوجوه: أنا لو جوزنا هذه القصة لارتفع الأمان عن شرعه، وجوزنا في كل واحد من الأحكام والشرائع أن يكون كذلك، ويبطل قوله: ﴿أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (المائدة:٦٧)) [(١)].

وبالنسبة للآية التي استدل بها أصحاب القصة على وقوعها وهي:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُول وَلا نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (الحج:٥٢).

ذكر المفسرون أن سبب نزول هذه الآية قصة الغرانيق الملفقة، ولقد فسر الآية الإمام الرازى فقال: (الأمنية: إمَّا القراءة، وإمَّا الخاطر، أمَّا إذا فسرناها بالقراءة ففيه قولان:

الأول: أنه تعالى: أراد بذلك ما يجوز أن يسهو الرسول ﷺ ويشتبه على القارئ دون ما رووه من قول «تلك الغرانيق العلى».

الثاني: أن المراد منه وقوع هذه الكلمة في قراءته ثم اختلف القائلون بهذا على وجوه:

الأول: أن النبى لم يتكلم بقوله: «تلك الغرانيق العلى» ولا الشيطان تكلم به ولا أحد تكلم به، لكنه ﷺ لما قرأ سورة النجم اشتبه الأمر على الكفار، فحسبوا بعض ألفاظه ما رووه من قولهم: «تلك الغرانيق العلى» ، وذلك على حسب ما جرت العادة من توهم بعض الكلمات على غير ما يقال، وهذا الوجه ضعيف لأسباب:

أحدها: أن التوهم في مثل ذلك إنما يصح فيما قد جرت العادة بسماعه فأما غير المسموع فلا يقع ذلك فيه.

ثانيها: أنه لو كان كذلك لوقع التوهم لبعض السامعين دون البعض فإن العادة

---

(١) التفسير الكبير جـ ١٢ ، ص٥٠، ٥١ بتصريف

مانعة من اتفاق الجم العظيم فى الساعة الواحدة على خيال واحد فاسد فى المحسوسات.

ثالثها: لو كان كذلك لم يكن مضافاً إلى الشيطان.

الوجه الثانى: قالوا: إن ذلك الكلام كلام شيطان الجن، وذلك بأن تلفّظ بكلام من تلقاء نفسه أوقعه فى درج تلك التلاوة فى بعض وقفاته ليظن أنه من جنس الكلام المسموع من الرسول ﷺ، والذى يؤكده أنه لا خلاف فى أن الجن والشياطين متكلمون، فلا يمتنع أن يأتى الشيطان بصوت مثل صوت الرسول ﷺ ، وما رأوا شخصاً آخر، ثم هذا لا يكون قادحاً فى النبوة لما لم يكن فعلاً له، وهذا أيضاً ضعيف، فإنك إذا جوزت أن يتكلم الشيطان فى أثناء كلام الرسول ﷺ بما يشتبه على كل السامعين بقى الاحتمال فى كل ما يتكلم به الرسول فيفضى إلى ارتفاع الوثوق عن كل الشرع)[1].

واحتمال أن القائل: «تلك الغرانيق العلى» هو الرسول ﷺ باطل لما يأتى:

لأنه إن كان قال ذلك سهواً لجاز هذا فى سائر مواضع القرآن فلا يوثق فى القرآن، وإن كان قال ذلك قسراً وجبراً من الشيطان فلا يجوز؛ لأن الله قال للشيطان: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ (الإسراء :٦٥)، وأى عبد فى مقام رسول الله ﷺ فالشيطان لا يقربه ولا سيما فى وحى، والشيطان اعترف بأنه لا يقرب المخلصين، قال الله تعالى حكاية عنه: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (ص :٨٢، ٨٣)، وأى مخلص فى إخلاص رسول الله ﷺ، فالشيطان لا يقدر على إغوائه، أو يغوى أحداً على لسانه.

ولو فعل الشيطان ذلك على سبيل الفرض لارتفعت الثقة عن وحى الله، ولو فعل ذلك مع الرسول ﷺ لكان فعله معنا أكبر وأعظم، ولزحزح النّاس عن دينهم، ولكن الله قال عن كيد الشيطان: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾، فكيف بهذا الضعف أن يغير فى شرع الله وفيما هو الأساس من الإسلام وهو التوحيد الذى ينقضه قصة الغرانيق بمدح الأصنام فيها؟

و تُخْرِسُ ألسنة القائلين بتلك القصة آيةٌ لو تدبرها هؤلاء ما أوردوها وهى قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر :٩).

---

(١) التفسير الكبير جـ ١٢ ص٥١ ، ٥٢ بتصريف

ومن جهة أخرى: لم يطلق العرب كلمة الغرانيق على الأصنام أو معبوداتهم بل هي: جمع غرنوق. ومعناها: طائر مائي أسود.

فالقصة باطلة . ولا أساس لها ولا برهان عليها.

(٥٤) سورة القمر

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: يقول الإمام البقاعي: (لما ختمت النجم بالتهديد باقتراب القيامة التي ينكرونها – ﴿أَزِفَتْ الآزِفَةُ﴾ – بعد أن فتحها بالأقسام في النجم الذي هو أعم من القمر وغيره بتسييره طلوعاً وأفولاً وصعوداً وهبوطاً، افتتح – أي سورة القمر – بذلك مع الدلالة عليه عقلاً وسمعاً في التأثير في أعظم آيات الله وغير ذلك ليقطع العباد عن الفساد ويستعدوا لها قبل مجيئها أحسن استعداد فقال دالاً على عظيم اقتداره بتأنيث فعلها: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾)[1].

س٢: هل انشق القمر؟

الجواب: اختلف العلماء إلى رأيين:

الأول : أن القمر انشق، والروايات في انشقاقه كثيرة، منها ما رواه البخاري وابن جرير: (عن ابن عباس قال: «انشق القمر في زمان رسول الله ﷺ» ورواه البخاري أيضاً ومسلم، وروى ابن جرير بسنده إلى ابن عباس قوله: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ، وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ قال: قد مضى ذلك، كان قبل الهجرة انشق القمر حتى رأوا شقيه» ، وروى الحافظ البيهقي عن عبد الله بن عمر في قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ قال: وقد كان ذلك على عهد رسول الله ﷺ . انشق فلقتين . فلقة من دون الجبل، وفلقة من خلف الجبل، فقال النبي ﷺ: «اللهم اشهد»، وروى الإمام أحمد عن ابن مسعود قال: «انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقين حتى نظروا إليه فقال رسول الله ﷺ «اشهدوا»)[2].

الثاني: (وقال بعضهم لم يقع انشقاق القمر بعد، وهو منتظر، أي اقترب قيام الساعة، وانشقاق القمر وأن الساعة إذا قامت انشقت السماء بما فيها من القمر وغيره، وكذا قال القشيري،

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور جـ ١٩ ص٨٦، ٨٧.

(٢) تفسير ابن كثير جـ ٧ ص٤٤٨، ٤٤٩ باختصار وتصريف.

وذكر الماوردى أن هذا قول الجمهور، وقال: لأنه إذا انشق ما بقى أحد إلاَّ رآه آية، والنَّاس فى الآيات سواء، وقال الحسن: اقتربت الساعة فإذا جاءت انشق القمر بعد النفخة الثانية، وقيل: وانشق القمر أى وضح الأمر وظهر والعرب تضرب بالقمر مثلاً فيما وضح، قلت: وقد ثبت بنقل الآحاد العدول أن القمر انشق بمكة، وهو ظاهر التنزيل، ولا يلزم أن يستوى النَّاس فيه لأنه آية ليلية، وأنها كانت باستدعاء النبى ﷺ من الله تعالى عند التحدى)[١].

لطيفة:

ذهب بعض العلماء المحدثين وهم علماء الفلك إلى (أنه لابد فى المستقبل القريب وطبقاً لقانون دوران الأجرام السماوية أن يقترب القمر من الأرض حتى ينشق من شدة الجاذبية، وتتناثر أجزاؤه فى الفضاء، وسوف تحدث عملية انشقاق القمر هذه بناء على نفس القانون الذى يحكم المد والجزر فى البحار، فالقمر هو أقرب جيراننا فى الفضاء، ولا يبعد عن الأرض غير ٢٤٠,٠٠٠ ميل، وهذا القرب يؤثر على البحار مرتين يومياً حيث ترتفع فيهما أحياناً أمواج يبلغ طولها ستين متراً، وأما تأثير هذه الجاذبية على سطح الأرض فيبلغ عدة بوصات، إن المسافة الفاصلة بين الأرض والقمر مناسبة تماماً لصالح أهل الأرض، ولو نقص هذا الفاصل إلى خمسين ألفاً من الأميال على سبيل المثال فسوف يحدث طوفان شديد فى البحار، وسوف تغرق أمواجها أكثر مناطق الأرض المأهولة، وسوف يغرق كل شىء حتى لتتحطم الجبال من شدة تموج البحار، وسوف تحدث أحداث مروعة على سطح الأرض من وطأة الجاذبية، ويرى علماء الفلك أيضاً أن الأرض قد مرت بكل هذه الأدوار أثناء عملية التكوين حتى وصلت إلى بعدها الحالى من القمر بناء على قانون الفلك، وهذا القانون هو نفسه سوف يأتى بالقمر قريباً من الأرض مرة أخرى، ويرون أنه من المتوقع حدوث هذا قبل بليون سنة، وعندئذٍ سوف ينشق القمر، وسوف يتناثر حول فضاء الأرض)[٢].

س٣: قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾ (القمر: ٩). ما سر ذكر ﴿فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾ بعد ذكر ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾؟

الجواب: (قال القاضى: هو تفصيل بعد إجمال، والفاء على هذا تفصيلية، فإن التفصيل

(١) الفتوحات الإلهية جـ ٤ ص٢٤٠، ٢٤١.

(٢) الإسلام يتحدى وحيد الدين خان ص١٤٦، ١٤٧.

عقب الإجمال كما في قوله تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّه﴾ فالمكذِّب والمكذَّب في المكانين واحد. وقيل معناه: كذبوا تكذيباً عقب تكذيب كلما مضى قرن مكذب، تبعه قرن مكذب والفاء حينئذٍ للتعقيب، والمكذب الثاني غير الأول، وإن اتحد المكذب، أو كذبوه بعدما كذبوا جميع الرسل، والفاء على هذا للتسبب، وإن لم يرتض القاضي هذين الوجهين)[1].

ولا يخفى ما في تأنيث الفعل من تحقير.

س٤: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ، وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ، فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ (القمر: ٣٧ - ٣٩). **كررت جملة ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ مرتين مع قوم لوط، ولم تكرر مع أقوام الأنبياء الواردين في السورة. فما سر ذلك؟**

الجواب: لأنهم عذِّبوا مرتين: المرة الأولى بطمس أعينهم ومسحها فلا يرى لها شق فقال: عقب ذلك ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾، والمرة الثانية حين صبحهم بكرة عذاب مستقر، فقال عقب ذٰلِكَ: ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾.

س٥: ما سر تكرار هذه الآية عقب كل قصة ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ ؟

الجواب: **(أن يجددوا - أهل مكة - عند استماع كل نبأ من أنباء الأولين ادّكاراً واتعاظاً، وأن يستأنفوا تنبيهاً واستيقاظاً إذا سمعوا الحث على ذٰلِكَ، والبعث عليه، وأن يقرع لهم العصا مرات، ويقعقع لهم الشنّ تارات؛ لئلا يغلبهم السهو، ولا تستولى عليهم الغفلة، وهذا حكم التكرير كقوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾)[2].**

(٥٥) سورة الرحمن

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: **(لما ختم الله سبحانه القمر بعظيم الملك وبليغ القدرة، وكان الملك القادر لا يكمل ملكه إلاّ بالرحمة، وكانت رحمته لا تتم إلاّ بعمومها قصر هذه السورة على تعداد نعمه على خلقه في الدارين، وذلك من آثار الملك، وفصل فيها ما أجمل في آخر القمر من مقر الأولياء والأعداء في الآخرة، وصدَّرها بالاسم الدال على عموم الرحمة براعة للاستهلال وموازنة لما حصل بالملك والاقتدار من غاية التبرك والظهور والهيبة)[3].**

---

(١) الفتوحات الإلهية جـ ٤ ص٢٤٣.

(٢) الكشاف جـ ٤ ص٤٧.

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور جـ ١٩ ص١٣٩، ١٤٠.

و ذكر أبو حيان مناسبة أخرى فقال:

(أنه لما ذكر مقر المتقين فى جنات ونهر عند مليك مقتدر ذكر شيئاً من آيات الملك وآثار القدرة، ثم ذكر مقر الفريقين على جهة الإسهاب، إذ كان فى آخر السورة ذكره على جهة الاختصار والإيجاز، ولما ذكر قوله: ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ فأبرز هاتين الصفتين بصورة التنكير، فكأنه قيل: من المتصف بذلك؟ فقال: ﴿الرَّحْمَنُ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾، فذكر ما نشأ عن صفة الرحمة وهو تعلم القرآن)[1].

س٢: قال تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ، وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ (الرحمن: ٥، ٦).

ما العلاقة بين الجملة الأولى والثانية؟ وكيف يسجد النجم والشجر؟

الجواب: الشمس والقمر جرمان سماويان يجريان بحساب دقيق، ونظام عجيب والنجم وهو النبات الذى ينجم من الأرض لا ساق له والشجر ينقادان، وبالأربعة الشمس والقمر والنجم والشجر تقوم الحياة، فمن ضوء الشمس يأخذ النبات والشجر الكربون ليكوّن بها غذاء الإنسان والحيوان، ويعطيان الأكسجين اللازم للحياة، فيتجدد الهواء وتستمر حياة الكائنات، وهذه مناسبة بين الجملة الأولى والثانية، فالشمس والقمر يجريان بحساب ومقدار دقيق، وينقادان لما خُلِقَا له وهو منفعة الإنسان، والنبات والشجر ينقادان لما خلقا وهو المعبر عنه بقوله: «يسجدان»، وذلك لمنفعة الإنسان، فاستمرار الحياة بالأربعة.

س٣: قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ، أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ، وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ (الرحمن: ٧ – ٩). **كرر الميزان ثلاث مرات فما سر ذلك؟**

الجواب: من وجهين:

الأول: صرح بالميزان مكرراً له ثلاث مرات للتوصية به وتقوية للأمر، وليكون كل واحد قائماً بنفسه غير محتاج إلى الأول.

الثاني: ليس فى الآيات تكرار ويكون المعنى فى الآيات على النحو التالى:

الآية الأولى: ﴿وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ بيان بأنه وضعه لتوزن به الأشياء وتُعرف مقاديرها، حيث علق به أحكام عباده وقضاياهم وما تعبّدهم به من التسوية والتعديل فى أخذهم وإعطائهم، ويجوز أن يكون الميزان بمعنى العدل.

(١) البحر المحيط جـ ٨ ص١٨٦.

الآية الثانية: ﴿أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ فذكر في معرض النهي عن مجاوزة العدل عامة.

الآية الثالثة: ﴿وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ ذكره في معرض النهي عن نقصان الوزن.

س٤: قال تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

ما سر تكرار هذه الآية؟ ولِمَ ثَنَّى في ربكما وتكذبان مع أن المخاطبين جمع هم الإنس والجن؟

الجواب: أمَّا الشطر الأول من السؤال فقد سبق الحديث عنه في سورة القمر عند السؤال عن تكرار قوله: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾. **وأما الشطر الثاني من السؤال:** فإن الخطاب للجنسين الإنس والجن، وهما مثنى باعتبار الجنس، الواحد منهما مفرد، والجنسان ورد ذكرهما بالتثنية بعد ذلك. ولقد خاطب الله الجنسين بالجمع والتثنية قال تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلانِ﴾ (الرحمن: ٣١)، فهذه الآية خاطبت الجنسين بالجمع باعتبار أن الجنسين مشتملان على أفراد كثيرين، وخاطبتهم بالتثنية باعتبار أنهما جنسان، وهكذا في بقية الآيات.

لطيفتان:

اللطيفة الأولى: قال تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ، بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَّ يَبْغِيَانِ، فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ، يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ (الرحمن: ١٩ - ٢٢).

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ أرسل الله البحرين البحر الملح والبحر العذب وهو النهر يتجاوران، بينهما حاجز يمنع بغي أحدهما على الآخر فالمراد بالبرزخ الحاجز، (هذا هو شأن الأنهار القريبة من السواحل، فماء البحر يدخل ماء النهر عند حدوث «المد البحري»، ولكنهما لا يختلطان ويبقى الماء عذباً تحت الماء الأجاج. وهكذا شاهدت عند ملتقى الكنج والجامونا في مدينة «ألله أباد»، فهما رغم التقائهما لم تختلط مياههما، ويبدو أن خيطاً فاصلاً يميز أحدهما من الآخر، إن هذه الظاهرة - كما قلت- كانت معروفة لدى الإنسان القديم، ولكنا لم نكتشف قانونها إلاَّ منذ بضع عشرات من السنين، فقد أكدت المشاهدات والتجارب أن هناك قانوناً ضابطاً للأشياء السائلة يسمى قانون «المط السطحي»، وهو يفصل بين السائلين؛ لأن تجاذب الجزئيات يختلف من سائل لآخر، ولذا يحتفظ كل سائل باستقلاله في مجاله، وقد استفاد العلم الحديث كثيراً من هذا القانون الذي عبر عنه القرآن بقوله سبحانه: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَّ يَبْغِيَانِ﴾، وملاحظة هذا البرزخ لم تَخْفَ عن أعين القدماء، كما لم تتعارض مع المشاهدة الحديثة، ونستطيع بكل ثقة أن نقول: إن المراد من البرزخ إنما هو «المط أو التمدد السطحي» الذي يوجد في الماءين، والذي يفصل أحدهما عن الآخر)[1].

---

(١) الإسلام يتحدى ص١٤٢، ١٤٣.

وقال الله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ قال: «يخرج منهما» وهو يخرج من أحدهما وهو الملح، ولا يخرج من العذب، وقال: «منهما»، لأنه لما التقيا صارا كالشيء الواحد، فجاز أن يقال: يخرج منهما.

اللطيفة الثانية: قال القرطبي: (وفي الترمذي عن جابر قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه فقرأ عليهم سورة "الرحمن" من أولها إلي آخرها فسكتوا، فقال: «لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردودا منكم، كنت كلما أتيت على قوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ قالوا: لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد» قال: هذا حديث غريب. وفي هذا دليل على أنها – أى السورة– مكية والله أعلم. وروي أن قيس بن عاصم المنقري قال للنبي ﷺ: **اتل عليَّ مما أنزل عليك، فقرأ عليه سورة "الرحمن" فقال: أعدها، فأعادها ثلاثا، فقال: والله إن له لطلاوة، وإن عليه لحلاوة، وأسفله لمغدق، وأعلاه مثمر، وما يقول هذا بشر، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. وروي عن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لكل شيء عروس وعروس القرآن سورة الرحمن»**)[1].

س٥: قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ، وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (الرحمن: ٢٦، ٢٧)، **قال للثقلين: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ بالإفراد، وكان السياق يقتضى أن يقول: «ويبقى وجه ربكما»، فما سر العدول إلى الإفراد؟**

الجواب: لم يقل: «ربكما» لأن التعبير بالمثنى يوهم خروج أحد من الجنسين من دائرة الفناء، واتصافه بالبقاء، فلما خاطب الله الجنسين بقوله: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ كان الخطاب لكل أحد، فليس هناك مظنة خروج أحد من دائرة الفناء ودخوله فى صفة البقاء.

لطيفة: قال تعالى: ﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ (الرحمن :٢٩).

يقول الزمخشرى: (﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ أى: كل وقت وحين يحدث أموراً، ويجدد له أحوالاً، كما روى عن رسول الله ﷺ: **أنه تلاها فقيل له: وما ذلك الشأن؟ فقال: «من شأنه أن يغفر ذنباً ويفرج كرباً ويرفع قوماً ويضع آخرين»** وعن ابن عيينة: **الدهر يومان، أحدهما: اليوم الذى هو مدة عمر الدنيا، فشأنه فيه الجزاء والحساب. وقيل: نزلت فى اليهود حين قالوا: إن الله لا يقضى يوم السبت شيئاً.** وسأل بعض الملوك وزيره عنها فاستمهله إلى الغد، وذهب كئيباً

---

(١) الجامع لأحكام القرآن جـ ١٧ ص١٥١.

يفكر فيها. فقال غلام له أسود: يا مولاى أخبرنى ما أصابك؟ يسهل لك على يدى، فأخبره. فقال له: أنا أفسرها للملك، فأعلمه. فقال: أيها الملك شأن الله أن يولج الليل فى النهار، ويولج النهار فى الليل، ويخرج الحى من الميت، ويخرج الميت من الحى، ويشفى سقيماً، ويسقم سليماً، ويبتلى معافىً، ويعافى مبتلىً. ويعز ذليلاً. ويذل عزيزاً، أو يفقر غنياً، ويغنى فقيراً. فقال الأمير: أحسنت. وأمر الوزير أن يخلع عليه ثياب الوزارة، فقال: يا مولاى، هذا من شأن الله. وعن عبد الله بن طاهر أنه دعا الحسين بن الفضل وقال له: أشكلت علىَّ ثلاث آيات دعوتك لتكشفها لى: قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ وقد صح أن الندم توبة، وقوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ وقد صح أن القلم قد جف بما هو كائن إلى يوم القيامة، وقوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى﴾ فما بال الأضعاف؟ فقال الحسين: يجوز أن لا يكون الندم توبة فى تلك الأمة، ويكون توبة فى هذه الأمة؛ لأن الله خص هذه الأمة بخصائص لم يشاركهم فيها الأمم. وقيل: إن ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل ولكن على حمله، وأما قوله: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى﴾ فمعناه: ليس له إلاَّ ما سعى عدلاً، ولى أن أجزيه بواحدة ألفاً فضلاً، وأما قوله: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ فإنها شؤون يبديها لا شؤون يبتديها، فقام عبد الله وقبل رأسه وسوغ خراجه)(١).

س٦: قال تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلانِ﴾ (الرحمن :٣١).

كيف يقول الله: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ وتنزه عن ذلك فهو لا يشغله شىء عن شىء؟

الجواب: هذا القول أتى على أبلغ وجه من التهديد، وهو (مستعار من قول الرجل لمن يتهدده: سأفرغ لك، يريد: سأتجرد للإيقاع بك من كل ما يشغلنى عنك حتى لا يكون لى شغل سواه، والمراد التوفر على النكاية فيه، والانتقام منه، ويجوز أن يراد: ستنتهى الدنيا وتبلغ آخرها، وتنتهى عند ذلك شؤون الخلق التى أرادها بقوله: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ فلا يبقى إلاَّ شأن واحد وهو جزاؤكم) (٢).

ويجوز أن يكون معنى «سنفرغ» أى: نقصد، والمعنى: «سنقصدكم أيها الثقلان للحساب والجزاء، وهذا يوم القيامة، يقول القرطبى: (وفرغ بمعنى: قصد. وأنشد ابن الأنبارى فى مثل هذا لجرير:

---

(١) الكشاف جـ ٤ ص٥٢.

(٢) المرجع السابق.

ألآن وقد فرغت إلى نُمير ∴ فهذا حين كنت لها عذاباً

وفى الحديث أن النبى ﷺ لما بايع الأنصار ليلة العقبة صاح الشيطان: يا أهل الجُباجب هذا مذمم يبايع بنى قيلة على حربكم، فقال النبى ﷺ: هذا إزْبُ العقبة - اسم شيطان العقبة - أما والله يا عدو الله لأتفرغن لك، أى: أقصد إلى إبطال أمرك، وهذا اختيار القتيبى والكسائى)(١).

س٧: قال تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ﴾ (الرحمن :٣٣)، **وقال تعالى فى سورة الأنعام:** ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ (الأنعام :١٣٠)، **و قال تعالى:** ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الإسراء :٨٨)، **ما سر تقديم الجن على الإنس فى الآيتين الأولى والثانية؟ وتقديم الإنس على الجن فى الثالثة؟**

الجواب: قدم الجن على الإنس فى الآية الأولى لأنهم لديهم القدرة فى لمس السماء كما أخبر بذلك القرآن، قال تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا، وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ (الجن :٨، ٩)، فلديهم القدرة والخبرة أكثر من الإنس فقدمهم وأمَّا تقديم الجن فى الآية الثانية على الإنس باعتبار وجودهم قبل الإنس.

وقدم الإنس على الجن فى الآية الأخيرة؛ لأن الكتب نزلت على الإنس، والقرآن أنزله الله على أمة من الإنس بلغتها، فكان الأليق أن يقدم الإنس.

س٨: قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ (الرحمن :٤٦) **ما سر تثنية الجنتين؟**

الجواب: (قيل إحداهما التى خلقت له، والأخرى ورثها -أى عن الكفرة الذين لم يؤمنوا-، وقيل: إحداهما منزله، والأخرى منزل أزواجه، وقيل: إحداهما أسافل القصور، والأخرى أعاليها، وقيل: جنة للخائف الإنسى وجنة للخائف الجنى، وقيل: جنة لفعل الطاعة وأخرى لترك المعصية، وقيل: جنة للعقيدة التى يعتقدها، وأخرى للعمل الذى يعمله، وقيل: جنة بالعمل وجنة بالتفضيل، وقيل: جنة روحانية وجنة جسمانية، وقيل: جنة لخوفه من ربه وجنة لتركه شهوته، وقال الفراء: إنما هى جنة واحدة، والتثنية لأجل موافقة رءوس الآيات)(٢).

وهذه الآراء مقبولة عدا الرأى الأخير وهو قول الفراء؛ لأنه مخالف لظاهر النصوص، (قال

---

(١) الجامع لأحكام القرآن جـ ١٧ ص١٦٨.

(٢) فتح القدير جـ ٥ ص١٧٤.

النحاس: وهذا القول -أى قول الفراء - من أعظم الغلط على كتاب الله فإن الله يقول: «جنتان» ويصفهما بقوله: «فيهما»)[1].

س٩: قال تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ﴾ (الرحمن: ٥٦).

لم يتقدم إلاَّ الجنتان فما سر جمعهن جمع مؤنث؟

الجواب: (﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ أى: فى الجنتين المذكورتين، قال الزجاج: وإنما قال: «فيهن» لأنه عنى الجنتين وما أعد لصاحبهما فيهما من النعيم، وقيل: فيهن أى فى الفرش التى بطائنها من إستبرق)[2].

وأقول: جمع الجنتين جمع مؤنث فى قوله: «فيهن»؛ لأن كل جنة من الجنتين فيها أقسام كثيرة وأنواع من النعيم مختلفه.

س١٠: قال تعالى: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ (الرحمن: ٦٢).

ما فائدة ذكر هاتين الجنتين مع أنهما أقل من السابقتين؟

الجواب: كل جنة جعلها الله جزاء للمؤمنين، وهم يتفاوتون فى الأعمال فكل جنة على قدر عمل صاحبها.

س١١: قال الله تعالى: ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ (الرحمن: ٦٨).

ما سر عطف النخل والرمان على الفاكهة وهما من الفاكهة؟

الجواب: من وجهين:

١- عطفهما تخصيصاً لهما وبياناً لفضلهما، كأنهما لمزيتهما جنسان مغايران للفاكهة.

٢- أن النخل يثمر التمر وهو فاكهة وطعام، والرمان فاكهة ودواء، فكأنهما خالفا الفاكهة فلذلك عطفهما عليها.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) فتح القدير جـ ٥ ص١٧٥، ١٧٦.

﴿ (٥٦) سورة الواقعة ﴾

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: يقول الإمام البقاعي: (لما صنَّف سبحانه النَّاس فى تلك - أى الرحمن - إلى ثلاثة أصناف: مجرمين وسابقين ولاحقين، وختم بعلة ذلك وأنه ذو الانتقام والإكرام، شرح أحوالهم فى هذه السورة، وبيَّن الوقت الذى يظهر فيه إكرامه وانتقامه بما ذكر فى الرحمن غاية الظهور، فقال بانياً على ما أرشده السياق إلى أن تقديره يكون ذلك كله كوناً يشترك فى علمه الخاص والعام: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ التى لابد من وقوعها)[1].

س٢: قال تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ، لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ، خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ (الواقعة :١- ٣)، ما المراد بالواقعة؟ وما معنى الألف واللام والتاء فيها؟ وكيف توصف بوصفين متناقضين ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ ؟

الجواب: الواقعة هى القيامة، ووصفت بذلك لأنها تقع لا محالة، فكأنه قيل: إذا وقعت التى لابد من وقوعها. والألف واللام تسمى بلام الكمال، والتاء للمبالغة.

خافضة لمن يشاء الله خفضه من عظماء الشرك والعصاة المذنبين، ورافعة لمن يريد الله رفعه من ضعفاء أهل الجنة المؤمنين.

س٣: قال تعالى: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ، وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ، وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾. ما سر حذف «ما» من الآية الأخيرة؟

الجواب: حذفت لدلالة ما قبلها عليها.

لطيفة: دار حوار بين أم سلمة ورسول الله ﷺ سألتْهُ عن أوصاف الحور العين، ثم سألت سؤالاً يدل على عمق فكرها، قالت: يا رسول الله «المرأة منا تتزوج زوجين وثلاثة وأربعة، ثم تموت فتدخل الجنة ويدخلون معها، من يكون زوجها؟

(قال أبو القاسم الطبرانى: حدثنا بكر بن سهل الدمياطى: حدثنا عمرو بن هشام البيروتى: حدثنا سليمان بن أبى كريمة عن هشام بن حسان عن الحسن عن أمه عن أم سلمة قالت: قلت يا رسول الله أخبرنى عن قول الله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ (الواقعة :٢٢)، قال: «حور بيض، عين: ضخام العيون، شُفر الحوراء بمنزلة جناح النسر» قلت: أخبرنى عن قوله: ﴿كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ

---

(١) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور جـ ١٩ ص١٩٥، ١٩٦.

الْمَكْنُونِ﴾ (الواقعة :٢٣)، قال: «صفاؤهن صفاء الدر الذى فى الأصداف، الذى لم تمسه الأيدى» قلت أخبرنى عن قوله: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ (الرحمن :٧٠)، قال: «رقتهن كرقة الجلد الذي رأيت في داخل البيضة مما يلي القشر، وهو الغرقيء" ، قلت: يا رسول الله أخبرني عن قوله: ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ قال: "هن اللواتي قبضن في الدار الدنيا عجائز رمصاً شمصاً، خلقهن الله بعد الكبر فجعلهن عذارى عرباً متعشقات متحببات. "أترابا: على ميلاد واحد" قلت: يا رسول الله نساء الدنيا أفضل أم الحور العين ؟ قال: "بل نساء الدنيا أفضل من الحور العين كفضل الظهارة على البطانة" ، قلت: يا رسول الله وبم ذاك ؟ قال: "بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن الله عز وجل. ألبس الله وجوههن النور، وأجسادهن الحرير، بيض الألوان، خضر الثياب، صفر الحلي، مجامرهن الدر، وأمشاطهن الذهب، يقلن: نحن الخالدات فلا نموت أبداً، ونحن الناعمات فلا نبأس أبداً، ونحن المقيمات فلا نظعن أبداً، ألا ونحن الراضيات فلا نسخط أبداً، طوبى لمن كنا له وكان لنا" ، قلت: يا رسول الله المرأة منا تتزوج الزوجين والثلاثة والأربعة ثم تموت فتدخل الجنة ويدخلون معها، من يكون زوجها ؟ قال: "يا أم سلمة إنها تُخَيَّر فتختار أحسنهم خلقاً، فتقول: يا رب إن هذا كان أحسن خلقاً معي فزوجنيه، يا أم سلمة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والاخرة"[1].

س٤: قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾ (الواقعة :٥٨)، وقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾ (الواقعة :٦٣)، وقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾ (الواقعة :٦٨)، وقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ (الواقعة :٧١)، ما سر التكرار؟ وذكر عقيب الثلاثة الأولى ما يأتى عليه ويفسده. فقال بعد الآية الأولى ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ﴾ وقال بعد الثانية ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾ وقال بعد الثالثة ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا﴾ ولم يأت بعد الرابعة بما يفسد النار؛ بل قال ﴿تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾، فما سر ذلك؟

الجواب: ليس فى الآيات تكرار، بل بدأ فى الأولى بذكر خلق الإنسان، ثم ثنى بما لا غنى عنه للإنسان وهو الحَبُّ لأن منه قوته، ثم ثلث بالماء الذى جعل الله به حياة الإنسان والكائنات الحية، ولم يقل بعد الرابعة ما يفسد كالثلاثة السابقة؛ لأن النار (من أعظم الدلائل على البعث، وفيها انتقال من شيء إلى شيء، وإحداث شيء من شيء، ولذلك أمر فى آخرها بتنزيهه تعالى عما

(١) تفسير ابن كثير جـ ٧ ص٥٣٢.

يقول الكافرون، ووصف نفسه بالعظيم)[1]، وأنها تذكر بنار جهنم، فمن الخوف منها لا يحيد العاقل عن الطريق المستقيم.

س٥: قال تعالى: ﴿أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ، لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾ (الواقعة: ٦٤، ٦٥)، **و قال تعالى:** ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ، أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ، لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا﴾ (الواقعة: ٦٨ - ٧٠). **ما سر اقتران الفعل «جعلناه» في الآية الأولى باللام وما سر تجريد الفعل منها في الآية الثانية؟**

الجواب: (يجوز أن يقال إن هذه اللام - في قوله: «لجعلناه» - مفيدة معنى التوكيد لا محالة فأدخلت في آية المطعوم دون آية المشروب للدلالة على أن أمر المطعوم مقدم على أمر المشروب، وأن الوعيد بفقده أشد وأصعب من قِبَل أن المشروب إنما يحتاج إليه تبعاً للمطعوم، ألا ترى أنك إنما تسقى ضيفك بعد أن تطعمه، وسقى بعض العرب فقال: أنا لا أشرب إلاَّ ثميلة، ولهذا قُدِّمت آية المطعوم على آية المشروب)[2].

(٥٧) سورة الحديد

س٦: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: يقول الإمام البقاعي: (لما ختمت الواقعة بالأمر بتنزيهه عما أنكره الكفرة من البعث جاءت هذه لتقرير ذلك التنزيه وتبيينه بالدليل والبرهان والسيف والسنان، فقال تعالى كالتعليل لآخر الواقعة «سبَّح» أي أوقع التسبيح بدلالة الجبلة تعظيماً له سبحانه، وإقراراً بربوبيته، وإذعاناً لطاعته، وقصره وهو متعد ليدل على العموم بقصره وعلى الإخلاص بتعديته باللام)[3].

س٧: قال تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (الحديد: ١). **الفعل «سبح» يتعدى بنفسه فلم عدَّاه باللام فقال: «لله»؟ وما سر حذف «ما» من الأرض في هذه السورة دون سورة الحشر والصف والجمعة والتغابن فكلها فيها: «وما في الأرض»؟**

الجواب: لقد سبق الحديث عن سر مجيء التسبيح مرة بالمصدر كما في الإسراء، ومرة بالفعل الماضي كما في هذه السورة وبقية السور، ومرة بالفعل المضارع كما في الجمعة والتغابن،

---

(١) البحر المحيط جـ ٨ ص٢١٢.

(٢) انظر: نظم الدرر جـ ١٩ ص١٩٦.

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور جـ ١٩ ص٢٥١.

ومرة بالأمر كما فى سورة الأعلى، سبق ذلك فى الإسراء.

والجواب على هذا السؤال من وجهين:

١- إمّا أن اللام مزيدة للتوكيد كما فى قولك: نصحت له وشكرت له.

٢- أو أن اللام: بمعنى التعليل والمعنى: التسبيح لأجل الله خالصاً لوجهه[١].

أمّا اختصاص هذه السورة بحذف «ما» وورودها فى السور الأخرى فذلك لما يأتى:

حذفت «ما» من سورة الحديد موافقة لما بعدها، فهى محذوفة من موضعين بعدها: فى قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ وقوله تعالى: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ . ومعنى «ما» فى قوله: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾ أى: سبح لله خلق السموات والأرض.

س٣: قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ (الحديد :٧).

قوله: ﴿مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ يدل على أنهم لا يملكونه فما سر ذلك؟

الجواب: معناه: (أنفقوا مما جعلكم خلفاء فى التصرف فيه من غير أن تملكوه حقيقة، عبر عما بأيديهم من الأموال والأرزاق بذلك تحقيقاً للحق وترغيباً لهم فى الإنفاق، فإن من علم أنها لله ﷻ وإنما هو بمنزلة الوكيل يصرفها إلى ما عينه الله تعالى من المصارف هان عليه الإنفاق، أو جعلكم خلفاء ممن قبلكم فيما كان بأيديهم بتوريثه إياكم، فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم إليكم، وسينتقل منكم إلى من بعدكم)[٢].

س٤: قال تعالى: ﴿لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ (الحديد :١٠).

ما سر الإفراد فى قوله: «وقاتل» ، والجمع فى قوله: ﴿أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً﴾ ؟

الجواب: أفرد باعتبار لفظ «مَنْ» فى قوله: ﴿مَّنْ أَنفَقَ﴾ ، وأخبر بالجمع فقال: ﴿أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً﴾ باعتبار معنى «مَنْ» فإنها تفيد العموم.

س٥: قال تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ (الحديد :١١)، **كيف يعبر الله ﷻ عن الصدقة والإنفاق بالقرض الحسن؟**

الجواب: هذا أسلوب بليغ فيه ندب إلى الإنفاق فى سبيل الله، فمن أنفق فإن الله يعوضه كمن يقرضه، و(سمى قرضاً لأن القرض إخراج المال لاسترداد البدل، أى: من ذا الذى ينفق فى

(١) انظر تفسير أبى السعود جـ ٨ ص٢٠٣.

(٢) تفسير أبى السعود جـ ٨ ص٢٠٤.

سبيل الله حتى يبدله الله الأضعاف الكثيرة، وفى الشهاب: «فيه استعارة تصريحية تبعية، حيث شبه الإنفاق فى سبيل الله بإقراضه، والجامع: إعطاء شيء بعوض، وفى الخازن: «قرضاً حسناً» أى: صادقاً محتسباً بالصدقة طيبة بها نفسه، وسمى هذا الإنفاق قرضاً لله من حيث إن الله وعد به الجنة تشبيهاً بالقرض. قال بعض العلماء: القرض لا يكون حسناً حتى يجمع أوصافاً عشرة وهى: أن يكون المال من حلال، وأن يكون من أجود المال، وأن تتصدق به وأنت محتاج إليه، وأن تصرف صدقتك إلى الأحوج إليها، وأن تكتم الصدقة ما أمكنك، وأن لا تتبعها بالمن والأذى، وأن تقصد بها وجه الله ولا ترائى بها النّاس، وأن تستحقر ما تعطى وإن كان كثيراً، وأن يكون من أحب أموالك إليك، وأن لا ترى عز نفسك وذل الفقير. فهذه خصال عشر إذا اجتمعت فى الصدقة كانت قرضاً حسناً»(١).

س٦: قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ (الحديد :١٣). **كيف يأمرونهم بالرجوع إلى الدنيا ولا رجوع؟ وكيف يجمع الباب الرحمة والعذاب معاً؟**

الجواب: وجواب الشرط الأول من وجهين:

الأول: إرجعوا إلى الموقف فى القيامة إلى حيث أعطينا هذا النور، وتميزنا به عن الكفرة والمنافقين فالتمسوه، وهم صادقون.

الثانى: إرجعوا إلى الدنيا فالتمسوا النور بتحصيل أسبابه من الإيمان وفعل الصالحات، وفى هذا تهكم بهم، وتخييب لهم.

أمّا الباب أو السور فله باطن وظاهر، فالباطن هو الجهة أو الشق الذى يلى الجنة وفيها المؤمنون، والظاهر هو الذى يلى النار وفيها الكافرون والمنافقون، فمن جهته هذه يكون العذاب.

س٧: قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾ (الحديد :٢٢)، **وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾** (التغابن :١١)، **ما سر اختلاف الأسلوب فى الآيتين؟**

الجواب: الآية الأولى فُصّل الحديث فيها مراعاة للسياق، فإنّه فصل أحوال الدنيا والآخرة

(١) الفتوحات الإلهية جـ ٤ ص٢٨٨.

بقوله : ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ (الحديد : ٢٠)، وفى الآية الثانية أجمل الحديث فيها موافقة للسياق[١].

س٨: قال تعالى: ﴿لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (الحديد :٢٣)، **الإنسان مفطور على الفرح بما يَسُرُّه والحزن على ما يؤلمه، وفى هذا النهى مخالفة للفطرة والغريزة؟**

الجواب: النهى عن الحزن المخرج إلى ما يذهل صاحبه عن الصبر والتسليم لأمر الله، فإذا فاتت الإنسان نعمة فليست له، فيجب أن لا يحزن عليها، وإن حلت به نقمة فهو قدر الله وحكمه، ولا معقب لحكمه، بل يصبر ويحتسب وينأى عن دائرة الجزع، فالحزن فطرى ولا دخل للإنسان فيه، ولكن المنهى عنه هو المخرج إلى اليأس والقنوط من رحمة الله والجزع من حكمه.

والفرح: أمر غريزى على أمر فيه سرور، والله لم ينه عنه، بل المنهى عنه هو الفرح الموجب للبطر والكبرياء والخيلاء، والذى يُنْسِى شكر النعمة، قال تعالى ﴿يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ، بِنَصْرِ اللَّهِ﴾ (الروم :٤، ٥).

س٩: قال تعالى : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ (الحديد :٢٥).

إنزال الكتاب مفهوم فكيف أنزل الله معه الميزان والحديد؟

الجواب: (المراد بالميزان العدل، ومعنى إنزاله إنزال أسبابه وموجباته، وعلى القول بأنه المراد به – أى الميزان – الآلة التى يوزن بها، فيكون إنزاله بمعنى إرشاد النَّاس إليه وإلهامهم الوزن به، ويكون الكلام من باب – علفتها تبناً وماء بارداً – ﴿وأنزلنا الحديد﴾ أى: خلقناه كما فى قوله: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنْ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ (الزمر :٦)، والمعنى: أنه خلقه من المعادن، وعلم النَّاس صنعته وقيل: إنه نزل مع آدم)[٢].

س١٠: قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ (الحديد :٢٨).

المؤمنون آمنوا برسول الله فكيف يأمرهم بالإيمان به؟

الجواب: من ثلاثة وجوه:

(الأول: الخطاب متوجه إلى اليهود والنصارى ومعناه: يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى آمنوا

(١) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز جـ ١ ص٤٥٥.

(٢) فتح القدير جـ ٥ ص٢٢١.

بمحمد ﷺ . الثاني: يا أيها الذين آمنوا يوم الميثاق آمنوا بالرسول اليوم. الثالث: يا أيها الذين آمنوا باللسان آمنوا بالقلب)[1] .

ويمكن أن يجاب عن الآية بأن هذا الأسلوب يتكرر في القرآن كثيراً كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ (الأحزاب :١).

والمعنى: استمر واثبت على تقوى الله، ويكون معنى الآية: يا أيها الذين آمنوا اثبتوا واستمروا على الإيمان برسوله.

(٥٨) سورة المجادلة

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: يقول الإمام البقاعي: (لما ختمت الحديد بعد إثبات عجز الخلق بعظم الفضل له سبحانه، وكان سماع أصوات جميع الخلائق من غير أن يشغله صوت عن صوت وكلام عن كلام من الفضل العظيم، وكان قد تقدم ابتداع بعض المتعبدين من الرهبانية بما لم يصرح لهم بالإذن فيه، فكان سبباً للتضييع، وكان الظهار على نوعين: مؤقت ومطلق، وكان المؤقت مما يدخل في الرهبانية لأنه من التبتل وتحريم ما أحل الله من الطيبات، وكان بعض الصحابة - رضي الله عنهم - قد منع نفسه بالمؤقت فيه من مرغوبها مما لم يأت عن الله، فظاهر من امرأته محافظة على كمال التعبد خوفاً من الجماع في نهار رمضان، وكان ذلك مما لم يأذن به، بل نهى عنه كما روى أبو داود عن أنس رضي الله عنه والطبراني في الأوسط عن سهل بن حنيف رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تشددوا على أنفسكم، فإنما هلك من كان قبلكم بتشديدهم على أنفسهم، وستجدون بقاياهم في الصوامع والديارات»، وكان بعض الصحابة - رضي الله عنهم أجمعين - قد ظاهر مطلّقاً، فشكَت امرأته ما لحقها من الضرر إلى رسول الله ﷺ، وهتفت باسم الله وكان علمه سبحانه بخصوص شكاية هذه المرأة المسكينة وإزالة ضررها بحكم عام لها ولغيرها من عباده حتى صارت واقعتها رخصة عامة للمسلمين إلى يوم القيامة)[2] .

س٢: ما اسم المرأة المجادلة وما اسم زوجها؟

الجواب: (عن الأعمش عن تميم بن سلمة عن عروة عن عائشة أنها قالت: تبارك الذي أوعى

---

(١) الروض الريان في أسئلة القرآن جـ ٢ ص٤٧٦.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور جـ ١٩ ص٢٣٢، ٢٣٣.

سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى عليّ بعضه، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ، وهي تقول: يا رسول الله أكل شبابي، ونثرت له بطني، حتى إذا كبرت سني، وانقطع ولدي، ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك، قالت: فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآية: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ وقال: وزوجها أوس بن الصامت)(١).

لطيفة: (التي اشتكت إلى الله هي خَوْلَة بنت ثعلبة، وقيل: بنت حكيم، وقيل: اسمها جميلة، وخَوْلَة أصح، وزوجها أوس بن الصامت أخو عبادة بن الصامت، وقد مرَّ بها عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته والناس معه على حمار فاستوقفته طويلا ووعظته وقالت: يا عمر قد كنت تدعى عميرا، ثم قيل لك: عمر، ثم قيل لك أمير المؤمنين، فاتق الله يا عمر، فإنه من أيقن بالموت خاف الفوت، ومن أيقن بالحساب خاف العذاب، وهو واقف يسمع كلامها، فقيل له: يا أمير المؤمنين أتقف لهذه العجوز هذا الوقوف؟ فقال: والله لو حبستني من أول النهار إلى آخره لا زلت إلا للصلاة المكتوبة، أتدرون من هذه العجوز؟ هي خولة بنت ثعلبة سمع الله قولها من فوق سبع سموات، أيسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه عمر؟)(٢).

س٣: قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ (المجادلة :٧)، **ما سر تخصيص الثلاثة والخمسة بالذكر؟**

الجواب: من وجهين:

(أحدهما: أن قوماً من المنافقين تحلقوا للتناجي مغايظة للمؤمنين على هذين العددين ثلاثة وخمسة، فقيل ما يتناجى منهم ثلاثة وخمسة، فقيل: ما يتناجى منهم ثلاثة ولا خمسة كما ترونهم يتناجون كذلك، ولا أدنى من عدديهم ولا أكثر إلاّ والله معهم، يسمع ما يقولون، فقد روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت في ربيعة وحبيب ابني عمرو وصفوان بن أمية كانوا يوماً يتحدثون فقال أحدهم: أترى أن الله يعلم ما نقول؟، فقال الآخر: يعلم بعضاً ولا يعلم بعضاً، وقال الثالث: إن كان يعلم بعضاً فهو يعلم كله، وصدق لأن مَنْ علم بعض الأشياء بغير سبب فقد علمها كلها؛ لأن كونه عالماً بغير سبب ثابت له مع كل معلوم.

والثاني: (أنه قصد أن يذكر ما جرت عليه العادة من أعداد أهل النجوى والمتخالين للشورى،

(١) تفسير ابن أبي حاتم جـ ١٠ ص٣٣٤٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن جـ ١٧ ص٢٥٨.

والمندوبون لذلك ليسوا بكل أحد، وإنما هم طائفة مجتباة من أولى النهى والأحلام، ورهط من أهل الرأى والتجارب، وأول عددهم الاثنان فصاعداً إلى خمسة إلى ستة إلى ما اقتضته الحال وحكم الاستصواب، ألا ترى إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه كيف ترك الأمر شورى بين ستة، ولم يتجاوز بها إلى سابع، فذكر عز وجل الثلاثة والخمسة وقال: «ولا أدنى من ذلك» فدل على الاثنين والأربعة وقال: «ولا أكثر» فدل على ما يلى هذا العدد ويقاربه، وفى مصحف عبد الله: إلاّ الله رابعهم ولا أربعة إلا الله خامسهم ولا خمسة إلاّ الله سادسهم ولا أقل من ذلك ولا أكثر إلاّ الله معهم إذا انتجوا)[1].

لطيفة: قال تعالى : ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (المجادلة :٢٢).

روى فى سبب نزول هذه الآية (أنها نزلت فى أبى بكر رضي الله عنه، وذلك أن أبا قحافة سبَّ رسول الله ﷺ فصكه صكة سقط منها، فقال له رسول الله ﷺ: أو فعلته؟ قال: نعم، قال: لا تعد، قال: والله لو كان السيف قريباً منى لقتلته. وقيل فى أبى عبيدة بن الجراح: قتل أباه عبد الله بن الجراح يوم أحد، وفى أبى بكر دعا ابنه يوم بدر، وقيل: نزلت فى علىٍ وحمزة وعبيدة بن الحارث قتلوا عتبة وشيبة ابنى ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر)[2].

لقد اختُبِرَ هؤلاء القوم فى عقيدتهم بين رباط القرب من الله وبين أواصر الدم، فآثروا القرب من الله والإيمان به، وقطعوا أواصر الدم وتجردوا منها، ونفضوا عن قلوبهم كل عرض من أعراض الدنيا الفانية، وقاتلوا وقتلوا من حادّ الله ورسوله، أى: من خالف الله ورسوله، وشق عصا الطاعة، وخاصم من آمن به مهما كانت درجة قرابته لهم، فهم حزب الله المجتمعون تحت لوائه، المتحركون بأمره المهتدون بهديه المحققون لمنهجه لا يلتفتون إلى نسب ولا مصاهرة ولا قرابة ولا وطنية ولا جنس ولا قومية إنما جمعتهم تحت راية الله عقيدتهم . والآية صورتهم صورة وضيئة فى مقام عال رفيع، وفى جو راض وديع – رضى الله عنهم – ورضوا عنه، فانقطعوا عن

(١) الكشاف جـ ٤ ص٧٤.

(٢) المرجع السابق جـ ٤ ص٧٨.

كل شيء، ووصلوا أنفسهم بالله فقبلهم في كنفه، وأفسح لهم في جناته، وأشعرهم برضاه عليهم، ورضيت نفوسهم بهذا القرب وأنست به ﴿أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ .

(٥٩) سورة الحشر

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: يقول الإمام البقاعي: (لما ختمت المجادلة بأنه معز أهل طاعته، ومذل أهل معصيته ومحادته، علّله بتنزهه عن النقائص تأييداً للوعد بنصرهم، فقال: «سبح» أي أوقع التنزيه الأعظم عن كل شائبة نقص «لله» الذى أحاط بجميع صفات الكمال. ولما كان الكفار من جميع بني آدم قد عبد بعضهم الشمس وبعضهم القمر وبعضهم غيرها من الكواكب وكانت الكواكب، مبثوثة في السموات كلها، لا تخص سماء بعينها وكذا الملائكة جمع دلالة على أن الكل عبيد، فقال: «ما في السموات» أي: كلها ولما كان الكلام في النهي عن مودة الذين يحادُّون الله، وكان ذلك لمن دون الخلص، أكد بإعادة النافي لاحتياجهم للتأكيد فقال: «وما» ولما كان جميع ما عبدوه مما أشركوا به من الأرضيات من شجر وصنم وبقر وغيرها لا يعدو الأرض التي هم عليها، أفرد فقال «في الأرض»، ولما شمل هذا جميع العالم، أشار إلى أنها عظمته لا تنتهي فقال: «وهو» أي والحال أنه وحده «العزيز» الذى يغلب كل شيء، ولا يمتنع عليه شيء «الحكيم» الذى نفذ علمه في الظواهر والبواطن، وأحاط بكل شيء فأتقن ما أراد، فكل ما خلقه جعله على وحدانيته دليلاً وإلى بيان ما له من العزة والحكمة سبيلاً)[١].

س٢: قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ (الحشر: ٢)، ما المراد بالذين كفروا؟ وما معنى اللام في «لأول»؟ وما المراد بالحشر؟

الجواب: المراد بالذين كفروا هم يهود بني النضير، وذلك أن النبي ﷺ لما قدم المدينة صالح بني النضير على أن لا يقاتلوه ولا يقاتلوا معه، وقبل رسول الله ﷺ منهم، فلما غزا رسول الله ﷺ بدراً وظهر على المشركين قالت بنو النضير: والله إنه النبي الذى وجدنا نعته في التوراة، لا ترد له راية، فلما غزا أُحُداً وهزم المسلمون نقضوا العهد، وأظهروا العداوة لرسول الله ﷺ والمؤمنين، فحاصرهم رسول الله ﷺ ، ثم صالحهم على الجلاء من المدينة، وهناك روايات كثيرة

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور جـ ١٩ ص٤٠٣، ٤٠٤.

في كتب التفسير والسير أكتفي بما ذكرت للاختصار)[1] .

واللام في قوله : «لأول» قيل إنها زائدة، وقيل هي لام التوقيت كما في قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ وقوله : ﴿يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ .

وأما بالنسبة للحشر فقد (قال ابن العربي: للحشر أول ووسط وآخر، فالأول إجلاء بني النضير، والأوسط: إجلاء أهل خيبر والآخر: حشر يوم القيامة، وعلى هذا فالمراد بحشرهم وإخراجهم من خيبر إخراج الطائفتين اللتين كانتا ذهبتا إلى خيبر من جملة بني النضير، وهم آل أبي الحقيق وآل حيي ابن أخطب، فإنهما لحقا بخيبر، واستمروا بها حتى أجلاهم عمر منها إلى الشام)[2] .

س٣: قال تعالى عن اليهود: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الحشر :٢)، فما معنى الآية؟

الجواب: حينما حاصرهم المسلمون أدركوا أن الرسول ﷺ سيطردهم إلى الشام كما طرد بني قينقاع، فطفقوا يخربون البيوت من الداخل، وهذه عادة اليهود فعند إجلائهم عن سيناء أخذوا يخربون المستوطنات حتى لا ينتفع بها المسلمون، والمسلمون يخربون حصونهم من الخارج للنكاية بهم وتوسيع مجال القتال وكشفهم.

لطيفة: قال تعالى : ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ (الحشر :٥).

لم يكن أمر الرسول بقطع نخل بني النضير من نفسه وهواه، بل بوحي من الله؛ لأن الله علم أن هؤلاء الشرذمة من البشر يهيمون حباً في الدنيا وزينتها، يود أحدهم لو يعمر ألف سنة، ويحبون المال حباً جماً، فأراد الله أن يفجعهم فيما عشقوه من المال، وكان النخل في تلك الفترة من أحب الأموال إلى نفوسهم، فأمر الله بقطع النخل، فكان بإذن الله وليس من عند الرسول ﷺ، يقول صاحب الفتوحات الإلهية في سبب نزول هذه الآية: (روى أن رسول الله ﷺ لما نزل ببني النضير وتحصنوا بحصونهم، أمر بقطع نخيلهم وإحراقها، فجزع أعداء الله عند ذلك وقالوا: يا محمد زعمت أنك تريد الصلاح! أفمن الصلاح عقر الشجر وقطع النخيل؟ فهل وجدت فيما

---

(١) جامع النقول في أسباب النزول.

(٢) الفتوحات الإلهية جـ ٤ ص٣١٠.

زعمت أنه أنزل عليك الفساد في الأرض؟ فوجد المسلمون في أنفسهم من قولهم، وخشوا أن يكون ذلك فساداً، واختلفوا في ذلك، فقال بعضهم: لا تقطعوا فإنه مما أفاء الله علينا، وقال بعضهم: بل نغيظهم بقطعها، فأنزل الله هذه الآية بتصديق من نهى عن قطعه وتحليل من قطعه من الإثم وأن ذلك كان بإذن الله)(١).

س٤: قال تعالى: ﴿وَمَا أَفَاء اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَن يَشَاء وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الحشر: ٦).

و قال تعالى: ﴿مَّا أَفَاء اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ (الحشر: ٧).

ما سر اقتران الآية الأولى بالواو وتجريد الثانية منها «وما أفاء»، «ما أفاء الله» ؟

الجواب: أن الأولى: ﴿وَمَا أَفَاء اللَّهُ﴾ معطوفة على قوله: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾ فاقترنت بالواو، والثانية مستأنفة ليس لها تعلق بهذا القول.

س٥: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ (الحشر: ٩).

ما وجه عطف الإيمان على الدار؟

الجواب: العطف على معنى: والذين تبوءوا الدار وأخلصوا الإيمان كقولهم: «علفتها تبناً وماء بارداً».

س٦: قال تعالى: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنصَرُونَ﴾ (الحشر: ١٢)، **كيف ينفى عن المنافقين نصرتهم لليهود بقوله:** ﴿لا يَنصُرُونَهُمْ﴾ **ويثبت النصر لهم فى قوله:** ﴿وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ﴾ ؟

الجواب: الأصل النفى وقال تعالى ﴿وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ﴾ على سبيل الفرض ليولن الأدبار. فيبقى النفى وعدم النصرة.

لطيفة: قال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر: ٩).

هذه خلال الأنصار وجميع أصحاب رسول الله ﷺ (روى عن ابن عمر أنه قال: أهدى إلى رجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة فقال: إن أخى فلاناً وعياله أحوج إلى هذا منا، فبعثه

(١) الفتوحات الإلهية جـ ٤ ص٣١٢.

إليهم فلم يزل يبعث به واحدٌ إلى آخر حتى تداولها سبعة أبيات، ثم عادت إلى الأول، فنزلت هذه الآية. وروى الداراني: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخذ أربعمائة دينار فجعلها فى صرة ثم قال للغلام: اذهب بها إلى أبى عبيدة بن الجراح ثم امكث عنده فى البيت حتى تنظر ما يصنع بها، فذهب بها الغلام إليه، وقال: يقول لك أمير المؤمنين اجعل هذه فى بعض حاجاتك، فقال: وصله الله ورحمه، ثم قال: تعالى يا جارية: اذهبى بهذه السبعة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان حتى فقدها، فرجع الغلام إلى عمر فأخبره، ووجد قد ربط مثلها لمعاذ بن جبل فقال: اذهب بها إليه وامكث فى البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع، فذهب بها إليه وقال له: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه فى بعض حاجتك، فقال: رحمه الله ووصله، وقال: ياجارية اذهبى إلى بيت فلان بكذا، وإلى بيت فلان بكذا، فجاءت امرأة معاذ فقالت: نحن والله مساكين فأعطنا، ولم يبق فى هذه الخرقة إلاَّ ديناران، فرمى بهما إليها، فرجع الغلام إلى عمر فأخبره، فَسُرَّ بذلك وقال: إنهم إخوة بعضهم من بعض)(١).

س٧: قال تعالى: ﴿لأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ﴾ (الحشر :١٣)، **و قال تعالى: ﴿لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ﴾** (الحشر :١٤).

الموصوف واحد وهم اليهود فلماذا قال فى الأولى ﴿لاَّ يَفْقَهُونَ﴾ وفى الثانية ﴿لاَّ يَعْقِلُونَ﴾ ؟

الجواب: قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ﴾ متصل بقوله تعالى: ﴿لأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ﴾ لأنهم يرون الظاهر، ولا يطلعون على ما استتر عنهم، فنفى الفقه عنهم لأنه معرفة ظاهر الشىء وغامضه بسرعة، والثانى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ﴾ متصل بقوله تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ أى: لو عقلوا لاجتمعوا على الحق، ولكنهم لا يعقلون.

لطيفة: قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ، هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (الحشر :٢٢ - ٢٤).

معنى عالم الغيب والشهادة: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾ أى: ما أخفاه عن خلقه والشهادة: ما أظهره

---

(١) الفتوحات الإلهية جـ ٤ ص٣١٦.

لهم وشاهدوه، والقدوس: أى البليغ فى النزاهة، والسلام: أى السليم من النقائص، أو أنه مصدر السلامة لخلقه، والمؤمن: واهب الأمن لخلقه، والمهيمن: الرقيب على كل شىء الحافظ له، والعزيز هو الغالب القاهر الذى لا يغلب ولا يقهر. والجبار: القاهر الذى أجبر خلقه على ما أراد، والمتكبر: البليغ الكبرياء والعظمة، والخالق: أى المقدر لما يوجدهن والبارئ: المميز بعضه من بعض، والمصور. أى الممثل.

﴿ (٦٠) سورة الممتحنة ﴾

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: يقول العلامة الألوسى: (أنه ذكر فيما قبل – أى سورة الحشر – موالاة الذين نافقوا للذين كفروا من أهل الكتاب، وذكر فى هذه – أى الممتحنة – نهى المؤمنين عن اتخاذ الكفار أولياء لئلا يشابهوا المنافقين، وبسط الكلام فيه أتم بسط)[1].

لطيفة: (روى أن مولاة لأبى عمرو بن صيفى بن هاشم يقال لها: سارة أتت رسول الله ﷺ **بالمدينة وهو يتجهز للفتح فقال لها: أمسلمة جئت؟ قالت: لا، قال: أفمهاجرة جئت؟ قالت: لا، قال: فما جاء بك؟ قالت: كنتم الأهل والموالى والعشيرة، وقد ذهبت الموالى تعنى: قتلوا يوم بدر فاحتجت حاجة شديدة، فحث عليها بنى عبد المطلب فكسوها وحملوها وزوّدوها، فأتاها حاطب بن أبى بلتعة وأعطاها عشرة دنانير، وكساها برداً، واستحملها كتاباً إلى أهل مكة. نسخته من حاطب بن أبى بلتعة إلى أهل مكة، إعلموا أن رسول الله ﷺ يريدكم، فخذوا حذركم، فخرجت سارة، ونزل جبريل بالخبر، فبعث رسول الله ﷺ علياً وعماراً وعمر وطلحة والزبير والمقداد وأبا مرثد وكانوا فرساناً، وقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة معها كتاب من حاطب إلى أهل مكة، فخذوه منها وخلوه، فإن أبت فاضربوا عنقها، فأدركوها فجحدت وحلفت فهموا بالرجوع، فقال علىٌّ رضي الله عنه: ما كذبنا ولا كذب رسول الله ﷺ. وسل سيفه وقال: أخرجى الكتاب أو تضعى رأسك. فأخرجته من عقاص شعرها. وروى أن رسول الله ﷺ : أمّن النّاس يوم الفتح إلاَّ أربعة. هى أحدهم. فاستحضر رسول الله ﷺ حاطباً، وقال: ما حملك عليه؟ فقال: يا رسول الله ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ صحبتك، ولا أحببتهم منذ فارقتهم، ولكنى كنت امرأ ملصقاً فى قريش، وروى – عزيزاً – أى غريباً –، ولم أكن من**

(١) روح المعانى جـ ٨ ص٦٥.

أنفسها، وكل من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون أهاليهم وأموالهم غيرى، فخشيت على أهلى، فأردت أن أتخذ عندهم يداً، وقد علمت أن الله ينزل عليهم بأسه، وأن كتابى لا يغنى عنهم شيئاً. فصدَّقه وقبل عذره، فقال عمر: دعنى يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق، فقال: وما يدريك يا عمر لعل الله اطلع على أهل بدر فقال لهم: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم. ففاضت عينا عمر وقال: الله ورسوله أعلم، فنزلت هذه السورة)[1].

س٢: قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ (الممتحنة: ٤).

و قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ﴾ (الممتحنة: ٦).

ما سر تأنيث الفعل «كانت» فى الأولى، وتذكيره فى الثانية مع أن اسمه واحد هو أسوة وهو مؤنث؟

الجواب: الأصل: جواز تأنيث الفعل لأن اسمه مؤنث مجازى، ولكن فى الآية الثانية لما كان الحائل بين الفعل واسمه متعدداً وبكلمتين «لكم فيهم» ذكَّر الفعل، والتكرار فى الآيتين للمبالغة والتأكيد فى الاقتداء بإبراهيم والذين معه.

(٦١) سورة الصف

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: يقول الألوسى: (ومناسبتها لما قبلها اشتمالها على الحث على الجهاد والترغيب فيه، وفى ذلك من تأكيد النهى عن اتخاذ الكفار أولياء الذى تضمنه ما قبل -فى سورة الممتحنة)[2].

س٢: قال الله تعالى: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ (الصف: ٢). **ما معنى «لِمَ»؟**

الجواب: هى لام الجر دخلت على «ما» الاستفهامية كما دخل عليها غيرها من حروف الجر كالباء وعن وفى وغير ذلك، يقول صاحب الفتوحات الإلهية: (قوله: ﴿لِمَ تَقُولُونَ﴾ استفهام على وجه الإنكار والتوبيخ على أن يقول الإنسان عن نفسه من الخير ما لا يفعله أمَّا فى الماضى فيكون كذباً أو فى المستقبل فيكون خلفاً، وكلاهما مذموم. قال الزمخشرى: لام الجر داخلة على «ما» الاستفهامية كما دخل عليها غيرها من حروف الجر، من قولك: «بم، فيم، مم، عم، إلام» وإنما حذفت الألف لأن «ما» وحرف الجر كشىء واحد. ووقع استعمالها كثيراً فى كلام المستفهم

(١) الكشاف جـ ٤ ص٨٥، ٨٦.

(٢) روح المعانى جـ ٢٨ ص٨٣.

محذوفة الألف، وجاء استعمال الأصل قليلاً. الخطيب – وعبارة البيضاوى: و«لِمَ» مركبة من لام الجر وما الاستفهامية، والأكثر على حذف ألفها مع حرف الجر لكثرة استعمالهما معاً، فلذلك استحقت التخفيف، ولاعتناقهما فى الدلالة على المستفهم عنه)[١].

س٣: قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ (الصف :٥)، **و قال تعالى :** ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (الصف :٦).

ما معنى ﴿وَقَد تَّعْلَمُونَ﴾ و«قد» إذا دخلت على الفعل المضارع أفادت التقليل وموسى رسول؟ ولماذا لم يقل عيسى: «يا قوم» كما قال «موسى»؟

الجواب: فأما عن الشطر الأول من السؤال فأقول: (قال أحمد: «قد» تصحب الماضى لتقريبه من الحال، ومنه قول المؤذن: قد قامت الصلاة، وتشتمل المصاحبة للماضى أيضاً على معنى التوقع فلذلك قال سيبويه: «قد» فعل جواب «لمَّا يفعلْ». وقال الخليل: هذا الخبر لقوم ينتظرون، **وأما مع المضارع فإنها تفيد التقليل مثل «ربما» كقولهم: إن الكذوب قد يصدق، فإذا كان معناها مع المضارع التقليل وقد دخلت فى الآية على المضارع، فالوجه والله أعلم أن يكون هذا الكلام الذى يقصدون به الإفراط فيما ينعكس عنه، وتكون «قد» فى هذا المعنى نظير «ربما» فى قوله: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ، فإنها فى هذا الموضع أبلغ من «كم» فى التكثير على عكس معناها الأصلى فى التقليل، فكذلك إيراد «قد» هنا لتكثير علمهم أى تحقيق تأكيده على عكس معناه الأصلى فى تقليل الأصل)**[٢].

وأما عن الشطر الثانى من السؤال: فإن عيسى ليس له نسب فيهم، فلذلك لم يقل: يا قوم.

س٤: قال الله عن عيسى : ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ (الصف :٦).

يقول النصرانى: الذى بشر به عيسى هو أحمد، ونبيكم محمد فلا تقولوا شيئاً؟

الجواب: للرسول ﷺ أسماء متعددة، قال رسول الله ﷺ: (لى خمسة أسماء: **أنا محمد وأحمد وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر، وأنا الحاشر الذى يحشر النَّاس على قدمى، والعاقب)**[٣].

---

(١) الفتوحات الإلهية جـ ٤ ص٣٣٥.

(٢) مشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف بهامش الكشاف جـ ٤ ص٩٣.

(٣) البخارى جـ ٤ ص٢٢٥، كتاب: «بدء الخلق»، باب: ما جاء فى أسماء الرسول ﷺ.

س٥: قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ﴾ (الصف :١٤).

ظاهر الآية أن المشبه به هو قول عيسى عليه السلام للحواريين، فكيف ينسجم التشبيه؟

الجواب : التشبيه ورد على المعنى، قال الزمخشري: (التشبيه محمول على المعنى، وعليه يصح، والمراد: كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصار عيسى حين قال لهم: مَنْ أنصارى إلى الله)[١].

ومعنى قول عيسى للحواريين: «من أنصارى إلى الله»: مَنْ جندى متوجهاً إلى نصرة دين الله.

(٦٢) سورة الجمعة

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب : يقول أبو حيان: (ومناسبتها لما قبلها: أنه تعالى لما ذكر تأييد من آمن على أعدائهم، أتبعه فى هذه السورة بذكر التنزيه لله تعالى وسعة ملكه وتقديسه، وذكر ما أنعم به على أمة سيدنا محمد ﷺ من بعثته إليهم وتلاوته عليهم كتابه وتزكيتهم، فصارت أمة غالبة سائر الأمم، وقاهرة لها منتشرة الدعوة كما انتشرت دعوة الحواريين فى زمانهم)[٢].

س٢: قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ (الجمعة :٩)، **المراد بذكر الله: خطبة الجمعة، وفيها ذكر غير الله، فما المراد بالذكر هنا؟**

الجواب : ما يذكر فيها من غير الله يكون حثاً على طاعة أو نهياً عن منكر أو ذكراً للرسول ﷺ وأحاديثه وكل هذا فى حكم ذكر الله لأنه سبب فيه.

س٣: قال تعالى : ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ (الجمعة :١١)، **لماذا أتى بضمير المفرد المؤنث «إليها» وقد سبقه شيئان: التجارة واللهو فكان السياق يقتضى «إليهما» ؟**

الجواب : (تقديره : إذا رأوا تجارة انفضوا إليها أو لهواً انفضوا إليه، فحذف أحدهما لدلالة المذكور عليه)[٣]. أى حذف الثانى لدلالة الأول عليه.

---

(١) الكشاف جـ ٤ ص٩٥.

(٢) البحر المحيط جـ ٨ ص٢٦٣.

(٣) الكشاف جـ ٤ ص٩٩.

﴿ (٦٣) سورة المنافقون ﴾

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: يقول أبو حيان: (إنه لما كان سبب الانفضاض عن سماع الخطبة ربما كان حاصلاً عن المنافقين واتَّبعهم ناس كثير من المؤمنين فى ذلك، وذلك لسرورهم بالعير التى قدمت بالميرة إذ كان وقت مجاعة، جاء ذكر المنافقين وما هم عليه من كراهة أهل الإيمان، وأتبعه بقبائح أفعالهم وقولهم)(١).

س٢: قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ (المنافقون: ٤). **ما سر تشبيههم بالخشب المسندة؟**

الجواب: هذه الآية وصفت المنافقين ببعض أوصافهم الظاهرة، فإذا رآهم الرائى يدهش من جمالهم، فهم أناس ليس لهم وجود إلاَّ من عَرَضِهم – بفتح الراء –، يعجبون العيون، وإن نطقوا ينطقون بفصاحة العبارة، بيد أنهم خواء من كل معنى، وهم كالخشب التى لا فائدة فيها، فلا تحمل سقفاً بل هى مسندة على جدار لا حركة لها فى الحياة، فقلوبهم مريضة وأرواحهم ممقوتة.

س٣: قال تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾ (المنافقون: ٤). **ما مفهوم الآية ؟ وما سر إفراد العدو مع أنه خبر عن جمع؟**

الجواب: المنافقون قوم يدركون أمراضهم، ويحسون أدواءهم، ويستترون بغطاء رقيق ممزق يكشف للمؤمنين عوراتهم وأمراضهم، فهم على خوف ووجل، ويخشون فى كل لحظة أن ينزل فيهم أمر يكشف كل أستارهم، ويبيح دماءهم، فيحسبون كل صيحة عليهم فهم العدو لا غيرهم.
وإفراد العدو مع أنه خبر عن جمع لكونه اسم جنس، فهو يفيد العموم أو التشبيه بالمصادر.

س٤: قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ﴾ (المنافقون: ٧).
و قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ (المنافقون: ٨).
ما سر اختلاف نهاية الآيتين مع أن الموصوف واحد هم المنافقون؟

الجواب: قوله: ﴿لايَفْقَهُونَ﴾ متصل بقوله: ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾، وفى معرفة الخزائن غموض وإبهام يفتقر إلى فطنة، والمنافق لا فطنة له فقال: ﴿لا يَفْقَهُونَ﴾ أى: لا يفطنون ولا يفهمون، وقوله: ﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ متصل بقوله: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ

(١) البحر المحيط جـ ٨ ص٢٦٧.

﴿الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ بأن الله معز لرسله وأوليائه، مذل لأعدائه.

س٥: قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ (المنافقون: ١٠).

ما سر جزم الفعل «أكن» مع أن الفعل قبله منصوب وهو مقترن بحرف العطف الواو؟

الجواب: في الكلمة قراءات: الأولى: «و أكون» بالواو والفعل منصوب، فهو معطوف على «فأصَّدَّق»، وليس في تلك القراءة شيء من الإشكالات.

الثانية: قراءة بالجزم «وأكنْ» والفعل معطوف على محل «فأصدقْ»، فكأنه قيل: إن أخرتني أصَّدَّقْ وأكنْ.

الثالثة: بإثبات الواو والرفع «وأكونُ» على سبيل الاستئناف، فلا علاقة في الإعراب بما قبلها.

(٦٤) سورة التغابن

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: يقول الإمام البقاعي: (لما ختمت تلك – أي سورة المنافقون – بإثبات القهر بنفوذ الأمر وإحاطة العلم بقوله تعالى: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ افتتح هذه – أي سورة التغابن – بإحاطة الحمد ودوام التنزه عن كل شائبة نقص إرشاداً إلى النظر في أفعاله والتفكر في مصنوعاته؛ لأنه الطريق إلى معرفته)[١].

س٢: قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ (التغابن: ١).

و قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ (التغابن: ٤).

ما سر تكرار «ما» في الآية الأولى وعدم تكرارها في الثانية؟

الجواب: كرر «ما» لاختلاف تسبيح أهل الأرض من حيث القلة والكثرة والبعد والقرب من المعصية والطاعة، ولم يكرر «ما» في الثانية لأن الكل في علم الله جنس واحد لا يخفى عليه شيء، فكل المخلوقات في علم الله سواء.

س٣: قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ (التغابن: ٩)، **و قال تعالى في سورة الطلاق: ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾** (الطلاق: ١١).

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور جـ ٢٠ ص٩٩ بتصريف.

ما سر زيادة ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾ في الأولى؟

الجواب: لأن الآية الأولى سبقها قوله تعالى: ﴿أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا﴾ (التغابن: ٦)، فأخبر عن الكفار بسيئات تحتاج إلى تكفير إذا آمنوا، وهذا ليس فى الآية الثانية. فلم تفتقر إلى ذكر الجملة الزائدة.

س٤: قال تعالى: ﴿إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ (التغابن: ١٧).
ما سر تسمية الإنفاق قرضاً؟

الجواب: يقول صاحب الفتوحات الإلهية: (سماه قرضاً من حيث التزام الله المجازاة عليه. وفى تسميته قرضاً أيضاً مزيد الترغيب فى الصدقة، حيث جعلها قرضاً لله مع أن العبد إنما يقرض نفسه لأن النفع عائد عليه. قال القشيرى: **ويتوجه الخطاب بهذا على الأغنياء فى بذل أموالهم، وعلى الفقراء فى عدم إخلاء أوقاتهم عن مراد الحق ومراقبته على مراد أنفسهم، فالغنى يقال له: آثر حكمى على مرادك فى مالك وغيره، والفقير يقال له: آثر حكمى فى نفسك وقلبك ووقتك)**[1].

(٦٥) سورة الطلاق

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: يقول البقاعى: (لما ختمت التغابن بأنه شكور حليم عزيز حكيم مع تمام العلم **وشمول القدرة بعد التحذير من النساء بالعداوة، وكانت العداوة تجر إلى الفراق، افتتح هذه بزم الأنفس عند ثورانها بزمام التقوى، وأعلى الخطاب جداً بتوجيهه إلى أعلى الخلق تنبيهاً على عظمة الأحكام الواردة فى هذه السورة)**[2].

س٢: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ (الطلاق: ١).
ما سر تخصيص النبى ﷺ بالنداء وتعميم الخطاب؟

الجواب: يقول الزمخشرى: (قال أحمد: وعلى هذا الفرق جرى قوله تعالى: حكاية عن فرعون قال: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾ (طه: ٤٩)، فأفرد موسى عليه السلام بالنداء لأنه كان أجلَّ الاثنين

(١) الفتوحات الإلهية جـ ٤ ص٣٥٤.
(٢) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور جـ ٢٠ ص١٣٩.

-عليهما السلام- وعمهما الخطاب)[1].

س٣: قال تعالى : ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾ (الطلاق :٢). **و قال تعالى :** ﴿وَاللاَّئِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللاَّئِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُوْلاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا، ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ (الطلاق : ٤، ٥).

ما سر تكرار ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ﴾ ثلاث مرات؟

الجواب : هذا أمر بالتقوى فى أحكام الطلاق، ووعد فى كل مرة بنوع من الجزاء، فقال أولاً : ﴿يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾ مما يكرهه فى الطلاق، وقال ثانياً: ﴿يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ أى: يسهل عليه الصعب، ويتيح له خيراً ممن طلقها، وقال ثالثاً: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾ وهو ما يكون له فى الآخرة من الجزاء بغفران الذنوب.

(٦٦) سورة التحريم

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب : يقول البقاعى: (لما ختم سبحانه – سورة الطلاق – بإحاطة علمه وتنزل أمره بين الخافقين فى تدبيره فقال: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (الطلاق :١٢)، دل عليه أول هذه – سورة التحريم – بإعلاء أمور الخلق بأمر وقع بين خير خلقه ﷺ وبين نسائه اللاتى من خير النساء، واجتهد كلٌّ فى إخفاء ما تعلق به منه، فأظهر سبحانه عتاباً لأزواج نبيه ﷺ فى صورة عقابه؛ لأنه أبلغ رفقاً به – فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾)[2].

س٢: ما الذى حرمه الرسول ﷺ على نفسه وهو حلال؟ وما سر ندائه بـ«يا أيها النبى» ؟

الجواب : لقد تجاوز بعض المفسرين حدود الأدب مع الرسول ﷺ، وهو القدوة الحسنة للبشرية فى سلوكها وذوقها وأدبها ورقتها ومشاعرها وأحاسيسها، وساقوا بعض الروايات التى لا

---

(١) الكشاف جـ ٤ ص١٠٧.

(٢) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور جـ ٢٠ ص١٧٩.

تليق بخير خلق الله كلهم. فلا داعى لسوقها، والأفضل ألاَّ يعبأ بها المفكر ولا يلقى لها بالاً.

يقول القرطبى: (وذكر البخارى عند عبيد بن عمير عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يشرب عند زينب بنت جحش عسلاً ويمكث عندها، فتواطأتُ أنا وحفصة على أيَّتنا دخل عليها فلتقل: أكلتَ مغافير[1] ؟ إنى لأجد منك ريح مغافير، قال: لا، ولكن شربت عسلاً ولن أعود له، وقد حلفت لا تخبرى بذلك أحداً يبتغى مرضاة أزواجه، فيعنى بقوله: «ولن أعود له» على جهة التحريم، وبقوله: حلفت أى بالله)[2].

هذه الرواية الصحيحة ولا يلتفت إلى مقالة الزمخشرى وغيره .

و فى ندائه بـ«يا أيها النبى» ملاطفة وتعظيم.

س٣: كيف يحرم الرسول ﷺ حلالاً؟ وهل كفَّر عن هذا اليمين؟

الجواب: الرسول ﷺ قدوة لأمته، ووقع هذا لتعليم أمته، ولقد اختلف الفقهاء فى حكم اليمين على تحريم الحلال وهو الطعام، قال أبو حنيفة: يمين ويكفِّر، وإن حرم أموراً أخرى فلها حكمها كما فى الإيلاء والظهار، والشافعى لا يرى فى الحلف على عدم تناول الطعام دون غيره يميناً، والرسول ﷺ لم يكفِّر عن الحلف لأن الله غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

س٤: قال تعالى: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾ (التحريم :٥).

ما سر اقتران الواو بالكلمة الأخيرة؟

الجواب: سبق الحديث عنها فى سورة التوبة وسورة الكهف والزمر على أنها :-

١- **واو الثمانية.**	٢- واو الحال.
٣- **واو الضد.**	٤- أنها زائدة.

ورجحنا أنها واو الحال، أو واو الثمانية.

س٥: قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ (التحريم :١٠)، **ما نوع خيانة الزوجتين؟**

الجواب: النفاق وإبطان الكفر وتظاهرهما على الرسولين، فامرأة نوح قالت لقومه: إنه مجنون، وامرأة لوط دلَّت على ضيوفه. وليس المراد الفجور.

(١) أى ثوماً .

(٢) الجامع لأحكام القرآن جـ ١٨ ص١٨٤.

س٦: قال تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ (التحريم: ١٢).

ما سر قوله: على التذكير: ﴿مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ ولم يقل من القانتات؟

الجواب: من وجهين:

الأول: غلب الذكور على الإناث كما قال في حقها: ﴿وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ ؛ لأن مناط الأمر بالعبادة يكون للذكور.

الثاني: أنها كانت من قوم قانتين لله تعالى، فهي من أعقاب هارون أخي موسى.

(٦٧) سورة الملك

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: (أنه لما ضرب للكفار بتينك المرأتين المحتوم لهما بالشقاوة، وإن كانتا تحت نبيين، ومثلاً للمؤمنين بآسية ومريم، وهما محتوم لهما بالجنة، وإن كان قوماهما كافرين، كان ذلك تصرفاً في ملكه على ما سبق قضاؤه، فقال: «تبارك» أي: تعالى وتعاظم ﴿الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾)[1].

س٢: ما معنى «تبارك»؟

الجواب: يقول الشوكاني: (﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ تبارك تفاعل من البركة، والبركة: النماء والزيادة، وقيل: تعالى وتعاظم عن صفات المخلوقين. وقيل: دام فهو الدائم الذى لا أول لوجوده ولا آخر لدوامه، وقال الحسن: تبارك: تقدس، وصيغة التفاعل للمبالغة، واليد مجاز عن القدرة والاستيلاء، والملك: هو ملك السموات والأرض)[2] .

س٣: قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ (الملك: ١٩) ما الفرق بين «صافَّات» وبين «يقبضن»؟ ولماذا لم يقل: «قابضات» كما قال: «صافات» قبلها؟

الجواب: الصافات هي الباسطات أجنحتها، وهذا هو ناموس الطير، وهي الحالة الغالبة على الطائر عند السباحة في الهواء، «ويقبضن» أي: ويضممن أجنحتها، وهي حالة عارضة للطير ويندفع فيها الطائر للأمام، وهي حركات فطرية غريزية في الطائر كمشي الإنسان على الأرض

(١) البحر المحيط جـ ٨ ص٢٩١.

(٢) فتح القدير جـ ٥ ص٣٢٠.

وجريه واندفاعه يمنة ويسرة، وكسباحة السمك فى الماء، والطائر بفعله هذا يُرى كأنه يقوم بحركات استعراضية، فتراه يحلق ويرتفع وينقض، إن هذه الآيات تدل على الخالق المبدع، فحين يقبض الطائر جناحيه ما يمسكه إلاَّ الرحمن رحمة بخلقه من السقوط والهلاك. وقال: «صافات» لأن الأصل فى الطيران بسط الأجنحة، فكأن التعبير باسم الفاعل يدل على أنها صفة لازمة، وقال: «ويقبضن» لأن الضم أمر طارئ، فعبر بالفعل المضارع.

(٦٨) سورة القلم

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: يقول أبو حيان: (أنه فيما قبلها ذكر أشياء من أحوال السعداء والأشقياء، وذكر قدرته الباهرة وعلمه الواسع، وأنه تعالى لو شاء لخسف بهم أو لأرسل عليهم حاصباً، وكان ما أخبر تعالى به هو ما تلقفه رسول الله ﷺ بالوحى، وكان الكفار ينسبونه مرة إلى الشعر ومرة إلى السحر ومرة إلى الجنون، فبدأ سبحانه هذه السورة ببراءته مما كانوا ينسبونه إليه من الجنون: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ، مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾)[1].

س٢: قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤).

ما الأساليب البلاغية فى هذه الآية؟ وما مفهومها؟

الجواب: كل الحروف فيها مدلولات، فالواو إن جعلتها عاطفة عطفت هذه الآية على قوله: ﴿وَإِنَّ لَكَ لأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ أى: غير مقطوع، فيكون العطف قد أضاف إلى الأجر الدائم غير المقطوع خلق الرسول ﷺ.

الأساليب البلاغية:

الأول: التوكيد: وهو بما يأتى:

١- إنَّ.   ٢- اسمية الجملة.   ٣- اللام فى «لَعَلَى».

الثانى: الاستعارة فى قوله: «لَعَلَى».

فكأنه استعلى الخلق، فشبهه بأمر يعلو شيئاً بجامع التمكن فى كلٍّ، ثم حذف المشبه به، وأتى بشىء من لوازمه وهو «لَعَلَى»

الثالث: التنكير فى قوله «خلق»، و «عظيم»، فالتنكير للتفخيم والتعظيم.

---

(١) البحر المحيط جـ ٨ ص٣٠٧.

الرابع: صيغة المبالغة. فى قوله «عظيم» أفادت المبالغة فى العظم.

يقول الشيخ / سيد قطب – رحمه الله–: (وتتجاوب أرجاء الوجود بهذا الثناء الفريد على النبى الكريم ﷺ، ويثبت هذا الثناء العلوى فى صميم الوجود، ويعجز كل تصور عن وصف قيمة هذه الكلمة العظيمة من رب الوجود، وهى شهادة من الله فى ميزان الله لعبد الله، يقول له فيها: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، ومدلول الخلق العظيم هو ما هو عند الله مما لا يبلغ إلى إدراك مداه أحد من العالمين.

ودلالة هذه الكلمة العظيمة على عظمة رسول الله سيدنا محمد ﷺ تبرز من نواحى شتى، تبرز من كونها كلمة من الله الكبير المتعال، يسجلها ضمير الكون، وتثبت فى كيانه، وتتردد فى الملأ إلى ما شاء الله، وتبرز من جانب آخر من جانب إطاقة رسول الله ﷺ لتلقيها وهو يعلم مَنْ ربه هذا، قائل هذه الكلمة ما هو؟ما عظمته؟ ما دلالة كلماته؟ ما مداها؟ ما صداها؟ ويعلم من هو، إلى جانب هذه العظمة المطلقة التى يدرك هو منها ما لا يدركه أحد من العالمين، إن طاقة رسول الله ﷺ لتلقى هذه الكلمة من هذا المصدر وهو ثابت لا ينسحق تحت ضغطها الهائل ولو أنها ثناء، ولا تتأرجح شخصيته تحت وقعها وتضطرب، تلقيه لها فى طمأنينة وفى تماسك وفى توازن، هو ذاته دليل على عظمة شخصيته فوق كل دليل، ولقد رويت عن عظمة خلقه فى السيرة وعلى لسان أصحابه روايات منوعة كثيرة، وكان واقع سيرته أعظم شهادة من كل ما روى عنه، ولكن هذه الكلمة أعظم بدلالتها من كل شىء آخر، أعظم بصدورها عن العلى)[1].

س٣: قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ، هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ، مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ، عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ (القلم: ١٠ – ١٣). **ما معنى هذه الصفات؟ ولم أخَّر الصفة الأخيرة؟**

الجواب: أتت هذه الصفات بصيغ المبالغة للدلالة على بلوغها الغاية فى الكثرة، وهى أوصاف للوليد بن المغيرة، فقوله: ﴿حَلَّافٍ﴾ أى: كثير الحلف فى الحق والباطل، وكفى بهذا الذنب زجراً لمن اعتاد على ذلك، ﴿مَّهِينٍ﴾ أى: حقير قليل، لا وزن له، فلا يعبأ به، ﴿هَمَّازٍ﴾: عيَّاب طعَّان، يقتفى آثار النَّاس ويفضحهم ويهتك أسرارهم، ويكفى هذا زجراً للقاعدة العريضة من البشر الآن، ﴿مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ نقال للحديث من قوم إلى قوم على سبيل الوشاية والإفساد، ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ الخير المال، فهو يمنعه عن كل خير، بلغ الغاية التى ليس فوقها غاية فى البخل،

---

(١) فى ظلال القرآن جـ ٦ ص٣٦٥٦.

﴿مُعْتَدٍ﴾ كثير الجور والظلم لخلق الله، ﴿أَثِيمٍ﴾ كثير الإثم والذنوب. ﴿عُتُلٍّ﴾ غليظ الطباع، قاسي القلب. جلف في سلوكه.

قوله: ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ أي: بعد هذه المثالب والنقائص والمعايب، «زنيم» أي: ابن زنا، فهو دَعِيٌّ ادعاه أبوه بعد ثمان عشرة سنة من مولده، وذهب كثير من المفسرين وعلى رأسهم الزمخشرى إلى أن أمه زنت وأتت به من سفاح، ولم يعرف الوليد ذلك حتى نزلت هذه الآية.

س٤: قال الله تعالى: ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ (القلم: ١٦).

ما معنى هذه الآية ؟ ولم خُصَّ هذا العضو من جسد الوليد بن المغيرة؟

الجواب: المراد بالخرطوم الأنف، واستعار له الخرطوم وهو طرف أنف الخنزير البرى لأمرين:

الأول: إذلال الوليد وتحقيره.

الثاني: جعل أنفه كخرطوم الخنزير.

والأنف يكنى به عن العزة والأنفة والكبرياء، ﴿سَنَسِمُهُ﴾ سنعلّمه بعلامة فى أنفه يظل ذليلاً بها، ولقد وقع ذلك فعلاً فى غزوة بدر، حيث شق أنف هذا اللعين، وظل معلماً به، وبقى فى أنفه، وهذا من إعجاز القرآن الغيبى، وهو الإخبار بغيب المستقبل.

س٥: قال تعالى: ﴿إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ، وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ (القلم: ١٧، ١٨).

معنى ﴿لا يَسْتَثْنُونَ﴾ أى: لا يقولون: «إن شاء الله»، فلم سمَّاه استثناءً؟

الجواب: يقول الزمخشرى: (لأنه يؤدى مؤدى الاستثناء من حيث إن معنى قولك: «لأخرجن إن شاء الله، ولا أخرج إلاَّ أن يشاء الله»)[1].

س٦: قال تعالى: ﴿أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ﴾ (القلم: ٢٢).

ما سر تعدية الفعل ﴿اغْدُوا﴾ بـ«على»؟ فهلا قيل: «اغدوا إلى حرثكم»؟

الجواب: عدَّى الفعل بـ«على» لأمرين:

الأول: أنه ضمنّه معنى الإقبال، ويكون المعنى «أقبلوا على حرثكم».

الثاني: لما كان الغدو على الحرث لجنى ثمره غدواً عليه أتى بـ«على».

---

(١) الكشاف جـ ٤ ص١٢٨.

س٧: قال تعالى : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ﴾ (القلم :٤٢).
ما معنى الكشف عن الساق؟ وما المراد باليوم؟

الجواب: يقول العلامة الراغب الأصفهانى (قوله: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ إنه إشارة إلى شدة، وهو أن يموت الولد فى بطن الناقة، فيدخل المذمر يده فى رحمها، فيأخذ بساقه فيخرجه ميتاً، فهذا هو الكشف عن الساق، فجُعل لكل أمر فظيع)[١].

و المراد باليوم هو يوم القيامة، وفيه يشتد الخطب ويعظم، ووصف فى القرآن بأوصاف تزلزل الأفئدة، وتذهل كل مرضعة عما أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها، وتذهب العقول، يقول الزمخشرى: (﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ فى معنى يشتد الأمر ويتفاقم، ولا كشف ثَمّ ولا ساق، كما تقول للأقطع الشحيح: يده مغلولة، ولا يد ولا غُل، وإنما هو مَثَلٌ فى البخل، وأمّا من شبَّه فبضيق عطنه وقلة نظره فى علم البيان، والذى غره منه حديث ابن مسعود رضى الله عنه : **يكشف الرحمن عن ساقه، فأما المؤمنون فيخرون سجداً، وأمّا المنافقون فتكون ظهورهم طبقاً طبقاً، كأن فيها سفافيد**، ومعناه: **يشتد أمر الرحمن ويتفاقم هوله، وهو الفزع الأكبر يوم القيامة**، ثم كان من حق الساق أن تعرف على ما ذهب إليه المشبهةُ؛ لأنها ساق مخصوصة معهودة عنده وهى ساق الرحمن، فإن قلت : فلم جاءت كلمة «ساق» منكرة فى التمثيل؟ قلت: للدلالة على أنه أمر مبهم فى الشدة، منكر خارج عن المألوف كقوله: ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾ كأنه قيل: يوم يقع أمر فظيع هائل، يحكى هذا التشبيه عن مقاتل)[٢].

س٨: ما سر دعوتهم إلى السجود فى الآية السابقة ولا تكليف يوم القيامة؟

الجواب: يقول الزمخشرى: (لا يدعون إليه تعبداً وتكليفاً، ولكن توبيخاً وتعنيفاً على تركهم السجود فى الدنيا مع إعقام[٣] أصلابهم، والحيلولة بينهم وبين الاستطاعة تحسيراً لهم وتنديماً على ما فرطوا فيه حين دعوا إلى السجود وهم سالموا الأصلاب والمفاصل ممكنون، مزاحو العلل فيما تعبدوا به)[٤].

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن ص٤٣٦.

(٢) الكشاف جـ ٤ ص١٣١.

(٣) إعقام : مصدر أعقم أى ردها عظاماً بلا مفاصل لا تثنى عند الرفع والخفض.

(٤) المرجع السابق.

﴿(٦٩) سورة الحاقة﴾

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: يقول الإمام البقاعي: (لما قدم سبحانه فى نون – سورة القلم – الإنكار الشديد لأن يسوِّى المسىء بالمحسن، وذكر القيامة وبينها بيوم كشف الساق وزيادة المساق، وهدد التهديد العظيم بآية الاستدراج الذى لا يدفع بعلاج، وختم بأن القرآن ذِكْرٌ أى: شرف وتذكير ومواعظ للعالمين فى شمولهم كلهم برحمته، أمَّا من بعد إنزاله فبوعيده ووعده ووعظه وقصه وأمره ونهيه، وأمَّا من قبل إنزاله فبالشهادة لهم وعليهم، وكان تأويل ذلك وجميع آثاره إنما يظهر ظهوراً تاماً يوم الجمع الأكبر، وكان ذلك اليوم أعظم مذكر للعالمين وواعظ لهم وزاجر تنبنى جميع الخيرات على تذكره، وتذكر العرض على الملك الديان، والسر فى إنزال القرآن هو النذير بذلك اليوم الذى هو نظام الوجود، قال واصفاً للقيامة واليوم الذى يكشف فيه عن ساق واعظاً بذكرها ومحذراً من أمرها: ﴿الْحَاقَّةُ، مَا الْحَاقَّةُ﴾)[1] .

س٢: قال تعالى : ﴿الْحَاقَّةُ، مَا الْحَاقَّةُ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ (الحاقة : ١ – ٣).

ما المراد بالحاقة ؟ ولِمَ سميت بذلك؟ وما سر تكرارها؟

الجواب: الحاقة: (الساعة الواجبة الوقوع، الثابتة المجىء، التى هى آتية لا ريب فيها، أو التى فيها حواق الأمور من الحساب والثواب والعقاب، أو التى تحوق فيها الأمور أى تعرف على الحقيقة، من قولك: لا أحق هذا أى: لا أعرف، جعل الفعل لها وهو لأهلها، وارتفاعها على الابتداء، وخبرها «ما الحاقة»، وكرر لأن الأصل الحاقة هى أى : أىّ شىء هى؟ تفخيماً لشأنها وتعظيماً لهولها، فوضع الظاهر موضع المضمر؛ لأنه أهول لها، «وما أدراك» وأى شىء أعلمك ما الحاقة؟ يعنى أنك لا علم لك بكنهها ومدى عظمها على أنه من العظم والشدة بحيث لا يبلغه دراية أحد ولا وهمه)[2] .

س٣: قال تعالى : ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ (الحاقة :١٢).

ما سر إفراد «أذن» وتنكيرها ؟

الجواب: يقول الزمخشرى – رحمه الله–: (للإيذان بأن الوعاة فيهم قلة، ولتوبيخ النّاس بقلة من يعى فيهم، وللدلالة على أن الأذن الواحدة إذا وعت وعقلت عن الله فهى السواد الأعظم

(١) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور جـ ٢٠ ص٣٣٧، ٣٣٨.

(٢) الكشاف جـ ٤ ص١٣٢ – ١٣٣.

عند الله، وأن ما سواها لا يبالى بهم بالة، وإن ملئوا ما بين الخافقين)[١].

س٤: قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ (الحاقة :١٣).

لِمَ قال: ﴿نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ وهما نفختان؟ وما هي هذه النفخة؟

الجواب: قال: (﴿نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ ومعناه: لا تثنى فى وقتها)[٢].

والمراد بالنفخة الواحدة هي الأولى بدليل قوله تعالى بعدها: ﴿وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً، فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾.

س٥: قال تعالى: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ، يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ (الحاقة :١٧، ١٨). لِمَ قال: الملك ولم يقل: الملائكة؟ صرحت الآية بأن الملك على أرجائها، وصرحت آية أخرى بأنهم صعقوا ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ﴾ وما معنى ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾؟

الجواب: قال: «والملك» لأن المَلَك أعم من الملائكة (ألا ترى أن قولك: «ما من ملك إلاّ وهو شاهد» أعم من قولك: ما من ملائكة)[٣].

أمّا عن قول الله ﷻ: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ﴾ فكيف يبقى هؤلاء الملائكة؟ والجواب من وجوه:

الأول: أنهم داخلون فيما استثناهم الله جل جلاله بقوله: ﴿إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ﴾.

الثاني: أنهم على أرجائها أى على جوانبها وأطرافها ثم يموتون[٤].

الثالث: أن الصعق يشمل من فى السموات، وهؤلاء على أطرافها وليسوا فيها، فهم منتظرون أمر الله حتى يتعاملوا مع الخلائق[٥].

ومعنى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ وردت روايات بأنهم ثمانية صفوف من الملائكة، وروايات تقول: ثمانية أملاك أى ثمانية من الملائكة، وقيل ثمانية آلاف، وورد أن الحاملين للعرش فى الدنيا أربعة فإذا كان يوم القيامة أمدهم الله بأربعة أخرى[٦].

(١) المرجع السابق ص١٣٤.

(٢) المرجع السابق بتصريف.

(٣) الكشاف جـ ٤ ص١٣٤.

(٤) انظر: الفتوحات الإلهية جـ ٤ ص٣٩٧.

(٥) انظر: تفسير الطبرى جـ ٢٩ ص٧٧.

(٦) انظر: الفتوحات الإلهية جـ ٤ ص٣٩٧.

س٦: قال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ، وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ﴾ (الحاقة: ٤١). **ما سر تخصيص نفى الإيمان بالشاعر وتخصيص التذكر بالكاهن؟**

الجواب: (لأن من قال: القرآن شعر، ومحمد ﷺ شاعر بعد ما علم اختلاف آيات القرآن فى الطول والقصر، واختلاف حروف مقاطعه، فلكفره وقلة إيمانه، فإن الشعر كلام موزون مقفى، وخصَّ الكهانة بقوله: «ما تذكَّرون» لأن من ذهب إلى أن القرآن كهانة وأن محمداً ﷺ كاهن، فهو ذاهل عن ذكر كلام الكهان، فإنَّه أسجاع لا معانى تحتها، وأوضاع تنبو الطباع عنها، ولا يكون فى كلامهم ذكر الله تعالى)[1].

لطيفة: قال تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ، وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ، لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ، فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ (الحاقة ٤٣ – ٤٧).

ما أجمل ما قاله الشيخ سيد قطب – رحمه الله –: (ومفاد هذا القول التقريرية أن محمداً ﷺ صادق فيما أبلغهم، وأنه لو تقوَّل بعض الأقاويل التى لم يوح بها إليه لأخذه الله فقتله على هذا النحو الذى وصفته الآيات، ولمَّا كان هذا لم يقع فهو لابد صادق، هذه هى القضية من الناحية التقريرية، ولكن المشهد المتحرك الذى ورد فى هذا التقرير شىء آخر يلقى ظلالاً بعيدة وراء المعنى التقريرى، ظلالاً فيها رهبة، وفيها هول، كما أن فيها حركة، وفيها حياة وراءها إيحاءات وإيماءات وإيقاعات، فيها حركة الأخذ باليمين وقطع الوتين، وهى حركة عنيفة هائلة مروعة، حيَّة فى الوقت ذاته، ووراءها الإيحاء بقدرة الله العظيمة، وعجز المخلوق البشرى أمامها وضعفه، كما أن وراءها الإيمان إلى جدية هذا الأمر التى لا تحتمل تسامحاً ولا مجاملة لأحد كائناً من كان، ولو كان هو محمد الكريم عند الله الأثير الحبيب، ووراءها بعد هذا كله إيقاع الرهبة والهول والخشوع)[2].

---

(١) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز جـ ١ ص٤٧٩.

(٢) فى ظلال القرآن جـ ٦ ص٣١٨٩.

(٧٠) سورة المعارج

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: قبل الحديث عن المناسبة اختلف العلماء فى هذا السائل، فقال فريق من العلماء: هو نوح عليه السلام دعا على قومه، وقال آخرون: الرسول محمد صلى الله عليه وسلم [١] وأورد الآلوسى رواية عن النسائى أن السائل هو النضر بن الحرث، وقيل أبو جهل، (والسائل هو النضر بن الحرث كما روى النسائى وجماعة، وصححه الحاكم عن ابن عباس. وروى ذلك عن ابن جريج والسدى والجمهور، حيث قال إنكاراً واستهزاء: «اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم»، وقيل: هو أبو جهل حيث قال: ﴿أَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاء﴾)[٢].

و على ضوء ذلك تكون المناسبة هكذا:

لقد سبق فى آخر سورة الحاقة قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾ شرع فى أول سورة المعارج بأن النبى أو نوحاً سأل العذاب لهم، ودعا عليهم حتى يصابوا فيعرفوا صدقه وصدق ما جاء به، وإن كان السائل النضر أو أبو جهل، لما سبق أن قال الله: ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾ شرع فى أول المعارج ببيان أن مع التكذيب استخفافاً واستهزاءً وإصراراً على الكفر ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ وعدّى الفعل «سأل» بالباء لتضمنه معنى «دعا».

(٧١) سورة نوح

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها ؟

الجواب: يقول الإمام البقاعى: (لما ختمت – سأل – بالإنذار للكفار، وكانوا عُبَّادَ أوثان بعذاب الدنيا والآخرة، أتبعها أعظم عذاب كان فى الدنيا على تكذيب الرسل بقصة نوح عليه السلام، وكان قومه عباد أوثان، وكانوا يستهزئون به، وكانوا أشد تمرداً من قريش وأجلف وأقوى وأكثر، فلم ينفعهم شىء من ذلك عند نزول البلاء، وبروك النقمة عليهم، وإتيان العذاب إليهم)[٣].

---

(١) انظر: البحر المحيط جـ ٨ ص٣٢٨.

(٢) روح المعانى جـ ٢٩ ص٥٥.

(٣) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور جـ ٢٠ ص٤٢٣.

س٢: قال تعالى: ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (نوح :٥) أول الآية يناقض آخرها كيف يؤخرون وهو القائل ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لا يُؤَخَّرُ﴾ ؟

الجواب: يقول الزمخشرى: (قضى الله مثلاً أن قوم نوح إن آمنوا عمَّرهم ألف سنة، وإن بقوا على كفرهم أهلكهم على رأس سبعمائة. فقيل لهم: آمنوا يؤخركم إلى أجل مسمى أى: إلى وقت سمَّاه الله وضربه أمداً تنتهون إليه لا تتجاوزونه، وهو الوقت الأطول تمام الألف، ثم أخبر أنه إذا جاء ذلك الأجل الأمد لا يؤخر هذا الوقت. ولم تكن لكم حيلة)(١).

س٣: قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتًا، ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ (نوح :١٧)، **لماذا جاء المصدر «نباتا» مخالفاً للفعل «أنبتكم»؟ ولماذا عدَّى الفعل «يعيدكم» بالفاء؟**

الجواب: انتصاب «نباتاً» على حذف الهمزة، أو أن فعله محذوف والتقدير: «أنبتكم فنبتم نباتاً». أو على تضمين «أنبتكم» معنى «نبتم»(٢). وعدَّى «يعيدكم» بـ«فى» لتضمنه معنى الاستقرار.

س٤: قال تعالى: ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ ضَلالاً﴾ (نوح :٢٤).

و قال تعالى: ﴿وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَارًا﴾ (نوح :٥).

ما سر ختم الآية الأولى بقوله: ﴿إِلاَّ ضَلالاً﴾ وختم الثانية بقوله ﴿إِلاَّ تَبَارًا﴾؟

الجواب: انتهت الأولى بطلب نوح زيادة الضلال لقومه، لأنه سبقه قوله: ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾، وانتهت الثانية بالدعاء عليهم بالهلاك، لأنه سبقه ﴿رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾.

س٥: قال تعالى: ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ (نوح :٢٧).

بِمَ علم نوح أن ذريتهم تكون فاجرة كافرة؟

الجواب: من وجهين:

١- أن هذا قانون فى البشرية أن الآباء يورثون الأبناء الصفات الوراثية، ومنها الأخلاق الفاضلة والأخلاق السيئة، ولقد عاشرهم نوح عليه السلام فعرف طباعهم وسلوكهم حتى أدرك ذلك.

٢- أنه علم ذلك عن طريق الوحى، قال تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ (هود :٣٦).

---

(١) الكشاف جـ ٤ ص١٤١.

(٢) انظر: البحر المحيط جـ ٨ ص٣٤٠.

س٦: لقد غرق الأطفال مع الآباء وهم غير مكلفين، أفلا يكون غرقهم بغير حق؟

الجواب: غرق الأطفال لم يكن على سبيل العقاب ولكن كما يموت غيرهم بأنواع أسباب الموت.

(٧٢) سورة الجن

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: يقول البقاعي: (لما كان نوح عليه الصلاة والسلام أول رسول أرسله الله تعالى إلى المخالفين من أهل الأرض، وكان قومه عباد أوثان وعصوه أشد العصيان مع أنه كان منهم نسباً ولساناً، وختمت سورته بدعائه عليهم، وكان نبينا ﷺ خاتم النبيين، فهو آخر رسول بعثه الله تعالى إلى أهل الأرض وغيرهم من جميع الخلق، وكان قومه العرب قد وافقوا قوم نوح عليه السلام في أكثر أحوالهم: عبادة الأوثان حتى تلك الأوثان إمّا بأساميها أو بأعيانها على ما ورد في الأخبار، وفي عصيان رسولهم واستضعاف أتباعه واستهزائهم، ابتدئت هذه – الجن – بما كان من سهولة من سمع هذه الدعوة الخاتمة الجامعة من غير الجنس، فضلاً عن الموافقين في الجنس مع قصر الزمان وضعف الأعوان لجلالة هذا القرآن، فقال منبهاً له بالأمر على ما في هذا من عظيم القدر مع الإشارة إلى تبكيت العرب على التباطؤ عن الإجابة إلى ما يعرفون من رشده بمعناه ونظمه لكونه بلسانهم، وكونهم من نوع الداعي وقبيله وأقرب الناس إليه: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾)[١].

س٢: ما فاعل «أوحى» ؟ وقد تكرر حرف التوكيد في السورة «أن» بالفتح و«إن» بالكسر، فما سر الفتح والكسر؟

الجواب: فاعل «أوحى» «أنّ» وما دخلت عليه، وجاءت «أن» في ﴿أَنَّهُ اسْتَمَعَ﴾ بالفتح لأنه فاعل أوحى، و«إن» في ﴿إِنَّا سَمِعْنَا﴾ بالكسر لأنه مبتدأ محكيٌّ بعد القول، ثم حملت عليهما البواقي، فما كان من الوحي فُتِحَ، وما كان من قول الجن كُسِرَ، وكلهن من قولهم إلاّ الثنتين الأخريين: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ و﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾ ، ومن فتحهن كلهن فعطفاً على محل الجار والمجرور في ﴿آمَنَّا بِهِ﴾، كأنه قيل: صدقناه وصدقنا ﴿أَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ و﴿أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ ، وكذلك البواقي[٢] .

س٣: قال تعالى : ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا، وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور جـ ٢٠ ص٤٦١، ٤٦٢.

(٢) انظر: الكشاف جـ ٤ ص١٤٥.

مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ (الجن :٨. ٩).

هذه الآيات أقوال للجن بعد أن أرسل الرسول ﷺ ملئت السماء حرساً ومن أراد أن يستمع إلى أسرار السماء وجد شهاباً رصداً يحرس السماء، والله منذ خلق الكواكب جعلها للزينة ورجماً للشياطين: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ﴾ (الملك :٥)

فكيف ندرأ هذا التعارض الظاهر؟

﴿الله﴾ **الجواب:** الرجم كان موجوداً قبل الرسول ﷺ كما أخبرت به الآية الثانية، ولما جاء الرسول ﷺ كثر واشتد، ولذلك قالت الجن: ﴿مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا. وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾.

س٤: قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ (الجن :١٥).

و قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (المائدة :٤٢) **ما معنى «القاسطين» و«المقسطين»؟**

﴿الله﴾ **الجواب: لقد سبق الحديث عن هذا، فالقاسطون وهو جمع اسم فاعل «قاسط»، وهو من الفعل الثلاثي «قسط» ومعناه «جار» و«ظلم».**

و «المقسطون» جمع اسم الفاعل «مقسط»، وهو من الفعل الرباعي «أقسط» ومعناه «عدل».

يقول الراغب الأصفهاني: («قسط الرجل» إذا جار و«أقسط» إذا عدل. قال: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ وقال: ﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾)[(١)].

س٥: قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ (الجن :١٩).

هلا قيل: لما قام النبى أو الرسول؟

﴿الله﴾ **الجواب: (لأن تقديره: وأُوحى إلىّ أنه لما قام عبد الله، فلما كان واقعاً فى كلام رسول الله ﷺ عن نفسه جيء به على ما يقتضيه التواضع والتذلل)[(٢)]** ، وهذا الاسم هو أحب الأسماء إلى رسول الله ﷺ كما مرّ فى سورة الإسراء.

معانى بعض الألفاظ

﴿عَجَبًا﴾ أى: بديعاً، وهو ما خرج عن حد أشكاله. ﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾ أى: عظم ربنا. ﴿يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾ يقول جاهلنا وضئيل العقل على الله «شططا» أى: غلواً فى الكذب بأن له صاحبة وولداً. ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ أى: زادوهم طغياناً ﴿مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ ملئت حرساً من

(١) مفردات ألفاظ القرآن ص٦٧٠.

(٢) الكشاف جـ ٤ ص١٤٨.

الملائكة، فتنفصل أجزاء من النجوم تحرقهم. ﴿يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ أى: الملائكة راصدين لهم يرمونهم بالشهب، فالرصد: الاستعداد والترقب. ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ الرشد ضد الضلال، وهو الهداية، وفيه لغتان: الأولى بفتح الراء والشين، والثانية بضم الراء وسكون الشين. ﴿كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾ أى: فرقاً مختلفين مؤمنين وكافرين. ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعجِزَ اللَّهَ فِي الأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا﴾ وأنَّا تيقنا بالتفكر فى آيات الله أنا فى قبضة الله الملك السلطان، فلن نفوته هاربين. ﴿فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلا يَخَافُ بَخْسًا وَلا رَهَقًا﴾ ومن يصدق بالله وبرسوله فلا يخاف نقصاً من حسناته ولا زيادة فى سيئاته عن طريق الظلم. ﴿لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾ أى: ماء كثيراً مباركاً فيه، يكون سبباً لسعة أرزاقهم. ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ ومن يُدْبِرْ عن القرآن، ويعرض عنه، يدخله الله عذاباً شاقاً. وأنه لما قام الرسول محمد ﷺ يعبد الله ببطن نخل كاد الجن يكونون عليه «لبدا»: جماعات يلتصق بعضهم ببعض، وكادوا يسقطون عليه من الزحام. ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ أى ملجأ.

(٧٣) سورة المزمل

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: لقد سبق فى آخر سورة الجن قوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا، إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا، لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾، ففى هذه الآيات يخبر الحق تبارك وتعالى بأنه استأثر بعلم الغيب، ولا يُطْلِعُ أحداً عليه إلاَّ من ارتضى من رسول يصطفيه، فيخبره بما يشاء من الغيب عن طريق الوحى، ويجعل سبحانه بين يدى هذا الرسول ومن خلفه حرساً من الملائكة يحرسونه مِنْ تَعَرُّض الشياطين لما أطلعه عليه من الغيب، ليعلم كل رسول أن الملائكة قد بلغوا رسالات ربهم، وأن الله أحصى كل شىء عدداً، ثم أتبع ذلك بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ إعلاماً بأنه ﷺ ممن ارتضاه من الرسل، وخصه بخصائص، وكفاه شر أعدائه.

س٢: قال تعالى: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾ (المزمل :٨).

ما سر مجىء «تبتيلا» مكان مصدر الفعل «تبتل» إذ المصدر «تَبَتُّلاً» ؟

الجواب: لم يأت بمصدر الفعل مراعاة لفواصل الآيات.

س٣: قال تعالى: ﴿السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً﴾ (المزمل :١٨).

ما سر تذكير الصفة «منفطر» مع أن السياق يقتضى «منفطرة» ؟

ﷻ **الجواب:** من وجهين:

الأول: أن هذه الصيغة صيغة نسب أى ذات انفطار، نحو امرأة مرضع وحائض أى ذات إرضاع وذات حيض.

الثاني: أن السماء بمعنى «السقف» فذكِّرت الصفة لهذا المعنى.

معانى بعض الألفاظ

﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ أصلها المتزمل، أدغمت التاء فى الزاى، والمعنى: المتلفف فى ثيابه، ولم يخاطبه باسمه دون سائر الرسل إكراماً له وتشريفاً. ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾ إنا سننزل عليك قرآناً «ثقيلاً» مهيباً لما فيه من شدة التكاليف الشرعية. ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ أى: النفس الناشئة بالليل التى تنهض من مضجعها بعد نومها للعبادة أو ساعات الليل أشد مواطأة، أى: أن القلب يواطئ فيها اللسان، أى: يوافقه. ﴿وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ أى: وأشد استقامة على الصواب؛ لأن السكون عم، والأصوات اختفت. ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً﴾ أى: تصرفاً وتقلُّباً فى أشغالك كما يتردد السابح فى الماء. ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾ أى: ودُمْ على ذكره من التسبيح والتهليل وتلاوة القرآن وانقطع إليه. ﴿فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً﴾ أى: اتخذه موكلاً موكولاً له أمورك لأنه المنفرد بالألوهية، وهو صاحب الملك والسلطان. ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيمًا﴾ أى: إن عندنا قيوداً وأغلالاً وأثقالاً ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ أى: الزقوم؛ وهو شوك من نار يعترض فى حلوقهم. ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلاً﴾ يوم القيامة تضطرب الأرض وتتزلزل وتصير الجبال رملاً سائلاً بعد اجتماعه ﴿فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً﴾ أى: عذاباً شديداً ثقيلاً.

(٧٤) سورة المدثر

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

ﷻ **الجواب:** يقول الإمام البقاعى: (لما ختمت «المزمل» بالبشارة لأرباب البصارة بعد ما بدئت بالاجتهاد فى الخدمة المهىء للقيام بأعباء الدعوة، افتتحت هذه بمحط حكمة الرسالة، وهى النذارة لأصحاب الخسارة، فقال معبراً بما فيه بشارة بالسعة فى المال والرجال والصلاح وحسن الحال فى الحال والمآل ومعرِّفاً بأن اليقظة بالقلب وإن ستر القالب: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾)[1].

---

(١) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور جـ ٢١ ص٣٩، ٤٠.

والدثار هو الثوب الذى يلى الجسد، أى: ما فوق الشعار.

س٢: ما سر النداء بالمزمل فى السورة السابقة، وبالمدثر فى هذه السورة؟

الجواب: النداء فى السورتين من قبيل ملاطفة الرسول ﷺ.

س٣: قال تعالى: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ (المدثر: ٣).

لماذا خص ذكر الرب بالتكبير هنا ولفظ الجلالة «الله» غالباً ما يكبَّر ويوصف بالكبرياء؟

الجواب: خص الرب بالذكر مراعاة لذكر الرب بعده فى قوله: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾، ودخلت الفاء على الفعل «كبِّر» لمعنى الشرط المفهوم فى الجملة، وتقديره: وما كان فلا تدع تكبيره)[١].

س٤: قال تعالى: ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ، عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ (المدثر: ٩، ١٠).

ما سر مجىء ﴿غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ مع أن كلمة ﴿عَسِيرٌ﴾ تغنى عنها؟

الجواب: (لما قال: «على الكافرين» فقصر العسر عليهم قال: ﴿غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ ليؤذن بأنه لا يكون عليهم كما يكون على المؤمنين يسيراً هيناً. ليجمع بين وعيد الكافرين وزيادة غيظهم وبشارة المؤمنين وتسليتهم)[٢].

س٥: قال تعالى: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ، فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ، ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ (المدثر: ١٨ - ٢٠).

ما سر إعادة الفعل «قدَّر» ثلاث مرات وإعادة «كيف» مرتين؟

الجواب: (لأن التقدير: إنه أى الوليد بن المغيرة - فكر فى شأن محمد ﷺ وما أتى به -أى بالقرآن-، وقدر ماذا يمكنه أن يقول فيهما - أى فى الرسول وفى القرآن -، فقال الله ﷻ: ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ أى: القول فى محمد ﷺ، ﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ أى: القول فى القرآن)[٣].

س٦: قال تعالى: ﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ، ثُمَّ نَظَرَ، ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ، ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ، فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ (المدثر: ٢٠ - ٢٤)، أتى بحرف العطف «ثم» فى الآيات، ثم أتى بالفاء فى الآية الأخيرة، فما سر ذلك؟

الجواب: «ثم» تفيد التراخى، فعطف فى الآيات بـ«ثم» بين كل حال وحال عند الوليد، وكان بين كل حال وحال تراخ وتأمل وتمهل، فلما خطر بباله قوله: ﴿سِحْرٌ﴾ ألقى الكلمة لأنه لم يتمالك نفسه، فنطق بها من غير تأمل ولا تريث.

---

(١) انظر: الكشاف جـ ٤ ص١٥٦.

(٢) المرجع السابق ص١٥٧.

(٣) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز جـ ١ ص٤٨٩.

س٧: قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إلاَّ مَلائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إلاَّ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إيمَانًا وَلا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً﴾ (المدثر: ٣١).

ما سر فتنة الذين كفروا بعدة أصحاب النار؟ ولِمَ أتى بقوله ﴿وَلا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ والاستيقان وازدياد الإيمان يدلان على انتفاء الريب؟ والذين فى قلوبهم مرض هم المنافقون والسورة مكية فلم يظهر النفاق إلاَّ فى المدينة، فلماذا ذكر النفاق هنا؟

الجواب: أمَّا الجزء الأول من السؤال: فسبب فتنة الذين كفروا هى عدة أصحاب النار، وهى تسعة عشر، فهى ناقصة واحداً من الملائكة عن العشرين، ففتنتهم: لماذا لم يصلوا إلى العشرين؟ يقول الزمخشرى: (إنما العدة نفسها هى التى جعلت سبباً - لفتنة الكفرة -، وذلك أن المراد بقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إلاَّ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وما جعلنا عدتهم إلاَّ تسعة عشر، فوضع «فتنة» موضع تسعة عشر؛ لأن حال هذه العدة الناقصة واحداً عن عقد العشرين أن يفتن بها من لا يؤمن بالله وبحكمته، ويعترض ويستهزئ ولا يذعن إذعان المؤمن)[١].

وأما الجزء الثانى من السؤال: فلقد أتى بقوله: ﴿وَلا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ ليجمع بين اليقين وزيادة الإيمان السابقين، ونفى عنهم الشك ليكون الكلام مؤكداً وفيه مبالغة فى الوصف باطمئنان النفس وسكون القلب إلى ما يقوله الله تعالى، وفى هذا الكلام تعريض لحال من عداهم من أهل الكفر والنفاق.

وأما الجزء الثالث من السؤال فالمعنى: وليقول المنافقون الذين ينشأون ويوجدون مستقبلاً بالمدينة بعد الهجرة[٢].

س٨: قال تعالى: ﴿كَلاَّ إنَّهُ تَذْكِرَةٌ﴾ (المدثر: ٥٤)، **وقال تعالى فى سورة عبس:** ﴿كَلاَّ إنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ (عبس: ١١)، **فلماذا أتى بالضمير مذكَّراً ولم يقل «إنها» ؟**

الجواب: المراد بقوله «إنه» أى: التذكير وهو القرآن بدليل قوله بعدها: ﴿فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ وعدل عن التذكير إلى التذكرة لمراعاة الفواصل قبل الآية وبعدها، فكلها انتهت بالتاء المربوطة، وأما ما ورد فى سورة عبس فالمراد: آيات القرآن تذكرة.

س٩: قال تعالى: ﴿إلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ، فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ، عَنِ الْمُجْرِمِينَ، مَا سَلَكَكُمْ

---

(١) الكشاف جـ ٤ ص١٥٩.

(٢) انظر: المرجع السابق ص١٦٠.

فِي سَقَرَ، قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ، وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ، وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ، وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ (المدثر :٣٩ – ٤٦)، **لماذا يسأل أصحاب اليمين عن المجرمين وهم يعلمون أنهم في سقر؟ ولِمَ أخَّر التكذيب وهو أعظم ما أنكره المجرمون؟**

الجواب : أمَّا الشطر الأول من السؤال: فسؤال أصحاب اليمين عن المجرمين فسؤال توبيخ وتحسير فيحكيه الله ﷻ فى كتابه تذكيراً للسامعين.

وأما الشطر الثانى من السؤال: فقد أخر التكذيب بيوم الدين تعظيماً لشأن هذا اليوم.

معانى بعض الألفاظ

﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ الرجز : العذاب والمراد به ترك أسبابه. ﴿وَلا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ لا تعط عطاءً وتطمع أن تنال أكثر منه. ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ فإذا صيحَ فى القرن لقيام الساعة فينفخ فيه الملك نفختين : نفخة الصعق، ونفخة البعث، وقال بعض العلماء: ثلاثة، والثالثة نفخة الفزع. والذى أراه أنهما نفختان. ﴿وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا﴾ بسطت له فى العيش والعمر. ﴿إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيدًا﴾ أى: مخالفاً. ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾ أى: سأكلفه فوق طاقته مشقة من العذاب. أو جبلاً فى النار يصعد فيه ثم يهوى ولا ينقطع ذلك عنه. ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ تقطَّب وجهه من ضيق الصدر. ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ سأدخله جهنم، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ﴾ هذا السؤال تعظيم لشأنها وهولها. ﴿لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ﴾ لا تترك شيئاً من لحم ولا عصب إلاَّ أحرقته. ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾ محرقة لظاهر الجلد. ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ خزنتها من الملائكة هذا العدد. ﴿وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾ جاء بعد النهار.﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾ ظهر وبان ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ﴾ أى البلايا العظام، ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ أى: مرهونة مأخوذة بعملها. ﴿مَا سَلَكَكُمْ﴾ أى: أدخلكم ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ، فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ أى: كأنهم حمر وحشية استنفرت خوفاً من أسد.

(٧٥) سورة القيامة

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب : (أن فى آخر ما قبلها – أى سورة المدثر – قوله : ﴿بَل لا يَخَافُونَ الآخِرَةَ، كَلاَّ إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ﴾ ، وفيها كثير من أحوال القيامة فذكر هنا يوم القيامة وجملاً من أحوالها)[١].

و لقد سبق الحديث فى القواعد عن «لا» التى تسبق القسم.

(١) البحر المحيط جـ ٨ ص٣٨٤.

لطيفة: قال تعالى : ﴿بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ (القيامة :٤).
هذه الآية تؤكد عملية جمع العظام وتسوية البنان أى: أطراف الأصابع، وفى هذا كناية عن إعادة التكوين الإنسانى بأدق ما فيه. ولقد ثبت حديثاً اختلاف بصمة كل واحد من البشر عن الآخر، وبها يعرف الجانى والمجرم. فهذه إشارة من إشارات القرآن.

س٢ : قال تعالى: ﴿بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ (القيامة :١٤). **ما سر مجىء «بَصِيرَةٌ» بالتأنيث؟**

الجواب : من وجهين :
الأول: أن المعنى: بل الإنسان على نفسه حجة بينة، ووصفت الحجة بالبصارة على سبيل المجاز كما فى قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ (الإسراء :٢١).
الثانى: أن التاء للمبالغة.

س٣ : قال تعالى : ﴿أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى، ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾ (القيامة :٣٤، ٣٥).
ما معنى ﴿أَوْلَى لَكَ﴾ ؟ وما سر تكرارها ؟

الجواب : معنى ﴿أَوْلَى لَكَ﴾ (أى: قرب منك ما تكره – أى المكروه –، وقال محيى السُّنَّة: وقيل معناه: إنك أجدر بهذا العذاب وأحق وأولى به. قال الأصمعى: معناه: قاربه ما يهلكه)[1].
و سر التكرار من وجهين:
الأول: أنه كرره للتهديد والوعيد.
الثانى: ليس هناك تكرار، فالأول: أولى لك الموت، والثانى : فأولى لك العذاب فى القبر، ثم أولى لك أهوال القيامة، فأولى لك عذاب النار.

معانى بعض الألفاظ

﴿وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ النفس المتقية التى تلوم النفوس على تقصيرها فى التقوى، أو التى تلوم نفسها وإن اجتهدت فى الإحسان، ﴿بَلْ يُرِيدُ الإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ اللام زائدة، ويفجر فعل مضارع منصوب «بأن» مضمرة، والمعنى: أنه يداوم على التكذيب بيوم القيامة، ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾ تحيَّر فزعاً. ﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ﴾ وذهب ضوءه. ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ جُمِعَا فطلعا من المغرب، أو ذهب ضوءهما. ﴿يَقُولُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾ أين الفرار؟ ﴿كَلاَّ لا وَزَرَ، إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ

(١) الفتوحات الإلهية جـ ٤ ص٤٥٠.

﴿الْمُسْتَقَرُّ﴾ «كلا» كلمة زجر وردع، والمعنى: لا ملجأ من جبل أو حصن يتحصن به الإنسان، فإلى ربك مستقر الخلائق للحساب والجزاء. ﴿يُنَبَّأُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ أى: يُخَبَّرُ بأول عمله وآخره. ﴿بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ أى: حجة واضحة وشاهد على نفسه فتنطق جوارحه. ﴿كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ أى: الدنيا. ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ أى: حسنة مضيئة. ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ كالحة شديدة العبوس. ﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ أى: توقن أن تحل بها داهية عظيمة تكسر فقار الظهر. ﴿كَلاَّ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾ أى: بلغت الروح عند خروجها إلى عظام الحلق. ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ هل من راق يرقيه ليشفى. ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ أى: التفت إحدى ساقيه بالأخرى. أو التفت شدة فراق الدنيا بشدة إقبال الآخرة ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ أى: السوق إلى الله للحساب والجزاء. ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾ أى: يتبختر مختالاً متكبراً فى الدنيا. ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ أى: أيظن الإنسان أن يترك هملاً لا يكلف بالتكاليف الشرعية. ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾، (وعبارة الخطيب الشربينى: روى أنه ﷺ «كان إذا قرأها قال: سبحانك اللهم، بلى، رواه أبو داود والحاكم. وقال ابن عباس «من قرأ ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ إماماً كان أو غيره فليقل: سبحان ربى الأعلى، ومن قرأ ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ فليقل: سبحانك اللهم. بلى، إماماً كان أو غيره» وروى البغوى بسنده عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ منكم ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ فانتهى إلى آخرها ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ فليقل: بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين، ومن قرأ ﴿والمرسلات﴾ فبلغ ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ فليقل: آمنا بالله)[1].

(٧٦) سورة الإنسان

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: يقول البقاعى (لما تقدم فى آخر القيامة التهديد على مطلق التكذيب وأن المرجع إلى الله وحده والإنكار على من ظن أنه يترك سدىً والاستدلال على البعث وتمام القدرة عليه تلاه أول هذه بالاستفهام الإنكارى على ما يقطع معه بأنه لا يترك سدى فقال مفصّلاً ما له سبحانه عليه من نعمة الإيجاد والإعداد والإمداد والإسعاد ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾)[2].

(١) الفتوحات الإلهية جـ ٤ ص٤٥١.

(٢) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور جـ ٢١ ص١٢٠، ١٢١.

وأقول: لقد انتهت سورة القيامة بالاستدلال على البعث وقدرة الله عليه بقياس الإعادة على الإنسان من منى يمنى، ثم علقة فخلقه فسوّاه، وجعل منه الذكر والأنثى، ثم شرع فى سورة الإنسان بالاستدلال على البعث بدليل آخر وهو خلقه من نطفة مخلوطة من ماء الرجل والمرأة ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا. إِنَّا خَلَقْنَا الإنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾.

س٢: قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ (الإنسان: ١).
ما معنى «هل»؟ وما المراد بالإنسان؟

الجواب: «هل» بمعنى «قد»، والمراد بالإنسان جنسه من ذكر وأنثى.

س٣: ما معنى «كان» فى الآية الخامسة ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾ والخامسة عشرة ﴿كَانَتْ قَوَارِيرَا﴾ والسابعة عشرة ﴿كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً﴾ ؟

الجواب: «كان» و«كانت» **فى هذه الآيات هى من التكوين، أى: من أمر الله ﴿كُنْ فَيَكُون﴾ أى: تكونت هذه الأشياء بتكوين الله تفخيماً لتلك المخلوقات العجيبة فى الجنة.**

س٤: قال تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا﴾ (الإنسان: ١٥).
و قال تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ (الإنسان: ١٩).
ما سر بناء الفعل فى الآية الأولى للمجهول «يطاف» وبناء الفعل «يطوف» للمعلوم؟

الجواب: (إنما ذكر الأول بلفظ المجهول لأن المقصود ما يطاف به لا الطائفون، ولهذا قال: ﴿بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ﴾، ثم ذكر الطائفين فقال: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾)[1]، فلما كان المقصود الطائفين بنى الفعل للمعلوم وأسنده إليهم.

س٥: قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ (الإنسان: ٢٤).
كلهم كفرة، فما سر التقسيم إلى الآثم والكفور؟

الجواب: (معناه: ولا تطع منهم راكباً لما هو آثم داعياً لك إليه، أو فاعلاً لما هو كفر داعياً لك إليه؛ لأنهم إمّا أن يدعوه إلى مساعدتهم على فعل هو إثم أو كفر أو غير إثم ولا كفر، فنهى أن يساعدهم على الاثنين دون الثالث)[2].

---

(١) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز جـ ١ ص٤٩٤.
(٢) الكشاف جـ ٤ ص١٧١.

معانى بعض الألفاظ

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾ أمشاج: أخلاط من مَنِىِّ الرجل وماء المرأة. نبتليه: نختبره بالتكاليف الشرعية، وهذه الجملة مستأنفة أو حال مقدرة أى: مريدين ابتلاءه عند تأهله. ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ إنا بيَّنَّا له طريق الهدى ببعث الرسل فى حال شكره وكفره. ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاسِلا وَأَغْلالاً وَسَعِيرًا﴾ إنا هيَّأنا للكافرين سلاسل يسحبون بها، وقيوداً فى أعناقهم وناراً متأججة مهيَّجة يعذبون بها ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ﴾ جمع بَرٍّ أو بار، وهو المؤمن المطيع. ﴿يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ الكأس هو إناء خمر الآخرة، وهو من باب تسمية الشىء باسم محلّه، مزاجها: أى ما تمزج به وتخلط، كافورا: وهو فى رائحة الكافور. ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ عيناً يشرب منها أولياء الله من المؤمنين ويقودونها حيث شاءوا من منازلهم. ﴿شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ أى منتشراً. ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا﴾ وصفُ اليوم بالعبوس على سبيل المجاز، كما يقال: «نهاره صائم» والمراد: تكلح فيه الوجوه. ﴿قَمْطَرِيرًا﴾ شديداً. ﴿لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلا زَمْهَرِيرًا﴾ أى: لا حراً ولا برداً، ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً﴾ أى أدنيت ثمارها للقائم والقاعد. ﴿سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ السندس: ما رقَّ من الحرير والاستبرق ما غلظ وثخن.

(٧٧) سورة المرسلات

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: (لما ختمت سورة الإنسان بالوعد لأوليائه والوعيد لأعدائه وكان الكفار يكذبون بذلك، افتتح هذه بالإقسام على أن ذلك كائن فقال: ﴿وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفًا﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾)[(١)].

س٢: قال تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ .

ما سر تكرار هذه الجملة وهى آية مستقلة عشر مرات؟

الجواب: من وجهين:

الأول: أن من عادة العرب التكرار والإطناب فى كلامهم وحديثهم، كما أن من عاداهم الاقتصار والإيجاز، وبسْط الكلام والإطناب فى الترغيب والترهيب أدعى إلى إدراك البغية من الإيجاز.

(١) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور جـ ٢١ ص١٦٤ ، ١٦٥.

الثاني: ليس في ذكرها إخلال لأن كل آية ذكرت عقيب آية غير الأولى، فلا يكون التكرار مستهجناً[1].

س٣: قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لا يَرْكَعُونَ﴾ (المرسلات :٤٨).

كيف يؤمر الكفرة بالركوع وهم لا يؤمنون بذلك أصلاً؟

الجواب: المراد بالركوع الخشوع والتواضع والمعنى: وإذا قيل لهم: اخشعوا لله وتواضعوا له بقبول وحيه واتباع دينه، واطرحوا هذا الاستكبار والنخوة، لا يخشعون ولا يقبلون ذلك، ويصرون على استكبارهم، وقيل: إن الآية نزلت في ثقيف حين أمرهم رسول الله ﷺ بالصلاة فقالوا: لا نجبي، أي: لا نكون في هيئة الساجد، فإنها مسبة علينا فقال رسول الله ﷺ: لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود[2].

معاني بعض الألفاظ

﴿وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفًا، فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا، وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا، فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا، فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا﴾ (أقسم الله بصفاتٍ خمس، موصوفها محذوف، فجعله بعضهم الرياح في الكل، وبعضهم جعله الملائكة في الكل، وبعضهم غاير فجعله تارةً الرياحَ وتارةً الملائكةَ، فجعل الصفات الثلاث الأولى لموصوف واحد، وهو الرياح، وجعل الرابعة لموصوف ثانٍ هو الآيات – أي: الآيات القرآنية – التي تفرق بين الحق والباطل –، وجعل الخامسة لموصوف ثالث هو الملائكة، فالتغاير بين الصفات الثلاث الأُوَل من حيث إن المرسلات المراد بها رياح للعذاب؛ لأنه شاع استعمال الإرسال في ريح العذاب، وأن العاصفات المراد بها الرياح العديدة، وأن الناشرات المراد بها الرياح تنشر المطر)[3].

ومن جعلها للملائكة فالمراد بالمرسلات طوائف الملائكة أرسلهن الله بأوامره، فعصفن في مضيهن كما تعصف الرياح تخفيفاً في امتثال أمر الله، وبطوائف من الملائكة نشرن أجنحتهن في الجو عند انحطاطهن بالوحي، أو نشرن الشرائع في الأرض، ففرقن بين الحق والباطل، فألقين إلى الأنبياء ذكراً، ومعنى «عرفاً» أي: مرسلات بالمعروف ضد المنكر، وهو منصوب على أنه مفعول لأجله.

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز جـ ١ص٤٩٥، ٤٩٦.

(٢) انظر: الكشاف جـ ٤ ص١٧٥.

(٣) الفتوحات الإلهية جـ ٤ص٤٦٣ باختصار.

﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ هما بدلان من «ذكرا» فى قوله: ﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا﴾، أو أنهما مفعولان من أجله، أو يكون المعنى: للإعذار والإنذار من الله، أو يكون المعنى: ذكراً للذين يعتذرون إلى الله بالتوبة والاستغفار وإنذاراً للذين لا يؤمنون بالله وللذين يغفلون الشكر لله. ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ، وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ، وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ فإذا النجوم مُحِيَ نورها وذهب ضوءها، وإذا السماء شقت، وإذا الجبال فتت وكسرت، ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ، لأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾ وإذا الرسل تبين الوقت الذى يحضرون فيه للشهادة على أممهم، ليوم أُجِّلت فيه الشهادة وهو يوم الفصل، الذى يفصل الله فيه بين الخلائق، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ جملة ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ كررت فى هذه السورة وفى سورة الانفطار وغيرهما للتهويل.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ (﴿وَيْلٌ﴾ : مبتدأ سوَّغ الابتداء به كونه دعاءً، وقال الزمخشرى : فإن قلت كيف وقعت النكرة مبتدأ فى قوله: ﴿وَيْلٌ﴾ قلت: فى أصله مصدر منصوب ساد مسد فعله، ولكنه عدل به إلى الرفع للدلالة على ثبات معنى الهلاك ودوامه للمدعو عليهم، ونحوه ﴿سَلاَمٌ عَلَيْكُم﴾)[1] ، ومعنى الويل: الهلاك أو هو واد فى جهنم.

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفَاتًا، أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا﴾ أى: ضامة أحياء وأمواتاً. ﴿رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ﴾ أى جبالاً مرتفعات ﴿ماء فُرَاتًا﴾ أى عذباً ﴿ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ﴾ ظِلٍّ لدخان فى جهنم يرتفع فيفترق إلى ثلاث فرق. ﴿لا ظَلِيلٍ وَلا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ﴾ لا يظلل من حر جهنم، ولا يمنع من اللهب، وفى هذا تهكم بأهل النار ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ إن النار ترمى بشرر يتطاير منها، الواحدة من الشرر كالقصر فى عظمه. ﴿كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾ جمالات: سوداء مشوبة بالصفرة.

(٧٨) سورة النبأ

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: (لما ذكر قبلها ظاهرة ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ أى بعد الحديث الذى هو القرآن، وكانوا يتجادلون فيه، ويسائلون عنه قال: ﴿عَمَّ يَتَسَاءلُونَ﴾)[2].

س٢: ما معنى ﴿عَمَّ يَتَسَاءلُونَ﴾ ؟

الجواب: ﴿عَمَّ﴾ مكونة من «عَنْ» حرف جر «وما» الاستفهامية، وتحذف الألف لكثرة

---

(١) الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون جـ ١٠ ص٦٣٣.

(٢) البحر المحيط جـ ٨ ص٤١٠ .

الاستعمال، وبعض العلماء يعوض عن الألف المحذوفة بهاء السكت، وبعضهم يثبت الألف (فالبزى يدخل هاء السكت عوضاً عن ألف «ما» الاستفهامية فى الوقف، ونقل عن ابن كثير أنه يقرأ «عَمَّهْ» بتشديد الميم وتسكين الهاء – بالهاء وصلاً –، أجرى الوصل مجرى الوقف، وقرأ عبد الله وأُبَىٌّ وعكرمة «عما» بإثبات الألف)[1] .

و الجار والمجرور يجوز أن يتعلق بالفعل «يتساءلون»، والمعنى: عن أى شيء يتساءلون ﴿عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾ وهو القرآن.

س٣ : قال تعالى : ﴿كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ، ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ﴾ (النبأ :٤ ، ٥)، **ما سر هذا التكرار؟**

الجواب : (قيل: التكرار للتوكيد، وقيل: الأول للكفار، والثانى للمؤمنين، وقيل الأول: عند النزع، والثانى: فى القيامة، وقيل الأول: ردع عند الاختلاف، والثانى عن الكفر)[2] .

س٤: قال تعالى : ﴿لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا، لاَّ يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا﴾ (النبأ :٢٣ ، ٢٤). **ما المراد بالأحقاب؟ وإذا كان الكفرة لابثين فيها أحقاباً فعند انتهاء هذه الأحقاب يكون عذابهم متناهياً، والنصوص على أنهم خالدون فى النار وعذابهم غير متناه؟**

الجواب : (﴿لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ قيل: جمع الحُقُب أى الدهر، قيل والحقبة – بكسر الحاء – ثمانون عاماً وجمعها حِقَب بكسر الحاء وفتح القاف، والصحيح أن الحقبة مدة من الزمان مبهمة)[3] .

و ذهب كثير من العلماء إلى أن أحقاباً جمع حقب بضم أوله وسكون ثانيه، وهو ثمانون عاماً، وقيل: الحقب الواحد سبع عشرة ألف سنة، فعلى حساب أن الحقب ثمانون سنة تكون مدة الحقب ثمانين سنة فى يوم مقداره خمسون ألف سنة، فتكون مدة الحقب بزمان الأرض:

٨٠ × ٥٠٠٠٠ = ٤٠٠٠٠٠٠ سنة

وهذا مقدار حقب واحد بزمان الأرض، فما بال الأحقاب الواردة فى الآية؟

أمَّا الشطر الثانى من السؤال وهو أن الأحقاب متناهية، فالجواب عليه بما يأتى:

(ذكروا فيه وجوهاً: أحدها: ما روى عن الحسن قال: إن الله تعالى لم يجعل لأهل النار مدة، بل قال: ﴿لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ ، فوالله ما هو إلاَّ أنه إذا مضى حقب دخل حقب إلى الأبد، وليس

(١) الدر المصون جـ ١٠ ص٦٤٧.

(٢) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز جـ ١ ص٤٩٧ .

(٣) مفردات ألفاظ القرآن ص٢٤٨.

للأحقاب مدة إلاَّ الخلود، وروى عن عبد الله بن مسعود قال: لو علم أهل النار أنهم يلبثـون فـى النار عدد حصى الدنيا لفرحوا، ولو علم أهل الجنة أنـه يلبثـون فـى الجنـة عـدد حصـى الـدنيا لحزنوا.

الوجه الثانى: أن لفظ الأحقاب لا يدل على نهاية، والحقب الواحد مُتَنَاه، والمعنـى: أنهـم يلبثون فيها أحقاباً ﴿لاَّ يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَـرَابًا، إلاَّ حَمِيمًـا وَغَسَّـاقًا﴾ فهـذا توقيـت لأنـواع العذاب الذى يبدلونه لا توقيت للبثهم فيها.

الثالث: أن الآية منسوخة بقوله: ﴿فَلَن نَّزِيـدَكُمْ إِلاَّ عَـذَابًا﴾ (النبأ :٣٠). يعنـى أن العـدد قـد ارتفع والخلود قد حصل(١).

معانى بعض الألفاظ

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا﴾ أى: ممهدة معبَّدة، والاستفهام للتقريـر. ﴿وَالْجِبَـالَ أَوْتَـادًا﴾ أى: ثوابت تثبت بها الأرض، كما تثبت الخيام بالأوتـاد . ﴿وَخَلَقْنَـاكُمْ أَزْوَاجًـا﴾ أى: ذكـوراً وإناثـاً. ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ أى: راحة لأبـدانكم. ﴿وَبَنَيْنَـا فَـوْقَكُمْ سَـبْعًا شِـدَادًا﴾ أى: سـبع سمـوات شديدة محكمة قوية لا تؤثر فيها الـدهور والأزمنـة. ﴿وَأَنزَلْنَـا مِـنَ الْمُعْصِـرَاتِ مَـاءً ثَجَّاجًـا﴾ أى: وأنزلنا من السحب التى تعصرها الرياح مطراً منصبّاً بكثرة. ﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾ أى: بساتين ملتفـة. ﴿فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ أى: جماعات. ﴿وَسُـيِّرَتِ الْجِبَـالُ فَكَانَـتْ سَـرَابًا﴾ أى: فكانـت الجبـال مثـل السراب، فكما يرى السائر فى الصحراء السراب كأنه ماء ولا مـاء فالجبـال تُـرَى جبـالاً وليسـت كذلك. ﴿إِنَّ جَـهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا، لِلطَّاغِينَ مَآبًا﴾ إمَّا مُعَدَّةٌ للطاغين، وإما بمعنى الطريـق تَجُـوزُهُ الخلائق وهو الصراط فوقها، وهى للطاغين أى: الكافرين الظالمين مرجع يأوون إليه. ﴿إِلاَّ حَمِيمًـا وَغَسَّاقًا﴾ الحميم: الماء الحار الذى بلغ غاية الحرارة، والغساق: ما يسيل من أجساد أهل النار من صديد ودماء. ﴿جَزَاءً وِفَاقًا﴾ أى: موافقاً لأعمالهم . ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لا يَرْجُـونَ حِسَـابًا﴾ إن الكـافرين كانوا لا يخافون حساب يوم القيامة لأنهم ينكرون البعث. ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَـيْنَاهُ كِتَابًـا﴾ ضـبطناه فى اللوح المحفوظ وفى صحف الكتبة حتى نُجَـازِىَ عليـه. ﴿إِنَّ لِلْمُـتَّقِينَ مَفَـازًا﴾ أى: فـوزاً فـى الجنة . ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾ أى: جوارى تكعبت ثديهن فهن حسان الصدور حسان الوجوه، حسان الأجساد على ميلاد واحد وهو ثلاثون سنة ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًـا﴾ مليئـة بخمـر الآخـرة المخالفـة لخمـر

(١) الفتوحات الإلهية جـ ٤ ص٤٧٣ ، ٤٧٤.

الدنيا. ﴿لاَّ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا كِذَّابًا﴾ لا يسمعون فى الجنة باطلاً من القول أو كذباً ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا﴾ يوم القيامة يقوم جبريل عليه السلام والملائكة مصفوفين صفوفاً منتظمين، فجبريل على رأسهم ﴿فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا﴾ الفاء فاء الفصيحة أفصحت عن شرط . ومعنى «مآبا» أى: مرجعاً إلى الله بالطاعة.

﴿ (٧٩) سورة النازعات ﴾

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: يقول البقاعى: (لما ذكر سبحانه يوم يقوم الروح، ويتمنى الكافر العدم. أقسم أول هذه بنزع الأرواح على الوجه الذى ذكره بأيدى الملائكة عليهم السلام على ما يتأثر عنه من البعث، وساقه على وجه التأكيد بالقسم لأنهم به مكذبون فقال: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾)[١] .

س٢: ما المراد بالنازعات؟

الجواب: اختلف العلماء فيها إلى مذاهب متعددة :

الأول: المراد بها الخيل التى تغزو فى سبيل الله التى تنزع فى أعنتها نزعاً، تغرق فيه الأعنة لطول أعناقها، والتى تخرج ناشطة من دار الإسلام إلى دار الحرب، والتى تسبح فى جريها فتسبق الغاية فتدبِّر أمر الغلبة والظفر، وأسند التدبير إلى الخيل بقوله : ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ لأنها من أسبابه.

الثانى: المراد بالنازعات النجوم التى تنزع من المشرق إلى المغرب، وإغراقها فى النزع أن تقطع الفلك كله حتى تنحط فى أقصى الغرب، وتكون ناشطة حين تخرج من برج إلى برج، والتى تسبح فى الفلك من السيارة فتسبق فتدبر أمراً من علم الحساب.

الثالث: قيل: المراد بالنازعات أيدى الغزاة أو أنفسهم، تنزع القسى بإغراق السهام، والتى تنشط فتدبر أمر النصر.

الرابع: المراد بها طوائف الملائكة التى تنزع الأرواح من الأجساد إغراقاً فى النزع من أقاصى الأجساد من أناملها وأظفارها والتى تنشطها وتخرجها، والتى تسبح فى مضيِّها أى: تسرع فتسبق إلى ما أمرت به من قبل الله عز وجل، فتدبر أمور العباد.

---

(١) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور جـ ٢١ ص٢١٧ ، ٢١٨.

والنفس تميل إلى هذا المذهب، وقيل غير ذلك[١].

وهذه أقسام أقسم الله بها، والمقسم عليه محذوف تقديره: «لتبعثن» لدلالة ما بعده عليه.

س٣: قال تعالى: ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا، رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا، وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا، وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ (النازعات: ٢٧ - ٣٠)، **وقال تعالى في سورة فصلت: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ، ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾** (فصلت: ٩ - ١١).

الآيات الأولى تشعر بأن خلق السماء متقدم على خلق الأرض، والآيات الثانية من سورة فصلت تشعر بأن خلق الأرض متقدم على خلق السماء، فكيف نوفق بين الآيات الأولى والثانية؟

الجواب: إن خلق الأرض متقدم على خلق السماء وأما دحو الأرض أي: بسطها فهو أمر زائد على خلقها، فهي متقدمة خلقاً متأخرة دحواً، فالله خلق الأرض أولاً ثم خلق السماء ثانياً، وبعد خلق السماء دحا الأرض[٢].

س٤: قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾ (النازعات: ٣٤)، **وقال تعالى في سورة عبس: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ﴾** (عبس: ٣٣). **المراد بالطامَّة والصاخَّة القيامة، فلِمَ خصَّت النازعات بالطامَّة ووصفت بالكبرى وخصت عبس بالصاخَّة؟**

الجواب: (الطامة: الداهية التي تطم على الدواهي أي: تعلو عليها، فهي أكبر الطامات أي: الدواهي فهي أعظم من كل عظيم، وحينئذٍ فالوصف بالكبرى تأسيس لا تأكيد)[٣].

(والطامة: مشتقة من طممت البئر: إذا كبستها، وسميت القيامة طامة لأنها تكبس كل شيء وتكسره)[٤].

والصاخة: هي الصوت الشديد، لأن من شدة صوتها يحيا النَّاس كما ينتبه النائم[٥].

و خصت «النازعات» بالطامة لأن الطم قبل الصخ، فكانت هي السابقة، وخصت «عبس»

---

(١) انظر البحر المحيط جـ ٨ ص٤١٩.

(٢) انظر: فتح القدير جـ ٤ ص٧١٣.

(٣) الفتوحات الإلهية جـ ٤ ص٤٨٤.

(٤) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز جـ ١ ص٤٩٩، ٥٠٠.

(٥) المرجع السابق.

بالصاحة لأنها بعدها وهى اللاحقة[1].

ووصفت الطامة بالكبرى (موافقة لما قبله من داهية فرعون، وهى قوله: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾ ولذلك وصفت الطامة بالكبرى موافقة لقوله ﴿فَأَرَاهُ الآيَةَ الْكُبْرَى﴾، بخلاف ما فى «عبس» فإنَّه لم يتقدمه شىء من ذلك، فخصت بالصاخة وإن شاركت الطامة فى أنها النفخة الثانية لأنها الصوت الشديد، والصوت يكون بعد الطم، فناسب جعل الطم للسابقة والصخ للاحقة)[2].

معانى بعض الألفاظ

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ، تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ المراد بالراجفة: النفخة الأولى. وترجف: تزلزل، وتتبعها النفخة الثانية وهى تردف الأولى. وبينهما أربعون سنة ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ. أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾ قلوب خائفة يوم القيامة، قلقة أبصارها، ذليلة لهول ما ترى من مشاهد القيامة. ﴿يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ المراد بالحافرة: الطريق، والمعنى: أنرد بعد الموت إلى الحياة، فالحافرة اسم لأول الأمر، فنرد بعد الموت إلى الحياة. ﴿أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً﴾ أى: بالية متفتتة. ﴿قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ أى: إن صحت الحياة بعد الموت كان رجعة خاسرة أى: ذات خسران، لأنهم لم يؤمنوا ولم يعملوا لها. ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ، فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾ فإنما هى الرادفة أى: النفخة الثانية والزجرة الصيحة ﴿فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾ فإذا هم على وجه الأرض بعد أن كانوا ببطنها.

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ «هل» بمعنى «قد»، وأتى الكلام على طريق السؤال للتلطف به وتسليته. ﴿بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ اسم الوادى الذى كلَّم الله عليه موسى. ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ طغى: تجاوز الحد فى الكفر. «فقل» له «هل» سبيل ورغبة إلى أن تطهر بالتوحيد. فأمر أن يخاطبه بالاستفهام المتضمن العرض بالتلطف، ويستنزله بالمداراة من عتوه وجبروته حتى يتطهر من الشرك بشهادة أن لا إله إلاَّ الله. ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾ وأرشدك إلى ربك بالبراهين الدالة على صدقى فتخشى الله فتخافه. ﴿فَأَرَاهُ الآيَةَ الْكُبْرَى﴾ وهى قلب العصا حية، وكانت أكبر الآيات التى أتى بها موسى؛ لأنها كانت المقدمة والأصل، والآيات الأخرى تبع لها. ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى﴾ فجمع السحرة وجنده فقال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾ أى: لا رب فوقى. ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَى﴾ فأخذه الله بعقوبة الآخرة وهى قوله ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾، والأولى قوله: ﴿مَا

---

(١) المرجع السابق.

(٢) الفتوحات الإلهية جـ ٤ ص٤٨٤.

عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ ، وكان بين الكذبتين أربعون سنة. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى﴾ إن فى أخذ فرعون عظة لمن يخاف الله ﷻ .

﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاء بَنَاهَا﴾ أأنتم أيها المنكرون للبعث أشد خلقاً أم السماء بناها؟ ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا﴾ أى: جعل سمتها فى جهة العلو رفيعاً عالياً ﴿فَسَوَّاهَا﴾ أى: جعلها مستوية لا عيب فهيا ولا فطور. ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ أى: أظلم ليلها، وأبرز نورها بالشمس. ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى﴾ أظهرت النار لكل ناظر ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ أى: النار هى المرجع والمأوى لكل طاغ. ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ متى وقوعها.

(٨٠) سورة عبس

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: (أنه لما ذكر ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا﴾ – فى النازعات، ذكر فى هذه – أى: عبس– من ينفعه الإنذار ومن لم ينفعه الإنذار، وهم الذين كان رسول الله ﷺ يناجيهم فى أمر الإسلام: عُتبة بن ربيعة، وأبو جهل، وأُبَىُّ، وأُمَيَّة، ويدعوهم إليه)[١]. وأتى عبد الله بن أم مكتوم والنبى معهم يدعوهم إلى الإسلام.

س٢: قال تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ .

ما سر مجيء الفاعل ضمير غائب فى الآيات ولم يأت بتاء الخطاب؟

الجواب: أتى بضمير الغائب إجلالاً للرسول ﷺ ولطفاً به[٢] .

س٣: من الأعمى؟

الجواب: هو عبد الله بن أم مكتوم، وأم مكتوم أم أبيه، واسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهرى، من بنى عامر بن لؤى، ابن خالة السيدة خديجة بنت خويلد، استخلفه الرسول على المدينة ثلاث عشرة مرة وهو فى غزواته، فكان يصلى بالناس، يروى ابن جرير (عن عائشة: قالت: أنزلت ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ فى ابن أم مكتوم، قالت: أتى رسولَ الله ﷺ : فجعل يقول: أرشدنى. قالت: وعند رسول الله ﷺ من عظماء المشركين، قالت: فجعل النبى ﷺ يعرض عنه ويقبل على الآخر، ويقول: أترى بما أقوله بأساً؟ فيقول: لا. ففى هذا أنزلت ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾)[٣].

---

(١) البحر المحيط جـ ٨ ص٤٢٦ ، ٤٢٧.

(٢) انظر الفتوحات الإلهية جـ ٤ ص٤٨٦.

(٣) جامع البيان جـ ٣٠ ص٣٢.

﴿ س٤: قال تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى، أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى﴾ (عبس: ٣ - ٤).
ما سر انتصاب الفعل «تنفعه» ؟

﴿ الجواب: قرئ برفع الفعل «تنفعه» عطفاً على «يذكّر»، وقرئ بالنصب جواب «لعل».

معانى بعض الألفاظ

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ تقطب وجهه من ضيق صدره، وتولى: أعرض عنه. ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى، أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى﴾ أىُّ شىء يجعلك دارياً بحاله؟ فهو يرجو أن يتطهر بشرع الله الذى بعثك الله به ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ﴾ يتعظ فتنفعه موعظتك ﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى، فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّى. وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّى﴾ أمّا من استغنى عن الله والإيمان بماله وجاهه وعقله، فأنت تقبل عليه وتتعرض له ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّى﴾ ليس عليك بأس فى عدم تزكيته بالإسلام. ﴿وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَى. وَهُوَ يَخْشَى، فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ وأما من جاء يسرع فى طلب الخير، وهو يخشى الكفار وأذاهم، ويخاف عثرة الطريق وكبوته ﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ تتشاغل ﴿كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ «كلا» كلمة ردع، والمعنى: لا تفعل مثل ذلك ﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ أى: هذه الآيات أو السورة عظة للخلق. ﴿فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ أى: كان حافظاً غير ناس ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ﴾ أى: هذه التذكرة منسوخة فى صحف منتسخة من اللوح ﴿مُّكَرَّمَةٍ﴾ عند الله ﴿مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ، بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ «مَّرْفُوعَة»: مرفوعة فى السماء ﴿مُّطَهَّرَةٍ﴾ عن مس الشياطين ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ أى: ملائكة كتبة ينسخونها من اللوح المحفوظ ﴿قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ لعن الإنسان الكافر، وفى الجملة أسلوب تعجب من كُفره وجحوده ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ استفهام تعجب من كفره مع أنه خلقه من نطفة مذرة مهينة. ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ أى: يسّر له الطريق للخروج من بطن أمه، ولولا لطف الله به لهلك، وكل إنسان يعانى المعاناة الشديدة عند ولادته وعند خروج روحه. ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ أى: أماته الله وأسكنه القبر يوارى جسده، ويستره عن أعين النّاس تكريماً له. ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ﴾ ثم إذا أراد الله البعث أنشأه النشأة الآخرة بعد رفع عظامه. ﴿كَلاَّ لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾ «كلا»: كلمة ردع للإنسان عما هو عليه، فهو لم يقض ما أمر به من قبل الله من لدن آدم إلى يوم القيامة، فهو لم يخل من التقصير ﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا﴾ القضب علف الدواب الرطب، وسمى بذلك لأنه يقضب مرة بعد مرة ﴿وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾ وبساتين كثيرة. ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ الأبّ هو ما ترعاه البهائم سواء كان رطباً أو يابساً، فهو أعم من القضب. ﴿مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ﴾ أى: متعة لكم ولدوابكم. ﴿وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ أى: زوجته وأولاده. ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ لكل امرئ يوم القيامة حال يشغله عن شأن غيره فيشتغل بنفسه. ﴿وُجُوهٌ

يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ، ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ﴾ وجوه مضيئة ضاحكة فرحة وهم المؤمنون. ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ، تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ وجوه عليها تراب ﴿تَرْهَقُهَا﴾ تغشاها ﴿قَتَرَةٌ﴾ ظلمة وسواد، وهم ﴿الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ .

لطيفة: أورد الحافظ ابن كثير وغيره (عن إبراهيم التيمى قال: سئل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ فقال: أى: سماء تظلنى وأى: أرض تقلنى : إن قلت فى كتاب الله ما لا أعلم؟ وعن أنس رضي الله عنه : قرأ عمر بن الخطاب ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ فلما أتى على هذه الآية ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ قال: عرفنا ما الفاكهة، فما الأب؟ فقال : لعمرك يا ابن الخطاب إن هذا لهو التكلف)[1]. هذه الأقوال توحى بالنهى عن تتبع معانى القرآن الكريم، فهل يغلق الباب فى البحث فى القرآن؟

والجواب: أن أبا بكر وعمر لم يذهبا إلى النهى عن البحث فى القرآن (ولكن القوم كانت أكبر همتهم عاكفة على العمل، وكان التشاغل بشيء من العلم لا يعمل به تكلفاً عندهم، فأراد أن الآية مسوقة فى الامتنان على الإنسان بمطعمه واستدعاء شكره، وقد علم من فحوى الآية أن الأب بعض ما أنبته الله للإنسان متاعاً له ولأنعامه، فعليك بما هو أهم من النهوض بالشكر لله على ما تبيّن لك، ولم يشكل مما عدّد من نعمة، ولا تتشاغل عنه بطلب معنى الأب، ومعرفة النبات الخاص الذى هو اسم له، واكتف بالمعرفة الجملية إلى أن يتبين لك فى غير هذا الوقت، ثم وصّى النّاس بأن يجروا على هذا السنن فيما أشبه ذلك من مشكلات القرآن)[2].

(٨١) سورة التكوير

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: (لما ختمت سورة «عبس» بوعيد الكفرة الفجرة بيوم الصاخة لجحودهم بما لهذا القرآن من التذكرة، ابتدئت هذه بإتمام ذلك فصور ذلك، اليوم بما يكون فيه من الأمور الهائلة من عالم الملك والملكوت، حتى كأنه رأى عين كما رواه الإمام أحمد والترمذى والطبرانى وغيرهم عن ابن عمر — رضى الله عنهما — عن النبى ﷺ برجال ثقات، أن النبى ﷺ قال: «من أحب أن

(١) تفسير ابن كثير جـ ٨ ص٣٤٨.

(٢) الكشاف جـ ٤ ص١٨٧.

ينظر إلى يوم القيامة رأى العين فليقرأ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ فقال بادئاً بعالم الملك والشهادة لأنه أقرب تصوراً لما يغلب على الإنسان من الوقوف مع المحسوسات، معلماً بأنه سيخرب زهيداً. تزهيداً في كل ما يجر إليه. وحثاً على عدم المبالاة به والابتعاد من التعلق بشيء من أسبابه: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾)[1].

س٢: قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ (التكوير :٥)، **ما سر ذكر الوحوش مع أن جميع الحيوانات المفترسة وغيرها ستحشر حتى ليقاد من القرناء للجماء؟**

الجواب: خص الوحوش بالذكر لكثرة افتراسها وشراستها وجورها، فإنها أكثر ظلماً ووحشية من غيرها.

س٣: قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ (التكوير :٦)، **و قال تعالى:** ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ (الانفطار :٣)، **ما سر اختصاص سورة التكوير بقوله: «سجرت» واختصاص سورة الانفطار بقوله: «بفجرت»؟**

الجواب: معنى قوله: «سجرت» أي: أضرمت وأوقدت فصارت نيراناً، ومعنى قوله: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ أي: شقت وفتح بعضها في بعض، فاختلط العذب بالملح، وخصت سورة التكوير بقوله: «سجرت» موافقة لما بعدها ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾، وخصت الانفطار بقوله: «فجرت» موافقة لقوله: «انفطرت» و«انتثرت».

س٤: قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ﴾ (التكوير :٨)، **كيف تُسْأَلُ الموءودة وهي المجني عليها؟**

الجواب: من وجهين:

الأول: سؤالها لتفزيع القاتل وترهيبه، فإذا سئلت فما بال الوائد؟

الثاني: سؤالها: ما ذنبك؟ وبأي ذنب قتلت؟ ويكون جوابها: إني قتلت بغير ذنب. وكنت في حال لا حول لي ولا قوة ولا قدرة ولا نطق، ودفنت في التراب حية.

معاني بعض الألفاظ

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ، وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾ أي: لففت وجمع بعضها على بعض وذهب ضوءها. ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾ أي: تناثرت وانقضت وتساقطت. ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ نزعت

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور جـ ٢١ ص٢٧٤ ، ٢٧٥.

من أماكنها وصارت كالعهن المنفوش كالصوف المندوف، تمر مر السحاب. ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ أي: إذا النوق الحوامل فى عشرة أشهر، فالعشار جمع عُشَراء، وهذا اسمها إلى أن تلد ما فى بطنها، ومعنى عطلت: تركت بلا راع ولا حالب لها. ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ جمعت ليقتص من بعضها لبعض. ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ وإذا الأرواح قرنت بأجسادها التى كانت تسكنها فى الدنيا، ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ نزعت عن أماكنها كما ينزع جلد الحيوان عن جسده عند سلخه. ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ وإذا النار أججت وتلهبت ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ قربت لأهلها ليدخلوها، وهذا إكرام لهم. ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ من خير أو شر. ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ، الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ سبق الحديث عن «لا» فى القواعد المتقدمة.

و معنى الخُنَّس: النجوم التى تجرى فى أفلاكها، وتتأخر حتى تختفى فى ضوء الشمس، فخنوسها: رجوعها، وكنوسها: اختفاؤها فى ضوء الشمس. ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ (أى: أقبل وأدبر، فهو من الأضداد، وذلك فى مبدأ الليل ومنتهاه، فالعسعسة والعساس رقة الظلام، وذلك فى طرفى الليل)[1].

﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ أى: زاد ضوءه لأنه إذا أقبل أقبل بروح ونسيم، فجعل ذلك نفساً له على سبيل المجاز. ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ، ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ، مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ هذه أوصاف جبريل عليه السلام، فهو ﴿كَرِيمٍ﴾ على الله ليس بمذموم ﴿مَكِينٍ﴾ ذو مكانة عند الله ﴿مُّطَاعٍ﴾ تطيعه الملائكة ﴿ثَمَّ﴾ إشارة إلى الظرف المذكور – العرش – ﴿أَمِينٍ﴾ على الوحى ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ أى: رآه الرسول محمد ﷺ بناحية المشرق وهو أفق الشمس عند مطلعها ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ أى: ما هو على «الغيب» أى: الوحى «بضنين» أى: ببخيل فينقص منه شيئاً، أو «بظنين» أى: بمتهم.

(٨٢) سورة الانفطار

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: (لما ختمت سورة التكوير بأنه سبحانه لا يَخْرُجُ شىءٌ عن مشيئته، وأنه موجد الخلق ومدبرهم، وكان من النّاس من يعتقد أن هذا العالم هكذا بهذا الوصف لا آخر له: «أرحام تدفع، وأرض تبلع، ومن مات فات وصار إلى الرفات، ولا عود بعد الفوات»، افتتح سبحانه هذه

(١) مفردات ألفاظ القرآن ص٥٦٦.

– أى: سورة الانفطار – بما يكون مقدمة لمقصود التى قبلها من أنه لابد من نقضه لهذا العالم وإخرابه ليحاسب النّاس، فيجزى كلا منهم من المحسن والمسىء بما عمل فقال: ﴿إِذَا السَّمَاء انفَطَرَتْ﴾)[1].

س٢: قال تعالى: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ (الانفطار :٦)، كيف طابق الوصف بالكرم إنكار الاغترار به وإنما يغتر بالكريم؟ كما روى عن الإمام على «أنه صاح بغلام له كرات فلم يلبه فنظر فإذا هو بالباب فقال له: مالك لا تجيبنى ؟ قال: لثقتى بحلمك وأمنى من عقوبتك فاستحسن جوابه وأعتقه؟

الجواب: (معناه: أن حق الإنسان أن لا يغتر بكرم الله عليه، حيث خلقه حيًا لينفعه وبتفضله عليه بذلك حتى يطمع بعد ما مكنه وكلفه فعصى وكفر النعمة المتفضل بها أن يتفضل عليه بالثواب وطرح العقوبة اغتراراً بالتفضل الأول، فإنّه منكر خارج من حد الحكمة، ولهذا قال رسول الله ﷺ لما تلاها: «غرّه جهله»، وقال عمر رضي الله عنه: غرّه حمقه وجهله، وقال الحسن: غرّه –والله– شيطانُهُ الخبيث)[2]، وقد يكون المراد بالإنسان: الإنسان الكافر، ويؤيد ذلك قوله تعالى عن الكافر: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ (الكهف :٣٦).

س٣: قال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ، ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ (الانفطار :١٧، ١٨)، ما سر التكرار؟

الجواب: أفاد التكرار التعظيم ليوم الدين، وقد تكون الأولى خطاباً للمؤمن والثانية للكافر.

معانى بعض الألفاظ

﴿انفَطَرَتْ﴾ انشقت، ﴿انتَثَرَتْ﴾ تفرقت وانقضت وتساقطت، ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ قلب ترابها وبعث موتاها، ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ أى: أىُّ شىء خدعك وجرَّأك على عصيان الله، وذكر الكريم للمبالغة فى المنع عن الاغترار، فإن محض الكرم لا يقتضى إهمال الظالم، ﴿فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ أى: خلقك مستوى الخلقة متناسق الأعضاء معتدلاً، ﴿كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾ الدين الجزاء على الأعمال، ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ من الملائكة لأعمالكم ﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ أى: كراماً على الله كاتبين لأعمال الخلائق، ﴿الأَبْرَارَ﴾ المؤمنون الطائعون، ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ﴾ أى: الكفار المتجاوزون الحدود.

(١) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور جـ ٢١ ص٢٩٨.

(٢) الكشاف جـ ٤ ص١٩٢.

﴿ (٨٣) سورة المطففين ﴾

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: (لما ختم الانفطار بانقطاع الأسباب وانحسام الأنساب يوم الحساب، وأبلغ فى التهديد بيوم الدين وأنه لا أمر لأحد معه، وذكر الأشقياء وكان أعظم ما يدور بين العباد المقادير، وكانت المعصية بالبخس فيها من أخس المعاصى وأدناها، حذر من الخيانة فيها، وذكر ما أعد لأهلها، وجمع إليهم كل من اتصف بوصفهم، فحمله وصفه على نوع من المعاصى كل ذلك تنبيهاً للأشقياء الغافلين على ما هم فيه من السموم المرضة المهلكة، ونبه على الشفاء لمن أراده فقال: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾)[1].

س٢: ما المراد بالويل؟ وما الذى سوغ الابتداء به وهو نكرة؟

الجواب: (قال الأصمعي: ويلٌ: قبح، وقد يستعمل على التحسر)[2]، وهى كلمة عذاب، فهى دعاء عليهم بسبب فعلهم، وقيل: هو واد فى جهنم ، والذى سوغ الابتداء وهو نكرة كونه دعاء على المطففين.

س٣: قال تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ، كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾ (المطففين: ٧ - ٩)، **لقد أخبر الله عن كتاب الفجار بأنه فى سجِّين، وأخبر عن السجين بأنه كتاب مرقوم، فكأنه قيل: إن كتابهم فى كتاب مرقوم، فما معنى ذلك؟**

الجواب: (سجين كتاب جامع هو ديوان الشر، دَوَّن الله فيه أعمال الشياطين وأعمال الكفرة والفسقة من الجن والإنس، وهو كتاب مرقوم مسطور)[3].

معانى بعض الألفاظ

﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ أى: إذا اكتالوا من النَّاس أى: أخذوا الكيل منهم مستوفياً ، فـ"على» بمعنى «مِنْ»، فهما يتعاقبان، ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ﴾ أى: كالوا لهم ﴿أَو وَّزَنُوهُمْ﴾ أى: وزنوا لهم ﴿يُخْسِرُونَ﴾ ينقصون الكيل والوزن، ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ، لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ الاستفهام للتوبيخ، والظن هنا بمعنى اليقين ، أى: يتيقن أولئك، ﴿كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾ مسطور مختوم، ﴿بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم﴾ أى: غلب على قلوبهم غطاء كالصدأ يغطيها ، ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ﴾

(١) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور جـ ٢١ ص٣١٠،

(٢) مفردات ألفاظ القرآن ص٨٨٨.

(٣) الكشاف جـ ٤ ص١٩٥.

أى: لداخلوا النار ﴿عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾ على السرر فى الحجال[1] ينظرون، ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ أى: بهجة النعيم ، ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ﴾ يسقون من خمر مختوم على إنائها بختم لا يفكه إلاّ الأبرار، ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾ أى: آخر شربه يفوح منه المسك، ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ أى: فليرغبوا بالمبادرة إلى طاعة الله، ﴿وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ﴾ أى: ما يمزج به الرحيق هو من عين تسمى تسنيماً، فتسنيم علم على عين يشرب منها المقربون، ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ أى: وإذا مر المؤمنون بالكفار يتغامز الكفار بأن يشيروا إلى المؤمنين بالجفن والحاجب استهزاء، ﴿وَإِذَا انقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُواْ فَكِهِينَ﴾ إذا رجعوا إلى أهلهم رجعوا فرحين متلذذين.

﴿ (٨٤) سورة الانشقاق ﴾

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: (لما ختمت التطفيف بأن الأولياء فى نعيم، وأن الأعداء فى جحيم ثوابا وعقابا، ابتدأ هذه بالإقسام على ذلك فقال: ﴿إِذَا السَّمَاء انشَقَّتْ﴾ أى: على ما لها من الإحكام والعظمة والحكمة الذى لا يقدر على مثلها غيره جلت قدرته)[2] .

س٢: قال تعالى : ﴿إِذَا السَّمَاء انشَقَّتْ﴾ (الانشقاق :١)، **أين جواب «إذا» ؟**

الجواب: حذف الجواب لتذهب النفس فيه كل مذهب، أو اكتفاء بما ذكر فى التكوير والانفطار، أو هو ما دل عليه قوله: ﴿فَمُلاقِيهِ﴾ .

س٣: ما سر تكرار قوله: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ ؟

الجواب: تكرر هذا القول مرتين لأن الأول متصل بالسماء، والثانى متصل بالأرض ﴿إِذَا السَّمَاء انشَقَّتْ، وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ، وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ، وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ، وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ .

س٤: قال تعالى : ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ﴾ (الانشقاق :٢٢)، **وقال تعالى فى سورة البروج: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ﴾** (البروج :١٩)، **ما سر الاختلاف ؟**

الجواب: راعى فواصل الآيات فى السورتين مع صحة اللفظ وجودة المعنى، وأتى فى الأولى بـ «يكذبون» فعلاً مضارعاً لأن نهاية الآية قبله فعل مضارع «يؤمنون» و«يسجدون»، وبعده

(١) الحجال : جمع حجلة – بفتح الحاء والجيم– بيت من الثياب يوضع على السرر كالناموسية.

(٢) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور جـ ٢١ ص٣٣٥.

«يوعون»، ونهاية الآيات فى الثانية قبل «تكذيب» أسماء وهى «الجنود» و«ثمود»، ثم قال: «فى تكذيب»، وبعده قال: «محيط» و«مجيد» .

معانى بعض الألفاظ

﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ انصدعت وتفطرت، ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ أى: انقادت وأذعنت لتأثير قدرة الله عليها حين تعلقت القدرة بانشقاقها، ﴿وَحُقَّتْ﴾ أى: حق لها أن تسمع وتطيع. ﴿وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ﴾ بسطت وزيد فى اتساعها كما يمد الأديم فلم يبق عليها بناء ولا جبل. ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ ألقت ما فى باطنها من الموتى على ظهرها وتخلت عنهم ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ﴾ إنك ساع فى عناء إلى لقاء ربك فتموت فملاقيه، ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ أى: ويرجع إلى أهله فى الجنة فرحاً، ﴿فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا﴾ أى: فسوف ينادى عليه بالهلاك، ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ إنه ظن أنه لن يرجع إلى ربه بعد الموت.

﴿فَلا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ، وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ، وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ الشفق هو الحمرة فى الأفق وتُرى عند غروب الشمس وبعدها، وسمى شفقاً لرقته، ومنه الشفقة على الإنسان وهى رقة القلب عليه، والشفق شفقان: الشفق الأحمر والشفق الأبيض[1] ، ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ أى: وما جمع من نجوم وحيوانات، فإنها تسكن ولا تنتشر، ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ اجتمع وتم نوره وكمل، ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ لتركبن أيها النَّاس أحوالاً مختلفة من طفولة وشباب وكهولة وشيخوخة وموت ثم بعث ونشور، وجنة أو نار، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ أى: بما يجمعون فى صحفهم من الكفر والتكذيب وأعمال السوء.

لطيفة: (روى عن ابن عباس رضي الله عنهما : ما كنت أدرى ما معنى «يحور» حتى سمعت أعرابية تقول لابنتها: حورى أى: ارجعى)[2] .

(٨٥) سورة البروج

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: (لما ختم تلك – أى: الانشقاق – بثواب المؤمن وعقاب الكافر والاستهزاء به بعد أن ذكر أنه سبحانه أعلم بما يضمر الأعداء من المكروه، وما يرمون من الأنكاد للأولياء، وتوعدهم بما

(١) انظر الفتوحات الإلهية جـ ٤ ص٥١٠.

(٢) التفسير الكبير جـ ١٦ ص١٠٧.

لا يطيقون، وكانوا قد عذبوا المؤمنين بأنواع، واجتهدوا فى فتنة من قدروا عليه منهم، وبالغوا فى التضييق عليهم حتى ألجأوهم إلى شعب أبى طالب وغيره من البروج فى البلاد ومفارقة الأهل والأولاد، ابتدأ هذه – أى: البروج بما أوقع بأهل الجبروت ممن تقدمهم، على وجه معلم أن ذلك الإيقاع منه سبحانه قطعاً، ومعلم أن الماضين تجاوزوا ما فعل هؤلاء إلى القذف فى النار، وأن أهل الإيمان ثبتوا)[1] .

س٢: قال تعالى : ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ (البروج :٣)،

ما سر تنكير «شاهد ومشهود» دون بقية ما أقسم الله به؟

الجواب: الشاهد هو يوم الجمعة، والمشهود يوم عرفة. والتنكير لأمرين:

الأول: التفخيم والتعظيم ، الثانى: لاختصاصهما من بين الأيام بفضيلة ليست لغيرهما.

معانى بعض الألفاظ

﴿وَالسَّمَاء ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ البروج: القصور الواحد برج، وبه سميت بروج السماء لمنازلها المختصة، قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاء ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ ، وذهب العلماء فيها إلى أقوال:

١- أنها هى البروج الاثنتا عشر، وهى مشهورة، وإنما حسن القسم بها لما فيها من عجيب الحكمة، وذلك لأن سير الشمس فيها، ولا شك أن مصالح العالم السفلى مرتبطة بسير الشمس.

٢- قيل: إن البروج هى منازل القمر.

٣- قيل: إن البروج هى عظام الكواكب، سميت بروجاً لظهورها.

﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ هو يوم القيامة، ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ﴾ قتل: لعن، وأصحاب الأخدود أى: أصحاب الشقوق التى شقت فى الأرض، وأضرمت فيها النيران، ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ﴾ وصف للنار بأنها نار عظيمة يرتفع لهبها من الحطب الكثير وأبدان النَّاس، ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ، وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ إذ هم على جوانب النار على الكراسى يتلذذون بتعذيب المؤمنين، ومعنى شهود أى: حضور، ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ وما عابوا عليهم وانتقموا منهم إلاَّ لأنهم آمنوا بالله وداوموا على هذا الإيمان بالله الغالب المحمود، ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ البطش هو الأخذ بعنف، وحيث وصف بالشدة يكون قد تضاعف وتفاقم، وهو بطش الله بالجبابرة والظلمة، ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ﴾ أى: عظيم. ﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ فى اللوح المحفوظ، ونكر اللوح للتفخيم والتعظيم، وهو محفوظ من الشياطين ومن تغيير شىء منه.

---

(١) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور جـ ٢١ ص٣٥٢، ٣٥٣.

لطيفة: عَنْ صُهَيْبٍ «أنَ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قالَ: كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ. وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ. فَلَمّا كَبِرَ قَالَ لِلْمَلِكِ: إنّي قَدْ كَبِرْتُ فَابْعَثْ إلَيّ غُلاماً أُعَلّمْهُ السّحْرَ. فَبَعَثَ إلَيْهِ غُلاماً يُعَلّمُهُ. فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ، إذَا سَلَكَ، رَاهِبٌ. فَقَعَدَ إلَيْهِ وَسَمِعَ كَلاَمَهُ. فَأَعْجَبَهُ. فَكَانَ إذَا أَتَى السّاحِرَ مَرّ بِالرّاهِبِ وَقَعَدَ إلَيْهِ. فَإذَا أتَى السّاحِرَ ضَرَبَهُ. فَشَكَا ذَلِكَ إلَى الرّاهِبِ. فَقَالَ: إذَا خَشِيتَ السّاحِرَ فَقُلْ: حَبَسَنِي أهْلِي. وَإذَا خَشِيتَ أهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السّاحِرُ. فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إذْ أتَى عَلَى دَابّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النّاسَ. فَقَالَ: الْيَوْمَ أعْلَمُ آلسّاحِرُ أفْضَلُ أمِ الرّاهِبُ أفْضَلُ؟ فَأَخَذَ حَجَراً فَقَالَ: اللّهُمّ إنْ كَانَ أمْرُ الرّاهِبِ أحَبّ إلَيْكَ مِنْ أمْرِ السّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدّابّةَ. حَتّى يَمْضِيَ النّاسُ. فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا. وَمَضَى النّاسُ. فَأَتَى الرّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ. فَقَالَ لَهُ الرّاهِبُ: أيْ بُنَيّ أنْتَ، الْيَوْمَ، أفْضَلُ مِنّي. قَدْ بَلَغَ مِنْ أمْرِكَ مَا أرَى. وَإنّكَ سَتُبْتَلَى. فَإنِ ابْتُلِيتَ فَلاَ تَدُلّ عَلَيّ. وَكَانَ الْغُلاَمُ يُبْرِئُ الأكْمَهَ وَالأبْرَصَ وَيُدَاوِي النّاسَ مِنْ سَائِرِ الأدْوَاءِ. فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ. فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ. فَقَالَ: مَا هَهُنَا لَكَ أجْمَعُ، إنْ أنْتَ شَفَيْتَنِي. فَقَالَ: إنّي لاَ أشْفِي أحَداً. إنّمَا يَشْفِي اللّهُ. فَإنْ أنْتَ آمَنْتَ بِاللّهِ دَعَوْتُ اللّهَ فَشَفَاكَ. فَآمَنَ بِاللّهِ. فَشَفَاهُ اللّهُ. فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ. فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ قَالَ: رَبّي. قَالَ: وَلَكَ رَبّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبّي وَرَبّكَ اللّهُ. فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذّبُهُ حَتّى دَلّ عَلَى الْغُلاَمِ. فَجِيءَ بِالْغُلاَمِ. فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أيْ بُنَيّ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الأكْمَهَ وَالأبْرَصَ وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ. فَقَالَ: إنّي لاَ أشْفِي أحَداً. إنّمَا يَشْفِي اللّهُ. فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذّبُهُ حَتّى دَلّ عَلَى الرّاهِبِ. فَجِيءَ بِالرّاهِبِ. فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ. فَأَبَى فَدَعَا بِالْمِئْشَارِ. فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ. فَشَقّهُ حَتّى وَقَعَ شِقّاهُ. ثُمّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى. فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ. فَشَقّهُ بِهِ حَتّى وَقَعَ شِقّاهُ. ثُمّ جِيءَ بِالْغُلاَمِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ. فَأَبَى. فَدَفَعَهُ إلَى نَفَرٍ مِنْ أصْحَابِهِ فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا. فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ. فَإذَا بَلَغْتُمْ ذِرْوَتَهُ، فَإنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ، وَإلاّ فَاطْرَحُوهُ. فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ. فَقَالَ: اللّهُمّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ. فَرَجَفَ بِهِمُ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا. وَجَاءَ يَمْشِي إلَى الْمَلِكِ. فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللّهُ. فَدَفَعَهُ إلَى نَفَرٍ مِنْ أصْحَابِهِ فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورة، فَتَوَسّطُوا بِهِ الْبَحْرَ. فَإنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإلاّ فَاقْذِفُوهُ. فَذَهَبُوا بِهِ. فَقَالَ: اللّهُمّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ فَانْكَفَأَتْ بِهِمُ السّفِينَةُ فَغَرِقُوا. وَجَاءَ يَمْشِي إلَى الْمَلِكِ. فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللّهُ. فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إنّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ. قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ. وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ. ثُمّ خُذْ سَهْماً مِنْ

كِنَانَتِي. ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ. ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللهِ، رَبِّ الْغُلاَمِ. ثُمَّ ارْمِنِي. فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي. فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ. وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ. ثُمَّ أَخَذَ سَهْماً مِنْ كِنَانَتِهِ. ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللهِ، رَبِّ الْغُلاَمِ. ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ. فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ.فَمَاتَ. فقال النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلاَمِ. آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلاَمِ. آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلاَمِ. فَأُتِيَ الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ؟ قَدْ، وَاللهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ. قَدْ آمَنَ النَّاسُ فَأَمَرَ بِالأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ فَخُدَّتْ وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ. وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا. أَوْ قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمْ. فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا. فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا. فَقَالَ لَهَا الْغُلاَمُ: يَا أُمَّهِ اصْبِرِي. فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ»[1] .

(٨٦) سورة الطارق

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: (لما تقدم فى آخر البروج أن القرآن فى لوح محفوظ، لأن منزله محيط بالجنود من المعاندين وبكل شيء، أخبر أن من إحاطته حفظ كل فرد من جميع الخلائق المخالفين والموافقين والمؤالفين، ليجازى على أعماله يوم إحقاق الحقائق وقطع العلائق، فقال مقسماً على ذلك لإنكارهم له: والسماء ذات الأنجم الموضوعة لحفظها من المردة لأجل حفظ القرآن المجيد الحافظ لطريق الحق)[2] .

س٢: قال تعالى : ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾ (الطارق :١، ٢)
ما سر التكرار فى قوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾ ؟

الجواب: لقد أقسم الله بالطارق وكرر ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾ تعظيماً لما عرف فيه من بدائع القدرة ولطيف الحكمة، ثم فسره بقوله: ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ .

س٣: قال تعالى : ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ (الطارق :١٧)،
ما سر التكرار فى «فمهل» و«أمهلهم»؟

الجواب: (هذا تكرار وتقديره : مهِّل مَهِّل مهِّل، لكنه عدل فى الثانى إلى أمهل لأنه من أصله وبمعناه كراهة التكرار، وعدل فى الثالث إلى قوله: «رويداً» لأنه بمعناه أرودهم إرواداً ، ثم

(١) صحيح مسلم جـ ١٨ ص١٣٠، ١٣١، كتاب الزهد باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب.
(٢) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور جـ ٢١ ص٣٧٠، ٣٧١.

صغّر «إرواد» تصغير الترخيم فصار «رويداً»، وقيل: «رويداً» صفة مصدر محذوف أى: إمهالاً رويداً فيكون التكرار مرتين، وهذه أعجوبة)[1] .

معانى بعض الألفاظ

﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ أى: المتوهج، ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ إنْ مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن محذوف، واللام هى الفارقة، والمعنى ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ﴾ عليها حفظة من الملائكة يحفظون عملها وقولها وفعلها، ويحصون ما تكسب من خير أو شر، ﴿خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ الدفق الصب والمراد بالماء المنى، ﴿يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ﴾ أى: صلب الرجل ﴿وَالتَّرَائِبِ﴾ جمع تريبة وهى من المرأة موضع القلادة فى الصدر، والولد يكون من الماءين، ﴿إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ الضمير راجع إلى الله وهو القادر على بعثة يوم القيامة. ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ يوم تختبر وتعرف أسرار القلوب ﴿فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ فما للإنسان من قوة فى نفسه يمتنع بها عن عذاب الله، ولا ناصر ينصره. ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ أى: ذات المطر لأنه يجيء ويرجع ويتكرر ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ هو ما تتصدع عنه الأرض من النبات والأشجار والثمار، والصدع: الشق، ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ إن القرآن لقول فصل، يفصل بين الحق والباطل بالبيان عن كل واحد منهما، ولم ينزل باللعب، فهو جد ليس بالهزل، ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ إن الكفرة يمكرون فى إبطال القرآن ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ وأستدرجهم من حيث لا يعلمون وأجازيهم جزاء كيدهم، ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ أى: أخرهم ولا تسأل الله سبحانه تعجيل هلاكهم.

(٨٧) سورة الأعلى

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: (لما تضمن أمره ﷺ فى آخر الطارق بالإمهال – أى– النهى عن الاستعجال الذى هو منزه عنه لكونه نقصاً، وأشار نفى الهزل عن القرآن إلى أنهم وصموه بذلك، وهو فى غاية البعد عنه، إلى غير ذلك مما أشير إليه فيها، ونزه نفسه الأقدس سبحانه عنه، أمر أكمل خلقه رسوله المنزل عليه هذا القرآن ﷺ بتنزيه اسمه: – سبِّح اسم ربك الأعلى – لأنه وحده العالم بذلك حق علمه)[2] .

---

(١) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز جـ ١ ص٥١٢.

(٢) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور جـ ٢١ ص٣٨٨.

س٢: قال تعالى : ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى، الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ (الأعلى :١، ٢)، **وقال تعالى:** ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ (العلق :١، ٢)، **ما سر زيادة الأعلى فى الآيات الأولى فقال فيها : ﴿خَلَقَ فَسَوَّى﴾ وفى الثانية ﴿خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ ؟**

الجواب : مراعاة للفواصل.

س٣: قال تعالى : ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ (الأعلى :٩)، **وقال تعالى :** ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ (الغاشية :٢١)، **الرسول ﷺ مأمور بالذكرى نفعت أم لم تنفع، فلماذا ذكر النفع فى الآية الأولى؟**

الجواب : (الجواب على وجهين: **أحدهما**: أن رسول الله ﷺ قد استفرغ مجهوده فى تذكيرهم، وما كانوا يزيدون على زيادة الذكرى إلاّ عتواً وطغياناً، وكان النبى يتلظى حسرة وتلهفاً، ويزداد جداً فى تذكيرهم وحرصاً عليه فقيل له : ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ (ق :٤٥) و ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلامٌ﴾ و﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ .

وذلك بعد إلزام الحجة بتكرير التذكير.

الثانى: أن يكون الظاهر شرطاً ومعناه ذمّاً للمذكَّر، وإخباراً عن حالهم، واستبعاداً لتأثير الذكرى فيهم، وتسجيلاً عليهم بالطبع على قلوبهم، كما تقول للواعظ: عِظ المكاسين إن سمعوا منك قاصداً بهذا الشرط استبعاد ذلك وأنه لن يكون)[١] .

معانى بعض الألفاظ

﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ نزه ربك عما لا يليق بذاته وجلاله، والأعلى صفة لربك، ومعناها من العلو الذى هو القهر والغلبة والسمو، وليس العلو فى المكان، لأنه ليس محدوداً، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً، ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ أى: خلق خلقه فسوى ما خلق، فجعله متساوياً متناسب الأجزاء غير متفاوت ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ أى: (أوقع تقديره فى أجناس الأشياء وأنواعها وأشخاصها ومقاديرها وصفاتها وأفعالها وآجالها وغير ذلك من أحوالها، فجعل البطش لليد والمشى للرجل والسمع للأذن والبصر للعين، وقوله: ﴿فَهَدَى﴾ أى: هدى الإنسان، ودلّه لسبيل الخير والشر والسعادة والشقاوة، وهدى الأنعام لمراعيها)[٢]، ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾ أنبت العشب ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾ فجعله بعد الخضرة ﴿غُثَاءً﴾ جافا هشيماً ﴿أَحْوَى﴾ أسود يابساً ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ

(١) الكشاف جـ ٤ ص٢٠٤.

(٢) الفتوحات الإلهية جـ ٤ ص٥٢٠.

﴿الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾ إنه يعلم الجهر من القول والفعل وما يخفى منهما، ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾ ونيسرك للشريعة السهلة، وهى الإسلام ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى﴾ الأشقى: الكافر، يترك الذكرى ويبتعد عنها، ﴿الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى﴾ الذى يدخل النار يوم القيامة، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى﴾ قد فاز من تطهّر بالإسلام والإيمان ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ وذكر اسم ربه مُنَزِّهاً وحامداً ومكبّراً وصلى الصلوات الخمس، وفعل ما يتعلق بأمر دينه ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ بل تفضلون الحياة الدنيا على الآخرة، والآخرة خير من الدنيا وهى الدائمة الباقية ، وهذه السورة نزلت فى صحف إبراهيم وتوراة موسى.

لطيفة: (لما نزل ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ قال ﷺ : «اجعلوها فى ركوعكم»، ولما نزل ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ قال ﷺ : «اجعلوها فى سجودكم»، وكان ﷺ يحب هذه السورة، ويقرأ بها فى صلاة الوتر، ويروى أن أول من قال : «سبحان ربى الأعلى» ميكائيل، وقال ﷺ : أخبرنى عن ثواب مَنْ قالها فى صلاته أو غير صلاته، فقال: يا محمد ما من مؤمن ولا مؤمنة يقولها فى سجوده أو فى غيره إلاّ كانت له فى ميزانه أثقل من العرش والكرسى وجبال الدنيا، ويقول الله تعالى: صدق عبدى أنا الأعلى دونى كل شىء، اشهدوا ملائكتى أنى قد غفرت لعبدى وأدخله جنتى، وإذا مات زاره ميكائيل يوماً يوماً، فإذا كان يوم القيامة حمله على جناحه، فيوقفه بين يدى الله ﷻ، فيقول: يا رب شفعنى فيه، فيقول: قد شفعتك فيه، اذهب به إلى الجنة)[(١)].

(٨٨) سورة الغاشية

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: (لما ختمت «سبح» بالحث على تطهير النفوس عن وضر الدنيا، ورغب فى ذلك بخيرية الآخرة تارة، والاقتداء بأولى العزم من الأنبياء أخرى، رهب أول هذه من الإعراض عن ذلك مرة، ومن التزكى بغير منهاج الرسل أخرى، فقال تعالى مذكّراً بالآخرة التى حث آخر تلك مقرراً لأشرف خلقه ﷺ؛ لأن ذلك أعظم فى تقدير أتباعه، وأقعد فى تحريك النفوس إلى تلقى الخير بالقبول: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾)[(٢)].

س٢: قال تعالى : ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ﴾ (الغاشية :٦)،

(١) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز جـ ١ ص٥١٥.

(٢) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور جـ ٢٢ ص١، ٢.

و قال تعالى فى سورة الحاقة: ﴿وَلا طَعَامٌ إلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ﴾ (الحاقة :٣٦).

فى الآية الأولى أسلوب قصر، أى: أنه لا طعام لهم إلاَّ الضريع، وليس غيره. وكيف يقول فى الثانية بأسلوب القصر: لا طعام لهم إلاَّ الغسلين وليس غيره فكيف التوفيق؟

الجواب: المعذبون فى دركات وطبقات ومنازل مختلفة، ففريق من هذه الطبقات ليس له طعام سوى الضريع، وفريق آخر فى طبقة مغايرة ليس لهم طعام سوى الغسلين. وفريق آخر طعام الزقوم كما صرحت بذلك الآيات الأخرى، فهم مختلفون فى المنازل متباينون فى العذاب والطعام أيضاً.

س٣: قال تعالى: ﴿أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ (الغاشية :١٧ - ٢٠).

كيف ساق الإبل مع السماء والجبال والأرض؟

الجواب: فى هذه الآيات يخاطب الله القوم الذين نزل عليهم القرآن فى تلك الفترة، وهم عرب يعملون بالرعى، والقليل منهم يعمل بالتجارة، وهم فى شبه جزيرة العرب، وكلها صحراء وجبال ورعاة غنم وإبل يتتبعون مواقع القطر، وقلة منهم تعمل فى التجارة فى رحلتين إلى الشام وإلى اليمين، فاعتادوا رؤية ما فى تلك البيئة من إبل وسماء وجبال وأرض معبدة وغير معبدة، فانتظمتها الآيات على حسب ما انتظمتها أبصارهم.

معانى بعض الألفاظ

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ «هل» بمعنى «قد»، والغاشية هى القيامة لأنها تغشى الخلائق بأهوالها، والمعنى: قد أتاك حديث القيامة، ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ، عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ، تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً﴾ وجوه يومئذٍ ﴿خَاشِعَةٌ﴾ ذليلة خاضعة والمراد بالوجوه أصحابها، ﴿عَامِلَةٌ﴾ تعمل عملاً شاقاً حيث تجر السلاسل والأغلال ﴿نَّاصِبَةٌ﴾ أى: تعبة ﴿تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً﴾ تدخل ناراً عظيمة اشتد حرها، ﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ، لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ﴾ تسقى من عين متناهية فى الحر، والضريع هو شوك يقال له: الشبرق إذا كان رطباً، فإذا يبس فهو الضريع. ﴿لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ لا يسمن الضريع آكله فى النار، ولا يدفع عنه ما به من الجوع. ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ أى: ذات نعمة وبهجة، وهى وجوه المؤمنين، صارت وجوههم ناعمة لما شاهدوا من عاقبة أمرهم وما أعده الله لهم، ﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ أى: لعملها الذى عملته فى الدنيا راضية؛ لأنها قد أثيبت عليه، وقرت عينها به، ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ أى: عالية المكان والقدر ﴿لاَّ تَسْمَعُ فِيهَا لاغِيَةً﴾ أى: لا تسمع أنت أيها المخاطب كلمة لغو، ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ وسائد مصفوفة بعضها إلى بعض.

﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ أى: وبُسُطٌ منتشرة ﴿وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ أى: بسطت ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ﴾ المسيطر المسلط على الشيء، ﴿إِلاَّ مَن تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾ تولى عن الوعظ والتذكير، وأعرض وكفر، ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ أى: رجوعهم بعد الموت.

(٨٩) سورة الفجر

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: (لما ختمت تلك بأنه لابد من الإياب والحساب - ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ - وكان تغيير الليل والنهار وتجديد كل منهما بعد إعدامه دالاً على القدرة على البعث، وكان الحج قد جعله الله فى شرعه له على وجه التجرد عن المخيط ولزوم التلبية والسير إلى الأماكن المخصوصة، آية مذكرة بذلك قال: ﴿والفَجْرِ﴾ أى: الكامل فى هذا الوصف لما له من العظمة، حتى كأنه لا فجر غيره، وهو فجر يوم النحر الذى هو أول الأيام الآخذة فى الإياب إلى بيت الله الحرام بدخول حَرَمِهِ والتحلل من محارمه وأكل ضيافته، ولما ذكر هذا اليوم بما العبارة به عنه أدل على البعث لأنه ينفجر عن صبح قد أضاء، ونهار قد انبرم وانقضى)[1].

س٢: قال تعالى: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ (الفجر:٢)،
الليالى العشر معروفة فلماذا نكّرها ولم يأت بأل التى للعهد؟

الجواب: (لو فعل ذلك لم تستقل بمعنى الفضيلة الذى فى التنكير)[2].
فالتنكير للتفخيم والتعظيم.

س٣: قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ (الفجر :١٥)، **كيف يسمى الله إكرامه وإنعامه على العبد بلاء؟**

الجواب: إن الله يختبر العبد بالنعم، أيشكر أم يكفر؟ كما يختبره بالتضييق عليه وبالبلاء أيصبر أم يجزع؟ وقال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (الأنبياء :٣٥).

معانى بعض الألفاظ

﴿وَالْفَجْرِ، وَلَيَالٍ عَشْرٍ، وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ هذا قسم بالفجر كما أقسم بالصبح، وقيل: المراد صلاة الفجر، وقيل: فجر يوم النحر، والليالى العشر هى الليالى العشر من ذى الحجة، والشفع: الزوج،

(١) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور جـ ٢٢ ص٢٢.
(٢) الكشاف جـ ٤ ص٢٠٨.

وقال مجاهد ومسروق: الشفع: الخلق كله، قال تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ الكفر والإيمان، والهدى والضلال، والسعادة والشقاوة، والليل والنهار، والسماء والأرض، والبر والبحر، والشمس والقمر، والوتر هو الله تعالى. وقال ابن عباس: الشفع صلاة الغداة، والوتر صلاة المغرب، وقال قتادة: الصلوات منها شفع ومنها وتر، وعن عكرمة: الوتر يوم عرفة، والشفع يوم النحر، فيوم عرفة وتر لأنه تاسع، ويوم النحر شفع لأنه عاشر[1]. ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ أى: إذا يمضى، فهو يقبل ويدبر نتيجة دوران الأرض. ﴿لِذِي حِجْرٍ﴾ أى: لذى عقل. ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ أى: الطول. ﴿جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ قطعوا الصخر ونحتوها بيوتاً، ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ﴾ كان يثبت أربعة أوتاد يشد إليها يدى ورجلى من يعذبه ﴿الَّذِينَ طَغَوْا﴾ تجبروا ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ السوط: الجلد المضغوط ويضرب به. وأيضاً السوط خلط الشىء بعضه ببعض، وفى هذا تشبيه بما يكون فى الدنيا، أو إشارة إلى ما خلط لهم من أنواع العذاب. ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ أى: يرقب ويرصد أعمال العباد فلا يفوته شىء منها ليجازيهم عليها ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ أى: ضيق عليه. ﴿كَلاَّ بَل لاَّ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ أى: لا تحسنون إلى الأيتام رغم غناكم ﴿وَلا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ لا يحثون أنفسهم ولا غيرهم. ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَّمًّا﴾ أى: تأكلون ميراث غيركم أكلاً جمعاً دون ترك شىء له. ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ وتحبون المال حباً كثيراً.

لطيفة: (ذكر الحافظ محمد بن المنذر الهروى المعروف بشكّر فى كتاب العجائب بسنده عن قُباث بن رَزين بن أبى هاشم قال: أُسِرْتُ فى بلاد الروم، فجمعنا الملك وعرض علينا دينه على أن من امتنع ضربت عنقه، فارتد ثلاثة وجاء الرابع فامتنع فضربت عنقه، وألقى رأسه فى نهر هناك فرسب في الماء ثم طفا على وجه الماء ونظر إلى أولئك الثلاثة فقال: يا فلان ويا فلان ويا فلان يناديهم بأسمائهم، قال الله تعالى في كتابه: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ، ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً، فَادْخُلِي فِي عِبَادِي، وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ ثم غاص في الماء، قال: فكادت النصارى أن يسلموا ووقع سرير الملك ورجع أولئك الثلاثة إلى الإسلام قال وجاء الفداء من عند الخليفة أبي جعفر المنصور فخلصنا)[2].

---

(١) انظر الفتوحات الإلهية جـ ٤ ص٥٢٨

(٢) تفسير ابن كثير جـ ٨ ص٤٢٣.

(٩٠) سورة البلد

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: (لما ختم كلمات الفجر بالجنة التى هى أفضل الأماكن التى يسكنها الخلق، لا سيما المضافة إلى اسمه الأخص المؤذن بأنها أفضل الجنان، وبعد ما ختم ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ بعد ذكر الأمارة التى وقعت فى كبد الندم الذى يتمنى لأجله العدم، بعدما تقدم من أنها لا تزال فى كبد ابتلاء المعيشة فى السراء والضراء، افتتح هذه بالأمارة مقسماً فى أمرها بأعظم البلاد وأشرف أولى الأنفس المطمئنة، فقال مؤكداً بالنافى من حيث ينفى ضد ما ثبت من مضمون الكلام مع القطع بأنه لم يقصد به غير ذلِكَ: ﴿لا أُقْسِمُ﴾ أى: أقسم)(١) .

و سبق الحديث عن تصدير القسم بـ«لا» فى القواعد.

معانى بعض الألفاظ

﴿لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ أى: أقسم بهذا البلد مكة المكرمة. ﴿وَأَنتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ الحل والحلال واحد وهما ضد الحرام والمحرَّم . ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ الوالد: آدم ﴿وَمَا وَلَدَ﴾ وما تناسل من ولده، وأقسم بهم لأنهم أعجب ما خلق الله على وجه الأرض، لما فيهم من البيان والعقل والتدبير، ومنهم الأنبياء والرسل والصالحون، وقيل: الوالد إبراهيم عليه السلام وما ولد هو الرسول ﷺ. ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ هذه الجملة جواب القسم ومعناها: لقد خلقنا الإنسان فى «كبد» فى مكابدة الدنيا ومقاساة شدائدها حتى يموت، فهل يأمن الإنسان لها؟ فكلها تعب وآلام وإن صفت أيام منها أعقبها ما يكدرها. ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ أيظن ابن آدم أن لن يقدر عليه ولا ينتقم منه أحد لقوته وطول أمله؟ ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُّبَدًا﴾ لبدا : كثيراً مجتمعاً. ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ﴾ يبصر بهما ﴿وَلِسَانًا﴾ ينطق به ﴿وَشَفَتَيْنِ﴾ يستر بهما ثغره ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ النجد:الطريق: أى أبنَّا له طريق الخير وطريق الشر. ﴿فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ الاقتحام الرمى بالنفس فى الشيء «والعقبة» الطريق فى الجبل، وهو مثل ضربه الله سبحانه لمجاهدة النفس والهوى والشيطان فى أعمال البر، فجعله كالذى يتكلف صعود العقبة. ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ أى: شيء أعْلَمَكَ ما اقتحامها؟ ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ إعتاق رقبة وتخليصها من الرق والعبودية. ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ أى: إطعام من احتاج إلى الطعام فى يوم ذى مجاعة ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ أى: ذا قرابة،

(١) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور جـ ٢٢ ص٤٥، ٤٦.

فله أجران: أجر الإطعام وأجر الصلة . ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ أى: فقيراً فقراً مدقعاً كأنه التصق بالتراب، ﴿أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ أى: أصحاب اليمين. ﴿هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ أى: أصحاب الشمال أو أصحاب الشؤم. ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ﴾ أى: نار مطبقة.

(٩١) سورة الشمس

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: (لما أثبت فى سورة البلد أن الإنسان فى كبد، وختمها بأن من حاد عن سبيله كان فى أنكد النكد، وهو النار المؤصدة، أقسم أول هذه على أن الفاعل لذلك أولاً وآخراً هو الله سبحانه؛ لأنه يحول بين المرء وقلبه وبين القلب ولبه، فقال مقسماً بما يدل على تمام علمه وشمول قدرته فى الآفاق علويها وسفليها والأنفس سعيدها وشقيها وبدأ بالعالم العلوى فقال: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾)[1] .

معانى بعض الألفاظ

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ وضوئها وإشراقها ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا﴾ أى: إذا تبعها، ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا﴾ أى: أن الشمس تنجلى تمام الانجلاء ، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ أى: يغطى الشمس، فيذهب بضوئها. ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ أى: والسماء والذى بناها، أو: والسماء وبنائها. ﴿وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ أى: والذى بسطها، أو: والأرض وبسطها. ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ ومعنى: ﴿سَوَّاهَا﴾ خلقها وسوى أعضاءها. ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ أى: عرفها وألهمها طريق الفجور والتقوى. ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ أى: قد فاز من زكى نفسه وأنماها وأعلاها بالتقوى وطهرها، ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ أى: خسر من أضلها وأغواها، ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾ الطغوى: اسم من الطغيان كالدعوى من الدعاء، وهو مجاوزة الحد ﴿إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ إذ انتدب قدار بن سالف من قبل قومه لعقر الناقة، وهو أشقى القوم ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ صالح ﴿نَاقَةَ اللَّهِ﴾ انتصبت «ناقة» على التحذير ﴿وَسُقْيَاهَا﴾ وشربها فلها شرب يوم معلوم، ولهم يوم كذلك. ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾ أى: عقرها الأشقى بأمر من قومه، فكأنهم اشتركوا جميعاً فى عقرها لرضاهم عن هذا العقر. ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾ الدمدمة : تضعيف العذاب وترديده، فأطبق عليهم العذاب، فسوى بهم الأرض. ﴿وَلا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ أى فعل ذلك بهم غير خائف من عاقبة أو تبعة.

---

(١) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور جـ ٢٢ ص٦٩، ٧٠ بتصريف.

(٩٢) سورة الليل

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: (لما بيَّن في الشمس حال من زكى نفسه وحال من دساها، وأوضح في آخرها من مخالفة ثمود لرسولهم وما أهلكهم، فعلم أن النَّاس مختلفون في السعى في تحصيل نجد الخير ونجد الشر، فمنهم من تغلب عليه ظلمة اللبس ومنهم من يغلب عليه نهار الهدى، فتباينوا في مقاصدهم وفي مصادرهم ومواردهم، بعد أن أثبت أنه هو تصرف في النفوس بالفجور والتقوى، أقسم أول هذه بما يدل على عجائب صنعه في ضره ونفعه على ذلك، تنبيهاً على تمام قدرته في أنه الفاعل بالاختيار، فقال: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾)[١] .

س٢: قال تعالى : ﴿لا يَصْلاهَا إِلاَّ الأَشْقَى، الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى، وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى﴾ (الليل: ١٥ - ١٧)، هذا أسلوب قصر، وقد علم أن كل شقى يصلاها وكل تقى يتجنبها؟

الجواب: (الآية واردة في الموازنة بين حالتى عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين، فأريد أن يبالغ في صفتيهما المتناقضتين، فقيل: «الأشقى»، وجعل مختصاً بالصلى، كأن النار لم تخلق إلاَّ له ، وقيل: «الأتقى»، وجعل مختصاً بالنجاة كأن النجاة لم تخلق إلاَّ له، وقيل: هما أبو جهل أو أمية بن خلف وأبو بكر رضي الله عنه)[٢].

معانى بعض الألفاظ

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ أى: يغطى بظلمته ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ أى: ظهر وانكشف ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنثَى﴾ أى: والذى خلق الذكر والأنثى. ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ هذا جواب القسم، إن عملكم لمختلف فمنه عمل صالح يؤدى إلى الجنة، ومنه عمل طالح يؤدى إلى النار. ﴿فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ أمَّا: حرف تفصيل، فأما من بذل ماله في وجوه الخير واتقى محارم الله التى نهى عنها ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ أى: وصدق بلا إله إلاَّ الله، وصدق بالجنة. ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ فسنهيئه للخصلة الحسنى، وهى عمل الخير، ﴿وَأَمَّا مَن بَخِلَ﴾ أى: بخل بماله، فلم يبذله في سبل الخير ﴿وَاسْتَغْنَى﴾ أى: زهد في الأجر والثواب، أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الآخرة، ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾ أى: بلا إله إلاَّ الله أو الجنة ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ فسنهيئه للخصلة العسرى حتى تتعسر عليه أسباب الخير ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ أى: لا يغنى

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور جـ ٢٢ ص٨٥، ٨٦ بتصريف.

(٢) الكشاف جـ ٤ ص٣١٨.

عنه ماله شيئاً إذا هلك ، ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ علينا أن نبين طريق الهدى ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلآخِرَةَ وَالأُولَى﴾ أى: لنا كل ما فى الآخرة وكل ما فى الدنيا، نتصرف كيف نشاء، ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ أى: حذرتكم ناراً تتوقّد وتتوهج ﴿لا يَصْلاهَا إِلاَّ الأَشْقَى﴾ أى: لا يدخلها إلاّ الكافر. ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى﴾ أى: لا يجنب النار ويبتعد عنها إلا التقى. ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ الذى يعطى ماله ويصرفه فى وجوه الخير، ﴿وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى، إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى﴾ ليس لأحد من النّاس عنده نعمة من شأنها أن يجازى عليها، وبنى الفعل «تُجْزَى» للمجهول لمراعاة الفواصل، وأن يقصد بالنعمة وجه الله، ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ اللام هى الموطئة للقسم أى: وتالله لسوف يرضى بما نعطيه من الكرامة.

(٩٣) سورة الضحى

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: (لما حكم فى آخر الليل بإسعاد الأتقياء، وكان النبى ﷺ أتقى الخلق مطلقاً، وكان قد قطع عنه الوحى حيناً ابتلاء لمن شاء من عباده، وكان به ﷺ صلاح الدين والدنيا والآخرة، وكان الملوان[(١)] سبب صلاح معاش الخلق وكثير من معادهم، أقسم سبحانه وتعالى بهما على أنه أسعد الخلائق دنيا وأخرى، فقال مقدماً ما يناسب حال الأتقى الذى قُصِدَ به أبو بكر رضي الله عنه قصداً أوّلياً من النور الذى يملأ الأقطار، ويمحو كل ظلام يرد عليه، ويصل إليه مفهماً بما ذكر من وقت الضياء الناصع، وآخر الليل التى هى ظلمة ملتف بساقها ساق النهار عند الإسفار: «والضحى»، فذكر ما هو أشرف النهار وألطفه، وهو زهرته)[(٢)] .

معانى بعض الألفاظ

﴿وَالضُّحَى﴾ النهار كله لمقابلة قوله: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ فلما قابل الضحى بالليل دل على أن المراد بالضحى النهار كله، وليس المراد به أول النهار، ومعنى ﴿إِذَا سَجَى﴾ إذا سكن ، ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ التوديع هو الفراق ﴿وَمَا قَلَى﴾ القلى: البغض، ﴿وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الأُولَى﴾ أى: الجنة خير لك من الدنيا، ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ وليعطينك الفتح فى الدنيا والثواب فى الآخرة فترضى، وقيل: الحوض والشفاعة. ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ الاستفهام للتقرير، ومعنى

---

(١) الملوان: الليل والنهار.

(٢) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور جـ ٢٢ ص١٠٠، ١٠١.

«فآوى» أى: فجعل لك مأوىً وهو رعايته لك كقوله: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ ، ﴿وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى﴾ الضلال له معان عدة، فهو بمعنى عدم المعرفة، فوجدك ضالاً: فهداك بأن أنزل إليك القرآن والشرائع. أو وجدك حائراً فى دين قومك فهداك إلى هذا الدين، أو أنه ضل الطريق إلى مكة وهو صغير فهداه، ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى﴾ أى: وجدك فقيراً فأغناك، ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ﴾ أى: لا تقهره بوجه من وجوه القهر ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ﴾ فلا تزجره ولا تغلظ له، ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ أمره سبحانه بالتحدث بنعم الله عليه وإظهارها للناس، وبالنسبة لرسول الله ﷺ فالقرآن أعظم نعمة أنعم الله بها على رسوله، فأمره أن يتحدث به ويقرأه.

(٩٤) سورة الشرح

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: (لما أمره ﷺ آخر الضحى بالتحديث بنعمته التى أنعمها عليه فصلها فى هذه السورة، فقال مثبتاً لها فى استفهام إنكارى مبالغة فى إثباتها عند من ينكرها، والتقرير بها مقدماً المنة بالشرح فى صورته قبل الإعلام بالمغفرة كما فعل ذلك فى سورة الفتح الذى هو نتيجة الشرح لتكون البشارة بالإكرام أولاً لافتاً القول إلى مظهر العظمة تعظيماً للشرح: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ أى: شرحاً يليق بعظمتنا)(١) .

س٢: قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (الشرح :٥، ٦) **ما سر التكرار؟**

الجواب: (ليس بتكرار؛ لأن المعنى: إن مع العسر الذى أنت فيه من مقاساة الكفار يسراً عاجلاً، إن مع العسر الذى أنت فيه من الكفار يسراً آجلاً، والعسر واحد، واليسر اثنان، وعن عمر رضي الله عنه : لن يغلب عسر يسرين)(٢) .

ومعنى قول عمر رضي الله عنه «لن يغلب عسر يسرين: أن العسر فى الجملة الأولى معرفة واليسر نكرة، فإن أعيدت المعرفة كانت واحدة، وإن أعيدت النكرة كانت الإعادة غير الأولى، وهذا معنى «لن يغلب عسر يسرين»، (وقد اشتهر أن النكرة إذا أعيدت نكرة فالثانى غير الأول، والمعرفة بالعكس)(٣).

---

(١) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور جـ ٢٢ ص١١٥،

(٢) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز جـ ١ ص٥٢٦.

(٣) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور جـ ٢٢ ص١٢٤.

معانى بعض الألفاظ

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ الاستفهام للتقرير كما سلف. والشرح توسعة الصدر بنور يقذفه الله فى القلب، ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ وحملنا عنك ثقل الرسالة. فخففناه عنك بتقويتك، ﴿الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ الذى أثقل كاهلك فحططنا عنك عبء ذلك، ولقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾ فرحمة به أنه خفف الله عنه، وليس لرسول الله ذنب يثقل كاهله. ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ رفع الله ذكره فى الدنيا والآخرة، وذلك أن الله لا يذكر فى موطن إلاَّ ذكر معه، ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ إن مع الضيق سعة ومع الشدة رخاء. ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ إذا فرغت من صلاتك أو من التبليغ أو من الغزو فانصب فاجتهد فى الدعاء، واطلب من الله حاجتك. ﴿وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ أى: اجعل رغبتك إلى الله وحده.

﴿ (٩٥) سورة التين ﴾

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: (لما ذكر ﷺ فى تلك السورة – الشرح – أكمل خلقه وما كمّله به، وختمها بالأمر بتخصيصه ﷺ بالرغبة إليه، فكان ﷺ يقوم حتى تورم قدماه، ويبذل الجهد لمولاه فى كل ما يرضاه، ذكر فى هذه أنه ﷺ كما جعل ذاته أكمل ذوات المخلوقات، خصه بأن جعل نوعه ﷺ أكمل الأنواع، وهو الإنسان، وأصله أعظم الأصول وهو إبراهيم، وبلده أفضل البلاد وهى مكة، وأن من عاداه بمنابذة شرعه أسفل الخلق)[1] .

س٢: قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (التين: ٤) **و قال تعالى فى سورة البلد: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾** (البلد: ٤) **كيف نوفق بين الآيتين؟**

الجواب: لقد تحدث الله فى الآية الأولى عن خلق الإنسان فى أحسن صورة، منتصب القامة، يمشى على رجلين معتدلاً، حسن الهيئة فى الخلق. وكرمه على سائر المخلوقات، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (الإسراء: ٧٠)،

و فى الآية الثانية خلقه فى تعب، يكابد المتاعب فى الدنيا، فهذا نفسى وجسدىّ لأن الدنيا دار هم وغم وكرب، ولا يقطع هذه السنة الإلهية أن فيها أيام سرور وحبور؛ لأنها قليلة جداً ونهايتها الموت، والإنسان يتجرع غصصه، والدود يرعى أحشاءه وجسده.

---

(١) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور جـ ٢٢ ص١٣٠، ١٣١.

﴿ س٣: قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ، ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ (التين :٤، ٥)، **كيف يرده أسفل سافلين وقد خلقه في أحسن تقويم؟**

الجواب: من وجهين:

الأول: الرد بمعنى الجعل، والمعنى: ثم جعلناه من أهل النار الذين هم أقبح من كل قبيح، وأسفل من كل سافل خلقاً وتركيباً لعدم جريه على موجب ما خلقناه، ويكون هذا الإنسان الكافر.

الثاني: أن يكون المراد بالرد تغيير الحال، والمراد به الضعف والهرم، فينقص عمل المؤمن في هرمه عن زمن شبابه، ويكون الأجر له كما كان في شبابه تفضلاً من الله عليه.

س٤: قال تعالى: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ (التين :٦)، **و قال تعالى في سورة الانشقاق:** ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ (الانشقاق :٢٥)، **لماذا قال في الآية الأولى: «فلهم» بالفاء دون الثانية مع أن الضمير المجرور باللام في الاثنتين خبر مقدم لأجر؟**

الجواب: الفاء في الآية الأولى رابطة لما في اسم الموصول من معنى الشرط، فالفاء رابطة[١]، ويجوز أن تكون الفاء زائدة[٢].

س٥: قال تعالى: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾ (التين :٧) **مَن المخاطب؟**

الجواب: الخطاب للإنسان على طريق الالتفات من الغيبة إلى الخطاب.

معاني بعض الألفاظ

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ، وَطُورِ سِينِينَ﴾ هذا قسم من الله بهذه الأشياء، ويجوز أن يكون المقسم به مضافاً محذوفاً تقديره: «ورب التين والزيتون»، وكذلك في كل الأمور التي أقسم الله بها، ويجوز أن الله أقسم بالتين والزيتون لبيان فضلهما وبركتهما، والطور: هو الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى، ومعنى: «سينين» أي: المبارك. ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ﴾ هو مكة لأمن النّاس فيه في الجاهلية وفي الإسلام، ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ أي: غير مقطوع ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾ أي: بالجزاء ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ هو أقضى القاضين.

---

(١) انظر: «إعراب القرآن وبيانه» جـ ١٠ ص٥٢٥.

(٢) انظر: «الجدول في إعراب القرآن وصرفه» جـ ١٣ ص٣٠٤.

﴿ (٩٦) سورة العلق ﴾

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: (لما ذكر سبحانه فى سورة التين خَلْقَ الإنسان فى أحسن تقويم، بيَّن ﷻ هنا أنه تعالى خلق الإنسان من علق، فكأن ما تقدم كالبيان للعلة الصورية، وهذا كالبيان للعلة المادية، وذكر سبحانه هنا أيضاً من أحواله فى الآخرة ما هو أبسط مما ذكره ﷻ هناك)[1].

س٢: قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (العلق: ١ – ٥)

ما سر تكرار الأفعال «اقرأ» و«خلق» و«علَّم»؟ وما سر الجمع فى قوله ﴿مِنْ عَلَقٍ﴾ مع أن الإنسان مفرد فكان السياق يقتضى أن «خلق الإنسان من علقة» ؟

الجواب: أمَّا الشطر الأول من السؤال وهو سر تكرار الأفعال: فقوله («اقرأ» مطلق، فقيده بالثانى، و«الذى خلق» عام فخصَّصه بما بعده، و«علَّم» مبهم فقال ﴿عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾)[2]

أمَّا عن الجمع فإن لفظ «الإنسان» اقترن بأل التى للجنس، وهى تفيد العموم، فجمع «علق» مراعاة للعموم.

س٣: قال تعالى: ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ (العلق: ١٦)، **كيف يصف الناصية بالكذب والخطأ والموصوف صاحبها؟**

الجواب: الوصف على سبيل الإسناد المجازى، وهما فى الحقيقة لصاحبها، وفيه من الحسن والجزالة ما ليس فى قولك: «ناصية كاذبٍ خاطئٍ».

معانى بعض الألفاظ

﴿اقْرَأْ﴾ أى: أوجد القراءة مبتدئاً ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ الخلائق، ﴿خَلَقَ الإِنسَانَ﴾ جنس الإنسان ﴿مِنْ عَلَقٍ﴾ جمع علقة، وهى القطعة اليسيرة من الدم الغليظ ﴿وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ﴾ أى: الذى لا يوازيه كريم ﴿الَّذِي عَلَّمَ﴾ الخط ﴿بِالْقَلَمِ﴾ وأول من خط بالقلم إدريس ﵇، ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى﴾ أى: ليتجاوز الحد فيظلم ﴿أَن رَّآهُ﴾ أى: رأى نفسه ﴿اسْتَغْنَى﴾ أى: بالمال والجاه، ﴿إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾ أى: الرجوع والمآب فملاقيه، فيجازى الطاغى بما يستحق من العذاب، ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي

---

(١) روح المعانى جـ ٣٠ ص١٧٨.

(٢) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز جـ ١ ص٥٢٩.

يَنْهَى، عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾ «أرأيت» في المواضع الثلاثة للتعجب، واسم الموصول راجع إلى أبي جهل، وهذا من سبب النزول، والمراد بالعبد رسول الله ﷺ ﴿أَرَأَيْتَ إِن كَانَ﴾ الرسول ﷺ ﴿عَلَى الْهُدَى﴾ وهي الرسالة، وفيها أمر بالتقوى، ﴿أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ إن كذب الناهي رسالة الرسول، وتولى وأعرض عنه مستكبراً. ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ أي: أن الله يعلم حركاته وسكناته فيجازيه ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا﴾ لنجرّنه جراً شديداً ﴿بِالنَّاصِيَةِ﴾ بناصيته أي: مقدمة شعره ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَه﴾ أي: أهل ناديه، وهو مجلس القوم ينتدون فيه ويتحدثون، ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ سنأمر الملائكة الغلاظ منادين لهم أن يأخذوه عياناً إن لم ينته عن إيذاء الرسول ﷺ، ﴿كَلاَّ لا تُطِعْهُ﴾ في ترك الصلاة في بيت الله ﴿وَاسْجُدْ﴾ صلّ ﴿وَاقْتَرِبْ﴾ من الله بالطاعة.

(٩٧) سورة القدر

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: (لما قال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ فكأنه قال: اقرأ ما أنزلنا عليك من كلامنا ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾)[1].

س٢: قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ، لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ (القدر : ١ – ٣) **ما سر تكرار ﴿لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ ثلاث مرات؟**

الجواب: كررت تعظيماً لشأنها، ورفعاً لمنزلتها، ولفتاً لانتباه النّاس لفضل الله فيها.

س٣: قال تعالى : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ ، وقال تعالى: ﴿وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً﴾ (الإسراء :١٠٦)، **وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾** (الفرقان :٣٢)

الآية الأولى تدل على أن القرآن نزل جملة واحدة والآية الثانية والثالثة تدلان على أنه نزل منجماً مفرقاً، فكيف نوفق بينهما؟

الجواب: القرآن نزل جملة واحدة في ليلة القدر إلى سماء الدنيا، ثم نزل بعد ذلك منجماً مفرقاً وعلى حسب الدواعي والحاجات والأسباب، ولا تعارض، وهو الكتاب الذي نزل جملة واحدة إلى سماء الدنيا تزفه ملائكة السموات السبع كالكتب السابقة، فإنها نزلت جملة واحدة، وله خصوصية أخرى تميز بها عن الكتب السوالف، وهي أنه نزل بعد ذلك مفرقاً ليثبت به فؤاد

(١) البحر المحيط جـ ٨ ص٤٩٦.

النبى ﷺ ، ويتكرر التحدى للفطرة العربية لكل نجم ينزل منه ، ويكون فى نزوله منجماً التيسير على الأمة لحفظه وفهمه.

معانى بعض الألفاظ

﴿فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ ذى الشرف العظيم والقدر الجليل ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ تعظيم لشأنها وتعجيب من قدرها، ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ أى: العمل فى تلك الليلة خير من ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، ﴿وَالرُّوحُ﴾ جبريل عليه السلام ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾ أى: بأمره، وتنزل الملائكة وعلى رأسهم جبريل بأمر من الله ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ من كل أمر قضاه الله فيها لتلك السنة إلى قابل، ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ هذه الليلة سلام لكثرة السلام فيها من الملائكة، فلا تمر بمؤمن ولا مؤمنة إلاّ سلمت عليه.

﴿(٩٨) سورة البينة﴾

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: (لما ذكر إنزال القرآن – فى سورة القدر – وفى السورة التى قبلها – العلق–: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ ، ذكر هنا أن الكفار لم يكونوا منفكين على ما هم عليه حتى جاءهم الرسول يتلو عليهم ما أنزل عليه من الصحف المطهرة التى أمر بقراءتها، وقسم الكافرين هنا إلى أهل كتاب وأهل إشراك)[١] .

س٢: قال تعالى : ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ (البينة :١)، **وقال تعالى : ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾** (البينة :٤) **لماذا جمع بين أهل الكتاب والمشركين فى الآية الأولى وأفرد أهل الكتاب فى الثانية؟**

الجواب: لأن أهل الكتاب كانوا على علم بالرسول ﷺ لوجود أوصافه فى كتبهم، فإذا وصفوا بالتفرق عنه كان المشركون الذين لا يعرفون أوصافه أدخل فى هذا الوصف[٢] .

معانى بعض الألفاظ

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ قال ابن كيسان: المعنى: لم يكن أهل الكتاب تاركين صفة محمد ﷺ حتى بعث، فلما بعث حسدوه

---

(١) البحر المحيط جـ ٨ ص٤٩٨.

(٢) انظر: الكشاف جـ ٤ ص٢٢٦.

وجحدوه[1] ، والمراد بالبينة: الحجة الواضحة سيدنا محمد ﷺ . ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ بدل من البينة ﴿يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ يتلو القرآن المطهر من الباطل. ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ المراد بهذه الكتب الآيات والأحكام المكتوبة فى الصحف وهى القرآن. ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ لم يزل أهل الكتاب مجتمعين حتى بعث الله محمداً، فلما بعث تفرقوا فى أمره، واختلفوا فى الحكم عليه، فآمن به بعضهم، وكفر آخرون. ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ﴾ أى: وما أمروا فى كتابيهم التوراة والإنجيل إلاّ ليعبدوا الله مخلصين ﴿لَهُ الدِّينَ﴾ له العبادة الخالصة من الشرك ﴿حُنَفَاءَ﴾ مستقيمين على دين إبراهيم ودين محمد إذا جاء، فكيف كفروا به بعد أن أرسله الله ﷻ ﴿وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ﴾ الملة ﴿الْقَيِّمَةِ﴾ المستقيمة ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ لأنهم لم يؤمنوا بالنبى ﷺ ، ﴿أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ أى: شر الخليقة ، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ أى: الخليقة ﴿جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ أى: جنات إقامة ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا﴾ أى: من تحت أشجارها وقصورها ﴿الأَنْهَارُ﴾، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ أى: ماكثين مكوثاً لا يقطعه موت، ولا نهاية له ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بطاعته ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بثوابه لهم ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ ذلك لمن خاف عقابه فانتهى عن معصية الله.

﴿(٩٩) سورة الزلزلة﴾

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: (لما ختم تلك- البينة - بجزاء الصالح والطالح فى دار البقاء على ما أسلفوه فى مواطن الفناء، ذكر فى هذه أول مبادئ تلك الدار وأوائل غاياتها، وذكر فى القارعة ثوانى مبادئها وآخر غاياتها، وأبلغ فى التحذير بالإخبار بإظهار ما يكون عليه الجزاء، فقال معبراً بأداة التحقيق لأن الأمر حتم لابد من كونه «إذا»)[2] .

س٢: قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا، بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ (الزلزلة :٤، ٥)، **كيف تتحدث الأرض وهى جماد؟**

الجواب: أنها تتحدث بالقول كما تحدثت فى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ

(١) انظر: فتح القدير جـ ٤ ص٥٩٧.

(٢) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور جـ ٢٢ ص٢٠٢،

دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ (فصلت :١١)، وما ذهب إليه صاحب الكشاف بأن التحديث مجاز عن إحداث الله تعالى فيها من الأحوال ما يقوم مقام التحديث، فهذا ليس بصحيح.

معانى بعض الألفاظ

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ إذا حركت واضطربت اضطراباً شديداً ﴿وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ كنوزها وموتاها فأخرجتها من باطنها، ﴿وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا﴾ وقال الكافر منكراً حالها: مالها؟ ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ تخبر بما عمل عليها من خير أو شر ، ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ أى: أمرها بذلك فى الحديث، فتشهد على كل عبد أو أمة بما صنع على ظهرها. ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ يوم القيامة ينصرفون من موقف الحساب متفرقين: فريق إلى الجنة وفريق إلى السعير، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ﴾ زنة ﴿ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ .

(١٠٠) سورة العاديات

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: (لما ذكر الله ﷻ فيما قبلها الجزاء على الخير والشر، أتبع ذلك بتعنيت من آثر دنياه على آخرته، ولم يستعد لها بفعل الخير، ولا يخفى ما فى قوله تعالى هناك: ﴿وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ وقوله سبحانه هنا: ﴿إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ من المناسبة)[1] .

لطيفة: أقسم الله بثلاثة أشياء: «العاديات» و«الموريات» و«المغيرات»، وجعل جواب القسم ثلاثة: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ، وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ، وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ .

معانى بعض الألفاظ

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ الخيل تغزو فى الصباح مع أول ضوء للنهار، ﴿ضَبْحًا﴾ هو صوت أجوافها إذا عَدَتْ ﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾ الخيل تورى النار ﴿قَدْحًا﴾ بحوافرها إذا سارت مسرعة فى أرض ذات حجارة، ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾ هى الخيل تغير على العدو وقت الصبح، ﴿فَأَثَرْنَ﴾ هيّجن ﴿بِهِ﴾ بمكان عدوهن أو بذلك الوقت ﴿نَقْعًا﴾ أى: غباراً بشدة حركتهن ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ﴾ أى: بالنقع ﴿جَمْعًا﴾ من العدو صرن وسطه ،

---

(١) روح المعانى جـ ٣٠ ص٢١٥.

﴿إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ إن الإنسان الكافر لربه لكفور يجحد نعمه، ﴿وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ يشهد على نفسه بصنعه، ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ المراد بالخير المال، فيبخل به ﴿أَفَلا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ الاستفهام إنكارى، والفاء عطفت ما بعدها على مقدر محذوف تقديره: «أيفعل ما يفعل من القبائح فلا يعلم إذا نثر وبحث ما فى القبور»؟ ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ وظهر ما كانت تخفيه القلوب ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ لخبير: لعالم ببواطن الأمور، ومنها ما أخفى فى قلوبهم، فيجازيهم عليها، وهو الكفر وما أضمروه من شر.

(١٠١) سورة القارعة

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: (لما ختم العاديات بالبعث - ﴿إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ - ذكر فى هذه السورة صيحته، فقال: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ أى: الصيحة أو القيامة، سميت بها لأنها تقرع أسماع النّاس وتدقها دقاً شديداً)[١].

معانى بعض الألفاظ

﴿الْقَارِعَةُ﴾ القيامة التى تقرع القلوب بأهوالها ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾ تهويل لشأنها ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ وما أعلمك ما القارعة؟ لقد كررت كلمة ﴿الْقَارِعَة﴾ زيادة فى التهويل لشأنها ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ، كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ كالفراش المنتشر غوغاء، يموج بعضهم فى بعض ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾ العهن: الصوف المندوف ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ أى: من رجحت حسناته على سيئاته ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ فى الجنة، أى: ذات رضىً، أى: مرضية له، ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ بأن رجحت سيئاته على حسناته ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ أى: مسكنه جهنم، وسماها أمه لأنه يأوى إليها كما يأوى إلى أمه، والهاوية اسم من أسماء جهنم، وسميت بذلك لأنه يُهْوَى فيها مع بعد قعرها، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ﴾ هذا الاستفهام للتهويل والتفظيع ببيان أنها خارجة عن المعهود، ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ أى: قد انتهى حرها، وبلغ فى الشدة إلى الغاية.

---

(١) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور جـ ٢٢ ص٢٢٠ بتصريف.

﴿ (١٠٢) سورة التكاثر ﴾

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجـواب: (لما أثبت فى القارعة أمر السـاعة، وقسـم النّـاس فيهـا إلى شـقى وسـعيد، وخـتم بالشقى، افتتح هذه بعلة الشقاوة ومبدأ الحشر، لينزجر السامع عن هذا السبب ليكون مـن القسـم الأول، فقال ما حاصله: انقسمتم فكان قسم منكم هالكاً لأنه ﴿أَلْهَاكُم﴾ أى: أغفلكم إلاّ النادر منكم غفلة عظيمة عن الموت الذى هو وحده كاف فى البعث على الزهد، فكيف بما بعـده؟ ﴿التَّكَـاثُر﴾ وهو المباهاة والمفاخرة بكثرة الأعراض الفانية)[١].

معانى بعض الألفاظ

﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ شغلكم عن طاعة الله التكاثر أى: التفاخر بالأموال والأولاد والرجال، ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ إلى أن زرتم المقابر، ففى ذلك عـبرة أو معنـى حتـى يـأتيكم المـوت، ﴿كَـلاَّ سَـوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ كلا ردع وزجر ﴿ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ثم حقاً سوف تعلمون سوء عاقبـة تفـاخركم عنـد النزع وفى القبر ﴿كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ حقاً لو تعلمون علماً يقينياً عاقبة التفاخر ما اشتغلتم به ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾، ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ، ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ .

﴿ (١٠٣) سورة العصر ﴾

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: (لما قال فيما قبلها: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾، ووقع التهديد بتكرار ﴿كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ بيّن حال المؤمن والكـافر – فقـال: ﴿وَالْعَصْـرِ، إِنَّ الإنسَـانَ لَفِـي خُسْـرٍ، إِلاَّ الَّـذِينَ آمَنُـوا وَعَمِلُـوا الصَّالِحَاتِ﴾)[٢].

لطيفة: (قال الإمام الشافعى رحمه الله : إنها سورة لو لم ينزل إلى النّاس إلاّ هى لكفتهم، وهـو معنى قول غيره : إنها شملت جميع علوم القرآن)[٣].

وعن (أبى حذيفة قال: كان الرجلان من أصحاب رسـول الله ﷺ إذا التقيـا لم يتفرقـا حتـى يقرأ أحدهما على الآخر سورة (والعصر) ثم سلم أحدهما على الآخر)[٤].

---

(١) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور جـ ٢٢ ص٢٢٥.

(٢) البحر المحيط جـ ٨ ص٥٠٩.

(٣) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور جـ ٢٢ ص٢٣٤.

(٤) روح المعانى جـ ٣٠ ص٢٢٧.

معانى بعض الألفاظ

﴿إِنَّ الإنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ فى هلاك ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فليسوا كذلك ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ أى: وصى بعضهم بعضاً بالحق، ويدخل فيه الإيمان بالله والتوحيد، والقيام بما شرعه الله، واجتناب ما نهى الله عنه، ووصّى بعضهم بعضاً بالصبر عن معاصى الله ﷻ، والصبر على فرائضه.

﴿(١٠٤) سورة الهُمَزة﴾

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: (لما قال فيما قبلها: ﴿إِنَّ الإنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ بين حال الخاسر فقال: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾)[1].

معانى بعض الألفاظ

﴿وَيْلٌ﴾ كلمة عذاب أو هلاك أو وادٍ فى جهنم . ﴿لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ الهمزة: الذى يهمز النّاس بيده، واللمزة: الذى يلمزهم بلسانه، وهما بمعنى الذى يغتاب النّاس. ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ﴾ أى: أحصاه ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ يظن أن ماله يجعله خالداً لجهله. ﴿كَلاَّ﴾ كلمة ردع. ﴿لَيُنبَذَنَّ﴾ جواب قسم محذوف، ومعناه: ليطرحن ويقذفن ﴿فِي الْحُطَمَةِ﴾ التى تحطم وتكسر كل ما ألقى فيها ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ﴾ وما أعلمك ما هى؟ ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾ المسعرة المتأججة ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ﴾ التى تشرف على القلوب فتحرقها. ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ أى: مطبقة ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ عمد جمع عمود.

﴿(١٠٥) سورة الفيل﴾

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: (لما ذكر فيما قبلها عذاب الكفار فى الآخرة، أخبر هنا بعذاب ناس منهم فى الدنيا ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾)[2].

---

(١) البحر المحيط جـ ٨ ص٥١٠.

(٢) البحر المحيط جـ ٨ ص٥١٠.

معانى بعض الألفاظ

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ الاستفهام للتعجب أى: اعجب اعلم، وأصحاب الفيل أبرهة وجيشه، والفيل اسمه محمود. ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ﴾ أى: جعل ﴿كَيْدَهُمْ﴾ فى هدم الكعبة ﴿فِي تَضْلِيلٍ﴾ فى خسارة وهلاك ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ جماعات جماعات، ﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ من طين مطبوخ، ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ كورق زرع أكلته الدواب وداسته.

(١٠٦) سورة قريش

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: (هذه السورة متصلة – بما قبلها – السورة الأولى؛ لأنه ذكر سبحانه أهل مكة بعظيم نعمته عليهم فيما فعل بالحبشة، ثم قال: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ أى: فعلنا ذلك بأصحاب الفيل نعمة منا على قريش)[١].

س٢: قال تعالى: ﴿رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ (قريش ٢)،

لماذا لم يقل الله «رحلتى الشتاء والصيف» لأنهما رحلتان؟

الجواب: لم يقل: «رحلتى» لأمن الإلباس[٢].

معانى بعض الألفاظ

﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ، إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ اللام فى ﴿لِإِيلَافِ﴾ متعلقة بآخر سورة الفيل كأن الله قال: «أهلكت أصحاب الفيل لأجل تآلف قريش، و﴿إِيلَافِهِمْ﴾ بدل من «إيلاف»، ورحلة الشتاء إلى اليمن لأنها حارة، ورحلة الصيف إلى الشام، ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ بعد أن ذكرهم بنعمة الله عليهم أمرهم بعبادته، وعرفهم سبحانه بأنه رب هذا البيت، وليست الأصنام والأوثان. ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾ أطعمهم لأجل الجوع ﴿وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ من أجل الخوف.

---

(١) فتح القدير جـ ٥ ص٦٢٨.

(٢) انظر: المرجع السابق ص٦٢٩.

﴿ (١٠٧) سورة الماعون ﴾

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: (ولما ذكر سبحانه فى سورة قريش: ﴿أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾، ذم ﷻ هنا من لم يحض على طعام المسكين، ولما قال هناك: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ ذم سبحانه هنا من سها عن صلاته)[١].

س٢: قال تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ (الماعون: ٥)

لماذا قال: «فى صلاتهم» ولم يقل: «عن صلاتهم»؟ وما الفرق بينهما؟

الجواب: (معنى «عن» أنهم ساهون عنها سهو ترك لها وقلة التفات إليها وذلك فعل المنافقين أو الفسقة الشطار من المسلمين ومعنى: «فى» – صلاتهم – أن السهو يعتريهم فيها بوسوسة شيطان أو حديث نفس، وذلك لا يكاد يخلو منه مسلم)[٢].

معانى بعض الألفاظ

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾ بالجزاء والحساب ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾ أى: يدفع اليتيم بعنف ﴿وَلا يَحُضُّ﴾ لا يحث ولا يبعث نفسه ولا غيره ﴿عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ أى: إطعامه وهذه الآية نزلت فى العاص بن وائل أو الوليد بن المغيرة. ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ﴾ يراؤون النّاس، ويبتغون الثناء عليهم. ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ الماعون: اسم لما يحتاجه النّاس كالقدر والقصعة وغيرهما.

﴿ (١٠٨) سورة الكوثر ﴾

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: (لما كانت سورة الدّين – الماعون – بإفصاحها ناهية عن مساوئ الأخلاق، كانت بإفهامها داعية إلى معالى الشيم، فجاءت الكوثر لذلك، وكانت الدين قد ختمت بأبخل البخلاء، وأدنى الخلائق: المنع تنفيراً من البخل ومما جرّه من التكذيب، فابتدئت الكوثر بأجود الجود: العطاء لأشرف الخلائق، ترغيباً فيه، وندباً إليه، فكان كأنه قيل: أنت يا خير الخلق غير متلبس بشىء مما نهت عنه تلك المختتمة بمنع الماعون)[٣].

---

(١) روح المعانى جـ ٣٠ ص٢٤١.

(٢) الكشاف جـ ٤ ص٢٣٦.

(٣) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور جـ ٢٢ ص٢٨٧.

وسبب نزول هذه السورة ما أخرجه ابن أبى حاتم (عن السدى قال: كانت قريش تقول: إذا مات ذكور الرجل: «بتر فلان»، فلما مات ولد النبى ﷺ قال العاص بن وائل: بتر محمد، فنزلت)[1].

وقيل: إن القائل عقبة بن أبى معيط، (قال: كان عقبة بن معيط يقول: إنه لا يبقى للنبى ﷺ ولد، وهو أبتر، فأنزل الله فيه: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾)[2].

لطائف: قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ. فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ. إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾ .

١- مجىء «نا» المعظم نفسه فى «إنا» و«أعطينا» يدل على عطية عظيمة؛ لأن العطية على قدر معطيها، فهنا العطية تتناسب مع مقام الربوبية المشار إليه بضمير المعظم نفسه.

٢- صدَّر الجملة بحرف التوكيد الجارى مجرى القسم، وأورد العطاء بصيغة الفعل الماضى للدلالة على تحقق الوقوع.

٣- وأورد الكوثر على زنة «فوعل» فهو يؤذن بالكثرة الكاثرة.

٤- أتى بالكوثر مقترناً باللام المعروفة بالاستغراق، لتكون لما يوصف بها شاملة، وفى إعطاء معنى الكثرة كاملة.

٥- أتى بفاء التعقيب فى الآية الثانية، وهى تفيد معنى التسبب لمعنيين:

أ- جعل الإنعام الكثير سبباً للقيام بشكر المنعم وعبادته.

ب- جعله لترك المبالاة بقولة العدو العاص بن وائل.

٦- فى الأمر بالصلاة والنحر لله تعريض بذكر العاص بن وائل وقومه، فعبادتهم لغير الله.

٧- أشار بالأمر بالصلاة والنحر إلى نوعين من العبادات: الأعمال البدنية، والصلاة قوامها، والمالية ونحر الإبل وغيرها ذروة سنامها.

٨- حذف الجار والمجرور من الثانى لدلالة الأول عليه ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ لربك أو له.

٩- مراعاة السجع فى الآيات.

١٠- ورد التفات من التكلم إلى الخطاب ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ. فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ .

١٢- لم يسم الله العاص بن وائل ليتناول النص كل من كان على شاكلته[3].

---

(١) أسباب النزول ص٢٢١ .

(٢) المرجع السابق.

(٣) انظر: مباحث فى إعجاز القرآن ص١٣١ - ١٣٣.

معانى بعض الألفاظ

﴿الْكَوْثَرَ﴾ : نهر فى الجنة، حافتاه من ذهب، يجرى على الدر والياقوت، تربته أطيب من المسك، وماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، كما أتت به الأحاديث الصحيحة، وعن ابن عباس أن الكوثر هو الخير الكثير الذى خص الله به رسولنا ﷺ، ومنه نهر الجنة[1] ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ فصَلِّ الصلاة المكتوبة واذبح يوم النحر، ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾ إن مبغضك هو المنقطع عن كل خير أو منقطع العقب.

(١٠٩) سورة الكافرون

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: (ولما كان أكثر شانئه قريشاً، وطلبوا منه أن يعبد آلهتهم سنة، ويعبدوا إلهه سنة، أنزل الله تعالى هذه السورة تبرياً منهم، وإخباراً لا شك فيه أن ذلك لا يكون، وقوله: «قل» دليل على أنه مأمور من عند الله)[2].

لطيفة: قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ (الكافرون: ١)،

خطابه لقومه بـ«يا أيها الكافرون» فى ناديهم ومكان بسطة أيديهم، مع ما فى هذا الوصف من الإرذال بهم، دليل على أنه محروس من عند الله تعالى، لا يبالى بهم.

معانى بعض الألفاظ

﴿لا أَعْبُدُ﴾ فى الحال ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ من الأصنام والأوثان وغيرها، ﴿وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ﴾ فى الحال ﴿مَا أَعْبُدُ﴾ وهو الله وحده لا شريك له، ﴿وَلا أَنَا عَابِدٌ﴾ فى الاستقبال ﴿مَا عَبَدتُّمْ﴾ من الأصنام، ﴿وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ﴾ فى الاستقبال ﴿مَا أَعْبُدُ﴾ ، فالله أخبره بأنهم لن يؤمنوا؛ لأن الله علم ذلك منهم أزلا، ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ وهو الشرك، ﴿وَلِيَ دِينِ﴾ وهو الإسلام الحنيف، وهذا قبل أن يؤمر بحربهم.

---

(١) انظر : فتح القدير جـ ٥ ص٦٣٧.

(٢) البحر المحيط جـ ٨ ص٥٢١.

﴿ (١١٠) سورة النصر ﴾

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: (لما دلت التى قبلها على أن الكفار قد صاروا إلى حال لا عبرة بهم فيه، ولا التفات ولا خوف بوجه منهم ما دام الحال على المتاركة، كان كأنه قيل: فهل يحصل نصر عليهم وظفر بهم بالمعاركة، فأجاب بهذه السورة بشارة للمؤمنين ونذارة للكافرين، ولكنه لما لم يكن هذا بالفعل إلاّ عام حجة الوداع بعد فتح مكة بسنتين، كان كأنه لم يستقر إلاّ حينئذٍ، فلم ينزل ﷺ هذه السورة إلا فى ذلك الوقت، وقبل منصرفه من غزوة حنين، فقال تحقيقاً لأنه ينصر المظلوم، ويعلى دينه، ويمهل ولا يهمل، فإنّه لا يعجزه شىء، حثاً على التفويض له والاكتفاء)[١].

لطيفة: (عن ابن عباس قال: كان عمر يدخلنى مع أشياخ بدر، فكان بعضهم وجد فى نفسه، فقال: لِمَ يدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه مما علمتم[٢]، فدعاهم ذات يوم، فأدخله معهم، فما رؤيت أنه دعانى فيهم يومئذٍ إلاّ ليريهم، فقال: ما تقولون فى قول الله ﷻ ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً، فقال لى: أكذلك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا، فقال: ما تقول؟ فقلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له، قال: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ فذلك علامة أجلك ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ فقال: عمر بن الخطاب: لا أعلم منها إلاّ ما تقول، تفرد به البخارى)[٣].

معانى بعض الألفاظ

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾ لنبيه ﷺ على أعدائه ﴿وَالْفَتْحُ﴾ أى: فتح مكة، ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ أى: الإسلام ﴿أَفْوَاجًا﴾ أى: جماعات ،بعد ما كان يدخل فيه واحد واحد، وصار العرب يدخلون طائعين بعد الفتح ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أى: ملتبساً بحمده ﴿وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ أى: اطلب منه المغفرة، فهو كثير التوبة لمن توجه إليه مستغفراً.

---

(١) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور جـ ٢٢ ص٣١٣،

(٢) مما علمتم من قرابته للرسول ﷺ

(٣) تفسير ابن كثير جـ ٨ ص٥٢٩ ، ٥٣٩.

﴿ (١١١) سورة المسد ﴾

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: (ولما ذكر ﷺ فيما قبل – سورة النصر– دخول النّاس فى ملة الإسلام، عقّبة سبحانه بذكر هلاك بعض ممن لم يدخل فيها وخسرانه)[١].

س٢: لماذا كناه بأبى لهب واسمه عبد العُزَّى وفى الكنية تكرمة له والآيات خسف له؟

الجواب: (فيه ثلاثة أوجه: أحدها: أن يكون مشتهراً بالكنية دون الاسم، فقد يكون الرجل معروفاً بأحدهما، ولذلك تجرى الكنية على الاسم أو الاسم على الكنية عطف بيان، الثانى: أنه كان اسمه عبد العزى، فعدل عنه إلى كنيته، والثالث: أنه لما كان من أهل النار، ومآله إلى نار ذات لهب، وافقت حاله كنيته، فكان جديراً بأن يذكر بها ويقال له: أبو لهب، كما يقال: أبو الشر للشرير، وأبو الخير للخير)[٢].

معانى بعض الألفاظ

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ تبت: خسرت وهلكت ﴿يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ ذاته، وأتى باليدين وأراد الذات على سبيل المجاز المرسل؛ لأن أكثر الأفعال تقع بهما. ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ ما يغنى عنه ماله وكسبه أى: ولده. ﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ سيدخل ناراً عظيمة ذات تَلَهُّب وتوقد، ﴿وَامْرَأَتُهُ﴾ أم جميل ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ الشوك والسعدان ترميه فى طريق النبى ﷺ ، ﴿فِي جِيدِهَا﴾ فى عنقها ﴿حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ أى: حبل من ليف خشن.

﴿ (١١٢) سورة الإخلاص ﴾

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: (ولما تقدم فيما قبلها عداوة أقرب النّاس إلى الرسول ﷺ، وهو عمه أبو لهب، وما يقاسى من عُبّاد الأصنام الذين اتخذوا مع الله آلهة، جاءت هذه السورة مصرحة بالتوحيد، رادّةً على عباد الأوثان والقائلين بالثنوية وبالتثليث وبغير ذلك من المذاهب المخالفة للتوحيد)[٣].

و إعراب ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ «قل» فعل أمر، والضمير «هو» مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الضمة

---

(١) روح المعانى جـ ٣ ص٢٥٩.

(٢) الكشاف جـ ٤ ص٢٤٠ ، ٢٤١.

(٣) البحر المحيط جـ ٨ ص٥٢٧ ، ٥٢٨.

الظاهرة، و«لفظ الجلالة» مبتدأ ثان، و«أحد» خبره، والجملة من المبتدأ الثاني وخبره في محل رفع خبر الضمير «هو»، والجملة في محل نصب مقول القول.

س٢: قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (الإخلاص :١)،

الأحد بمعنى الواحد، فلِمَ آثر لفظ «أحد» على «واحد»؟ وما الفرق بينهما؟

الجواب: (قال أبو حاتم في كتاب الزينة: «أحد» اسم أكمل من الواحد، ألا ترى أنك إذا قلت: فلان لا يقوم له واحد، جاز في المعنى أن يقوم اثنان فأكثر، بخلاف قولك: لا يقوم له أحد، وفي الأحد خصوصية ليست في الواحد، تقول: ليس في الدار واحد، فيجوز أن يكون من الدواب والطير والوحش والإنس، فيعم النَّاس وغيرهم، بخلاف: ليس في الدار أحد، فإنَّه مخصوص بالآدميين دون غيرهم، قال: ويأتي الأحد في كلام العرب بمعنى الأول، وبمعنى الواحد، فيستعمل في الإثبات وفي النفي، ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ أي: واحد، وأول ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ﴾ (الكهف :١٩)، وبخلافهما فلا يستعمل إلاَّ في النفي، تقول: ما جاءني من أحد، ومنه: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ (البلد :٥)، و﴿أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ (البلد :٨)، ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ (الحاقة :٤٨)، ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ﴾ (التوبة :٨٤)، وواحد يستعمل فيهما مطلقاً، وأحد يستوي فيه المذكر والمؤنث، قال تعالى: ﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ﴾ (الأحزاب :٣٢)، بخلاف الواحد، فلا يقال: كواحد من النساء، بل كواحدة، وأحد يصلح للإفراد والجمع، والأحد له جمع من لفظه وهو الأحدون والآحاد، وليس للواحد جمع من لفظه، والأحد ممتنع الدخول في الضرب والعدد والقسمة وفي شيء من الحساب، بخلاف الواحد)[١].

س٣: قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، ما سر تكرار لفظ الجلالة؟

الجواب: (كرر ليكون كل جملة بها مستقلة بذاتها، غير محتاجة إلى ما قبلها، ثم نفى عنه سبحانه الولد بقوله ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾، والصاحبة بقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾)[٢].

معاني بعض الألفاظ

﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ أي: المقصود في الحوائج دائماً وهو الذي لا يخيب مَنْ رَجَاهُ ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ لانتفاء مجانسته؛ لأنه ليس كمثله شيء، ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ لأنه ليس حادثاً، والحدوث عليه مستحيل ﴿وَلَمْ

(١) الإتقان في علوم القرآن جـ ٣ ص١٤٣، ١٤٤.

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز جـ ١ ص٥٥٤.

يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ لم يكن له مكافئ ومماثل، وقدم الضمير له مع أنه يتعلق بمتأخر ﴿كُفُوًا﴾ لأنه -أي: «له»- هو المقصود بالنفي.

(١١٣) سورة الفلق

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: (ولما شرح أمر الإلهية فى السورة قبلها، جيء بها بعدها شرحاً لما يستعاذ منه بالله تعالى من الشر الذى فى مراتب العالم ومراتب مخلوقاته، وهى والسورة التى بعدها نزلتا معاً كما فى الدلائل للبيهقى، فلذلك قرنتا مع ما اشتركتا فيه من التسمية بالمعوذتين ومن الافتتاح بـ«قل أعوذ»)[(١)].

س٢: قال تعالى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ (الفلق :٢)، وقال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ، وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ، وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾. قوله تعالى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ تعميم فى كل ما يستعاذ منه، فلماذا ذكر الغاسق والنفاثات والحاسد؟

الجواب: (قد خص شر هؤلاء من كل شر لخفاء أمره، وأنه يلحق الإنسان من حيث لا يعلم، كأنما يغتال به، وقالوا: شر العداة المداجى الذى يكيدك من حيث لا تشعر)[(٢)].

س٣: لِمَ عرَّف النفاثات، وأتى بغاسق وحاسد نكرتين؟

الجواب: (عرَّف «النفاثات» لأن كل نفاثة شريرة، ونكَّر «غاسق» لأن كل غاسق لا يكون فيه الشر، إنما يكون فى بعض دون بعض، وكذلك كل حاسد لا يضر، ورب حسد محمود، وهو الحسد فى الخيرات، ومنه قوله ﷺ: «لا حسد إلاَّ فى اثنتين»)[(٣)].

معانى بعض الألفاظ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ الفلق: الصبح، ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ من شر كل ما خلقه من حيوان وحشرات وجماد وشجر، ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ الغاسق: الليل ﴿إِذَا وَقَبَ﴾ أى: إذا أظلم ودخل، ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ النفاثات: السواحر تنفث فى عقد الخيط التى تعقدها، ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ ومن شر حاسد إذا أظهر حسده، وعمل بمقتضاه.

---

(١) روح المعانى جـ ٣٠ ص٢٧٨ .

(٢) الكشاف جـ ٤ ص٢٤٤.

(٣) الكشاف جـ ٤ ص٢٤٤.

﴿ (١١٤) سورة الناس ﴾

س١: ما مناسبة السورة لما قبلها؟

الجواب: (لما جاءت سورة الفلق للاستعاذة من شر ما خلق من جميع المضار البدنية وغيرها، العامة للإنسان وغيره، وذلك هو جملة الشر الموجود فى جميع الأكوان والأزمان، ثم وقع فيها التخصيص بشرور بأعيانها، من الغاسق والساحر والحاسد، فكانت الاستعاذة فيها عامة للمصائب الخارجة التى ترجع إلى ظلم الآخرين، والمعايب الداخلة التى ترجع إلى ظلم النفس، ولكنها فى المصائب أظهر وختمت بالحسد، فعلم أنه أضر المصائب، وكان أصل ما بين الجن والإنس من العداوة الحسد، جاءت سورة النّاس متضمنة للاستعاذة من شر خاص، وهو الوسواس وهو أخص من مطلق الحاسد، ويرجع إلى المعايب الداخلة اللاحقة للنفوس البشرية التى أصلها كلها الوسوسة، وهى سبب الذنوب والمعاصى كلها، وهى من الجن أمكن وأضر، والشر كله يرجع إلى المصائب والمعايب)[١].

س٢: قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ (النّاس: ١).

لِمَ أضاف «رب» إلى النّاس مع أنه رب كل شىء ومالكه؟

الجواب: لأن الاستعاذة وقعت من شر الموسوس فى صدورهم وليس فى غيرهم، فكأنه قيل: أعوذ من شر الموسوس إلى النّاس، بربهم الذى يملك عليهم أمورهم[٢].

س٣: قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ، مَلِكِ النَّاسِ، إِلَهِ النَّاسِ﴾،

و قال تعالى: ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ، مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾،

ما سر تكرار «الناس» فى الآيات؟ وهلاّ اكتفى بذكرهم مرة واحدة ثم أضمر؟

الجواب: (لأن عطف البيان للبيان، فكان مظنة للإظهار دون الإضمار)[٣].

و قال الفيروزآبادى: (قيل: كرِّر تبجيلاً لهم على ما سبق، وقيل: كرر لانفصال كل آية من الأخرى بعدم حرف العطف، وقيل: المراد بالأول الأطفال، ومعنى الربوبية يدل عليه، وبالثانى الشبان، ولفظ الملك يدل عليه؛ لأنه منبئ عن السياسة، وبالثالث الشيوخ، ولفظ إله المنبئ عن العبادة يدل عليه، وبالرابع الصالحون والأبرار، والشيطان مولع بإغوائهم، وبالخامس المفسدون

---

(١) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور جـ ٢٢ ص٤٢٤.

(٢) انظر: الكشاف جـ ٤ ص٢٤٥.

(٣) انظر: المرجع السابق.

والأشرار، وعطفه على المعوّذ يدل عليه[1].

س٤: ما سر مجيء البناء في الاستعاذة من الوسواس بصفات ثلاث: للرب وملك وإله ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ، مَلِكِ النَّاسِ، إِلَهِ النَّاسِ﴾ ؟

الجواب: لأن الوسوسة مضرة بالدين، وهى أعظم المضرات، وأعظم من مضرة الأهل والمال والبدن، لهذا جاء بناء الاستعاذة بالرب والملك والإله.

معانى بعض الألفاظ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ أى: قل: ألتجئ وأحتمى وأتحصن بخالق النّاس ومالكهم، فهو الحصن الحصين والملاذ الأمين، **﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾** أى: مالكهم يتصرف فيهم بعلمه وإرادته وقدرته، ويرحمهم لأنه خالقهم ، **﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾** معبودهم، ولا إله غيره **﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ﴾** أى: الشيطان، سمى بهذا لكثرة ملابسته له، أى: للحديث الخفى وكله شر، **﴿الْخَنَّاسِ﴾** أى: كثير التأخر إذا ذكر الله ﷻ، فيخنس: أى يتأخر. **﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾** يحدثهم حديثاً خفياً بالإغواء إذا غفلوا عن ذكر الله، وانخرطوا فى دنياهم الفانية، **﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾** بيان للشيطان الموسوس بأنه قد يكون من الجن، وقد يكون من الإنس، فمن النّاس شياطين يوحون إلى غيرهم بالشر، ويفتحون أبواب الشر أمامهم.

* * *

(١) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز جـ ١ ص٥٥٧.

الحمد لله كما ينبغى لجلال وجهه وعظيم سلطانه، لقد انتهيت من تأليف هـذا الكتـاب فـى يوم الثلاثاء الثالث عشر من شهر رجب من عام واحد وعشرين وأربعمائـة وألـف بالمدينـة المنـورة بالمملكة العربية السعودية، وقد استغرق تأليفه خمس سنوات.،

اللهم صلِّ الصلاة الكاملة، وسلِّم السلام التّام على حضرة حبيبك سيدنا محمد النبى

الذى تنحلُّ به العقد، وتنفرج به الكُرَب، وتقضى به الحوائج، وتُنَال به الرغائب

وحســن الخواتيــم، ويستَســقى الغمــام بــوجهــه الكريــم

وعلى آلــه ومــا تنــاســل منـــــه وصحبـــــه

فى كل لمحة ونفس عدد كل معلوم لك

صــلاة دائمـــة بدوامــك

يا رب العالمين

المؤلف

المراجـــع

- **أولاً: كتب التفسير :**

١- أحكام القرآن، لأبى بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربى، طبعة عيسى البابى الحلبى.

٢- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبى السعود العمادى - دار إحياء التراث العربى، بيروت.

٣- البحر المحيط، لمحمد بن يوسف الأندلسى الشهير بأبى حيان، دار الفكر.

٤- التفسير الكبير، للإمام الفخر الرازى - دار إحياء التراث العربى - بيروت.

٥- الجامع لأحكام القرآن، لأبى عبد الله محمد بن أحمد القرطبى، دار إحياء التراث.

٦- الفتوحات الإلهية للشيخ سليمان بن عمر العجيلى الشهير بالجمل، عيسى البابى الحلبى.

٧- الكشاف، لأبى القاسم جار الله محمود الزمخشرى، دار المعرفة، بيروت.

٨- تفسير القرآن العظيم، للإمام عبد الرحمن بن محمد بن أبى حاتم، نزار الباز.

٩- تفسير القرآن العظيم، لأبى الفداء إسماعيل بن كثير، دار الشعب.

١٠- تفسير القرآن العظيم المسمى بالسراج المنير، للإمام الخطيب الشربينى، دار المعرفة، بيروت.

١١- تفسير النسفى، لأبى البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفى، دار الكتاب العربى، بيروت.

١٢- جامع البيان، لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى، مصطفى البابى الحلبى.

١٣- حاشية الشهاب، المسماة عناية القاضى وكفاية الراضى، للإمام أحمد بن محمد بن عمر الخفاجى، دار صادر، بيروت.

١٤- روح المعانى، للإمام شهاب الدين محمود الألوسى البغدادى، دار إحياء التراث العربى، بيروت.

١٥- زاد المسير فى علم التفسير، لأبى الفرج جمال الدين عبد الرحمن الجوزى، المكتب الإسلامى، دمشق.

١٦- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين النيسابورى، مصطفى البابى الحلبى.

١٧- فتح القدير، للإمام محمد بن على الشوكانى، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٨- فى ظلال القرآن، للشهيد سيد قطب، دار الشروق.

١٩- فى رحاب التفسير، للشيخ / عبد الحميد كشك، المكتب المصرى.

● **ثانياً : كتب علوم القرآن:**

١- أسباب النزول، جلال الدين السيوطى، دار طيبة بالقاهرة.

٢- إعراب القرآن وبيانه، محيى الدين الدرويش، اليمامة.

٣- الإتقان فى علوم القرآن، جلال الدين السيوطى، دار التراث.

٤- البرهان فى علوم القرآن، الإمام بدر الدين محمد الزركشى، عيسى البابى الحلبى.

٥- الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون، الإمام أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبى، دار القلم، دمشق.

٦- الروض الريان فى أسئلة القرآن، الشيخ شرف الدين الحسين بن سلمان بن ريان - مكتبة العلوم والحكم.

٧- بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، المكتبة العلمية، بيروت.

٨- مباحث فى إعجاز القرآن، الدكتور / مصطفى مسلم، دار المسلم.

٩- مباحث فى علوم القرآن، الشيخ / مناع القطان، مؤسسة الرسالة بيروت.

١٠- مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهانى، دار القلم، دمشق.

١١- نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور، للإمام برهان الدين أبى الحسن إبراهيم البقاعى، دار الكتاب الإسلامى.

● **ثالثاً: كتب السنة**

١- صحيح الإمام البخارى، دار الشعب.

٢- صحيح الإمام مسلم بشرح النووى، مؤسسة قرطبة.

٣- سنن ابن ماجه بشرح السندى.

● **رابعاً: كتب اللغة:**

١- لسان العرب، لابن منظور، دار المعارف.

٢- مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب.

● **خامساً : كتب أخرى**

١- الإسلام يتحدى، وحيد الدين خان، دار البحوث العلمية.

٢- كتاب المساكين، مصطفى صادق الرافعى، دار الكتاب العربى، بيروت.